

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

٢٠٠١٢٣٢



الحوار في اليوم الآخر في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير من قسم الكتاب والسنة

إعداد الطالب

عبد الخالق بن سليم بن سالم القرشي

إشراف سعادة الأستاذ الدكتور

عبدالله بن سعاف اللحيني

١٤١٩-١٤٢٠هـ



١٠٤٨٧٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: (الحوار في اليوم الآخر في القرآن الكريم)

مكونات الرسالة: تشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة. المقدمة وذكرت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهجي في البحث والخطة وبعض الصعوبات التي واجهتني. والتمهيد وبينت فيه معنى (الحوار في اليوم الآخر) ويتضمن فصلين الفصل الأول: مدخل إلى الحوار في القرآن الكريم والفصل الثاني: اليوم الآخر والمراد به ووروده في القرآن الكريم.

الباب الأول: حوار الله تعالى مع خلقه. وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: حوار الله تعالى مع الرسل.

الفصل الثاني: حوار الله تعالى مع الملائكة.

الفصل الثالث: حوار الله تعالى مع الكافرين.

الفصل الرابع: حوار الله تعالى مع جهنم.

الباب الثاني: حوار المؤمنين وفيه فصلان:

الفصل الأول: حوار المؤمنين مع بعضهم بعضاً.

الفصل الثاني: حوار المؤمنين مع الكافرين.

الباب الثالث: حوار الكافرين وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: حوار الكافرين مع الله تعالى.

الفصل الثاني: حوار الكافرين مع الملائكة.

الفصل الثالث: حوار الكافرين مع المؤمنين.

الفصل الرابع: حوار الكافرين مع جنودهم.

الفصل الخامس: حوار الكافرين مع بعضهم بعضاً.

الفصل السادس: حوار الملائكة - خزنة جهنم - مع الكافرين.

الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ومنها:

- ظهر جلياً بأبواب الحوار القرآني الأخرى وما تضمنه من مباحث ومسائل اهتمام القرآن الكريم بمسائل العقيدة كالإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين.
 - أن كل حوار أخرى في القرآن الكريم فإنه واقع لا محالة طبقاً كما أخبر الله تعالى بالوصف الدقيق.
 - أن الحوار في اليوم الآخر فيه تسلية للنبي ﷺ وللمؤمنين تصبيراً وتبشيراً.
 - أن أكثر الحوار الوارد في القرآن الكريم في اليوم الآخر متعلق بالكافرين لكثرتهم في الدنيا من جهة ولشدة تمسكهم بكفرهم وإعراضهم عن الحق وشدة عداوتهم لدين الله وأوليائه من جهة أخرى.
 - أن جميع الحوارات الموجهة للكافرين من الله تعالى أو من الملائكة أو من المؤمنين فهي للتوبيخ والتقريع.
 - إن أعظم مضامين الحوار التوحيد الطلبي حضاً عليه وتقريباً له.
- ثم الفهارس العلمية.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

عميد كلية الدعوة وأصول الدين

المشرف

الطالب

د. محمد طاهر بن عبد الرحمن نور ولي

د. عبد الله بن سعاف اللحياني

عبد الخالق بن سليم بن سالم القرشي

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١). ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣).

أما بعد:

فقد أنزل الله تعالى كتابه الكريم، القرآن العظيم على رسوله الأمين، محمد خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين ﷺ ليكون هدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين. والمسلمون على مرّ الأزمان، وتعاقب الليل والنهار، مقبلون على كتاب ربهم، ينهلون من معينه الصافي، العذب الزلال، ما بين مستقل ومستكثر، على تفاوت بينهم، حكمة ربانية، وسنة كونية، لكنهم في عمومهم وجملتهم في خير، فالدين عندهم هو سيد الساحة، وهو المقدم، فسادوا الأمم جميعاً، وامتدت دولة الإسلام من حدود الصين إلى الأندلس، ونشأت على شواطئها المباركة أعظم حضارة إنسانية عرفتها البشرية، فصارت للمسلمين القيادة والريادة في جميع المجالات، وشتى النواحي^(٤). ولا غرو فصحة الاعتقاد تقوي الإدراك وتصححه...

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب الآية: ٧٠ - ٧١.

(٤) في أثر الحضارة الإسلامية على العالم: انظر (تاريخ العلوم عند العرب) للدكتور أحمد سعيد الدمرداش، و (العلوم عند العرب) لقدري حافظ طوقان، و (فضل علماء العرب على تطور العلم) للدكتور علي أحمد شحات، و (شمس الله تشرق على أوروبا) للدكتورة الألمانية سيجريد هونكة وترجم كتابها للعربية د/ فؤاد حسنين علي، وجعل عنوانه (فضل العرب على أوروبا)، و (العلم عند العرب وأثره في تطور العلم

لكنهم - أي المسلمين - في هذه الأزمان المتأخرة انصرفوا أو كادوا عن كتاب ربهم - إلا من رحم الله وقليل ما هم - حتى أصبحت الكثرة الكاثرة من المسلمين من يطالع الصحف والمجلات التافهة أكثر مما يطالع القرآن الكريم، فهجروه، وتكبوا الطريق الواضحة المشرقة، وعموا وجوههم قِبَل الشرق والغرب يستجدونهم، ويتبعون خطواتهم، يريدون إصلاح أوضاعهم الاقتصادية، والاجتماعية، والتربوية على مناهجهم وأسسهم.. فحادوا عن الجادة، فصاروا في مؤخرة الأمم بعد أن كانوا في المقدمة، وأصبحوا في ذلة بعد عزة ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾^(١) ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَانُ مَدًّا﴾^(٢)، وانصرفوا عن الحياة الجادة وجلائل الأعمال إلى حياة الدعة والترف...

ثم أحسوا بما هم فيه من ذلة وتأخر، فزادوا وأعادوا في تجريب المناهج المستوردة، والطرائق التربوية المستغربة... فلم يزدادوا إلا انحداراً وتردياً... إننا نواجه اليوم غزواً فكرياً مركزاً، يتمثل بانبهار كثير من أبناء المسلمين بحضارة الغرب، وبكل ما هو غربي، في الأخلاق والسلوك، والمظهر العام، والأسس التربوية، واستقبال ما ييثر إلينا بالإعجاب والقبول، بل وتعداه عند البعض حتى في النظرة إلى الكون والحياة، وأصبح كثير من الناس لا يرون الناس إلا هم^(٣)، وصدق فينا قول الرسول الكريم ﷺ: «لتبعن سنن من كان قبلكم، شيراً بشيراً وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»^(٤).

= (العالمي) للأستاذ الدوميلي الإيطالي، وهو دراسة شاملة للعلم العربي من القرن الثامن الميلادي إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وكيف انتقل هذا العلم إلى أوروبا المتخلفة آنذاك.. انظر (العلم والعلماء في ظل الإسلام) لعبد الستار سعيد ص ١٢٠-١٢١ وما بعدها.

(١) سورة الشورى، آية: ٣٠

(٢) سورة مريم الآية: ٧٥

(٣) حتى قرر أديب من أدبائهم وكبير من كبرائهم - في الغواية والعماية - أنه لن تقوم للعرب قائمة ولن يلحقوا بركب الحضارة والتقدم إلا بحل واحد لا ثاني له وهو أخذ الحضارة الغربية بعثها وسمينها، بخيرها وشرها، بنافعها وضارها، - كذا في زعمه - يقول ذلك ملء فيه من غير موارد ولا حياء، ومن غير رادع من دين أو خلق. انظر (مستقبل الثقافة في مصر) لطفه حسين.

(٤) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥١١/٢ واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه والحاكم في المستدرک ٩٣/١ حديث رقم ١٠٦. قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا اللفظ، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.

ولو رجعوا إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، لوجدوا ضالتهم. قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا (٦٦) وَإِذَا لَا تَأْنِيَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^(١). ذلك أن فيهما العلاج الناجع والدواء النافع، لكل أدواء الفساد العقائدي والأخلاقي والاقتصادي والاجتماعي وغيرها من أنواع الفساد.

فالقرآن الكريم فيه الخير كل الخير، جمع الله تعالى فيه صلاح الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(٢) ففيه الإصلاح الأخلاقي^(٣)، وفيه الإصلاح الاقتصادي والإصلاح الاجتماعي، والإصلاح السياسي^(٤) وكل ما يحتاجه البشر لإقامة حياتهم.

فالقرآن الكريم كتاب هداية، ومنهج حياة، هو هداية الخالق لإصلاح الخلق، وشرعية السماء لأهل الأرض، الذي تكفل بجميع ما يحتاج إليه البشر في أمور دينهم ودنياهم، في العقائد، والأخلاق والعبادات، والمعاملات المدنية، والجنائية، وفي الاقتصاد، والسياسة، والسلم، والحرب، والمعاهدات والعلاقات الدولية، وهو في كل ذلك حكيم كل الحكمة، لا يعتربه خلل، ولا اختلاف، ولا تناقض، وصدق الله ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٥) وأصيل غاية الأصالة، وعدل غاية العدل، ورحيم غاية الرحمة، وصادق غاية الصدق، فلا عجب.. أن كانت السعادة الحقة لا تنال إلا بالاهتداء بهديه، والتزام ما جاء به، وأن كان الشفاء لأمراض النفوس، وأدواء المجتمع، فاهتدت به القلوب بعد ضلال، وأبصرت به العيون بعد عمى، واستنارت به العقول بعد جهالة، واستضاءت به الدنيا بعد ظلمات^(٦)، وصدق الله ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ

(١) سورة النساء، الآيات: ٦٦ - ٦٨.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٩.

(٣) انظر كتاب «دستور الأخلاق في القرآن الكريم» لمحمد عبدا لله دراز.

(٤) انظر كتاب «الدستور القرآني في شؤون الحياة» ص ٥٠ - ١٢٧.

(٥) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٦) المدخل إلى القرآن الكريم، لمحمد محمد أبو شهبه: ص ١٠ مع التصرف اليسير.

لِلْمُؤْمِنِينَ^(١) وقال ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢) ومن أقوى الأساليب التي اتبعها القرآن الكريم، وأشدّها تأثيراً، في الإصلاح، والتوجيه، والهداية، التركيز على اليوم الآخر، وتفصيل ما يقع فيه، من مشاهد عظام، وأحداث حسام - تشيب منها نواصي الولدان -... في كثير من آياته وسوره، بل إن القرآن الكريم كله من فاتحته إلى خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر، وتفصيل ما فيه، وتقرير ذلك بأصدق الأخبار، وضرب الأمثال، وإقامة الأدلة القواطع، والبراهين السواطع على حصوله^(٣)...

وهو في كل ذلك يكرر ذكره، حتى يصبح عقيدة راسخة في النفوس^(٤)، وكما قيل: ما تكرر تقرر.

حتى أصبح الإيمان بالغيب - والإيمان باليوم الآخر جزءاً منه - أهم صفات المؤمنين، ولذلك قال عبد الله ابن مسعود: «والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ: ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ إلى قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^{(٥) (٦)}. قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: وفي العلم بذلك - أي أحوال اليوم الآخر - فوائد كثيرة:

منها: أن الإيمان باليوم الآخر أحد الأركان الستة التي لا يصح الإيمان بدونها. وكلما ازدادت معرفته بتفاصيله ازداد إيمان العبد به.

(١) سورة الإسراء، آية: ٨٢

(٢) سورة المائدة آية: ١٥ - ١٦.

(٣) مظاهر الاهتمام باليوم الآخر كثيرة جداً يطول حصرها راجع إن شئت: ((الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار)) لغالب بن علي العواجي، ٧٣/١، و ((الإيمان)) لمحمد نعيم ياسين ص ٧٦ - ٧٩.

(٤) انظر (من بلاغة القرآن) لأحمد بدوي ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٥) سورة البقرة، الآيات: ١ - ٣.

(٦) رواه الإمام أحمد: ١٨٧/٣، وابن ماجة ١٣٣١/٢ حديث رقم ٤٠١٥، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة: هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات اه منه: ٣٠٠/٢.

ومنها: أن معرفة ذلك حقيقة المعرفة، يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء، اللذين إن خلا القلب منهما، خرب كل الخراب، وإن عُمرَ بهما أوجب له الخوف الإنكفاف عن المعاصي.

والرجاء تيسير الطاعة، وتسهيلها، ولا يتم ذلك، إلا بمعرفة تفاصيل الأمور، التي يخاف منها وتحذر. كأحوال القبر وشدته، وأحوال الموقف الهائلة، وصفات النار المفضعه.

ومعرفة تفاصيل الجنة وما فيها من النعيم المقيم، والخبرة والسرور، ونعيم القلب والروح والبدن، فيحدث بسبب ذلك، الاشتياق الداعي للاجتهاد، وفي السعي للمحبوب المطلوب بكل ما يقدر عليه.

ومنها: أن يعرف بذلك فضل الله وعدله، في الجازاة على الأعمال الصالحة، والسيئة، الموجب لكمال حمده، والثناء عليه بما هو أهله. وعلى قدر علم العبد، بتفاصيل الثواب والعقاب يعرف بذلك فضل الله، وعدله وحكمته^(١).

وهكذا فالعلم باليوم الآخر، والوقوف على تفصيل ما يحدث فيه من أمور عظيمة، من أقوى الأساليب وأشدّها تأثيراً، في التوجيه إلى التمسك بالقرآن، والعمل بهداياته، وإتباع توجيهاته، إذ يتوقف كل ذلك - أي العمل بتوجيهات القرآن وهداياته - على حصول الثواب والعقاب، واعتقاد ما يكون بعد الموت من مشاهد وأهوال، وأمور جسام، وخوف المآل، إما إلى جنة أو نار، فبدون ذلك لا يبقى للإيمان معنى، ولا للدين أثر، في تقويم الإنسان، وهدايته وتوجيهه إلى الخير والرشاد.

(فالإيمان بالجنة والنار وتمثل الجزاء والعقاب فيهما من الحوافز القوية للمؤمنين، على سلوك الجادة، وتجنب الانحراف ما أمكن، وكان المجتمع الإسلامي بهيمنة هذا الإيمان عليه، يتميز بكثير من الطهر والمثالية في المعاملة والأخلاق، فلما دبَّ إليه هذا العرض المرضي، من أعراض الإلحاد والمادية أصبح على ما نراه من التفسخ والانحلال، وهو إذا أزم من وفقاً لما يدعو إليه القوم فسوف يتجرد من أصل الإيمان البتة)^(٢).

(١) ((الفوائد)) لابن القيم رحمه الله تعالى ص ٥٦.

(٢) ((منطلقات إسلامية)) لعبد الله كنوان ص ٩٧ - ٩٨.

وبهذا نتبين أهمية بحث موضوع الحوار في اليوم الآخر في القرآن الكريم، إذ يمثل
جزئية من أعظم جزئيات ذلك اليوم العظيم.

سبب اختيار الموضوع:

أما اختياري لهذا الموضوع فبالإضافة إلى ما سبق في أهمية الموضوع فلأسباب أخرى
أيضاً أجمالها في الآتي:

أولاً: أن الحياة الآخرة - وما اشتملت عليه من أحداث عظام - تمثل حياتنا الأخروية، وهي
الحياة الحقّة الأبدية الحقيقية. فوجب أن نقف على جميع ما يحدث، وما يدور فيها من
وقائع، وأحداث فكان من ضمن ما يقع فيها: (الحوار بجميع أقسامه)، فأردت أن
يكون موضوعاً لبحثي...

ثانياً: لما للموضوع من أثر شديد في توجيه سلوك الإنسان المسلم، إتباعاً لما أمر الله به
وانزجاراً عما نهى الله عنه، والحض على التسابق إلى الخيرات..

ثالثاً: لتعلقه بعلم عديده، فله تعلق مباشر بالتفسير والحديث، وله بعلم الرقائق ارتباط وصلة
قوية..

رابعاً: لما للحوار من أثر قوي في تقرير مسائل الدين أصولاً وفروعاً وخاصة مسائل العقيدة
كحديث عمر رضي الله عنه بينما كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض..
الحديث»^(١) وحوارات القرآن الكريم الخاصة باليوم الآخر قد تضمنت تقرير مسائل
عقدية هامة، بخصوص اليوم الآخر، وتصوير ما يكون في الجنة، وما يكون في النار،
وما يدور بين أهل كل من حوارات.. بل ينقل لنا من أفواه المعذبين ما يدلنا على
أسباب سلوكهم فيها.. الخ ما هنالك بالوصف الدقيق والخير الصادق الأكيد، وكأننا
نسمع ذلك ونشاهده عياناً بياناً، وفي كل ذلك أعظم تقرير وأبلغ بيان، وأسطق

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، ويسمى حديث جبريل لأنه يسجل نص الحوار بين جبريل
عليه السلام وبين رسول الله (حول مسائل.. قال الإمام أبو العباس القرطبي في كتاب المفهم عن الحديث:
يصلح هذا الحديث أن يقال فيه: (أم السنة) لما تضمنه من جمل علوم السنة، كما سميت الفاتحة (أم
الكتاب) لما تضمنته من جمل معاني القرآن. اهـ منه ١٣١/١. انظر مجلة الحكمة العدد الثالث عشر، شهر
جماد ثاني عام ١٤١٨ هـ ص ٢٤٩ ((روايات حديث جبريل تحليل وفقه تأويل)).

برهان، وأنجع دواء، لمن في قلبه شك في وقوع البعث بعد الموت، وما يلحقه من مشاهد عظام، ومواطن حسام، وحصول الثواب والعقاب.. الخ.

خامساً: أن موضوع البحث وهو (الحوار في اليوم الآخر في القرآن الكريم) من الموضوعات القرآنية المهمة، التي ركز عليها القرآن الكريم، ومع ذلك فلا أعلم أن أحداً من الباحثين قد تناوله قط، ولو في مقالة، ومثل هذه الموضوعات التي لم تطرق، أو لم توضح معالمها جهود الباحثين، هي أولى وأحق - في نظري - بأن توجه إليها الطاقات، وتستفرغ فيها الجهود، لأن المسلمين وخاصة في هذه الآونة في أشد الحاجة إلى إيقاظ كل ذرة في كياناتهم، وبعث ووصل كل سبب ووسيلة تربطهم بالقرآن؛ لكثرة الأخطاء والأعداء المحيطين والمخدقين بالإسلام والمسلمين من كل حذبٍ وصوبٍ، ولا ملاذ لهم، ولا خلاص، إلا بالعودة الصادقة إلى القرآن الكريم، فهو «حبل الله المتين الممدود من السماء إلى الأرض...»^(١)

لهذا كله فقد رأيت مستعيناً بالله تعالى - أن أتناول هذا الموضوع المهم في حياة كل مسلم بما يستحقه من البحث والدراسة الموضوعية التحليلية، ومن الله تعالى وحده نستمد العون والتوفيق.

منهجي في كتابة البحث:

وقد اتبعت في تحقيق ذلك بعد طلب العون والتوفيق من الله تعالى المنهج التالي:

- ١- جمع الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بالموضوع.
- ٢- ترتيب وتبويب الآيات المتعلقة بالبحث بحسب أطراف الحوار، فمن كان بادئاً بالحوار جعلته - أي الحوار - في بابه.
- ٣- دراسة تفسير هذه الآيات دراسة موضوعية وافية بالرجوع إلى كتب التفسير مقدماً أمهات كتب التفسير، ثم ما جدّ بعد ذلك من تفاسير المتأخرين والمعاصرين، والاطلاع على الدراسات والأبحاث القرآنية الخاصة المعاصرة التي لها صلة بالموضوع، مع استيعاب

(١) وردت عدة آثار بهذا المعنى ونحوه عن علي بن أبي طالب وغيره. انظرها في الدر المنثور / تفسير البغوي: ٧٨/٢-٧٩، وتفسير أبي المظفر السمعاني: ٣٤٥/١.

المعلومات المتعلقة بذلك - ونقدها إذا لزم - وتسجيل ما يلزم مما يدور حول الآيات، مع الاختصار وعدم التطويل ما أمكن.

٤- الرجوع إلى كتب التفسير في أمهات كتب الحديث كالكتب الستة وغيرها من دواوين السنة.

٥- شرح المفردات - التي تحتاج إلى ذلك - بالرجوع إلى كتب غريب القرآن، كغريب القرآن لأبي بكر السجستاني، والمفردات للراغب الأصفهاني وغيرها.

٦- الحرص على تقديم أعلى درجات التفسير؛ تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، ثم تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وأعلام الأئمة.

٧- التزام الأمانة العلمية في كل بعزٍ ما نقلته إلى مصدره، حرفياً، أو تصرفاً.

٨- استخلاص الدلالات والعبير واللطائف، مع الربط بحاجات ومشكلات العصر في بعض المواضع بقدر الإمكان.

٩ - الانتفاع بالكشوف العلمية في توسيع مدلول الآيات القرآنية مع الرد على ما كان منها - أي الكشوف - فيه تكلف أو تعسف وتحميل للآيات القرآنية ما لا تحمل.

١٠- إيراد القراءات التي لتنوعها أثر كبير في المعنى، وقد استعنت بالقراءة الشاذة أحياناً لتجلية معنى الآية كما فعله المفسرون كابن جرير الطبري وابن عطية والقرطبي وأبي حيان وابن عادل الحنبلي وغيرهم.

١١- دفع ما يقع بين الآيات أثناء البحث من إيهام الاضطراب والتعارض.

١٢ - ترقيم الآيات، وذكر سورها في القرآن الكريم.

١٣- تخريج الأحاديث الواردة في الرسالة، وذلك بالرجوع إلى كتب السنة، وإذا كان الحديث المستشهد به في أكثر من مصدر، فإني قد أكتفي بعزوه إلى بعض مصادره. أما الآثار فلا ألتزم تخريجها والحكم عليها فغالبيتها موجود في تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى لأن المقصود بيان الأقوال والاستئناس بها وليس الاحتجاج بها في الغالب.

١٤- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإني أكتفي بعزوه إليهما أو أحدهما إلا إذا وجدت زيادة عند غيرهما.

١٥- الحرص على تتبع أقوال الأئمة في الحكم على الحديث والاكتفاء بذلك.

١٦- ترجمة الأعلام الواردين في الرسالة من غير المشهورين.

١٧- نهت أثناء البحث وعند المرور بمسائل العقيدة وخصوصاً الصفات الإلهية إلى ما انحرفت فيه المعتقدات والمشارب وبينت المعتقد الصحيح والمشرب الصافي الذي لا تكدره الدلاء؛ اعتقاد أهل السنة والجماعة المبني على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ بفهم السلف الصالح.

هذا وقد نظمتُ مباحث هذه الرسالة في:

مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، تفقوها خاتمة على النحو التالي:

المقدمة: تناولت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ومنهجي

في البحث، والخطة.

التمهيد: معنى "الحوار في اليوم الآخر"، وفيه فصلان:

الفصل الأول: مدخل إلى الحوار في القرآن الكريم. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الحوار والألفاظ المقاربة له.

المبحث الثاني: منزلة الحوار في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: موضوعات الحوار في القرآن الكريم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موضوعات الحوار الديني في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: موضوعات الحوار الأخروي في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: اليوم الآخر المراد به ووروده في القرآن والمقصود به في البحث:

الباب الأول: حوار الله تعالى مع خلقه. وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: حوار الله تعالى مع الرسل: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حوار الله تعالى مع الرسل عامة.

المبحث الثاني: حوار الله تعالى مع رسل مخصوصين.

الفصل الثاني: حوار الله تعالى مع الملائكة.

الفصل الثالث: حوار الله تعالى مع الكافرين: وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: عند لقاء الله وقيامهم بين يديه.

المبحث الثاني: عند سؤالهم عن الرسل.

المبحث الثالث: عند سؤالهم عن شركائهم الذين كانوا يزعمون.

المبحث الرابع: عند تبرؤ المعبودين ممن عبدتهم.

المبحث الخامس: عند استجواب الجن.

المبحث السادس: وهم في غمرات العذاب.

الفصل الرابع: حوار الله تعالى مع جهنم.

الباب الثاني: حوار المؤمنين، وفيه فصلان:

الفصل الأول: حوار المؤمنين مع بعضهم بعضاً. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الحوار في موقف الشفاعة.

المبحث الثاني: حوارهم عند تذكرهم أحوالهم في الدنيا.

الفصل الثاني: حوار المؤمنين مع الكافرين. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حوار المؤمنين مع الكافرين عند مناداتهم لأصحاب النار.

المبحث الثاني: حوار المؤمنين مع الكافرين عند تسأؤلهم عن أصحاب

الجحيم.

الباب الثالث: حوار الكافرين. وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: حوار الكافرين مع الله تعالى. وفيه مباحث:

المبحث الأول: عند حشرهم يوم القيامة عمياً.

المبحث الثاني: حوار الكافرين مع الله تعالى لطلب الرجوع إلى الدنيا.

المبحث الثالث: عند تخاصمهم مع قرنائهم.

المبحث الرابع: حوار الكافرين - الأتباع - مع الله تعالى لطلب تضييف

العذاب على المتبوعين.

الفصل الثاني: حوار الكافرين مع الملائكة. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حوار الكافرين عند طلب تخفيف العذاب.

المبحث الثاني: حوار الكافرين مع الملائكة لطلب الموت.

الفصل الثالث: حوار الكافرين مع المؤمنين. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حوار الكافرين مع المؤمنين لطلب الاقتباس من نورهم.

المبحث الثاني: حوار الكافرين مع المؤمنين لطلب الإفاضة عليهم.

الفصل الرابع: حوار الكافرين مع جلودهم.

الفصل الخامس: حوار الكافرين مع بعضهم بعضاً. وفيه مباحث:

المبحث الأول: حوار الكفار المستضعفين والمستكبرين في أرض المحشر. وفيه

مطالب:

المطلب الأول: عند بروزهم من قبورهم لأمر الله.

المطلب الثاني: عند إيقافهم بين يدي الله تعالى.

المطلب الثالث: عند إيقافهم للمساءلة.

المبحث الثاني: حوار الكفار المستضعفين والمستكبرين في نار جهنم. وفيه

مطالب:

المطلب الأول: عند إدخال فوج من الأتباع على المتبوعين في نار

جهنم.

المطلب الثاني: فور تداركهم واجتماعهم في نار جهنم

المطلب الثالث: عند طلب الضعفاء من المستكبرين تحمل نصيباً من

النار عنهم.

الفصل السادس: حوار الملائكة - خزنة جهنم - مع الكافرين.

وفيه مباحث:

المبحث الأول: حوار خزنة جهنم مع الكافرين على شفيع جهنم عند فتح

أبوابها.

المبحث الثاني: حوار خزنة جهنم مع الكافرين عند إلقاءهم في نار جهنم.
المبحث الثالث: حوار خزنة جهنم مع الكافرين بعد سجرهم في نار جهنم.
المبحث الرابع: حوار خزنة جهنم مع الكافرين عند مقتهم لأنفسهم في نار جهنم.

ثم الخاتمة، فالفهارس العلمية التالية.

١- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

٢- فهرس الأحاديث القدسية.

٣- فهرس الأحاديث النبوية.

٤- فهرس الآثار.

٥- فهرس الأعلام الواردين في الرسالة.

٦- فهرس الأديان والفرق والمذاهب.

٧- فهرس المفردات.

٨- فهرس البلدان.

٩- فهرس الأشعار.

١٠- فهرس المصادر والمراجع.

١١- فهرس الموضوعات.

وفي ختام هذه المقدمة أحب أن أشير إلى أمور:

أولاً: أن بعض الحوارات فيها تكرر، مرجعه إلى تكرر المواقف والمواطن والأطراف، فليتنبه إلى ذلك.

ثانياً: عَقَّبَت بوقفات مع آية الحوار بعد الدراسة الموضوعية لآية الحوار - وليس ذلك مطرداً مع كل آيات الحوار، بل حسب الحاجة وقوة الداعي لذلك - ضمنت هذه الوقفات: دفع ما يرد على الآية من إبهام تعارض، وردّ ما قد يكون من تفسير باطل أو قول فاسد في تفسير الآية، - إلا ما كان منها باطلاً واضح البطلان، تركته ولم أورده، لذلك لم أورد تأويلات وتمحلات^(١) الشيعة ولا وساوس وشطحات^(٢) الصوفية، ولا ترهات^(٣) الإباضية، ولا سفسطات^(٤) فرق الضلالة في تفسير الآيات - ؛ مستشهداً بكتاب الله تعالى، وسنة نبيه (وسلف الأمة وأئمة المسلمين، وإيراد نكتة علمية مفيدة... ونحو ذلك.

ثالثاً: بعض الصعوبات التي واجهتني في كتابة البحث:

١- أن الشأن في البحوث العلمية أن يبنى بعضها على بعض، ويستفيد بعضها من بعض، أما البحث الذي لا يجد صاحبه أفكاراً تتصل ببحثه يستفيد منها، فمن الواضح أنه يعاني مشقة مضاعفة، فالكتابة فيه أشد صعوبة وأعمق تهيباً، ومما يزيد في ثقل هذه المشقة:

٢- أن يضاف إليها مشقة أخرى لا تخفى وهي أن الذي بين يدي الباحث ليس كلام بشر بل كلام خالق القوي والقُدّر، كلام الله تعالى الكبير المتعال؛ الجليل العظيم، ذو العزة والجبروت وخشية من زلل القلم، أو خطل النظر، أو شرود الفكر، فلم يكن

-
- (١) من التمثل والماحلة، والتمحل الاحتيال، ومجلّ به إلى ذي سلطان: كاد له بسعاية، وماحله كايده وجادله وماكره، والماحل الخصم المجادل. اهـ من المعجم الوسيط: ١/٨٥٦ مادة (محل).
- (٢) جمع مفرده: شطحه، والشطح في السير أو في القول: التباعد والاسترسال.
- (٣) الشطحة: يقال فلان الصوفي له أحوال وشطحات. اهـ من المعجم الوسيط: ١/٤٨٢ مادة (شطح).
- (٤) جمع مفرده ترهه، والترهه هي: الفلاة، والطريق الصغير المتشعب عن الطريق الأعظم، والباطل، والقول الخالي من النفع. اهـ من المعجم الوسيط: ١/٨٥١ مادة (تره).
- (٥) جمع سفسطة - كلمة يونانية - وهي قياس مركب من الوهميات، والغرض منه إفحام الخصم وإسكاته. وسفسط: غالط وأتى بحكمة مضللة. اهـ من المعجم الوسيط: ١/٤٣٣ مادة (سفسط).

من السهل عليّ إطلاق القول وإرساله كيفما اتفق..

ولقد قاسيت في هذا البحث من المشقة، وتحمل التعب، ما قد علمه الله، والكمال لله تعالى وحده، ولا أقول ذلك مستكثراً لما بذلته في خدمته، فالشأن في البحوث العلمية أن تقوم على الجهد والمشقة، ومن أغلى أماني المسلم أن يشرفه الله تعالى بخدمة القرآن الكريم، وأن يوفقه لعمل يبرز به بعض جوانب الإصلاح والهداية في هذا الكتاب العظيم، الذي لا تفنى عجائبه، ولا ينفد عطاؤه، وإنما عنيت الإشارة إلى ظروف قد تكون جزءاً في البحث نفسه. فدونك بحثاً قد بذلت فيه عسارة فكري، وخلاصة مطالعتي، أجهدت نفسي، وكدحت ذهني، ولا أدعي الكمال فإنه عزيز المنال، ومن أعظم ما يدل على ذلك أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: (لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل استعلاء النقص على جملة البشر)^(١).

رابعاً: قد بذلت جهدي في استقصاء جميع آيات الحوار المتعلقة باليوم الآخر، وذلك بعد تدبر القرآن الكريم وتلاوته ومراجعة المعاجم والفهارس القرآنية إلا ما لم يصل إليه فهمي، وحسي أنني بذلت الجهد، - ولا يلام المرء بعد الاجتهاد - ولا أقول إنني قد أحطت بدقائق ودلالات.. ما عرضت من آيات الحوار، كيف يقع ذلك، والذي بين يدي هو كلام الله عز وجل، الذي لا يحيط بأسراره إلا المتكلم به، وما أجمل ما قال سهل بن عبد الله^(٢): لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه، لأنه كلام الله، وكلامه صفته، وكما أنه ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كلُّ مقدار ما يفتح الله عليه، وكلام الله غير مخلوق، ولا تبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة^(٣).

(١) ((العماد الأصفهاني)).

(٢) هو سهل بن عبد الله التستري، كان صاحب كرامات، وله اجتهاد حسن، وورع ظاهر، سكن البصرة زماناً، وعبدان مدة، توفي سنة ٢٧٣هـ، وقيل سنة ٢٨٣هـ. انظر: طبقات الصوفية ص ٢٠٦-٢١١ سير الأعلام ٣٣٠/١٣.

(٣) ذكرها عنه صاحب كتاب (البرهان في علوم القرآن): ١٠٢/١.

وبعد: فهذا جهد متواضع أضعه أمامك لتشجعي على صواب، أو ترشدني إلى خطأ، فإنني (لا أدعي فيما ألفتة من ذلك فضيلة الإحسان، ولا السلامة من سبق اللسان، فإن الفاضل من تعد سقطاته، وتحصي غلطاته..)^(١) (فإذا ما عثر على شيء طغى به القلم، أو زلت به القدم أرجو أن يغتفر ذلك في جنب ما قربت من البعيد، ورددت عليه من الشريد)^(٢)

وأعلنها صريحة - عن هذا البحث - أنني قد استفرغت الجهد، وبذلت الوسع - إن شاء الله تعالى - في تحصيل ثلاثة أشياء: الجدة في الموضوع، والإفادة في المعنى، والسلامة من الخطأ في العرض والمضمون (فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأً فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه)^(٣).

وأسال الله الكريم باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى أن يعم النفع بهذا البحث ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويثقل به موازيني يوم لا ينفع مال ولا بنون إنه سميع مجيب.

وختاماً: شكر وتقدير:

أتوجه بالشكر الجزيل والثناء الخالص العميم لله تبارك وتعالى الذي أسبغ عليّ نعمه ظاهرة وباطنة وأتم هذا البحث على خير فالله الحمد والشكر وطاعة لأمر الله تعالى وعرفاناً لأهل الفضل بفضلهم فإنني أشكر لوالديّ الكريمين، على حسن رعايتهما، وكريم تربيتهما، وعظيم إحسانهما، وما أحاطاني به من دعاء صالح، فاللهم أمدّ في عمرهما، وبارك فيهما، وأسبغ عليهما لباس الستر والعافية، واحفظهما في طاعتك، وارزقني برهما، والشكر لهما والإحسان إليهما يا ذا الجلال والإكرام.

(١) من مقدمة ابن الأثير في كتابه «المثل السائر».

(٢) من مقدمة ابن هشام في كتابه «معني اللبيب».

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح باب فيمن تزوج ولم يسمّ صداقاً حتى مات حديث رقم ٢١١٦، وانظر

الفتاوى لشيخ الإسلام: ٤١/٣٣-٤٢.

ولما كان «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(١) فإنني أشكر سعادة المشرف فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الله بن سعاف اللحياني على تشجيعه ورفعته للهمة... وعلى تقويمه وتسديده للبحث، فقد بذل من نفيس وقته وجهده، في قراءة البحث وتمحيصه وتصحيحه، وفتح لي قلبه وبيته، وأفدت كثيراً من توجيهاته وإرشاداته، فجزاه الله تعالى عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر إلى فضيلة الأستاذ الدكتور / سليمان الصادق الذي كان له الفضل بعد فضل الله تعالى في اختيار موضوع الرسالة، وحسن توجيهه فجزاه الله تعالى خير الجزاء على ما قدّمه لي ولجليي من علم نافع ورأي سديد.

ولا ولن أنسى مشرفي الأول، فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الله بن شفيق فقد رعى هذا البحث وليداً، حتى نما واشتد واستوى على سوقه، ولن أنسى تلك الجلسات التي كانت تمتد من بعد صلاة الظهر إلى أذان العصر توجيهاً وتقويماً فجزاه الله تعالى خير الجزاء.

كما أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد القاسم على ما بذل من نصح وتوجيه وما وسّع لي في صدره وفتح لي قلبه وبيته فجزاه الله تعالى خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أشكر سعادة الأستاذ الدكتور الشيخ / أمين باشا على ما أسداه إليّ من نصح وتوجيه فجزاه الله تعالى خير الجزاء فقد فتح لي بيته وقلبه.

كما أشكر لإخوتي جميعاً تشجيعهم ودعاهم، وبالأخص أخي الأستاذ / فيصل بن سليم القرشي فقد أفدت من ملاحظاته.

ثم أشكر جامعتي (جامعة أم القرى) على ما بذلت من صعاب ووفرت من إمكانيات وأخص بالشكر كليتي (كلية الدعوة وأصول الدين) عميداً ووكيلاً وقسم الكتاب والسنة رئيساً وأعضاءً موقرين.

كما لا يفوتني أن أشكر كل من أفادني في هذا البحث من أساتذة وزملاء فجزى الله الجميع خير الجزاء.

(١) رواه الإمام أحمد ٢١١/٥-٢١٢ والإمام البخاري في الأدب المفرد رقم ٣٣ قال المنذري ٥٦/٢: ورجاله ثقات، وكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨٠/٨.

- التمهيد : معنى «الحوار في اليوم الآخر» وفيه فصلان :
- الفصل الأول: «مدخل إلى الحوار في القرآن الكريم»
- المبحث الأول : معنى الحوار والألفاظ المقاربة له .
- المبحث الثاني : منزلة الحوار في القرآن الكريم .
- المبحث الثالث : موضوعات الحوار في القرآن الكريم .

المبحث الأول: معنى الحوار والألفاظ المقاربة له.

وتحتته مطالب:

المطلب الأول: معنى الحوار:

الحوار مراجعة الكلام والحديث بين طرفين.

قال الناظم:

قول ذوي تكلم حَوارُ وكمحاورة الحِوار

وولد الناقه قل حُوار وإن تشأ فاكسره كألَسلاب^(١).

قال ابن فارس^(٢): حور: الحاء والواو والراء ثلاثة أصول:

أحدها: لون.

والآخر: الرجوع.

والثالث: أن يدور الشيء دوراً.

فأما الأول: فالحور: شدة بياض العين في شدة سوادها.

وأما الرجوع فيقال: حار إذا رجع، وتقول كلمته فما رجع إلي حَواراً وحَواراً..

والأصل الثالث: المحور: الخشبة التي تدور فيها المحالة^(٣).

(١) كتاب «الإعلام بمثلث الكلام» لابن مالك ص ٥٢ - ٥٣. وقال ابن مالك أيضاً في كتاب الآخر (إكمال

الإعلام بتثليث الكلام):

الحَوارُ، والحَوِيرُ: كلام المتحاورين: وهما اللذان يُحاورُ كل واحدٍ منهما الآخر: أي يراجعه القول.
والحَوارُ، والمَحاورَةُ: مَصَدَرًا حَاورَ.

والحَوارُ (بالضم والكسر) ولُدُّ الناقه. أهد منه ١/١٦٨-١٦٩.

(٢) أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي النحوي، شاعر أديب لغوي اشتهر أمره وذاع صيته وكثر

تلاميذه منهم: بديع الزمان الهمداني الأديب المعروف، توفي سنة ٣٩٥هـ من آثاره (اختلاف النحويين) (الصاحبي) - فقه اللغة - (اللامات) ترجمته في: طبقات الشافعية ٢/٤، شذرات الذهب وفيات سنة ٣٩٠.

(٣) معجم المقاييس في اللغة) لأبي الحسين أحمد بن فارس: ١١٥/٢. والمحالة هي البكرة العظيمة.

فالمحاورة: المجاورة، والتحاوير: التجاوب، تقول: كلمته فما أحرار إليّ جواباً، وما رجع إليّ حَوِيْرًا ولا حَوِيْرَةً ولا حَوِيْرَةً ولا حَوَارًا أي ما ردّ جواباً واستحاره أي استنبطه. وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام.

والمحاورة: مراجعة النطق والكلام في المخاطبة.

والمَحْوَرَة: من المحاورة مصدر كالمشورة من المشاورة^(١).

إذاً: الحوار في الإصطلاح: هو المرادده في الكلام ومراجعته بين طرفين، وسمي ذلك حواراً لأنه مراجعة للكلام بين طرفين ينتقل من الأول إلى الثاني ثم يرجع إلى الأول وهكذا.

قال المناوي^(٢): والمحاورة والحوار: المراددة في الكلام ومنه التحاوير^(٣)

* ورودها في القرآن الكريم:

وردت مادة (حور) في القرآن الكريم في مواضع متعددة وبصيغ متنوعة، نجملها في الآتي:

(يَحُور، يُحاور، تحاور كما، حور، الحواريون، الحواريين)^(٤).

أما معانيها في القرآن الكريم فتدور على أحد المعاني التالية:

١- حار يحور حوراً: رجع ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾^(٥)

٢- حاوره محاورة: راجعه الكلام.

وتحاورا تحاوراً: تراجعاً وتجاوباً، ولم ترد بهذا المعنى في القرآن الكريم إلا في ثلاثة مواضع وهي: موضعان في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ

(١) لسان العرب لابن منظور: ٢١٨/٤ مع التصرف اليسير.

(٢) المناوي: محمد بن عبدالرؤوف المناوي الشافعي، ولد سنة ٩٥٢ بالقاهرة، نشأ في حجر والده، وحفظ القرآن قبل بلوغه، وحفظ متون كثيرة في الفقه والحديث والنحو.. صنف كثيراً من المؤلفات في الفنون العديدة. من مؤلفاته: فيض القدير شرح الجامع الصغير.. انظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) ٤١٦/٢ فقد ترجم للمناوي ترجمة حافلة.

(٣) ((التوقيف على مهمات التعاريف)) لمحمد عبد الرؤوف المناوي ص ٢٩٩.

(٤) (معجم معاني ألفاظ القرآن الكريم) لمجمع اللغة بمصر: ٣١٨/١.

(٥) سورة الانشقاق الآية: ١٤

مِنْكَ مَا لَا... ﴿١﴾ وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ...﴾ ﴿٢﴾، وموضع
في سورة المجادلة قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى
اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا...﴾ ﴿٣﴾.

٣- الحَوْر: شدة بياض العين مع شدة سوادها. قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي
النَّجْمِ﴾ ﴿٤﴾.

٤- الحواري: الخالص من كل شيء وشاع استعماله في الخلاء للأنبياء ﴿٥﴾.

قال تعالى: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ ﴿٦﴾.

-
- (١) سورة الكهف آية: ٣٤.
 - (٢) سورة الكهف آية: ٣٧.
 - (٣) سورة المجادلة آية: ١.
 - (٤) الرحمن الآية: ٧٢.
 - (٥) انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة بمصر: ٣٨١/١.
 - (٦) سورة الصف الآية: ١٤.

المطلب الثاني: ألفاظ مقاربة للحوار:

وردت ألفاظ مقاربة تشترك مع الحوار من حيث إنها مراجعة للكلام بين طرفين مع أن كل لفظ يختص بمعنى غير الآخر، وستناولها في هذا المطلب - إن شاء الله تعالى - بالتفصيل وهي:

أولاً: المجادلة:

قال ابن فارس: الجَدَل: الجيم والداد واللام أصلٌ واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام^(١).

فالجَدال: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلةً وجدالاً. ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام، وجادله أي خاصمه بمجادلة وجدالاً، والاسم الجَدَل وهو شدة الخصومة^(٢).

وأصله من جدلت الحبل أي أفتله فتلاً محكماً وهو الجديل، فكأن كلاً من المتجادلين يفتل صاحبه عن قوله إلى قوله.

ثم استعمل في الإحكام المجرد، ف قيل: جدلت البناء: أحكمته، ودرع مجدوله: محكمة النسيج. والأجدل: الصقر لحسن تعليمه الصيد. والمجدل: القصر لإحكام بنائه^(٣) والجَدول: النهر الصغير وهو ممتد وماؤه أقوى في اجتماع أجزائه من المنبطح السائح، ورجل مجدول، إذا كان قضيف الخلق من غير هزال، و غلام جادل إذا اشتد، والجادل من أولاد الإبل الذي قد قوي ومشى مع أمه^(٤).

والمجدل الملقى بالجدالة وهي الأرض الصلبة، قال الراجز:

(١) معجم مقاييس اللغة ص ٢٠٥.

(٢) لسان العرب: ٢١٢/٢.

(٣) عمدة الحفاظ) للسمين الحلبي: ٣٥٩/١.

(٤) معجم مقاييس في اللغة لابن فارس: ص ٢٠٥.

قد أركب الآلة بعد الآلة واترك العاجز بالجدالة^(١)

ومنه حديث ابن صياد^(٢) وهو منجدل تحت الشمس^(٣).

ويظهر جلياً مما سبق أن الأصل في استعمال مادة الجدل في اللغة يدل على الشدة والقوة،

وهذا له علاقة بالاستعمال الاصطلاحي وهو اللدد في الخصومة والمنازعة لإلزام الخصم^(٤)

* ورودها في القرآن الكريم:

وردت مادة (الجدل) في القرآن الكريم تسعاً وعشرين مرة بصيغ متعددة نجملها فيما

يأتي:

(جدلاً، جادلتم، جادلتمنا، جادلوا، جادلوك، تُجادل، تُجادلك، تجادلوا، أتجادلونني،

يجادل، يجادلنا، ليجادلوكم، يجادلون، يجادلونك، وجادلهم، جدال، جدالنا).

ومعانيها تدور حول المنازعة في الرأي والخصومة^(٥).

* العلاقة بين الحوار والجدل:

مما سبق نتبين العلاقة بين الحوار والجدل، وهي أن كليهما مراجعة للكلام ومناقشته بين طرفين، ويفترقان في أن الجدل هو اللدد في الخصومة، وما يتصل بذلك ولكن في إطار التخاصم بالكلام، فالجدال والمجادلة والجدل كل ذلك ينحى منحى الخصومة أو العناد والتمسك بالرأي

(١) لسان العرب: ٢/٢١١.

(٢) ابن صياد: اسمه صافي، وقيل عبدالله بن صياد أو صائد كان أبوه يهودياً، وكان صغيراً عند قدوم النبي ﷺ، وهو الذي قيل إنه الدجال، والصحيح أنه دجال من الدجاجة، وكان يتكهن.. قال الذهبي: قيل إنه الدجال ثم أسلم، فهو تابعي له رؤية. ترجم له الحافظ ابن حجر، ثم قال: ومن ولده عمارة بن عبدالله بن صياد وكان من خيار المسلمين من أصحاب سعيد بن المسيب، روى عنه مالك وغيره. انظر تجريد أسماء الصحابة للحافظ الذهبي ٣١٩/١ رقم ٣٣٦٦؛ وانظر النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ١/١٢٨، والإصابة في تمييز الصحابة ٣/١٣٦ رقم (٦٦٠٣).

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٤٩، ٤٩، ٥١؛ والإمام الترمذي في أبواب الفتن باب ما جاء في ذكر ابن صياد ٤/١٠٠-١٠١ حديث رقم ٢٢٤٨، قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب.

(٤) انظر (آداب البحث والمناظرة) للشنقيطي ٢/٧٥، و (التعريفات) للجرجاني ص ١٠١، و (تاريخ الجدل) لمحمد أبو زهرة ص ٥.

(٥) انظر (معجم ألفاظ القرآن الكريم) لمجمع اللغة بمصر: ١/١٩٤.

والتعصب له، أما الحوار والمحاورة فهي مراجعة الكلام والحديث بين طرفين دون وجود بالضرورة خصومة^(١).

ثانياً: الحاجة أو التحاج:

الحاجة تطلق على الخصام والجدال.

يقال: رجل محجاج أي جدل؛ والتحاج الخصام.

وحاجته مُحاجةٌ ومُحاجاً: نازعه الحجة.

وحجتهٌ يُحجُّه حجّاً: غلبه على حجته^(٢).

وفي الحديث: «فحجَّ آدم موسى»^(٣): أي غلبه بالحجة. واحتج بالشيء: اتخذ حجة، قال الأزهري: إنما سميت حجة لأنها تُحج أي تقصد، وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك. وفي حديث الدجال: «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه»^(٤) أي مُحاجُّه ومغالبه بإظهار الحجة عليه.

والحجة: الدليل والبرهان، يقال: حاججته فأنا مُحاجٌّ وحجيج فعيل بمعنى فاعل^(٥).

* ورودها في القرآن الكريم:

ورد لفظ الحجة أو التحاج في القرآن الكريم عشرين مرة^(٦) بصيغ متعددة نجلها فيما

يأتي:

(حجَّة، الحُجَّة، حُجَّتْنَا، حجتهم، حاجٌّ، حاجتكم، حَاجَّكَ، حاجَّه، حاجُّوك، تحاجُّون، أتُحاجُّوننا، أتُحاجُّوني، يُحاجُّوكم، يُحاجُّون، يتحاجون).

(١) (أصول الحوار) إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي: ص ٩.

(٢) انظر (معجم المقاييس في اللغة) لابن فارس: ص ٢٢٠.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب القدر: ٥٠/٨ برقم (٢٦٥٢).

(٤) رواه الإمام مسلم في صحيحه ٥٧/٨ بسنده عن أبي سعيد الخدري.

(٥) (لسان العرب) لابن منظور: ٥٤/٣.

(٦) (الحوار ضوابطه وآدابه.. ليحي ززمي ص ٢٨).

ويدور معناها في كل ذلك على أحد المعاني التالية: البينة الواضحة المبينة للحجة والمقصد، وقد يراد بها ما يحتاج به الإنسان ولو كان غير مبين، والمحااجة المنازعة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ﴾^(١) أي يتخاصمون ويتنازعون الحجة^(٢).

* العلاقة بين الحوار والمحااجة:

تشترك المحاجة والتحااج مع الحوار في أنها مراجعة الكلام ثم تفترق المحاجة في دلالتها على المخاصمة والمنازعة^(٣).

ثالثاً: المناظرة:

وفي لسان العرب: (المناظرة أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانه. والتناظر: التروض في الأمر. ونظيرك الذي يراوضك وتناظره وناظره من المناظرة. والنظير المثل والند يقال: ناظرت فلاناً أي صرت نظيراً له في المخاطبة.

وأصلها من النظر (والنظر يقع على الأجسام والمعاني، فما كان بالأبصار فهو للأجسام، وما كان بالبصائر كان للمعاني.

وفي الحديث: «من ابتاع مُصراة فهو بخير النظرين»^(٤) أي خير الأمرين له: إما إمساك المبيع أو رده، أيهما كان خيراً له واختاره فعله^(٥).

قال ابن فارس: النون والظاء والراء، أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشيء ومعاينته، ثم يستعار ويتسع فيه^(٦).

(فالمناظرة في الإصطلاح: هي المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه

ببصيرته^(٧)».

(١) سورة غافر الآية: ٤٧.

(٢) انظر (معجم ألفاظ القرآن الكريم) لجمع اللغة بمصر: ٢٤٨/١.

(٣) انظر: (الحوار مع أهل الكتاب) لخالد عبدا لله القاسم: ص ١٠٧.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٧/٥ بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) (لسان العرب): ١٩٤/١٤.

(٦) (معجم المقاييس في اللغة) لابن فارس: ص ١٠٣٤.

(٧) (المفردات) ص ٨١٤.

ويتضح مما سبق أن المعنى الاصطلاحي للمناظرة له علاقة وثيقة بالمعنى اللغوي سواء قلنا أن المناظرة هي النظر بالبصيرة من الجانبين... أو بمعنى ناظرت فلاناً صرت نظيراً له في المخاطبة.

فإن المعنى يرجع إلى أحد أمرين: النظر أو النظر.

فعلى الأول: يعود المعنى إلى النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشئيين إظهاراً للصواب.

وأما الثاني: ويعود إلى النظر وهو المقابل والمماثل في المخاطبة والكلام^(١).

* ورودها في القرآن الكريم:

وردت مادة (نظر) في القرآن الكريم كثيراً، بصيغ متعددة نجملها فيما يأتي: (نَظَرَ، أَنْظَرَ، تَنْظُرُونَ، لِيَنْظُرَ، يَنْظُرُ، يَنْظُرُوا، يَنْظُرُونَ، انظر، انظرونا، انظروا، فانظري، نَظَرَ، نَظَرَهُ، الناظرين، ناظره، تَنْظُرُونَ، انظرنني، يُنظرون، مُنظرون، المُنظِّرين، ينتظر، ينتظرون، انتظر، انتظروا، منتظرون، المنتظرين، نَظَرَةَ.

أما معانيها في القرآن الكريم فتدور على ما يأتي:

١- نظر ينظر نظراً ويأتي:

أ- يقال نظره: رآه بعين بصره أو بصيرته.

ب- ويقال: نظره: أقبل عليه بوجهه.

ج- ونظره: تأنى عليه ولم يعجله تقول: انظرنني حتى أدركك.

د- ونظر الشيء: توقعه وترقبه تقول: نظرت قدومك.

هـ- ونظر إليه: رفع بصره إليه وصبوب مقلته نحوه.

و- ويقال نظر في الشيء: فكر فيه وتدبره وعلم أمره.

ز- ويقال: نظر كان من أهل النظر.

٢- أنظره: أخره وتأنى عليه وأمهله.

(١) انظر (التعريفات) للحرجاني ص ٢٩٨. (الحوار مع أهل الكتاب) ص ١٠٨، (الحوار وضوابطه...) ص ٢٨.

٣- انتظره: ترقبه وتوقعه تقول: قد أسأت فانتظر أي ترقب ما يجلب بك.

٤- النظرة: الإمهال والتأخير وهو اسم مصدر لأنظر^(١).

ويتضح مما ذكر من المعاني أعلاه أنه لم يرد في القرآن الكريم المناظرة بمعنى الحوار والجدال.

* العلاقة بين الحوار والمناظرة:

العلاقة بينهما أن كليهما يشتركان في أنهما مراجعة في الكلام ومداولة له بين طرفين، إلا أن المناظرة أدل في النظر والتفكير، كما أن الحوار أدل في مراجعة الكلام وتداوله^(٢)..
رابعاً: المرء.

المرء هو المماراة والجدل. قال الشاعر:

وإياك إياك المرء فإنه إلى الشر دعاءً وللشر جالب^(٣)

قال ابن فارس: (مرى: الميم والراء والحرف المعتل أصلان صحيحان يدل أحدهما على مسح شيء واستدرار. والآخر على صلابة في شيء.

فالأول المرئ: مري الناقة وذلك إذا مسحت للحلب.

والأصل الآخر: المرو: جمع مروه وهي حجارة تبرق.

قال: وعندنا أن المرء مما يتمارى فيه الرجلان من هذا، لأنه كلام فيه بعض الشدة.

ويقال: ماراه مرءاً ومُماراةً^(٤)..

وأصله في اللغة الجدال وأن يستخرج الرجل من مناظره كلاماً، ومعاني الخصومة

وغيرها^(٥). من مريت الشاة إذا حلبتها واستخرجت لبنها. وماريت الرجل وماررته إذا خالفته

(١) انظر (معجم ألفاظ القرآن الكريم): ٧٢٧/٢.

(٢) (الحوار مع أهل الكتاب) ص ١٠٨ (الحوار ضوابطه وآدابه) للزمزمي ص ٣١.

(٣) أورده السمين في عمدته: ٩٨/٤.

(٤) (معجم المقاييس في اللغة) لابن فارس: ص ٩٨١.

(٥) قال في عمدة الحفاظ: المماراة أن يستخرج الرجل من مناظره كلاماً ومعاني من خصومة وغيرها: ٩٨/٤.

وتلويت عليه. وفي الحديث عن النبي ^(ص) أنه قال: (المراء في القرآن كفر) ^(١) المراء الجدال والتماري والممارة: المجادلة على مذهب الشك والريبة.

ويقال للمناظرة ممارة لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري

الحالب اللبن من الضرع ^(٢).

* ورودها في القرآن الكريم:

وردت اللفظة (م ر ي) في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة بصيغ متعددة يحملها فيما يأتي: (تُمار، تُمارونه، يُمارون، مراء، تَمَارِي، تَمْتَرُنْ، تَمْتَرُونَ، يَمْتَرُونَ، الممتزين، مَرِيَّة).

وهي تدور حول المعاني التالية:

(١) ماري: ماراه في خبره مراء وممارة: جادله وناظره يرده عليه، وطلب الحججة عليه، إذا كان غير مقتنع به شاكاً فيه، وأصل هذا أن يقال: مرى الناقة: مسح ظهرها وضرعها ليخرج لبنها وتدر، شبه به الجدال لأن كلاً من المتجادلين يطلب الوقوف على ما عند الآخر، لئلا يُلزمه الحججة، وكأنهما يتحالبان يجلب كل منهما صاحبه. ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ

فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ ^(٣).

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢/٢٨٦، ٣٠٠، ٤٢٤ بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأبي داود في سننه حديث رقم ٤٦٠٣، والنسائي في (فضائل القرآن) حديث رقم ١١٨. وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢/٢٤٢ حديث رقم ٢٨٨٢، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الذهبي: على شرط مسلم. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/٦١ حديث رقم ١٣٩. قال أبو عبيد: ليس معنى الحديث عندنا على الاختلاف في التأويل ولكنه على الاختلاف في اللفظ وذلك أن يقرأ الرجل بشيء فيقول له آخر ليس ذلك كذا، وقد أنزلا جميعاً، يشهد لذلك قوله ﷺ: ((أنزل القرآن على سبعة أحرف)) أخرجه البخاري في كتاب الخصومات: ٤، فإذا جحد كل واحدٍ منهما قراءة صاحبه لم يؤمن أن يكون ذلك قد أخرجه إلى الكفر لأنه نفى حرفاً أنزل الله على نبيه ﷺ، وقال ابن الأثير: والتتكير في المراء إيذاناً بأن شيئاً منه كفر فضلاً عما زاد عليه، قال: وقيل: إنما جاء هذا في الجدال والمراء في الآيات التي فيها ذكر القدر ونحوه من المعاني على مذهب أهل الكلام وأصحاب الأهواء والآراء دون ما تضمنته من الأحكام وأبواب الحلال والحرام، فإن ذلك قد جرى بين الصحابة فمن بعدهم من العلماء رضي الله عنهم أجمعين، وذلك فيما يكون الغرض منه والباعث عليه ظهور الحق ليتبع.. النهاية ٤/٣٢٢.

(٢) (لسان العرب) لابن منظور: ٩١/١٣ مع التصرف اليسير.

(٣) الكهف الآية: ٢٢.

(٢) تمارى في الخبر: تشكك فيه وتردد، وقد يضمن معنى التكذيب فيُعَدَّى بالباء، فيقال:

تمارى بالخبر. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾^(١).

(٣) المِرْيَةُ وامترى في الشيء، كلاهما بمعنى واحد وهو الشك والتردد في الشيء^(٢). ومنه

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٣).

* العلاقة بين الحوار والمراء:

أن كليهما مراجعة للكلام بين طرفين، ويفترقان أن المراء (كلام فيه بعض الشدة)^(٤) أما

الحوار فيغلب عليه طابع الهدوء.

(١) سورة القمر الآية: ٣٦.

(٢) انظر: (معجم ألفاظ القرآن الكريم) مجمع اللغة: ٦٢٦/٢.

(٣) هود الآية: ١٧.

(٤) (معجم المقاييس في اللغة) لابن فارس: ص ٩٨١.

المبحث الثاني: منزلة الحوار في القرآن الكريم:

أسلوب الحوار في القرآن الكريم له منزلة عظيمة، يظهر ذلك جلياً إذا علمنا أمرين:

الأول: أن القرآن الكريم كتاب هداية:

يخاطب أصحاب العقول، يحرك وجدانهم، ويوقظ فطرتهم، ويستثير مكامن الرغبة والرغبة في نفوسهم.

(وقد حوى القرآن الكريم ضروباً من فنون القول والبيان، كان من أعظمها أسلوب الحوار)^(١). فلا غرو فهو المعجزة الخالدة والحجة الدامغة فيه ندعو الناس للدخول في الإسلام. وقد اشتمل على أفضل الأساليب، وأحكم المناهج، وأقوى الحجج، وأسطق البراهين في حوارها مع جميع الأطراف. فكم من باطل دحضه، وكم من جاهل ردّه، وكم من شبهة أحرقتها.

(ومن علوم القرآن مجادلة المبطلين، ودفع شبهة الظالمين، وإقامة البراهين العقلية الموافقة للأدلة الثقيلة.

وقد اشتمل القرآن على الأدلة العقلية والقواطع البرهانية، ما لو جمع ما عند المتكلمين من حق، لكان بالنسبة إليه كمنقرة عصفور، بالنسبة لماء البحر، ذلك بأن القرآن هو الحق، وقد اشتمل على الحق والصدق والعدل والميزان العادل والقسط والصلاح والفلاح، فإن ذكر التوحيد والشرك، وأمر بالأول، ونهى عن الثاني أقام من البراهين القاطعة على صحة التوحيد وحسنه وتعيينه طريقاً للنجاة وقبح الشرك وبطلانه، وكونه هو الطريق للهلاك، ما يجعل ذلك للبصير كالشمس في نحر الظهيرة..)^(٢).

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٣).

(١) (نظرات في الاستدلال القرآني) عبد الستار بن سعيد، ص ١٤.

(٢) من مقدمة تفسير ابن سعدي مع التصريف اليسير بالاختصار ٢٤/١-٢٥.

(٣) سورة الحديد الآية: ٢٥.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: فدين الإسلام قام بالكتاب الهادي، ونفذه السيف

الماضي:

فما هو إلا الوحي أو حد مرهف * يقيم ضباه أهدعي كل مائل

فهذا شفاء الداء من كل عاقل * وهذا دواء العي من كل جاهل^(١).

فكان من عظيم فضل الله ورحمته، وكريم لطفه بعباده أنه مزج أوامره وتكاليفه بما يحرك قلوب العباد، ويشوق أرواحهم، ويعطف نفوسهم، ويلطف الاستجابة في صدورهم، ويوقظ فطرتهم، ويرفع ما ران عليها من غبش الذنوب والأهواء، هداية للعباد إلى دينه الحق^(٢).

وما من رسول من رسل الله تعالى إلا وقد أتى قومه، وبلغهم رسالات الله، حواراً ومجادلة بالتي هي أحسن.

فهذا أول الرسل نوح عليه السلام، يقول له قومه ما ذكره الله تعالى عنهم ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾^(٣).

وهكذا بقية رسل الله تعالى إلى خاتم النبيين وإمام المرسلين ﷺ، يقول له ربه ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٤) فالإسلام يفتح أبوابه ويشرع نوافذه ويدعو الآخرين للولوج فيه حواراً وإقناعاً فأسلوب الحوار من أمضى وسائل الدعوة إلى الإسلام وإقناع الخصوم قال الله تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٦٤) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ

(١) مفتاح دار السعادة: ٧٠/١.

(٢) (المنهاج القرآني في التشريع) لفتح ابن سعيد مع بعض التصرف. وانظر: الباب الرابع منه من ص ٦٩٦ وما بعده.

(٣) سورة هود الآية: ٣٢.

(٤) سورة النحل الآية: ١٢٥.

بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٣) وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٤) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥) قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿١﴾.

الثاني: المقدار الذي استغرقه الحوار ضمن آيات القرآن الكريم:

تنوعت آيات القرآن الكريم في تناول موضوع الحوار. ففي بعض الآيات تظهر الدعوة إلى الحوار، وإلى شيء من مستلزماته وأصوله، وفي نصوص أخرى حث على التزام آداب عامة للحوار، وفي قسم منها بيان آداب خاصة من آداب الحوار، وفي قسم منها نماذج وأمثلة للحوار^(١). وينبغي التنبيه إلى أن الحوار يرد في القرآن الكريم في مواطن كثيرة جداً، وإن لم تستعمل مادته نفسها، وإنما تستعمل كلمة (قال) التي وردت في الكتاب العزيز سبعاً وعشرين وخمسمائة مرة^(٢). ومن حوارات القرآن الكريم أيضاً: ما ورد بصيغة السؤال والجواب، فتارةً يذكر الله تعالى الأسئلة التي وجهت إلى أنبيائه ﷺ من الطوائف المختلفة:

— من أسئلة المسلمين:

كالسؤال عن: الأهله، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ

(١) سورة آل عمران الآية: ٦٤ - ٦٥.

(٢) سورة سبأ الآية: ٤٣ - ٤٦.

(٣) الحوار وآدابه في الكتاب والسنة، ليحي زمزمي ص ٤٥.

(٤) مجلة المسلم المعاصر، العدد ١ - ١١٨/٢ ربيع الثاني ١٣٩٥هـ، مقال عن الحوار لعمر بهاء الدين الأميري. وانظر ((إعجاز العددي للقرآن الكريم)) لعبد الرزاق نوفل ص ٧٦. انظر (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) لمحمد فؤاد عبد الباقي مادة ق و ل

وَالْحَجَّ.. ﴿الآية (١)﴾، وكالسؤال: عما أحل لهم، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ...﴾ الآية (٢). وعن الأنفال، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾ الآية (٣). إلى آخر ما هنالك من أسئلة (٤).

— من أسئلة المشركين:

كسؤالهم عن الساعة قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ...﴾ الآية (٥).
وعن الجبال قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا...﴾ الآية (٦).

وعن القتال في الشهر الحرام، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ...﴾ الآية (٧).

— من أسئلة اليهود:

عن سبب تحويل القبلة، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهْمُ عَن قِبَلَتِهِمْ

(١) سورة البقرة الآية: ١٨٩.

(٢) سورة المائدة الآية: ٤.

(٣) سورة الأنفال الآية: ١.

(٤) روى الدارمي في سننه بسنده عن ابن عباس قال: ((ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب رسول الله ما سأله إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض كلهن من القرآن، منهن ﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾ و ﴿يسألونك عن المحيض﴾ قال: ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم). اهـ من سنن الدارمي ١/٥٠ - ٥١ باب كراهية الفتيا؛ وانظر لزيادة البيان: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٤٠؛ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٢٥٩/١.

(٥) سورة الأعراف الآية: ١٨٧.

(٦) سورة طه الآية: ١٠٥ - ١٠٦.

(٧) سورة البقرة الآية: ٢١٧.

التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم ﴿ الآية (١) .
عن الروح، قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ
الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا... ﴾ الآية (٢) .

وعن ذي القرنين، قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ
ذِكْرًا ﴾ الآية (٣) .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: قال علماء البيان أحسن هذا النوع ما كثرت فيه
القلقلة (٤) .

ولا نغفل القصص، فأصدق القصص قصص القرآن الكريم، فقد اشتمل على المحاوره
الواسعة، وقوة التأثير، ولا عجب أن صيغ كثير من حوارات القرآن الكريم بالأسلوب
القصصي، لما للقصة من أثر عميق فتشوق النفوس إلى سماعها، وتهفو القلوب إلى معرفة
جزئياتها، (فالقصة فن خطير في حياة الناس، ولها تأثير بالغ عليهم، وحب لصيق بعقولهم
وقلوبهم، وشيوع واسع فيهم، لأن المعاني تتجسد فيها مقتزنة بالأشخاص والأحداث
فتتسلسل متتابعة، وتصبح كأنها صور متحركة محسوسة، أمام الخواطر والأنظار والأسماع) (٥) .

(والقصص القرآني يتفق مع سائر القصص أنه يحتوي على شخص وحوار وحدث) (٦) .

إذا علمنا الأمرين السابقين يتبين لنا منزلة الحوار في القرآن الكريم.

(وليس غريباً أن يولي القرآن الكريم الحوار هذه الأهمية الكبرى، فإن الحوار بالحجة هو الطريق
الأمثل، بل الوحيد للإقناع العقلي) (٧) .

(١) سورة البقرة الآية: ١٤٢ .

(٢) سورة الإسراء الآية: ٨٥ .

(٣) سورة الكهف الآية: ٨٣ .

(٤) الفوائد ص ١٩٠، ويقصد بالقلقلة: قل، وقال... الخ

(٥) (المنهاج القرآني في التشريع) لفتح الله سعيد ص ٧٣٠ .

(٦) سيكولوجية القصة في القرآن الكريم للتهامي نقره ص ٣٤٨ .

(٧) (أسلوب المحاوره في القرآن الكريم) لعبد الحليم حفي ص ١ .

المبحث الثالث: موضوعات الحوار في القرآن الكريم:

الحوار في القرآن الكريم شغل مساحة كبيرة - كما تقدم بيانه قريباً^(١) و هو يتنوع إلى أنواع كثيرة، ولكل موضوعات متعددة، وبما أن الحوار القرآني عموماً إما دنيوي أو أخروي - من حيث زمن وقوعه - وقد تضمن كل نوع موضوعات عديدة، فقد جعلت الحديث - في هذا المبحث - عن موضوعات الحوار في القرآن الكريم في مطلبين:

المطلب الأول: موضوعات الحوار الدنيوي في القرآن الكريم:

الحوار الدنيوي في القرآن الكريم يعني به كل حوار ورد في القرآن الكريم، وكان حصوله في الدنيا. وقد ورد هذا النوع في القرآن الكريم كثيراً، ويكفي لبيان ذلك أنه منذ فجر البشرية، بل في شأن خلق أبي البشرية آدم عليه السلام^(٢) والحوار جارٍ ومتتابع بأطراف متعددة، وبموضوعات شتى نجملها في أربع نقاط، وهي:

أولاً: الدعوة إلى التوحيد:

وأمثلة ذلك في كتاب الله تعالى أكثر من أن تحصى. فدعوات الرسل جميعاً إلى التوحيد كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٤) فأغلب ما دار بين الرسل وأقوامهم من حوارات هي عن هذا الموضوع، ولا غرو فمن أجله خلق الله تعالى الخلق. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٥).

ولا أدل على أهمية هذا الموضوع من أن خاتمة الكتب السماوية القرآن الكريم كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.. فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخيري، وإما دعوة إلى عبادته وتوحيده وحده لا شريك

(١) في المبحث السابق.

(٢) أعني به قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ البقرة ٣٠.

(٣) سورة النحل الآية: ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء الآية: ٢٥.

(٥) سورة الذاريات الآية: ٥٦.

له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خير من إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، وهو جزاء توحيده، وإما خير عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من العذاب، وما فعل بهم في العقبي من النار، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد..^(١).

ولقد قام رسل الله جميعاً، بمحاورة ومجادلة أقوامهم لدعوتهم إلى هذا الركن الركين دون كلل ولا ملل، فهذا أول الرسل نوح عليه السلام يدعو قومه إلى توحيد الله تعالى، ويدور بينه وبين قومه الحوار التالي: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلَآئِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَائِنَا وَإِنَّا كُنَّا مِنَ فَضْلِ بَلٍ نَنْظُنُّكَ كَاذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلِمَكُمْ مَوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلِمَكُمْ مَوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ (٣٤)﴾.

وكذلك ما دار من حوار جلال بين رسل الله تعالى وأقوامهم هود^(٣) وصالح^(٤)

(١) الفوائد لابن القيم رحمه الله تعالى ص ٨٤

(٢) سورة هود الآيات: ٢٥ - ٣٤.

(٣) انظر سورة الأعراف الآيات: ٦٥ - ٧١.

(٤) انظر سورة الأعراف الآيات: ٧٣ - ٧٩.

وإبراهيم^(١) ولوط^(٢) وشعيب^(٣)، وموسى^(٤)، وعيسى^(٥)، وغيرهم في كوكبة من الرسل صلوات الله عليهم جميعاً كان خاتمهم محمد ﷺ الذي ما فتى ثلاثة عشر عاماً قضاها بمكة المكرمة من بداية دعوته، يحاور قومه ويجادلهم بالتي هي أحسن إلى التوحيد، ثم انتقل إلى المدينة، ليبدأ مرحلة جديدة، لم تخلُ قط من الدعوة إلى التوحيد، داخل المجتمع المدني وخارجه، بل إلى خارج الجزيرة العربية مع الفرس والروم^(٦)، وهو في كل ذلك داعياً إلى توحيد ربه جلّ وعلا بإذنه، ومبلغاً رسالاته، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٧)، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٨)، وقام من دونه أبو بكر الصديق ﷺ منافحاً عنه ومؤيداً له ومنكراً على قومه قائلًا: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾^(٩).

في حوار ساخن، دافعه التوحيد والإخلاص والمحبة.

ثانياً: إثبات رسالة الرسل:

هناك ترابط وثيق، وعلاقة واضحة، بين الإيمان بالله تعالى والإيمان بالرسول، ذلك أن هذه دعوة الحق إلى (لا إله إلا الله) لا بد لها من مبلغ يبلغها للناس، ويوصلها إليهم، ويبين لهم

- (١) انظر سورة الأنبياء الآيات: ٥٢ - ٦٧.
- (٢) انظر سورة الشعراء الآيات: ١٦١ - ١٦٨.
- (٣) انظر سورة الأعراف الآيات: ٨٥ - ٩٠.
- (٤) انظر سورة طه الآيات: ٤٧ - ٧٠.
- (٥) انظر سورة مريم الآيات: ٣٠ - ٣٣.
- (٦) أرسل رسول الله ﷺ في سنة ست بعد صلح الحديبية إلى هرقل وكسرى وملك القبط وملوك العرب. انظر البداية والنهاية لابن كثير أحداث سنة ست من الهجرة.
- (٧) سورة آل عمران الآية: ٦٤.
- (٨) سورة الأنعام الآية: ١٦٢.
- (٩) سورة غافر الآية: ٢٨. انظر صحيح البخاري كتاب المناقب، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ١٦٥/٧ - ١٦٦، حديث رقم ٣٨٥٦.

مدلولها، ومقتضاها، وشروطها^(١).

وما ينافيها بالكلية^(٢)، وما ينافي كما لها الواجب^(٣)... الخ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (فإن الله سبحانه جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم، وبعثوا جميعاً بالدعوة إلى الله، وتعريف الطريق الموصل إليه، وبيان حالهم بعد الوصول إليه..)^(٤)

وفي إرسال رسله ليدعوهم إلى ذلك الأمر العظيم الذي خلقهم من أجله كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(٥). يتمثل علمه حيث يختار لرسالته من شاء كما قال جلّ في علاه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٦).

وفي بعثه الرسل رحمة للعالمين كما قال سبحانه وتعالى في خاتم أنبيائه ورسله ﷺ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٧).

وفي إرسال الرسل وتأيدهم بالمعجزات، ونصرهم على أعدائهم من مظاهر قدرة

(١) شروطها سبعة عرفها العلماء بالاستقراء والتتبع للكتاب والسنة: قال الناظم رحمه الله تعالى في (سلم الوصول إلى علم الأصول):

وبشروط سبعة قد وردت	وبنصوص الوحي حقاً ثبتت
العلم واليقين والقبول	والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة	وفقل الله لما أحببه

ونظمها بعضهم فقال:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها

انظر حاشية كتاب التوحيد ص ٢٩ لابن قاسم.

(٢) كأعتقاد متصرفاً في الكون من دون الله أو مع الله وكصرف نوع من أنواع العبادة لغير الله.. الخ ما هنالك من أمور شركية.

(٣) كيسير الرياء واقتراف المعاصي.

(٤) الفتاوى ٩٣/٩ وانظر مفتاح دار السعادة ١١٦/٢.

(٥) سورة الذاريات الآية: ٥٦ - ٥٨.

(٦) سورة الأنعام الآية: ١٢٤.

(٧) سورة الأنبياء الآية: ١٠٧.

الله تعالى الشيء العظيم، كما قال تعالى: **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** ^(١)، وقوله تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾** ^(٢).

فالإيمان بالرسول أصل عظيم من أصول الإيمان، وركن من أركانه العظام قال الله تعالى: **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾** ^(٣).

ولكل ذلك فقد استغرق الحوار في هذا الموضوع (إثبات رسالة الرسل) مجالاً واسعاً ضمن حوارات القرآن الكريم، فلم يبعث الله تعالى من رسول إلا واجهه قومه أول ما يواجهونه بتكذيبه وإنكار نبوته ورسالته بحجة أن الله تعالى لو أراد أن يرسل رسولا إلى البشر لأرسل ملكاً من الملائكة كما قال الله تعالى عنهم: **﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾** ^(٤)، وقالوا: **﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾** ^(٥)، وقالوا: **﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾** ^(٦) بل جعلوا اتباعهم للرسول البشري خساراً وضللاً فقالوا ما ذكر الله تعالى عنهم **﴿وَلَيْسَ أَطْعَمْتُمْ بِشَرًّا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾** ^(٧) وقالوا: **﴿أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾** ^(٨).

ومن نماذج ذلك الحوار في هذا الموضوع قوله تعالى: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** (٥٩) قَالَ

(١) سورة غافر الآية: ٥١.

(٢) سورة الحديد الآية: ٢٥.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٨٥.

(٤) سورة الإسراء الآية: ٩٤.

(٥) سورة الفرقان: ٢١.

(٦) سورة الفرقان: ٧.

(٧) سورة المؤمنون الآية: ٣٤.

(٨) سورة القمر الآية: ٢٤.

الْمَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا نَنرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١﴾

ومن نماذجه ما جرى بين نبي الله هود (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) مع قومه: ﴿وَالِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا نَنرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَنظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ.. ﴿٣﴾ وصالح (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) مع قومه (٣) وموسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) مع فرعون (٤)،... الخ ما هنالك من حوارات الرسل مع أقوامهم.

ثالثاً: التأكيد على وقوع البعث بعد الموت:

لم يجادل الكفار في ركن من أركان الإيمان بعد الإيمان بالله وحده لا شريك له مجادلتهم في البعث بعد الموت، فأنكروه أشد الإنكار، فأحالوا أن تكون هناك حياة أخرى وراء هذه الحياة، وحياة خلود لا فناء، إما في سعادة أبدية أو شقاوة سرمدية، وتعددت أساليبهم، وتنوعت وسائلهم، في استبعاد ذلك اليوم وإنكار وقوعه، من ذلك:

١ - نسبة ما يشاهد من الإحياء والإماتة إلى الدهر، كما قص الله تعالى عنهم ذلك: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ

(١) سورة الأعراف الآيات: ٥٩ - ٦٣.

(٢) سورة الأعراف الآيات: ٦٥ - ٧٢.

(٣) انظر سورة الأعراف الآيات: ٧٥ - ٧٩.

(٤) انظر سورة الأعراف الآيات: ١٠٤ - ١٠٦.

هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿١﴾.

٢- واستكبروا في أنفسهم وتحذوا الرسل بمجيء العذاب والبعث: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾.

٣- عدّوا ذلك الأمر العظيم والخطب الفادح المهيل البعث بعد الموت من أساطير الأولين كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِبٰوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْ مَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلْتَكِ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا

أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣﴾.

٤- طلبوا بعث آبائهم الأقدمين: كما قال الحق تبارك وتعالى عنهم: ﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا

يَبِينَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا آبَاءَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾.

٥- وإمعاناً منهم في الضلالة اتخذوا موضوع البعث مصدر سخرية وتندر ﴿وَقَالَ الَّذِينَ

كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزِّقٍ إِنْ كُنْتُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٥﴾.

٦- نسبة القول بحصول البعث بعد الموت إلى السحر، قال تعالى: ﴿وَلَيْنِ قُلْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ مَبْعُوثُونَ

مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾.

٧- القسم البالغ والأيمان المغلظة على عدم وقوعه كما قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ

أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ مَيِّتٍ ﴿٧﴾.

٨- ضرب الأمثال لاستبعاد وقوعه: قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي

(١) سورة الجاثية الآية: ٢٤.

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٣٨.

(٣) سورة الأحقاف الآية: ١٧.

(٤) سورة الجاثية الآية: ٢٥ - ٢٦.

(٥) سورة سبأ الآية: ٧.

(٦) سورة هود الآية: ٧.

(٧) سورة التغابن الآية: ٧.

العظام وهي رميم^(١).

وفي المقابل أتى القرآن الكريم بالحوار الصادق، والجواب الشافي، والعلاج الناجع، وساق في حوارهِ معهم لإثبات البعث حججاً سواطع وبراهين قواطع، أحرقت شبهاتهم وتشكيكاتهم في البعث بعد الموت، فردّ وسائلهم بوسائل أقوى، وعرّى أساليبهم بأساليب أصدق وأوضح لمن كان عنده مسكة من عقل أو نظر تأكيداً وبيانا، إغذاراً وإنذاراً على النحو التالي:

أولاً: الإقسام على وقوع البعث:

وقد ورد ذلك في ثلاث آيات:

١- قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا

عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ^(٢).

٢- وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ

الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ

وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ^(٣).

٣- وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُوبِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ

بِمُعْجِزِينَ^(٤).

ثانياً: الإخبار المؤكد من الله تعالى على وقوع البعث بأدوات التأكيد:

القرآن الكريم نزل بلغة العرب وجرياً على أساليبهم في القول والخطاب، ومن ذلك

أن العرب إذا أرادت تأكيد كلامها - خيراً أو طلباً - أتت بأساليب معينة إذا

(١) سورة يس الآية: ٧٨.

(٢) سورة التغاين الآية: ٧.

(٣) سورة سبأ الآية: ٣.

(٤) سورة يونس الآية: ٥٣.

دخلت على الكلام صار الكلام مؤكداً^(١).

وقد أكد الله تعالى أمر البعث بعد الموت في آيات عديدة في القرآن كقوله تعالى:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ

حَدِيثًا﴾^(٢).

(١) انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢٠٦/٣ - ٢١٧.

(٢) سورة النساء الآية: ٨٧. فأكدته باللام والنون في قوله: ﴿ليجمعنكم﴾، ثم أكدته بقوله ﴿لا ريب

فيه﴾ انظر نظم الدرر: ٢٩٣/٢.

ثالثاً: التنبيه بالنشأة الأولى على النشأة الثانية:

فمن قدر على البدء لا تعجزه الإعادة والكل هين على الله تعالى لكن تنزلاً مع عقولهم وإلا فإن أمره تعالى بين كاف ونون «فيكون»^(١) كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَبَدًا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَيْسَ لِمَنْعُوهُمْ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ..﴾^(٣)

وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ..﴾^(٤)، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ﴾^(٥).

رابعاً: الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الموتى:

قال الله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٦) وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٧) وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾^(٨).

(١) انظر إعلام الموقعين: ١/١٤٢. والتفسير الكبير للرازي: ٢٠/٢٢٥.

(٢) سورة يس الآية: ٨٢.

(٣) سورة الإسراء الآية: ٤٩ - ٥١.

(٤) سورة يس الآية: ٧٨ - ٧٩.

(٥) سورة الروم الآية: ٢٧.

(٦) سورة الروم الآية: ٥٠.

(٧) سورة فصلت الآية: ٣٩.

(٨) سورة الزخرف الآية: ١١.

خامساً: الاستدلال بخلق الأعظم - السموات والأرض - على إحياء الموتى:

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيِّ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾^(٢) وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ..﴾^(٣) (فإن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السموات والأرض، يقول: فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم فكيف يتعذر عليه إحياء العظام بعد ما قد رمّت وبليت؟!)^(٤).

سادساً: الاستدلال على البعث بإحياء موتى في الدنيا:

وقد تكرر ذكر ذلك الإحياء في القرآن الكريم في العديد من الآيات على النحو التالي:

١- قتيل بني إسرائيل المضروب بعضو من أعضاء البقرة، فأعاد الله إليه الحياة بعد ما قتل وأحير عن قاتله^(٥) قال الله تعالى: وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ^(٦).

٢- قوم موسى الذين طلبوا رؤية الله قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٧).

(١) سورة الأحقاف الآية: ٣٣.

(٢) سورة النازعات الآية: ٢٧.

(٣) سورة غافر الآية: ٥٧.

(٤) جامع البيان لابن جرير الطبري: ٣٢/٢٣.

(٥) هذا خلاصة ما ذكره المفسرون في تفسير الآية، ويدل عليه ظاهر الآية. انظر تفسير ابن جرير:

٢٢٢/٢، وابن كثير: ٣٠٤/١

(٦) سورة البقرة الآية: ٧٢.

(٧) سورة البقرة الآية: ٥٥ - ٥٦.

٣- الذين أخبر الله تعالى عنهم أنه أحياهم بعد ما أماتهم. قال تعالى: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ...﴾^(١).

٤- الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها وقصته ما قصها الله تعالى علينا في قوله:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا...﴾^(٢).

٥- سؤال إبراهيم عليه السلام عن كيفية إحياء الموتى: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ

أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمِئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣).

٦- قصة أصحاب الكهف وما فيها من بعث كما قال الله تعالى عنهم: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ

أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾^(٤).

٧- ما أخبر الله به عن عيسى عليه السلام من أنه كان يحيي الموتى بإذن الله كما قال تعالى:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٥).

(١) سورة البقرة الآية: ٢٤٣.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٥٩.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٦٠.

(٤) سورة الكهف الآية: ٩ - ١٢.

(٥) سورة آل عمران الآية: ٤٩.

سابعاً: الاستدلال على البعث بإخراج النار من الشجر الأخضر:

قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾^(١) ففي إخراج النقيض - الحر واليبوسة - من نقيضه - البرودة والرطوبة - دليل على قدرته تعالى على كل شيء^(٢).

ونماذج الحوار في موضوع البعث كثيرة مرّ معنا قريباً صور متعددة وأمثلة متنوعة ومن ذلك أيضاً ما ذكره الله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَنْذِرُ مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِينَ﴾^(٣) وفي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٩) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ^(٤) وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَنَذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَنِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ (١٠) قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ^(٥) وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) أَنَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ^(٦) وكل هذه الحوارات وغيرها كثير تدور حول إثبات البعث، وتأكيد وقوعه، والرد على المنكرين له المستبعدين حصوله.

هذه الموضوعات الثلاثة هي أهم ما ركّز عليه القرآن الكريم في الحوار الديني، وقد

(١) سورة يس الآية: ٨٠.

(٢) انظر: الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ٢٢٤/٩، والتفسير الكبير ٢٢٥/٢٠، ٢٢٦، وأعلام الموقعين: ١٤٢/١، وأضواء البيان للشنقيطي رحمه الله تعالى.

(٣) سورة الجاثية الآية: ٣٢.

(٤) سورة سبأ الآيات: ٢٩ - ٣٠.

(٥) سورة السجدة الآيات: ١٠ - ١١.

(٦) سورة الصفات الآيات: ١١ - ١٩.

وردت في القرآن الكريم موضوعات أخرى متنوعة ضمن الحوار الدنيوي نوردها تحت العنوان التالي.

رابعاً: الحوار في موضوعات متنوعة:

نستعرض تحت هذا العنوان نماذج من الحوار في موضوعات متعددة، وليس قصدنا الاستيعاب، بل نماذج نسوقها إجمالاً بدون تفصيل - خشية الإطالة - وسنذكرها متسلسلة^(١) - لتنوعها - على النحو التالي:

- كلام الله تعالى مع الملائكة بشأن خلق آدم عليه السلام^(٢).
- كلام الله مع إبليس بشأن عدم سجوده لآدم عليه السلام^(٣).
- كلام الله تعالى مع آدم بشأن عصيان آدم وأكله من الشجرة^(٤).
- كلام الله تعالى مع نوح بشأن إنجاء ابنه^(٥).
- كلام الله تعالى مع إبراهيم بشأن ابتلائه بكلمات^(٦).
- كلام الله تعالى مع إبراهيم بشأن طلب إبراهيم رؤية كيفية إحياء الموتى^(٧).
- كلام الله مع الأنبياء بشأن أخذ الميثاق عليهم^(٨).
- كلام الله مع موسى بشأن اختيار الله له لتبليغه وحيه^(٩).

(١) بدون ضابط بل تحت هذا العنوان الجامع ((موضوعات متنوعة)).

(٢) انظر سورة البقرة الآيات: ٣٠ - ٣٣.

(٣) انظر سورة الأعراف الآيات: ١١ - ١٨.

(٤) انظر سورة البقرة الآيات: ٣٥ - ٣٩.

(٥) انظر سورة هود الآيات: ٤٥ - ٤٨.

(٦) انظر سورة البقرة الآيات: ١٢٤ - ١٢٦.

(٧) انظر سورة البقرة الآية: ٢٦٠.

(٨) انظر سورة البقرة الآيات: ٨١ - ٨٢.

(٩) انظر سورة الأعراف الآيات: ١٤٣ - ١٤٥.

- كلام الله مع موسى بشأن دعاء موسى على فرعون وملئه^(١).
- كلام الله مع موسى بشأن طلب موسى رؤية الله^(٢).
- كلام الله مع موسى بشأن تعجل موسى في الإتيان لميقات ربه^(٣).
- كلام الله تعالى مع زكريا بشأن طلب زكريا ذرية طيبة وأن يجعل له آية^(٤).
- كلام الله تعالى مع عيسى حين طلب إنزال مائدة من السماء^(٥).
- حوار ابني آدم هابيل وقابيل بشأن القربان الذي تقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر^(٦).

- حوار إبراهيم مع إسماعيل بشأن رؤيا إبراهيم أن يذبح إسماعيل^(٧).
- حوار يوسف مع أبيه بشأن الرؤيا التي رآها^(٨).
- حوار إخوة يوسف فيما بينهم بشأن الكيد ليوسف^(٩).
- حوار إخوة يوسف مع أبيهم بشأن إرسال يوسف معهم^(١٠).
- حوار إخوة يوسف مع أبيهم بشأن زعمهم أن الذئب أكل يوسف^(١١).

-
- (١) انظر سورة يونس الآيات: ٨٧ - ٨٩.
 - (٢) انظر سورة الأعراف الآيات: ١٤٣ - ١٤٥.
 - (٣) انظر سورة طه الآيات: ٨٣ - ٨٥.
 - (٤) انظر سورة آل عمران الآيات: ٣٨ - ٤١.
 - (٥) انظر سورة المائدة الآيات: ١١٤ - ١١٩.
 - (٦) انظر سورة المائدة الآيات: ٢٧ - ٣٠.
 - (٧) انظر سورة الصافات الآيات: ١٠١ - ١٠٢.
 - (٨) انظر سورة يوسف الآيات: ٤ - ٦.
 - (٩) انظر سورة يوسف الآيات: ٨ - ١٠.
 - (١٠) انظر سورة يوسف الآيات: ١١ - ١٥.
 - (١١) انظر سورة يوسف الآيات: ١٦ - ١٨.

- حوار يوسف مع العزيز بشأن دفع تهمة امرأة العزيز^(١).
- حوار ملك مصر مع ملئه بشأن تأويل رؤياه^(٢).
- حوار رسول الملك مع يوسف بشأن تأويل رؤيا الملك^(٣).
- حوار ملك مصر مع النسوة اللاتي قطعن أيديهن^(٤).
- حوار ملك مصر مع يوسف بشأن تولية يوسف على خزائن مصر^(٥).
- حوار يوسف مع إخوته بشأن استقدام أخ لهم من أبيهم^(٦).
- حوار إخوة يوسف مع أبيهم بشأن إرسال أخيهم معهم ليكتالوا^(٧).
- حوار يوسف مع إخوته بشأن احتياله لأخذ أخيه^(٨).
- حوار إخوة يوسف مع أبيهم بشأن إعلامه بإيقاف ابنه وعدم إتيانه معهم^(٩).
- حوار يوسف مع إخوته بشأن تذكيرهم بما فعلوه معه من قبل^(١٠).
- حوار يوسف مع فتيين دخلا معه السجن بشأن تفسير رؤياهما^(١١).
- حوار شعيب مع قومه بشأن عدم الوفاء بالكيل والميزان^(١٢).

-
- (١) انظر سورة يوسف الآيات: ٢٥ - ٢٨.
 - (٢) انظر سورة يوسف الآيات: ٤٣ - ٤٥.
 - (٣) انظر سورة يوسف الآيات: ٤٦ - ٤٩.
 - (٤) انظر سورة يوسف الآيات: ٥٠ - ٥٣.
 - (٥) انظر سورة يوسف الآيات: ٥٤ - ٥٥.
 - (٦) انظر سورة يوسف الآيات: ٥٨ - ٦٢.
 - (٧) انظر سورة يوسف الآيات: ٦٣ - ٦٧.
 - (٨) انظر سورة يوسف الآيات: ٦٩ - ٧٦.
 - (٩) انظر سورة يوسف الآيات: ٨٠ - ٨٣.
 - (١٠) انظر سورة يوسف الآيات: ٨٩ - ٩٠.
 - (١١) انظر سورة يوسف الآيات: ٣٦ - ٤١.
 - (١٢) انظر سورة الشعراء الآيات: ١٧٧ - ١٨٨.

- حوار لوط مع قومه بشأن نهيهم عن إتيان الذكور^(١).
- حوار لوط مع قومه بشأن نهيهم عن فعل الفاحشة بضيوفه^(٢).
- حوار نوح مع ابنه بشأن إنقاذه من الغرق^(٣).
- حوار إبراهيم مع قومه بشأن تحطيم أصنامهم^(٤).
- حوار موسى مع قومه بشأن الصبر على أذية فرعون^(٥).
- حوار موسى مع قومه بشأن أمرهم بالتوكل على الله^(٦).
- حوار موسى مع رجل من شيعته بشأن نصره على رجل من عدوه^(٧).
- حوار موسى في مدين مع امرأتين تذودان بشأن مساعدتهما^(٨).
- حوار موسى مع سحرة فرعون بشأن إلقاء سحرهم^(٩).
- حوار موسى مع فتاه بشأن طلب موسى الغداء^(١٠).
- حوار موسى مع الخضر بشأن طلب موسى العلم من الخضر^(١١).

-
- (١) انظر سورة الأعراف الآيات: ٨٠ - ٨٢.
 - (٢) انظر سورة هود الآيات: ٧٨ - ٨٠.
 - (٣) انظر سورة هود الآيات: ٤٢ - ٤٣.
 - (٤) انظر سورة الأنبياء الآيات: ٥٢ - ٦٧.
 - (٥) انظر سورة الأعراف الآيات: ١٢٨ - ١٢٩.
 - (٦) انظر سورة يونس الآيات: ٨٤ - ٨٦.
 - (٧) انظر سورة القصص الآيات: ١٥ - ٢١.
 - (٨) انظر سورة القصص الآيات: ٢٢ - ٢٨.
 - (٩) انظر سورة يونس الآيات: ٧٥ - ٨١. وسورة الأعراف الآيات: ١٠٤ - ١٢٢. وسورة طه الآيات: ٤٧ - ٧٠. وسورة الشعراء الآيات: ١٦ - ٤٨.
 - (١٠) انظر سورة الكهف الآيات: ٦٠ - ٦٤.
 - (١١) انظر سورة الكهف الآيات: ٦٠ - ٦٤.

- حوار موسى مع السامري بشأن ما أحدث لبني إسرائيل من عبادة العجل^(١).
- حوار موسى مع أخيه هارون بشأن معاتبة أخيه علي ما أحدث بنو إسرائيل^(٢).
- حوار السحرة مع فرعون بشأن طلب السحرة أجراً^(٣).
- حوار قارون مع قومه بشأن ما أوتيهم من مال^(٤).
- حوار الملأ من بني إسرائيل مع نبي لهم من بعد موسى بشأن فرض القتال عليهم^(٥).
- حوار الملأ من بني إسرائيل مع نبي لهم من بعد موسى بشأن طالوت^(٦).
- حوار الملأ من بني إسرائيل مع المؤمنين منهم بشأن قتال جالوت وجنوده^(٧).
- حوار مؤمن صابر مع غني كافر بشأن شكر النعمة وعدم البطر^(٨).
- حوار ذي القرنين مع قوم لا يكادون يفقهون قولاً بشأن بناء سد يصد يأجوج ومأجوج^(٩).
- حوار داود مع خصمين بغى بعضهما على بعض بشأن الحكم بينهما^(١٠).
- حوار سليمان مع الهدهد بشأن سبب غيابه^(١١).

(١) انظر سورة طه الآيات: ٩٥ - ٩٧.

(٢) انظر سورة الأعراف الآيات: ١٥٠ - ١٥١. وسورة طه الآيات: ٩٢ - ٩٤.

(٣) انظر سورة الأعراف الآيات: ١٠٤ - ١٢٢، وسورة الشعراء الآيات: ١٦ - ٤٨.

(٤) انظر سورة القصص الآيات: ٧٦ - ٨٢.

(٥) انظر سورة البقرة الآية ٢٤٦.

(٦) انظر سورة البقرة الآيات: ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٧) انظر سورة البقرة الآيات: ٢٤٩ - ٢٥١.

(٨) انظر سورة الكهف الآيات: ٣٢ - ٤٣.

(٩) انظر سورة الكهف الآيات: ٩٣ - ٩٥.

(١٠) انظر سورة ص الآيات: ٢١ - ٢٤.

(١١) انظر سورة النمل الآيات: ١٧ - ٢٨.

- حوار سليمان مع الجن بشأن إحضار عرش بلقيس^(١)

- حوار ملكة سبأ مع الملأ من قومها بشأن رسالة نبي الله سليمان إليهم^(٢).

- حوار نبينا محمد ﷺ مع اليهود في زعمهم ﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات﴾^(٣).

- حوار نبينا محمد ﷺ مع اليهود في زعمهم الإيمان بما أنزل عليهم والكفر بما

وراءه^(٤).

- حوار نبينا محمد ﷺ مع أهل الكتاب في زعمهم أن الاهتداء في اليهودية

أو النصرانية^(٥).

- حوار نبينا محمد ﷺ مع نصارى وفد نجران بشأن المباهلة^(٦).

هذه إلماحة سريعة عن الحوار في الحياة الدنيا^(٧) ولولا خشية الإطالة لفصلنا القول في

ذلك.

(١) انظر سورة النمل الآيات: ٣٨ - ٤٠.

(٢) انظر سورة النمل الآيات: ٢٩ - ٣٥.

(٣) انظر سورة البقرة الآيات: ٨٠ - ٨٢.

(٤) انظر سورة البقرة الآيات: ٩١ - ٩٢.

(٥) انظر سورة البقرة الآيات: ١١١ - ١١٢. وسورة البقرة الآيات: ١٣٥ - ١٤١.

(٦) انظر سورة آل عمران الآيات: ٦١.

(٧) وهناك حوارات كثيرة جداً تندرج في نفس هذه الموضوعات لم نذكرها إكتفاءً بذكر نموذج من كل موضوع، وأيضاً توجد حوارات أكثر في موضوعات التوحيد وبعثة الرسل والبعث بعد الموت لم نذكرها ضمن هذه الحوارات إكتفاءً بذكر نماذج منها في مطلع هذا المطلب.

المطلب الثاني: موضوعات الحوار الأخروي في القرآن الكريم:

تضمن الحوار الأخروي في القرآن الكريم موضوعات عديدة، ولما كان الحوار الأخروي في القرآن الكريم عنوان رسالتنا هذه، فإنني سأذكر هذه الموضوعات باختصار؛ لأنه سيأتي تفصيلها - إن شاء الله تعالى - في طيات البحث، وسأسوق هذه الموضوعات على ضوء تبويب الرسالة على النحو التالي:

أولاً: موضوعات الحوار في الباب الأول: كلام الله تعالى مع خلقه:

- ١- سؤال الرسل عن إجابة أممهم^(١).
- ٢- سؤال عيسى ابن مريم عن إشراك النصارى به^(٢).
- ٣- سؤال الملائكة عن شرك المشركين بهم^(٣).
- ٤- سؤال المشركين بعد بعثهم عما كانوا ينكرونه في الدنيا غاية الإنكار من أمر البعث^(٤).
- ٥- سؤال الأمم عن بعثة الرسل فيهم وعن موقفهم منهم^(٥).
- ٦- سؤال المشركين عن شركائهم الذين كانوا يزعمون^(٦).
- ٧- سؤال المعبودين من دون الله عن ضلال العابدين لهم^(٧).
- ٨- سؤال الجن عن إضلالهم للإنس^(٨).

(١) انظر الفصل الأول، المبحث الأول.

(٢) انظر الفصل الأول، المبحث الثاني.

(٣) انظر الفصل الثاني.

(٤) انظر الفصل الثالث، المبحث الأول.

(٥) انظر الفصل الثالث، المبحث الثاني.

(٦) انظر الفصل الثالث، المبحث الثالث.

(٧) انظر الفصل الثالث، المبحث الرابع.

(٨) انظر الفصل الثالث، المبحث الخامس.

٩- سؤال المشركين عن آيات الله التي كانت تتلى عليهم وكانوا بها يكذبون^(١).

١٠- سؤال جهنم هل امتلأت؟^(٢).

ثانياً: موضوعات الحوار في الباب الثاني: حوار المؤمنين:

١- موضوع الإذن بالشفاعة^(٣).

٢- تساؤل أهل الجنة فيما بينهم عن سبب نجاتهم من النار ودخولهم الجنة^(٤).

٣- الإطلاع على قرين سوء منكر للبعث وهو في غمرات الجحيم وتذكر نعمة الله تعالى^(٥).

٤- سؤال المؤمنين وهم في الجنة للكافرين وهم في الجحيم:

هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً...؟^(٦).

٥- سؤال أهل النار عن سبب دخولهم سقر^(٧).

ثالثاً: موضوعات الحوار في الباب الثالث: حوار الكافرين:

١- سؤال الكافرين عن سبب حشرهم يوم القيامة عمياً^(٨).

٢- طلب أهل النار الرجوع إلى الدنيا لتدارك ما فات^(٩).

٣- شهادة حوارهم عليهم وعتبهم على جلودهم لما شهدوا عليهم^(١٠).

(١) انظر الفصل الثالث، المبحث السادس.

(٢) انظر الفصل الرابع.

(٣) انظر الفصل الأول، المبحث الأول.

(٤) انظر الفصل الأول، المبحث الثاني.

(٥) انظر الفصل الأول، المبحث الثالث.

(٦) انظر الفصل الثاني، المبحث الأول.

(٧) انظر الفصل الثاني، المبحث الثاني.

(٨) انظر الفصل الأول، المبحث الأول.

(٩) انظر الفصل الأول، المبحث الثاني.

(١٠) انظر الفصل الثاني.

- ٤ - طلب أهل النار تخفيف العذاب^(١).
- ٥ - طلب أهل النار الموت والقضاء عليهم^(٢).
- ٦ - طلب أهل النار الاقتباس من نور المؤمنين^(٣).
- ٧ - طلب أهل النار الإفاضة عليهم من الماء..^(٤).
- ٨ - طلب الضعفاء من المستكبرين الإغناء عنهم ولو شيئاً يسيراً من العذاب^(٥).
- ٩ - بيان مكر الكبراء لإغواء الضعفاء^(٦).
- ١٠ - تبرؤ المستكبرين من المستضعفين^(٧).
- ١١ - طلب الضعفاء تضييف العذاب على الكبراء^(٨).
- ١٢ - طلب الضعفاء من المستكبرين تحمل عنهم نصيباً من النار^(٩).
- ١٣ - سؤال الملائكة للكفار ألم يأتكم رسل منكم^(١٠).
- ١٤ - سؤال الملائكة للكفار هل جاءكم نذير^(١١).
- ١٥ - سؤال الملائكة للكفار عن الآلهة التي عبدوها من دون الله تعالى^(١٢).

-
- (١) انظر الفصل الثالث، المبحث الأول.
- (٢) انظر الفصل الثالث، المبحث الثاني.
- (٣) انظر الفصل الرابع، المبحث الأول.
- (٤) انظر الفصل الرابع، المبحث الثاني.
- (٥) انظر الفصل الخامس المطلب الأول من المبحث الأول.
- (٦) انظر الفصل الخامس المطلب الثاني من المبحث الأول.
- (٧) انظر الفصل الخامس المطلب الثالث من المبحث الأول.
- (٨) انظر الفصل الخامس المطلب الأول والثاني من المبحث الثاني.
- (٩) انظر الفصل الخامس المطلب الثالث من المبحث الثاني.
- (١٠) انظر الفصل السادس المبحث الأول.
- (١١) انظر الفصل السادس المبحث الثاني.
- (١٢) انظر الفصل السادس المبحث الثالث.

١٦ - مناداة الملائكة للكفار عند مقتهم لأنفسهم وهم في غمرات الجحيم أن مقت الله لهم في

الدنيا حين يدعون إلى الإيمان فيكفرون أشد وأكبر^(١).

(١) انظر الفصل السادس المبحث الرابع.

الفصل الثاني: اليوم الآخر

- المراد به:

«الوقت الدائم من الحشر بحيث لا يتناهى، أو ما عيّنه الله تعالى منه إلى استقرار كل من المؤمنين والكافرين فيما أعد له وسمى آخراً لأنه آخر الأوقات المحددة والأشبه هو الأول لأن إطلاق اليوم شائع عليه في القرآن سواء كان حقيقة أو مجازاً، ولأن الإيمان به يتضمن الإيمان بالثاني لدخوله فيه من غير عكس^(١)، وقال الفخر الرازي: «سميت بذلك لأنها متأخرة عن الدنيا وقيل للدنيا دنيا لأنها أدنى من الآخرة»^(٢).

- وروده في القرآن الكريم:

جاء ذكر هذا اليوم مصرحاً به في القرآن الكريم في مواطن كثيرة، وبأساليب متعددة يأتي باسم «اليوم الآخر» كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..﴾^(٣) ويأتي بصيغة التأنيث كقوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِِيَ الْحَيَوَانُ..﴾^(٤). وتأتي أحياناً بدون ذكر الدار كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^(٥).

وقد جاء ذكره في آيات كثيرة من القرآن الكريم بجميع هذه الصيغ^(٦).

وتعددت أسماء اليوم الآخر في القرآن الكريم، وذلك لعظم ذلك اليوم فكل اسم له دلالة البالغة في بيان الحال التي سمي من أجلها فليس ذلك من المترادفات فإن لكل اسم دلالة على معنى خاص به.

(١) روح المعاني: ١٤٥/١.

(٢) تفسير الفخر الرازي المشهور بالكبير ٣٦/٢.

(٣) سورة التوبة الآية: ٨.

(٤) سورة العنكبوت الآية: ٦٤.

(٥) سورة البقرة الآية: ٤.

(٦) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (آخر، الآخرة).

قال الحافظ في الفتح: «وقد جمعها الغزالي ثم القرطبي فبلغت نحو الثمانين اسماً»^(١).
 وقال القرطبي: «كل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماءه، وهذا جميع كلام
 العرب ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه وتأكد نفعه لديهم وموقعه جمعوا له
 خمسمائة اسم، وله نظائر، فالقيامة لما عظم أمرها وكثرت أهوالها، سماها الله تعالى في
 كتابه بأسماء عديدة...»^(٢).

نذكر من هذه الأسماء طرفاً منها:

يوم البعث قال تعالى: ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

يوم الجمع قال تعالى: ﴿وَتَنْزِيلِ يَوْمِ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٤).

يوم الحسرة قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾^(٥).

يوم الخلود قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾^(٦).

يوم الدين قال تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٧).

الساعة قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾^(٨).

الطامة قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾^(٩).

يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾^(١٠).

(١) فتح الباري: ٣٩٣/١١.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: ٢٦٠/١.

(٣) سورة الروم الآية: ٥٦.

(٤) سورة الشورى الآية: ٧.

(٥) سورة مريم الآية: ٣٩.

(٦) سورة ق الآية: ٣٤.

(٧) سورة الفاتحة الآية: ٤.

(٨) سورة طه الآية: ١٥.

(٩) سورة النازعات الآية: ٣٤.

(١٠) سورة مريم الآية: ٩٥.

يوم الوعيد قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾^(١).

إلى غير ذلك من أسماء اليوم الآخر التي تضمنها القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة^(٢).

(١) سورة ق الآية: ٢٠.

(٢) وقد أُلّف في موضوع اليوم الآخر كتب كثيرة منها ما كتب عن اليوم الآخر كتابه مستقلة مثل ما كتبه السيوطي في كتابه (البدور السافرة) وكذا ما كتبه القرطبي في كتابه (التذكرة) والبيهقي في كتابه (البعث والنشور) أو ما تناوله العلماء من جزئيات ذلك اليوم كابن القيم في كتابه (حادي الأرواح) وكذا ابن رجب في كتابه (التخويف من النار) أو ما كتبه العلماء ضمن مؤلفاتهم ذات المواضيع العامة، وقد بحث هذا الموضوع كرسائل جامعية سواء بتحقيق كتب المتقدمين عن هذا الموضوع استقلالاً أو ضمناً أو كموضوعات مثل رسالة (الحياة الآخرة) للعواجي أو بتناول جزئية من جزئيات ذلك اليوم ويعتبر هذا البحث مثال لذلك، وستأتي ضمن هذا البحث تفصيلات لمسائل كثيرة متعلقة باليوم الآخر في طيات البحث إن شاء الله تعالى.

الباب الأول : حوار الله تعالى مع خلقه . وتحتة أربعة فصول :

- الفصل الأول : حوار الله تعالى مع الرسل .**
- الفصل الثاني : حوار الله تعالى مع الملائكة .**
- الفصل الثالث : حوار الله تعالى مع الكافرين .**
- الفصل الرابع : حوار الله تعالى مع جهنم .**

الباب الأول: حوار الله تعالى مع خلقه:

تمهيد:

حوار الله تعالى هو كلامه مع الخلائق في اليوم الآخر، وهو يتنوع بتنوع المخاطبين؛ فتارة يكون للتكريم، وتارة يكون للتوبيخ والتفريع، وما من نفس في اليوم الآخر إلا وتأتي تجادل عن نفسها، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾^(١).

فيحاسب الله تعالى الخلائق كلهم أجمعين، ويجازي كلًّا بعمله.. لكن يختلف الناس في ذلك؛ بسبب اختلافهم في الدنيا، فمنهم مؤمن، ومنهم كافر، فأهل الإيمان يحاسبون ويجازون، لكن حسابهم يسير، وجزاؤهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ

إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله (قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ فقال رسول الله ﷺ: إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا هلك»^(٣).

فأهل الكفر حسابهم عسير، وكلا الفريقين يكلمه الله تعالى ويحاوره، ولكن حوار عن حوار يختلف، فإن الله تعالى ينظر إلى الكفار ويكلمهم، ولكن ليس كلاماً ونظراً يرحمهم به، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤).

(١) سورة النحل الآية: ١١١.

(٢) سورة الانشقاق الآيات: ٧ - ٩.

(٣) متفق عليه. رواه الإمام البخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب. فتح الباري:

٤٠٠/١١؛ ومسلم: ٢٠٤/٤، ورقمه ٢٨٧٦ واللفظ للبخاري.

(٤) سورة آل عمران الآية: ٧٧.

قال ابن كثير رحمه الله: يعني لا يكلمهم الله كلام لطف بهم، ولا ينظر إليهم بعين

الرحمة^(١).

وفي هذا الباب نبين كل ذلك إن شاء الله تعالى.

(١) تفسير ابن كثير: ٥٦١/١. كما سيأتي - إن شاء الله تعالى - تفصيل ذلك وبيانه في فصل كامل من هذا الباب.

الفصل الأول: حوار الله تعالى مع الرسل:

يجمع الله تعالى الأولين والآخرين يوم القيامة فيسألهم عن أعمالهم التي عملوها كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١) ويسألون عما تمتعوا به من النعيم في الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(٢)، كما يسألون عن عهودهم ومواثيقهم ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ وعن أسماعهم وأبصارهم وأفئدتهم ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٣). بل الصادقين يسألون عن صدقهم ﴿لَيْسَ أَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾^(٤). فكيف بالكاذبين !!؟

يا له من موقف مهيب حتى الرسل وهم صفوة البشرية يتعرضون للمساءلة. قال

تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٥).

وهذا ما سنفصل القول فيه إن شاء الله تعالى .

وجعلت الكلام عنه في مبحثين:

المبحث الأول: حوار الله تعالى مع الرسل عامة.

المبحث الثاني: حوار الله تعالى مع رسل مخصوصين.

(١) سورة الحجر الآية: ٩٢.

(٢) سورة التكاثر الآية: ٨.

(٣) سورة الإسراء الآية: ٣١.

(٤) سورة الأحزاب الآية: ٨.

(٥) سورة الأعراف الآية: ٦.

المبحث الأول: حوار الله تعالى مع الرسل عامة:

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ...﴾^(١).

في اليوم الآخر تأتي كل أمة مع رسولها فهم صفوة البشر وقادتهم، وفي ضمن جمعهم جمع الخلائق وهم المكملون؛ لذلك خصوا بالذكر^(٢). (إظهاراً لشرفهم وأصالتهم والإيدان بعدم الحاجة إلى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم أتباعاً لهم)^(٣).

وفي ذلك المشهد العظيم، والجمع الغفير يسأل الله تعالى الرسل: يسألهم على وجه الاستشهاد لهم على من أرسلوا إليهم من الأمم.

يسألهم وهو العليم الخبير، الشهيد على كل شيء، لا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٤).

فيقول الله تعالى للرسل يوم الجمع: ﴿ما ذا أجبتكم﴾؟.

قال أبو حيان: «سؤال الأمم تقرير وتوبيخ يعقب الكفار والعصاة نكالاً وعذاباً، وسؤال الرسل تأنيس يعقب الأنبياء كرامة وثواباً» اهـ^(٥).

وهذا السؤال وإن كان موجهاً للرسل، فإن القصد توبيخ قومهم، كما أن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(٦) المقصود منه توبيخ من فعل ذلك الفعل^(٧). (والسؤال للجانبين - الرسل والأمم - قد كثر ذكره في القرآن الكريم... والذي يهمنا هنا أن

(١) سورة المائدة الآية: ١٠٩.

(٢) انظر ابن عطية: ٢٢٨/٥.

(٣) تفسير محاسن التأويل للقاسمي: ٢٢٠٧/٦.

(٤) سورة الأنعام الآية: ٥٩.

(٥) البحر المحيط: ٢٧٠/٤.

(٦) سورة التكوير الآية: ٨.

(٧) انظر: الفخر الرازي في تفسيره: ١٠١/١٢؛ والكشاف: ٦٧٥/١.

نقرر أن هذا السؤال تبكيت وتنديد، فليس في السائل مظنة أن يجهل، ولا في المسؤول مظنة أن ينكر. هو تصوير لما يكون من شعور المكذبين بتكذيبهم، وشعور المرسلين بتبليغهم، وهو نوع من تسجيل الحجة على من أنكرها، وأعرض عنها، في الوقت الذي كان يجديه الإقبال عليها، والإيمان بها، وهو نوع من زيادة الحسرة، وقطع الآمال في النجاة بوضع يد المجرم على جسم جريمته، وهو في الوقت نفسه نوع من زيادة الأمن والطمأنينة للرسول في القيام بدعوتهم وتبليغهم ما أمروا بتبليغه..^(١).

يدل لذلك صيغة السؤال: (ماذا أجبتم؟ أي في الدنيا حين بلغت الرسالة وخرجتم عن العهدة، كما ينبئ عن ذلك العدول عن تصدير الخطاب بـ: هل بلغت؟ وفي العدول عن: ماذا أجب أممكم؟ ما لا يخفى من الإنباء عن كمال تحقير شأنهم وشدة السخط والغضب عليهم)^(٢). فأجابوا قائلين بطريق التأدب مع الله عز وجل مفوضين العلم إلى الله تعالى: ﴿لا علم لنا﴾ فعلمنا ناقص وعلمك أنفذ وأوسع، بما ظهر وما بطن وما صاروا إليه بعد وفاتنا، ولا نعلم ما أضمره ولا ما أحدثوا بعدنا^(٣).

قال ابن كثير رحمه الله: ولا شك أنه قول حسن، وهو من باب التأدب مع الرب جل جلاله، أي لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء، فنحن وإن كنا أجبنا وعرفنا من أجبنا، ولكن منهم من كنا إنما نطلع على ظاهره، لا علم لنا بباطنه وأنت العليم بكل شيء المطلع على كل شيء، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم^(٤)، وأكدوا كلامهم بقولهم ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(٥) فأنت تعلم ما لا نعلم.

قال ابن عباس: يقولون للرب عز وجل (لا علم لنا) إلا علم أنت أعلم به منا^(٦). قال

(١) تفسير الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم) لحمود شلتوت ص ٤٦٤.

(٢) (روح المعاني) للألوسي: ٤٧/٧ وقارن بـ (تفسير سورة المائدة) لسيد طنطاوي ص ٤٣٤.

(٣) انظر: ابن عطية ٢٢٨/٥، وابن عاشور ١٠٠/٧.

(٤) تفسير ابن كثير: ٩٩/٢. وانظر جامع البيان للطبري: ١١/١١، والخازن: ٨٩/٢.

(٥) سورة المائدة الآية: ١٠٩.

(٦) الأثر في تفسير ابن كثير: ٩٩/٢، وقد أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان: ١١/١١.

أبو السعود^(١): وفيه إظهار للشكوى، ورد للأمر إلى علمه تعالى، بما لقوا من قومهم، من الخطوب، وكابدوا من الكروب، والتجاءً إلى ربهم في الانتقام منهم^(٢).

- وقفات مع آية الحوار:

الوقففة الأولى:

قوله: ﴿ماذا أجبتم﴾ قال الماوردي^(٣): فإن قيل: فلم سألهم عما هو أعلم به منهم فعليه

جوابان:

أحدهما: أنه سألهم ليعلمهم ما لم يعلموا من كفر أممهم ونفاقهم وكذبهم عليهم من بعدهم. والثاني: أنه أراد أن يفضحهم - أي الأمم الكافرة - بذلك على الأَشهاد ليكون ذلك نوعاً من

العقوبة لهم^(٤).

الوقففة الثانية:

قوله: ﴿قالوا لا علم لنا..﴾ قال بعض المفسرين^(٥): ذهلوا عن الجواب لهول المطلع،

وهذا القول لا يستقيم مع قوله تعالى: ﴿لَا يَخْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ..﴾^(٦).

(١) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، ولد بالقرب من القسطنطينية سنة ٨٩٨هـ، فقيه أصولي مفسر شاعر عارف باللغات العربية والفارسية والتركية، من موالي الروم، قرأ على والده وتنقل في المدارس، ثم قلد قضاء بروسه ثم قضاء قسطنطينية، ثم قضاء العسكر في ولاية الروم ثم الفتيا، توفي بالقسطنطينية سنة ٩٨٢هـ من آثاره: (تهافت الأجداد في فروع الفقه الحنفي)، (تحفة الطلاب في المناظرة) (الفتاوى) ترجمته في: البدر الطالع: ٢٦١/١ شذارت الذهب: ٣٩٨/٨.

(٢) تفسير أبو السعود: ٧٠/٢ المسمى ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)). وانظر الكشاف: ٦٧٥/١.

(٣) الماوردي هو: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، فقيه أصولي مفسر أديب، ولد سنة ٣٦٤هـ، ودرس بالبصرة وبغداد، وولي القضاء في بلدان كثيرة. من آثاره الحاوي الكبير في فروع الفقه الشافعي، أدب الدين والدين، أعلام النبوة، توفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ. ترجمته في: تاريخ بغداد ١٠٢/١٢، وفيات الأعيان ٤١٠/١ النجوم الزاهرة ٦٤/٥ وغيرها.

(٤) تفسير الماوردي: ٧٨/٢.

(٥) انظر: الفخر الرازي ١٢٣/١٢ و(مشاهد القيامة) لسيد قطب، ص ٥٥.

(٦) سورة الأنبياء الآية: ١٠٣.

قال ابن عطية^(١) بعد أن ذكر القول السابق في تفسير الآية: وضعف بعض الناس هذا المنزع بقوله تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ والأنبياء في أشد أهوال يوم القيامة وحالة جواز الصراط يقولون: سلم سلم وحالهم أعظم وفضل الله عليهم أكثر من أن تذهل عقولهم حتى يقولوا ما ليس بحق في نفسه^(٢). (بل إنه تعالى قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣)).

فكيف يكون حال الأنبياء والرسل أقل من ذلك. ومعلوم أنهم لو خافوا لكانوا أقل منزلة من هؤلاء الذين أخبر الله تعالى عنهم أنهم لا يخافون البتة^(٤). (وتصوير الرسل عليهم الصلاة والسلام بهذه الصورة الذاهلة الغافلة، أمر ينقضه المعقول والمنقول، فهم أولاً: مصطفون لحمل أمانات ربهم، وأداء رسالاته، وهم ثانياً: شهداء على أقوامهم بما بلغوهم، كما هو مفهوم من وظيفة الرسالة عقلياً، ومعلوم من نصوص القرآن نقلياً ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم﴾ فكيف لا يجيئون إذا سئلوا؟! ولا يشهدون إذا استشهدوا؟ وما معنى كونهم رسل الله إلى خلقه؟ وإذا فرضت جدلاً أن هول الموقف هو السبب في صمتهم فأين ميزتهم على بقية خلق الله الآخرين؟ أيكونون جميعاً في التأثر بهول الموقف سواء؟ أم يريد الأستاذ سيد أن نصور الرسل بنفس الصورة التي صور الله بها غيرهم حيث قال: ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون﴾، هذان مانعان من تصوير الرسل الكرام بهذه الصورة التي يرفضها العقل والنقل معاً وأماننا صورتان معقولتان لا تقفان بمقام الرسل ومقام المرسلين.

(١) ابن عطية الأندلسي الإمام العلامة شيخ المفسرين أبو محمد عبد الحق بن الحافظ أبي بكر ابن عطية الحاربي، ولد سنة ٤٤٨ هـ كان واسع المعرفة، قوي الأدب متفنناً في العلوم، توفي سنة ٥٤١ هـ ترجمته في: طبقات المفسرين للداوودي ٢٦٠/١، وبغية الوعاة: ٧٣/٢ وسير الأعلام ٥٨٧/١٩ وغيرها.

(٢) تفسير ابن عطية المسمى (المحرر الوجيز): ٢٢٨/٥.

(٣) سورة البقرة الآية: ٦٢.

(٤) الفخر الرازي: ١٢٣/١٢.

(أولاهما): أن يكونوا مسؤولين عما أجيئوا به من إيمان أو كفر بعد موتهم، وعن استمرار أتباعهم مؤمنين بهم، أو ارتدادهم، أو تبديلهم.

وحيث أن يكون جوابهم بـ ﴿لا علم لنا﴾ لا يدل على النسيان والذهول، وإنما هو تفويض واجب بالعلم لـ ﴿علام الغيوب﴾.

(الثانية): أن يكونوا مسؤولين عما أجيئوا من إيمان حق، أو كفر حق، وهم أحياء - فهم في الصورة الثانية لا يعلمون إلا ظواهر أقوامهم، من أقوال وأفعال، وقد يكون بينهم منافقون، وهم في الصورة الأولى أبعد علماً - لموتهم - بما حدث بعدهم من كثرة الأتباع أو قتلهم^(١).

الوقف الثالث:

قال الفخر الرازي: أنه قد ثبت في علم الأصول أن العلم غير الظن، والظن غير. والحاصل عند كل أحد من حال الغير، إنما هو الظن لا العلم. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر^(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «إنكم لتختصمون لدي ولعل بعضكم ألحن بحجته فمن حكمت له بغير حقه فكأنما قطعت له قطعة من النار»^(٣).

فالأنبياء قالوا: لا علم لنا ألبتة بأحوالهم، إنما الحاصل عندنا من أحوالهم هو الظن، والظن كان معتبراً في الدنيا، لأن الأحكام في الدنيا كانت مبنية على الظن، وأما الآخرة فلا التفات فيها إلى الظن؛ لأن الأحكام في الآخرة مبنية على حقائق الأشياء، وبواطن الأمور. فلهذا السبب قالوا: ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ ولم يذكروا البتة ما معهم من الظن لأن الظن لا عبرة به في القيامة^(٤). اهـ.

(١) سلسلة (على مائدة القرآن)، رقم ٣: (مع المفسرين والكتاب: نقد ودراسات لآراء ومذاهب) لأحمد محمد جمال ص ٥١-٥٢ مع التصريف اليسير.

(٢) لا أصل له. قال الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: يحتج به أهل الأصول ولا أصل له اهـ ص ٢٠٠.

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري ٣٩٦/٤، ومسلم ١٢٩/٥.

(٤) (التفسير الكبير) للفخر الرازي: ١٢٣/١٢.

تعقب هذا القول وردّ عليه ويبيّن ضعفه وكشف عواره العلامة محمد رشيد رضا^(١)

رحمه الله فقال:

إن هذا رأي ضعيف وإن بني على اصطلاح أهل الكلام والأصول في تفسير الظن والعلم، وذلك أن الرسل يعلمون كثيراً من الحقائق علماً يقينياً، كاستكبار المجرمين عن إجابة دعوتهم وإصرارهم على كفرهم، ومن علمهم بذلك ما شهد به التنزيل إذ أخبرهم الله أن أولئك المعاندين لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية، وأنهم قد ختم على قلوبهم، وحق القول عليهم، ومنهم من يكاشف النبي بحالهم ويمثلون له في النار، كما كان يعلم أن بعض المؤمنين صادقون في إيمانهم وبشّرهم بالجنة، وأن بعضهم ضعفاء الإيمان ولكن إيمانهم صحيح مقبول عند الله تعالى، والعلم بالظواهر يقبل في شهادتهم على الجاحدين إذ لا عبرة بالإيمان في الباطن مع الجحود في الظاهر بل هو أشد الكفر، وقد أخبرنا الله تعالى أنهم يشهدون على أممهم، فلو كان كل ما يعرفون من أحوال أممهم ظناً لا عبرة به في القيامة لما كان لشهادتهم فائدة ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٢) اهـ^(٣).

(١) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد البغدادي الحسيني، محدث مفسر، مؤرخ، أديب سياسي، ولد في القلمون من أعمال طرابلس الشام سنة ١٢٨٢هـ ونشأ مثل أهله على الصلاح والتقوى والتنسك وتعلم في كتاب القرية تخرج من المدرسة الوطنية الإسلامية، سافر إلى مصر سنة ١٣١٥هـ وأقام بها وتلمذ على محمد عبده، كان في بدايته تصوف وانتسب إلى الطريقة النقشبندية، وتفقه على مذهب الشافعي، وقرأ لشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وتأثر بهما وانتخب عضواً بالمجمع العلمي بدمشق. توفي بالقاهرة سنة ١٣٥٤هـ. من مصنفاته: تفسير القرآن الحكيم لم يكمل. والخلافة والإمامة العظمى، والوهابيون والحجاز وغيرها. معجم المؤلفين: ٢٩٣/٣.

(٢) سورة النساء الآية: ٤١.

(٣) تفسير القرآن الحكيم المشهور بالمنار: ٢٤٣/٧.

المبحث الثاني: حوار الله تعالى مع رسل مخصوصين.

اقتضت حكمة الله تعالى ورحمته أن يرسل في كل أمة نذيراً قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(١)، واقتضى عدله تعالى ألا يعذب أحداً من الخلق إلا بعد أن تقوم عليه الحجة قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٢)، وقد بلغ عدد الرسل: ثلاثمائة وبضعة عشر رسولاً، جماً غفيراً، كما في حديث أبي ذر^(٣). جميعهم يدعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٤) وكل رسول من أولهم إلى آخرهم يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٥) وهي وصية الرسل والأنبياء لمن بعدهم ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾^(٦) وثبت في السنة: أن نوحاً أوصى ولده بمثل ذلك^(٧).

(١) سورة فاطر الآية: ٢٤.

(٢) سورة الإسراء الآية: ١٥.

(٣) رواه أحمد في المسند ٢٦٥/٥ وابن حبان في (موارد الظمان) حديث عدة الأنبياء والرسل رقم ٩٤، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح: ١٥٩٩/٣.

(٤) سورة الأنبياء الآية: ٢٥.

(٥) سورة الأعراف الآية: ٥٩.

(٦) سورة البقرة الآية: ١٣٣.

(٧) روى الإمام البخاري في الأدب المفرد حديث رقم ٥٤٨، وأحمد ١٦٩/٢، ١٧٠، ٢٢٥، والحاكم في المستدرک: ١١٢/١-١١٣ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ... ثم قال: إن نبي الله نوحاً (لما حضرته الوفاة، قال لابنه إني قاص عليك الوصية، أمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين: أمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع، لو وضعت في كفه، ووضعت لا إله إلا الله في كفه، لرجحت بهن، ولو أن السماوات السبع، والأرضين السبع، كن حلقة مبهمه لقصمتهن لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء؛ وبها يرزق كل شيء. وأنهاك عن الشرك والكبر). الحديث واللفظ للبخاري قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي في التلخيص، وقال الحافظ العراقي في (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار): وإسناده صحيح. اهـ منه: ١/٢٤٩ حديث رقم ٩٥٢.

هذه هي المهمة الأساسية التي من أجلها بعث الله تعالى الرسل، من أولهم إلى آخرهم، إخراج الناس من ظلمات الشرك، إلى نور التوحيد، وقد أدى الرسل هذه الأمانة التي أرسلهم الله بها، أكمل أداء، ونصحوا الأمة، وبلغوها أتم بلاغ، وما أعظم الخطب، وأشد الذنب، وأشنع الجرم، إذا جعل ذلك الرسول الذي مهمته دعوة الناس إلى توحيد ربهم، جعل إلهاً، واتخذ شريكاً لله تعالى في الألوهية، فالشرك هو أظلم الظلم، وهو في جميع صورته وأشكاله ممقوت... لكنه في هذه الصورة أشد وأشنع وأفحش وأفظع فما الخيلة مع قوم مرضى بداء الإشراف بالله وصف لهم الدواء وهو اتباع الرسول فصيروا ذلك الرسول وثناً يعبد من دون الله، وهذا ما حصل مع رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام، وقالوا عنه ابن الله قال الله تعالى عنهم: ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾^(١). ولقد كذب على الله وأعظم على الله الفرية من زعم أن الله ولداً سبحانه عما يقولون علواً كبيراً:

١- فالخلق كلهم تحت تصرف الله تعالى، هو مالكمهم ومدبر شؤونهم.. بديع السموات والأرض الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون ليس في حاجة إلى ولد أو غيره قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ (١١٦) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^(٢).

٢- فكل ما سوى الله تعالى خلق مما خلق ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٠١) ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ^(٣).

٣- فهو الغني له ما في السموات والأرض ومن نسب الله الولد فقد تقوّل على الله بلا علم وافترى كذباً وزوراً ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٨) قُلْ

(١) سورة التوبة الآية: ٣١.

(٢) سورة البقرة الآيات: ١١٦-١١٧.

(٣) سورة الأنعام الآيات: ١٠١-١٠٢.

إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ
ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١﴾.

٤- وأن الكون كله من سماء وأرض وجبال تكاد من فظاعة هذا القول وشناعته تنفجر وتنشق وتخر لهول هذا الافتراء وضخامة هذا الكذب تنفجر غيظاً وتنشق ثورة وتخر الراسيات فزعاً وذعراً ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنَ عَبْدًا ﴿٢﴾.

٥- وأن من دعوهم أبناء الله ما هم إلا عباد مكرمون خاضعون لأمر الله، ولن يجرؤ واحد منهم على ادعاء الألوهية، ومن يجرؤ منهم على ذلك فجزاؤه عذاب جهنم خالداً فيها ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾.

٦- وقد تعرض القرآن الكريم مراراً لدعوى ألوهية عيسى عليه السلام وقوض هذه الدعوى من أساسها بأن المسيح الذي يزعمونه إلهاً وما هو إلا رسول كريم ليس لديه قدرة يدفع بها عن نفسه إن أراد الله أن يهلكه بل هو خاضع لأمر الله مقر بأنه ليس سوى عبد لله وليس المسيح وأمه سوى بشرين يأكلان الطعام، أو تقبل الفطرة الإنسانية السليمة أن تتخذ لها إلهاً هذا شأنه لا يتميز عن الناس في شيء ولا يملك لهم شيئاً من الضر ولا النفع ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ

(١) سورة يونس الآيات: ٦٨-٧٠.

(٢) سورة مريم الآيات: ٨٨-٩٣.

(٣) سورة الأنبياء الآيات: ٢٦-٢٩.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ..﴾ (٢).

٧- أن عيسى بن مريم (عليه السلام) مقر بعبوديته ولا يستنكف أن يكون عبداً لله، قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٤).

ولأجل ما زعموا في عيسى ابن مريم (عليه السلام) فكان أن خصص بالسؤال عن ذلك على رؤوس الخلائق يوم القيامة فقد غلا فيه قوم وجفاه آخرون، فهو بين إفراط النصارى وتفريط اليهود (٥).

فيقول الله تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (٦) لا إله إلا الله سؤال واحد قصير مختصر، لكنه ما أخطر منه من سؤال، لو

(١) سورة المائدة الآية: ١٨.

(٢) سورة المائدة الآيات: ٧٤-٧٦.

(٣) سورة النساء الآية: ١٧٢.

(٤) سورة المائدة الآية: ٧٣.

(٥) انظر تفسير ابن عطية ٢/٢٣٩، وزاد المسير ٢/٤٦٤، والماوردي ٢/٨٧، والقرطبي: ٦/٣٥١، وروح

المعاني ٧/٥٦، وابن عاشور ٧/١١٢.

(٦) سورة المائدة الآية: ١١٦.

صب على جبل لاندك وانصدع، بل السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن - غير الله -
لو وضعت في كفة وكلمة الألوهية والتوحيد في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله (١).

= قال الخازن: اختلف المفسرون في وقت هذا القول فقال السدي: قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه
إلى السماء بدليل أن حرف إذ يكون للماضي. وقال سائر المفسرين: إنما يقول الله له هذا القول يوم
القيامة بدليل قوله ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ وذلك يوم القيامة، وبدليل قوله: ﴿هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم﴾ وذلك يوم القيامة.
وأجيب عن حرف (إذ) بأنها قد تجيء بمعنى (إذا) كقوله ﴿ولو ترى إذ فرعوا﴾ يعني إذا فرعوا. وقال
الراجز:

ثم جزاك الله عني إذ جرى جنات عدن في السموات العلى

أه من تفسيره: ٩٤/٢، وصوب ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى أن يكون هذا الحوار حين رفعه إلى
السماء، واحتج على ذلك بوجهين: أحدهما أن لفظ الكلام لفظ الماضي. والثاني: قوله: ﴿إن
تعذبهم﴾ و ﴿إن تغفر لهم﴾، وتعقبه ابن كثير رحمه الله تعالى فقال: وهذان الدليلان فيهما نظر. لأن
كثيراً من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ الماضي ليدل على الوقوع والثبوت. ومعنى قوله: ﴿إن
تعذبهم﴾ التبرؤ منهم، ورد المشيئة فيهم إلى الله تعالى، وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه،
كما في نظائر ذلك من الآيات.

والأظهر والله أعلم: أن ذلك كائن يوم القيامة، ليدل على تهديد النصارى وتقريعهم وتوبيخهم على
رؤوس الأشهاد يوم القيامة. أه من تفسيره ٢٣٢/٣ مع التصرف اليسير بالاختصار. وانظر القرطبي
٣٥١/٦، وقال العلامة ابن قتيبة رحمه الله تعالى تحت باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه، بعد أن ذكر عدّة
أنواع قال: ومنه أن يأتي الفعل على بنية الماضي وهو دائم أو مستقبل، كقوله تعالى: ﴿وإذ قال الله يا
عيسى ابن مريم أنت قلت للناس..﴾ أي وإذ يقول الله يوم القيامة، يدلك على ذلك قوله سبحانه
﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾. أه من كتابه (تأويل مشكل القرآن) ص ٢٢٧.

(١) ورد بهذا المعنى حديث، أن النبي ﷺ قال موسى: يارب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به قال يا
موسى قل: لا إله إلا الله قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا؟ قال يا موسى لو أن السموات السبع
وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله.

أخرجه الإمام النسائي في عمل اليوم والليلة حديث رقم ٨٣٤ والطبراني في كتاب الدعاء ١٤٨٩/٣
حديث رقم ١٤٨٠، ١٤٨١ والحاكم في المستدرک ٧١٠/١ حديث رقم ١٩٣٦ والبيهقي في الأسماء
والصفات ١٧٥/١، والإمام البيهقي في شرح السنة ٥٤/٥ حديث رقم ١٢٧٣. قال الحاكم: هذا
حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي في التلخيص: صحيح، وصححه الحافظ ابن حجر في
فتح الباري ٢٠٨/١١.

وقد بوب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتابه (كتاب التوحيد) باباً بعنوان:
باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، وأورد فيه هذا الحديث.

فموضوع المحاوره خطير جد خطير؛ لأنه عن أعظم حق وأخطره، حق الألوهية لله الواحد الحق المبين، فأنت الإجابة بكامل الذل والخضوع والأدب لله رب العالمين من عبده ورسوله عيسى عليه السلام لذلك نوّه النبي^(ص) بهذه الإجابة ولا غرو فرسل الله هم أعرف الناس بمنزلة التوحيد الخالص وهم أتقى الناس من الوقوع في الشرك أو وسائله.

فالأمر خطير، والخطب جلل، فبدأ باستفهام على سبيل الإنكار، والمقصود به تفرير وتوبيخ من زعموا ألوهية عيسى ابن مريم، وألوهية أمه، وإكذاب لهم في ادعائهم ذلك عليهما^(١).

قال أبو عبيدة^(٢): هذا باب تفهيم وليس باستفهام عن جهل ليعلمه، وهو يخرج مخرج الاستفهام، وإنما يراد به النهي عن ذلك ويتهدد به، وقد علم قائله أكان ذلك أم لم يكن وقال جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح^(٣)

ولم يستفهم ولو كان استفهاماً ما أعطاه عبد الملك مائة من الإبل برعاتها^(٤) اهـ.

(وكان النداء بقوله سبحانه ﴿يا عيسى ابن مريم﴾ أي بذكر النبوة، للإشارة إلى الولاده

(١) انظر الخازن: ٩٤/٢.

(٢) أبو عبيده هو: الإمام العلامة البحر معمر بن المثنى التيمي مولا هم البصري النحوي صاحب التصانيف ولد سنة عشر ومئة في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري قاله الذهبي وقال: ولم يكن صاحب حديث ولكن أوردته لتوسعة في علم اللسان، وإيام الناس توفي سنة تسع ومئتين. من آثاره: (غريب الحديث) (مقتل عثمان) (أخبار الحجاج). ترجمته في: الكامل لابن الأثير: ٣٩٠/٦، طبقات المفسرين: ٣٢٦/٢، والسير: ٤٤٥/٩.

(٣) ديوانه ص ٩٧.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٨٣/١ مع التصريف اليسير. وبوب ابن أبي الأصبغ المصري في كتابه (بديع القرآن) باباً بعنوان (باب تجاهل العارف) وعرفه بأنه سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة، تجاهلاً منه ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم... أو التوبيخ أو التقرير وجعل قوله تعالى ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين..﴾ من هذا الباب، وعقب على الآية بقوله (وهذا خارج مخرج التقرير) اهـ منه ص ٥٠ - ٥١ مع التصريف اليسير بالاختصار.

الطبيعية التي تنفي أن يكون إلهاً أو ابن إله أو فيه عنصر الألوهية، بأي وضع من الأوضاع، لأن الألوهية والبشرية نقيضان لا يجتمعان فلا يمكن أن يكون البشر فيه ألوهية، ولا الإله فيه بشرية^(١).

فيجيب عيسى عليه السلام في أدب عالٍ مع إظهار الخضوع والتذلل لله عز وجل:
﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وهذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل كما روى ابن أبي حاتم^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يُلَقَّى عيسى حجته، ولقاه الله في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْلِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال أبو هريرة عن النبي ﷺ، فلقيه الله ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ الآية كلها^(٤).

وقد تضمنت إجابة رسول الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ست نقاط:

الأولى: تنزيه الله تعالى عن الند والنظير، وعن كل ما لا يليق به تعالى فالمبادرة بتنزيه الله تعالى

(١) التفسير الوسيط تفسير سورة المائدة ص ٤٥٦.

(٢) المائدة: ١١٦ - ١١٨.

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي يكنى أبا محمد ولد سنة ٢٤٠ هـ حفظ القرآن الكريم في صغره ثم طلب الحديث حتى صار من كبار الأئمة فيه فرحل في طلبه وعمره خمسة عشر عاماً لقي يونس بن حبيب وأخذ عنه وأيضاً الطهراني محمد بن حماد ومن تلاميذه: ابن حبان والجرجاني ومحمد بن منده والحاكم الكبير، توفي رحمه الله سنة ٣٢٧ هـ بمدينة الري. من آثاره: (آداب الشافعي ومناقبه) (المعرفة) (علل الحديث). ترجمته في: تذكره الحفاظ: ٨٣٠/٣ والسير ٢٤٦/١٣.

(٤) رواه الترمذي ١٤٩/٥ - ١٥٠ والنسائي في تفسيره حديث رقم ١٨٢، وقال الترمذي حديث حسن

صحيح.

عن مضمون تلك المقالة أهم من تبرئته نفسه على أنها مقدمة للتبري؛ لأنه إذا كان ينزه الله عن ذلك فلا جرم أنه لا يأمر به^(١).

وفي صيغة ﴿سبحانك﴾ من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح وهو الإبعاد في الأرض والذهاب، ومن جهة النقل إلى صيغة التفعيل، والعدول عن المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن وإقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى^(٢).

والثانية: إعلان براءته المطلقة من هذا القول ﴿اتخذوني وأمي إلهين﴾ وأنه ليس من شأنه ولا مما يصح وقوعه منه...

وبالغ في التبري من ذلك بأن نفى استحقيقه ذلك القول وذلك أبلغ من (لم أقله) (ولا يخفى أن هذا أبلغ في البراءة من نفى ذلك القول وإنكاره مجرداً، لأن نفى الشأن يستلزم نفى الفعل نفيًا مؤيداً بالدليل)^(٣).

فليس من حقه ولا حق أي مخلوق آخر كائناً ما كان، أن يعتقد ذلك، فضلاً أن يدعو إليه أو يأمر غيره به، لأنه ليس من شأنه أصلاً، فكيف يكون العبد إلهاً؟ ! ونفى نفيًا قاطعاً، ما نسبه إليه الكفار، من أمرهم بعبادة نفسه، أو عبادة أمه من دون الله^(٤)، أو اتخاذ آلهة أخرى مع الله مطلقاً.

(١) ابن عاشور ١١٢/٧ .

(٢) روح المعاني ٥٧/٦ .

(٣) تفسير المنار: ٢٦٥/٧ .

(٤) قال الألوسي رحمه الله تعالى: ﴿من دون الله﴾ أي غيره منظماً إليه سبحانه فالله تعالى إله وهما يزعم الكفرة إلهان، فالمراد إتخاذهما بطريق اشتراكهما معه عز وجل وهذا كما في قوله عز وجل ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ وأيضاً لأن القوم ثلثوا والعباد بالله تعالى. اهـ من روح المعاني ٥٦/٧ مع التصرف اليسير بالاختصار، وقال القاسمي في تفسيره: إن كلمة (دون) في هذه الآية وأمثالها بمعنى (غير) كما حققه اللغويون، ولا تفيد وضعاً الاستقلال والبدلية، كما توهم وسر ذكرها إفهام الشركة، لأنه لولاها لتوهم دعوى انحصار الألوهية فيما عداه، مع أنهم لا يعتقدون ذلك، ولا يفهم من نحو: اتخذت صديقاً من دوني الاستبدال فذلك من قرينه خارجية، ويجوز إتخاذهم معه كما لا يخفى، فتبصر اهـ منه ٢٢٢١/٦ - ٢٢٢٢ .

الثالثة: استشهد الله العليم الخبير على أنه لم يأمر أحداً بهذا الشرك الذي يتنافى تماماً مع غرضه الأصلي الذي بعث هو وإخوانه المرسلون من أجله، وهو توحيد الله تعالى توحيداً خالصاً.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ قَلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ فإنه لا يخفى عليك شيء فما قلته ولا أدرته في نفسي، ولا أضمرته^(١).

فاستدل على انتفاء أن يقوله بأن الله يعلم أنه لم يقله^(٢) ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(٣).

وقال العلامة محمد أحمد العدوي رحمه الله تعالى في كتابه (دعوة الرسل إلى الله تعالى): (من دون الله) أي حالة كونكم متجاوزين بذلك الاتخاذ توحيد الله وإفراده بالعبادة، وهو يصدق بإتخاذ إله أو أكثر مع الله تعالى، وهو الشرك، سواء اعتقد المشرك أن هذا المتخذ ينفع ويضر بالاستقلال وهو نادر، أو اعتقد أنه ينفع ويضر بإقدار الله تعالى إياه، وتفويض بعض الأمور إليه، فيما وراء الأسباب، أو بالوساطة عند الله بما له من التأثير والكرامة على النفع والضرر، وهو الأكثر الذي كان عليه مشركو العرب عند البعثة كما حكى الله عنه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ سورة يونس الآية ١٨، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفًا﴾ سورة الزمر الآية ٣. اهـ.

(١) تفسير ابن كثير ٢٦٥/٤.

(٢) ابن عاشور مع التصريف اليسير: ١١٢/٧.

(٣) بؤب الإمام البخاري رحمه الله تعالى بهذه الآية في كتاب التوحيد من كتابه الجامع الصحيح فقال: باب قول الله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ وقوله جل ذكره ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ وساق تحته عدة أحاديث منها: حديث أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي (قال: لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه وهو وضعُّ عنده على العرش إن رحمتي تغلب غضبي) حديث رقم ٧٤٠٤، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي (: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسي ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم...) الحديث اهـ منه ١٧١/٨.

وقال إمام الإئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد: (إثبات النفس لله عز وجل من الكتاب) ثم قال: فأول ما نبدأ به من ذكر صفات خالقنا جلا وعلا في كتابنا هذا: ذكر نفسه، جل ربنا أن تكون نفسه كنفس خلقه، وعز أن يكون عدماً لا نفس له، قال الله جل ذكره لنبيه محمد (﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ سورة الأنعام

= الآية ٥٤ . فأعلمنا ربنا أن له نفساً كتب عليها الرحمة: أي ليرحم بها من عمل سواء بجهالة ثم تاب من بعده، على ما دلّ عليه سياق هذه الآية، وهو قوله: ﴿أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم﴾. سورة الأنعام الآية ٥٤ .
وقال الله جل ذكره لكليمه موسى ﴿ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسى﴾ سورة طه الآية ٤١ .

فثبت الله أن له نفساً اصطنع لها كليمه موسى عليه السلام، وقال جل وعلا: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ سورة آل عمران الآية ٣٠ .

فثبت الله أيضاً في هذه الآية أن له نفساً، وقال روح الله عيسى بن مريم مخاطباً ربه ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾. سورة المائدة الآية: ١١٦ .

فروح الله عيسى بن مريم يعلم أن لمعبوده نفساً. ثم بوب باباً فقال باب ذكر البيان من خير النبي (في إثبات النفس لله عز وجل على مثل موافقة التنزيل الذي بين الدفتين مسطور، وفي المحاريب والمساجد والبيوت والسكك مقروء) ثم ساق تحته عشرة أحاديث تنص على ذلك. انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ١٤/١-٢٢ . وقال الإمام الجهيد أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه (النقض على بشر المريسي): وادعى المعارض: أن الله لا يوصف بالضمير، والضمير منفي عن الله، وهي كلمة خبيثة قديمة، من كلام جهم، عارض بها جهم قول الله تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ يدفع بذلك أن يكون الله تعالى سبق له علم في نفسه، من الخلق وأعمالهم قبل أن يخلقهم. فرد عليه بعض العلماء وقالوا: كفرت بها من ثلاثة أوجه:

الأول: أنك نفيت عن الله العلم السابق في نفسه قبل حدوث الخلق.

الثاني: أنك استجهلت المسيح ابن مريم عليه السلام بأنه وصف ربه بأن له خفايا علم في نفسه إذ يقول: ﴿ولا أعلم ما في نفسك﴾.

الثالث: أنك طعنت به على محمد (إذ جاء مصداقاً لعيسى).

قال أبو سعيد: وقول جهم هذا أصل كبير في تعطيل النفس والعلم السابق ويُردّ عليه بقوله تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ فذكر المسيح أن الله علماً سابقاً في نفسه، يعلمه الله، ولا يعلمه هو. اهـ منه ص ٥٥٠ مع التصرف اليسير.

قلت: هذه هي طريقة السلف الصالح ومنهجهم في أسماء الله تعالى وصفاته وهي مبنية على أسس ثلاثة:

الأول: إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ.

الثاني: تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه، تنزيهاً بلا تعطيل بل بإثبات المعاني المعلومة لهذه الصفات على ما يليق به جل وعلا.

الثالث: عدم الطمع في إدراك كيفية صفات الله تعالى وأسمائه.

انظر فتاوى شيخ الإسلام ٥١٥/٦ .

ثم أكد ذلك بقوله ﴿إنك أنت علام﴾^(١) (الغيوب) وفي هذه الجملة عدة تأكيدات: تصديرها بـ (إن) المؤكدة، والضمير (أنت) والإتيان بصيغة المبالغة في (علام) والإتيان بصيغة الجمع في (الغيوب)^(٢).

الرابعة: نطق بالحقيقة الناصعة، فبين الغرض الأصلي الذي دعا الناس إليه وهو توحيد الله تعالى وحده توحيداً خالصاً، فهو المستحق للعبادة، لا رب غيره، ولا خالق سواه، وهو الذي أرسل به، وأمر بإبلاغه ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ وفي قوله ﴿ما أمرتني﴾ مبالغة في الأدب حيث لم يقل (قلت لي)^(٣). وجاء بالنفي والاستثناء في الإجابة (ما قلت إلا..). تأكيداً لهذا الجواب^(٤).

الخامسة: قرر شهادته على من بعث إليهم مدة مقامه فيهم، وأنه بعد وفاته^(٥) لا اطلاع له عليهم.

(١) قال العلامة القاسمي رحمه الله تعالى في تفسيره: دلت الآية على جواز إطلاق (العلام) عليه كما جاز إطلاق لفظ (الخالق) عليه، أما العلامة فإنهم أجمعوا على أنه لا يجوز إطلاقه في حقه، ولعل السبب ما فيه من لفظ التأنيث. اهـ منه ٢٢٠٧/٦.

(٢) انظر ابن عاشور: ١١٣/٧.

(٣) المصدر السابق: ١١٣/٧.

(٤) انظر كتاب (فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم) د/فتحي أحمد عامر ص ١٥٦.

(٥) المراد بالوفاة هنا الرفع إلى السماء حياً، وهو مأخوذ من التوفي، أي أخذ الشيء وافياً، تقول: توفيت حقي من فلان أي أخذته منه وافياً، ووفيته حقه أي أعطيته له كاملاً، وعلى ذلك سمي رفع عيسى إلى السماء توفية، لأن الله رفعه إلى السماء بروحه وجسده كاملاً، فهو توفي قبض لا توفي موت كما قال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ الزمر الآية ٤٢. وقال تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل...﴾ هذا قول الحسن وابن جريج، واختاره الطبري ورجحه في تفسيره ٢٩٢/٣؛ حيث قال: والمعنى إذ قال الله يا عيسى إني قابضك من الأرض ورافعك إلي، ومطهرك من الذين كفروا فجددوا نبوتك، ولو كان قد أماته الله عز وجل، لم يكن ليميته ميتة أخرى فيجمع عليه ميتتين. اهـ. فلا يصح أن يحمل التوفي على الإمامته، لأن إمامت عيسى عليه السلام في وقت حصار أعدائه له ليس فيه ما يسوغ الإمتنان بها. ورفعته إلى السماء جثة هامة سخف من القول. وقد نزه الله تعالى السماء أن تكون قبور جثث الموت وإن كان الرفع بالروح فقط، فأبي ميزه لعيسى في ذلك على سائل الأنبياء، والسماء مستقر أرواحهم الطاهرة. فالحق أنه عليه السلام رفع إلى السماء

وأن الله عز وجل وحده، هو المنفرد بعد الوفاة بالإطلاع عليهم^(١).

فشهادته سبحانه وتعالى فوق كل شهادة، وأعم ﴿وَأنت على كل شيء شهيد﴾.

السادسة: أن مرد جميع الناس إلى الله تعالى، يعذب من يشاء عدلاً، ويغفر لمن يشاء فضلاً فالجميع عباده، وهو العزيز الحكيم، فالأمور كلها إليك، وأنت قادر على كل شيء.

(فقوض أمرهم إلى الله فهو أعلم بما يجازيهم به لأن المقام مقام إمساك عن إبداء رغبة لشدة هول ذلك اليوم، وغاية ما عرض به أنه جوّز المغفرة لهم. وذكر العزيز كناية عن كونه يغفر عن مقدرة، وذكر الحكيم لمناسبته للتفويض...) (٢).

فجوابه عليه السلام قد بلغ الذروة في الفصاحة والبلاغة وحشد البراهين وكمال الأدب فهو بتنزيه الله تعالى أولاً، أثبت أن ذلك القول الذي سئل عنه قول باطل ليس فيه شائبة من الحق، ثم قفى على ذلك بأنه ليس من شأنه، ولا مما يقع من مثله أن يقول ما ليس له بحق،

= حياً بجسده وروحه، وقد جعله الله آية، والله على كل شيء قدير، ثم ينزله في آخر الزمان فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويقتل الدجال... إلخ ما هو معلوم عن الصادق المصدوق (في خبر نزول نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان. انظر (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) للشاه أنور الكشميري.

وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٤٣/٣: وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى عليه السلام في السماء حي، وأنه ينزل في آخر الزمان، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويقتل الدجال، ويفيض العدل ويظهر ملة محمد ﷺ، ويحج البيت ويعتمر، ويبقى في الأرض أربعين سنة، ثم يميتة الله تعالى. اهـ.

قال الخازن في تفسيره للآية ﴿فلما توفيتني﴾ يعني فلما رفعتني إلى السماء. فالمراد به وفاة الرفع لا الموت. اهـ منه ٩٥/٢.

(١) قال العلامة القاسمي رحمه الله تعالى في تفسيره: دلت الآية على أن الأنبياء بعد استيفاء أجلهم الدنياوي، ونقلهم إلى البرزخ لا يعلمون أعمال أمتهم وقد روى البخاري في عدة أبواب من صحيحة وأولها ما جاء في كتاب الأنبياء حديث رقم ١٥٨٥ في ردّ الملائكة عن حوض النبي (يوم القيامة وقوله (أصحابي أصحابي فيجاء لا تدري ما أحدثوا بعدك. اهـ منه ٢٢٢٣/٦ مع التصرف اليسير.

(٢) ابن عاشور ١١٤/٧ مع التصرف اليسير، وانظر معاني القرآن للزجاج ٢٢٤/٢، وزاد المسير لابن الجوزي ٤٦٥/٢.

فتبيحة المقدمتين الثابتين أنه لم يقل ذلك القول، ثم أكد هذه النتيجة بحجة أخرى قاطعة على سبيل التزقي من البرهان الأدنى الراجع إلى نفسه وهو ما حباه الله من عصمه وعلم، إلى البرهان الأعلى الراجع إلى ربه العلام ﴿إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ ثم إنه بعد تنزيه ربه، وتبرئة نفسه، وإقامة البرهانين على براءته، بين حقيقة ما قاله لقومه مدّة مقامه بين أظهرهم وهو التركيز على أصل الدين وأساس الملة الذي يبنى عليه غيره ولا يعتد بغيره دونه، وهو الأمر العظيم الذي أمرتني بالتزامه اعتقاداً وتبليغاً وهو الأمر بعبادتك وحدك مع التصريح بأنك ربي وربهم وأنا عبد من عبادك مثلهم إلا ما خصصتني به من الرسالة إليهم ولم يقل: إلا بما أمرتني به أدياً مع الله تعالى ومراعاة لما ورد في السؤال ﴿أأنت قلت﴾ وأنه ما فتىء مدّة مقامه بين أظهرهم داعياً إلى توحيد ربه شاهداً على ما يقولون ويفعلون مقرأً للحق منكرًا للباطل إلى الغاية التي توفاه الله تعالى فيها إليه والله شهيد عليهم من قبل ومن بعد فهو سبحانه ﴿على كل شيء شهيد﴾ ثم أعلن براءته ممن قال تلك المقالة الشنيعة وفوض أمرهم إلى الله تعالى وردّ المشيئة فيهم إليه عز وجل.

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم آيات كثيرة تزي تبرة عيسى عليه السلام لنفسه وتؤيد قوله هذا، قال الله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(١).

فجملة ﴿وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم..﴾ حالية أي وقالوا قولهم ذلك والحال أن المسيح أمرهم بضده وهو أن يعبدوا الله وحده^(٢).

وهذه الآية آية عظيمة شديدة التأثير لمن تدبرها فلها شأن عظيم ونبأ عجيب، فقد قام بها (حتى أصبح. فعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله (قام حتى أصبح بأية: ﴿إن تعدّبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾^(٣)﴾^(٤).

(١) سورة المائدة الآية: ٧٢.

(٢) انظر تفسير المنار: ٢٦٥/٧ - ٢٦٦.

(٣) سورة المائدة الآية: ١١٨.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٥٦/٥، ١٧٠، ١٧٧ وابن ماجه حديث رقم ١٣٥٠ والنسائي في تفسيره: ٤٦٤/١ حديث رقم ١٨١.

قال البوصيري في مصباح الزجاجة: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات اه منه. ٤٧٧/١.

(٣٣)
 وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (١) الآية وقول عيسى ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فرفع يديه وقال: اللهم أمي أمي فبكي، فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فأسأله ما يبكيك، فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله (بما قال وهو أعلم فقال: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك) (٢).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى (ولم يقل: الغفور الرحيم) وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى فإنه قال في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم إلى النار، فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعاة، بل مقام براءة منهم، فلو قال: (فإنك أنت الغفور الرحيم) لأشعر باستعطاف ربه على أعدائه الذين قد اشتد غضبه عليهم، فالمقام مقام موافقة للرب في غضبه على من غضب الرب عليهم فعدل عن ذكر الصفيتين اللتين يسأل بهما عطفه ورحمته ومغفرته إلى ذكر العزة والحكمة، المتضمنتين لكمال القدرة وكمال العلم، والمعنى: إن غفرت لهم فمغفرتك تكون عن كمال القدرة والعلم، ليست عن عجز الانتقام منهم، ولا عن خفاء عليك بمقدار جرائمهم.

وهذا لأن العبد قد يغفر لغيره لعجزه عن الانتقام منه والجهل بمقدار إساءته إليه، والكمال: هو مغفرة القادر العالم، وهو العزيز الحكيم.

وكان ذكر هاتين الصفيتين في هذا المقام عين الأدب في الخطاب) (٣) اهـ.

ف (يقول تعالى مجيباً لعبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام، فيما أنهاه من التبري من النصارى الملحدين، الكاذبين على الله وعلى رسوله، ومن ردّ المشيئة فيهم إلى ربه عز وجل، فعند ذلك يقول تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ (٤).

(١) سورة إبراهيم الآية: ٣٦

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه: ١٢٣/١ حديث رقم ٢٠٢.

(٣) مدارج السالكين: ٣٧٩/٢، وانظر تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني: ٨٣/٢-٨٤.

(٤) سورة المائدة الآية: ١١٩.

قال ابن عباس: (يوم ينفع الموحدين توحيدهم) ^(١).

ذلك أن من أول وأعظم مراتب الصدق صدق الاعتقاد - ولا نفع لشيء إذا فقد صدق الاعتقاد - فيهدي صاحبه لجنات تجري من تحتها الأنهار، ولا يريم منها ولا يتحول عنها، ولا يلحقه فيها هرم ولا شيب ولا مرض ولا هم، مع رضاه وفرحه بما من الله به عليه، ورضوان من الله أكبر، وهذه هي الغاية القصوى في الفوز والفلاح، مع النجاة من النار، وذلك كله لصدقه مع الله، وتجنبه افتراء الكذب على الله الملك الحق، الموجد لجميع الكائنات، المالك لها المتصرف فيها القادر عليها، فإن جميع ما في السموات وما في الأرض هي ملكه، وتحت قهره، ومشيتته، لا ند له، ولا شريك ولا نظير، ولا وزير، ولا صاحبة، ولا والد ولا ولد، ولم يكن له كفواً أحد، لا إله غيره، ولا رب سواه. قال تعالى: ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ^(٢).

قال قتادة ^(٣): متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام؛ لأنه يقوم فيقول ما قص الله عنه ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به﴾ الآية. فكان صادقاً في الدنيا والآخرة فينفعه صدقه، وأما المتكلم الآخر فإبليس فإنه يقوم فيقول: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ...﴾ ^(٤) الآية. فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه ^(٥).

ونلاحظ في هذا الحوار أنه لم يرد فيه ذكر لمن افتري هذه الفرية الشنيعة، واتخذ عيسى بن مريم وأمه إلهين من دون الله، ولم نسمع لهم في هذا الحوار ولا كلمة واحدة، وفي ذلك ما

(١) تفسير ابن كثير: ١٠٥/٢.

(٢) سورة المائدة الآية: ١١٩.

(٣) هو قتادة بن دعامة السدوسي الحافظ العلامة المفسر من أحفظ الناس وكان رأساً في العربية واللغة وأيام العرب والنسب مات بواسط بالطاعون سنة ١١٨ هـ.

ترجمته في: تذكرة الحفاظ: ١٢٢/١، معجم الأدباء ٢٠٢/٦، طبقات المفسرين للداوودي: ٤٧/٢.

(٤) سورة إبراهيم الآية: ٢٢.

(٥) الخازن: ٩٦/٢.

فيه من دلالة وإشارة على ما يعتري القوم في ذلك الموقف، وفي ذلك اليوم من الخزي والعار والشنار بحيث لا يستطيعون أن يرفعوا رؤوسهم أو ينطقوا بكلمة واحدة. فيا نصارى العالم في كل زمان ومكان، هلموا إلى الحق الأبلج والطريق الأقوم، واستمعوا إلى هذه المحاوراة التي لم تستغرق في كتاب الله تعالى إلا آيات قليلة، تتداركون ما مضى وتصحيحون معتقدكم الباطل، فيا لله ما ينتظركم من الخزي والعار الويل والعذاب المهين، فهل من بقية عقل أم ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١).

(١) سورة الفرقان الآية: ٤٤.

وقفات مع آية الحوار:

الوقفة الأولى:

قال صاحب كتاب الفن القصصي في القرآن الكريم^(١): بأنَّ للعقل الإسلامي أن هذه المحاوره التي يصورها القرآن الكريم قائمه بين المولى سبحانه وتعالى وبين عيسى عليه السلام في آخر سورة المائدة لا تفهم على ظاهرها ولا تفسر على أنها قد وقعت حقاً وأنها لا يمكن أن تكون إلا التصوير الأدبي الذي يقصد منه إلى توبيخ النصارى المعاصرين لمحمد عليه السلام^(٢).

اه منه^(٣).

وللرد عليه أقول:

هذا مزلق خطير، ومسلك أئيم، فيه تلبيس الحق بالباطل، والهدى بالضلال، لو قُبل لأفسد على المسلمين معتقدتهم الحق في أخبار الله تعالى عن الأمور الغيبية. ففوله «لا تفهم على ظاهرها... الخ» من أظلم الظلم، وهو من التقول على الله بغير علم

(١) أصل الكتاب رسالة للحصول على الدكتوراه تقدم بها الطالب / محمد أحمد خلف الله في كلية الآداب بجامعة فؤاد عام ١٩٤٧م بإشراف أمين الخولي، ورفضت الرسالة، وقد تضمن الكتاب طعون خبيثة وافتراءات مكشوفة خلاصتها نفي الصدق عن القرآن الكريم وعدم مطابقتها قصصه للحقائق التاريخية، وقد تصدى للرد عليه وبيان عوارفه في كتابه المشؤوم عدد من العلماء منهم:

١- مصطفى صبري في كتابه ((موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين...)) ٣٤٥/١.

٢- محمود شلتوت في كتابه (تفسير القرآن الكريم) ص ٤٥ - ٥٠ وص ٢٧٣ وما بعدها.

٣- فتحي أحمد عامر في كتابه (المعاني الثانية في الأسلوب القرآني) ص ٢٣٥ - ٢٤٨

٤- سيد عبد العظيم في كتابه (بحوث في قصص القرآن) ص ٢١٣-٢٦١ وغيرهم كثير في سلسلة ذهبية يطول ذكرها.

(٢) الوارد في حقه (الجمع بين الصلاة والتسليم عملاً بقوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ سورة الأحزاب الآية ٥٦. ولهذا كره العلماء الاقتصار على الصلاة أو التسليم وحدها وقد نبه على هذه المسألة جمع من أهل العلم منهم النووي في مقدمة شرح صحيح مسلم ٤٤/١ وابن كثير في تفسيره لآية الأحزاب ٤٧٩/٦ وابن الصلاح في علوم الحديث ص ١٦٨ والسيوطي في تدريب الراوي ٧٦/٢.

(٣) ص ٤٢.

وليس له دليل من كتاب ولا سنة ولا عقل صريح على ما جاء به، لأن الأصل في كلام الله تعالى أنه على ظاهره كما أخبر ومن ذلك القصص القرآني فكله حق وصدق ﴿ومن أصدق من الله قليلاً﴾^(١) ولا مجال فيه للخيال والوهم. قال تعالى ﴿إن هذا هو القصص الحق﴾^(٢) ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾^(٣) ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق﴾^(٤)

قال العلامة محمد الخضر حسين رحمه الله تعالى^(٥): لا ندري ما هو الدليل الذي ينهض أمام هذه الآية، ويدل على أن القصة المشار إليها مخلوقة غير واقعة، والأدلة في مثل هذا إما نصوص تاريخية ثابتة الرواية وإما أن يشعر المتكلم مخاطبة بأنه يريد تصوير حادثة تصويراً فنياً، وإما أن يبدوا للمخاطب من طبيعة الحادثة ما يجعلها مستحيلة الوقوع، ولم يرد نص تاريخي ينفي ما اشتملت عليه القصة من خطاب الله تعالى لعيسى وجواب عيسى عليه السلام، ولم يقل الله تعالى لا صراحة ولا تلويحاً إن هذه القصة مخلوقة غير واقعة وإنما أريد تصوير حادثة تصويراً فنياً، وليس في القصة معنى يحكم العقل المنطقي باستحالتها اهـ^(٦).

الوقف الثانية:

في قوله تعالى ﴿اتخذوني وأمي إلهين﴾ يردُّ هنا سؤال وهو هل قال النصارى بالوهية أم عيسى عليهما السلام؟ قلت: هذا سؤال وجيه أورده العلماء وأجابوا عليه بالإيجاب.

قال الخازن في تفسيره (لباب التأويل): فإن قلت إن النصارى لم يقولوا بإلهية مريم،

(١) سورة النساء آية: ١٢٢.

(٢) سورة آل عمران آية: ٦٢.

(٣) سورة الكهف آية: ١٣.

(٤) سورة القصص آية: ٣.

(٥) عالم أديب أصله من الجزائر وولد في تونس ١٢٩٢هـ ونشأ بها وتلقى العلم بجامعة الزيتونة وتولى القضاء في تونس ثم انتقل إلى دمشق فالقسنطينية، ثم عاد إلى دمشق فمصر وبها أقام وتولى مشيخة الأزهر، وتوفي سنة ١٣٧٧هـ ترجمته في: معجم المؤلفين ٢/٢٧٣.

(٦) (بلاغة القرآن) ص ٩٦، والمقال في (مجلة الهداية الإسلامية) الجزء السابع والثامن من المجلد العشرين محرم وصفر عام ١٣٦٧هـ، والجزآن الأول والثاني من المجلد الحادي والعشرين رجب وشعبان ١٣٦٧هـ.

فكيف قال: اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قلت: إن النصارى لما ادعت في عيسى أنه إله ورأوا أن مريم ولدته لهم بهذه المقالة على سبيل التبعية اهـ^(١).

وقال محمد أحمد العدوي في كتابه (دعوة الرسل إلى الله تعالى، وأما أمه - يعني أم عيسى عليه السلام - فعبادتها كانت متفقاً عليها في الكنائس الشرقية والغربية بعد قسطنطين، ثم أنكرت عبادتها فرقة البروتستانت التي حدثت بعد الإسلام بقرون، وهذه العبادة التي توجهها النصارى إلى مريم والدة المسيح عليهما السلام منها ما هو صلاة ذات دعاء وثناء واستغاثة واستشفاع، ومنها صيام ينسب إليها، ويسمى باسمها، وكل ذلك يقرب بالخضوع، والخشوع لذكرها ولصورها وتمثيلها، واعتقاد السلطة الغيبية لها، التي يمكنها بها في زعمهم أن تنفع وتضر في الدنيا والآخرة بنفسها أو بواسطة ابنها.

ومن النصوص الدالة على عبادة النصارى لمريم قول الأب لويس في مقالة له عن الكنائس الشرقية: إن تعبد الكنيسة الأرمنية للبتول الطاهرة أم الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ولعنهم لعناً كبيراً كثيراً - لأمر مشهور. وقوله: وقد امتازت الكنيسة القبطية بعبادتها للبتول المغبوظة أم الله اهـ منه^(٢).

الوقفه الثالثة:

قال الزمخشري: فإن قلت: المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال: ﴿وإن تغفر لهم﴾؟ قلت: ما قال إنك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على: إن غفرت، فقال: إن عذبتهم عدلت،

(١) تفسير الخازن ٩٤/٢.

(٢) انظر ابن الجوزي في تفسيره ٤٦٤/٢، والماوردي ٨٧/٢، والقرطبي ٣٥١/٦، والألوسي ٥٦/٦ وقال العلامة محمد رشيد رضا في تفسير المنار: ٢٦٣/٧: أول نص صريح رأيت في عبادة النصارى لمريم عبادة حقيقية ما في كتاب (السواعي) من كتب الروم الأرثوذكس وطوائف الكاثوليك يصرحون بذلك ويفخرون به، وقد زين الجزويت في بيروت العدد التاسع من السنة السابعة لمجلتهم (المشرق) بصورتها وبالنقوش الملونة إذ جعلوه تذكراً لمرور خمسين سنة على إعلان البابا بيوس التاسع أن مريم البتول ((حبل بها بلا دنس الخطيئة)) وأثبتوا في هذا العدد عبادة الكنائس الشرقية لمريم كالكنائس الغربية. وانظر العدد الرابع عشر من مجلد السنة الخامسة من مجلة المشرق الكاثولوكية البيروتية بقلم (الأب انستاس الكرمللي) مقال بعنوان (أصل رهبانية الكرمل) وجعل عنوان أول فصل من هذا المقال: (قدم التعبد للعدراء) فقد صرح فيه بأن لعبادة مريم العدراء أصلاً في العهد العتيق.

لأنهم أخصاء بالعذاب، وإن غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة، لأن المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول، بل متى كان الجرم أعظم جرماً كان العفو عنه أحسن^(١).

وأورد الرازي السؤال فقال: وفيه سؤال. وهو أنه كيف جاز لعيسى عليه السلام أن يقول ﴿وإن تغفر لهم﴾ والله لا يغفر الشرك؟ ثم ذكر في الإجابة عدة أقوال نذكر منها قوله: أنه يجوز على مذهبنا من الله تعالى أن يدخل الكفار الجنة، وأن يدخل الزهاد والعباد النار، لأن الملك ملكه ولا اعتراض لأحد عليه، فذكر عيسى هذا الكلام ومقصوده منه تفويض الأمور كلها إلى الله، وترك التعرض والاعتراض بالكلية، ولذلك ختم الكلام بقوله ﴿فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ يعني أنت قادر على ما تريد، حكيم في كل ما تفعل لا اعتراض لأحد عليك، فمن أنا والخوض في أحوال الربوبية.

وقوله: إن الله لا يغفر الشرك، فنقول: إن غفرانه جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة^(٢) قالوا: لأن العقاب حق الله على المذنب وفي إسقاطه منفعة للمذنب، وليس في إسقاطه على الله مضرة، فوجب أن يكون حسناً^(٣).

(١) الكشاف: ١ / ٦٨١ - ٦٨٢.

(٢) المعتزلة: فرقة من الفرق الضالة، وأصل تسميتهم بذلك أن أصل بن عطاء كان تلميذاً للحسن البصري، وخالف الحسن في حكم مرتكب الكبيرة، وقال إنه في منزلة بين المنزلتين، واعتزل حلقة الحسن البصري، فأطلق عليه وعلى جماعته المعتزلة. وهم فرق عديدة يشتركون في القول: بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه. ولهم أصول خمسة وهي: التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وستروا تحت هذه الأصول معان فاسدة زائغة فستروا تحت مسمى التوحيد نفي الصفات، ويريدون بالعدل: القول بنفي القدر أما المنزلة بين المنزلتين فأرادوا أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر، فقد خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر. وأما الوعد والوعيد فأرادوا به أن مرتكب الكبيرة إن مات ولم يتب فهو خالد مخلد في النار؛ لأن الله يجب أن ينفذ وعده ووعيده، وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأرادوا به وجوب الخروج على الأئمة إذا جاروا وظلموا، ووجوب دعوة الناس إلى ما ذهبوا إليه بالقوة. انظر (شرح الأصول الخمسة) للقاضي عبد الجبار (الفرق بين الفرق) ص ٩٣ الملل والنحل ٥٦/١.

(٣) التفسير الكبير: ١٢/١١٣ مع التصرف اليسير بالاختصار.

وفي جواب كليهما مزالقي خطيرة وللرد عليهما أقول:

أولاً: أن معنى الآية يرد عليهما، فمعناها - والله أعلم - بحسب ما يدل عليه سياق الآية وسباقها ويعضده أدلة الكتاب والسنة هو:

﴿إن تعذبهم﴾ على كفرهم ﴿فإنهم عبادك﴾ وأنت أرحم بهم من أنفسهم، وأعلم بأحوالهم، فلولا أنهم عباد متمردون، لم تعذبهم.

﴿وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز﴾ أي فمغفرتك صادرة عن تمام عزه وقدره، لا كمن يغفر ويعفو عن عجز وعدم قدرة. ﴿الحكيم﴾ حيث كان مقتضى حكمتك، أن تغفر لمن أتى بأسباب المغفرة^(١).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: وهذا من أبلغ الأدب مع الله في مثل هذا المقام. أي شأن السيد رحمة عبيده والإحسان إليهم، وهؤلاء عبيدك ليسوا عبيداً لغيرك. فإذا عذبتهم - مع كونهم عبيدك - فلولا أنهم عبيد سوء من أبخس العبيد، وأعتاهم على سيدهم، وأعصاهم له، لم تعذبهم، لأن قرينة العبودية تستدعي إحسان السيد إلى عبده ورحمته. فلماذا يعذب أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، وأعظم المحسنين إحساناً عبيده؟ لولا فرط عتوهم، وإباؤهم عن طاعته وكمال استحقاقهم للعذاب.

... وليس في هذا استعطاف لهم، كما يظنه بعض الجهال. ولا تفويض إلى محض المشيئة والملك المجرد عن الحكمة، كما تظنه القدريّة^(٢)، وإنما هو إقرار واعتراف وثناء عليه سبحانه بحكمته وعدله، وكمال علمه بمآلهم^(٣).

ثانياً: قولهم المغفرة للكافر جائزة.. بل وكلما كان أكثر جرماً وكفراً كان العفو عنه أحسن وأكمل كما قاله الزمخشري.

(١) انظر السعدي ٥٣٣/٢ تفسير أبي المظفر السمعاني ٨٣/٢، ٨٤؛ وزاد المسير ٤٦٥/٢.

(٢) القدريّة: هم المعتزلة، وقد سبق التعريف بهم.

(٣) تفسير ابن القيم جمع الصالحين ٤٧٣/٢ - ٤٧٤ مع التصريف اليسير، وقد تقدم له قريباً كلاماً عن الحكمة في قوله ﴿العزيز الحكيم﴾ ولم يقل ﴿الغفور الرحيم﴾.

فهذا الذي أجازوه واستحسنوه فيه منافاة مع نصوص الوحيين الكتاب والسنة ومناقضة للحكمة التي من أجلها خلق الله الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب وخلاف مقتضى عدل الله تعالى وتنزيهه عن الظلم والعبث واللغو.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٢).

ثالثاً: في قول الرنخشري (لم تعدم وجه حكمة) بعد قوله: (وإن غفرت لهم.. الخ كلامه.

فيه سوء أدب في الخطاب مع الله تعالى وقد تعقبه ابن المنير^(٣) فقال: فكيف يخاطب الله تعالى به فعلم أن عيسى عليه السلام يبرأ إلى الله من هذا الإطلاق وما اشتمل عليه من سوء الأدب، فإن قول القائل لمن يخاطبه: ما فعل كذا فلن يعدم فيه عذراً ووجهاً من المصلحة، كلام مبذول، وعبارة نازلة عن أوفى مراتب الأدب، إنما يطلقها المتكلم لمن هو دونه عادة، فنسأل الله إلهام الأدب، وتجنب ما في إساءته من مزلات العطب اهـ^(٤).

رابعاً: قول الرازي يجوز على مذهبنا من الله تعالى أن.. وأن يدخل الزهاد والعباد النار؛ لأن الملك ملكه، ولا اعتراض لأحد عليه.

(١) سورة الأنبياء الآية: ١٦ - ١٨.

(٢) سورة ص الآية: ٢٧.

(٣) أحمد بن محمد بن منصور المنعوت بناصر الدين المعروف بابن المنير الإسكندراني المالكي ولد سنة ٦٢٠ هـ كان إماماً بارعاً في الفقه وفي الأصولين والعربية وعلم النظر وعلم البلاغة والتفسير والقراءات، وكان خطيباً مصقاً ولي القضاء والخطابة توفي سنة ٦٨٣ هـ. من آثاره: (البحر الكبير في نخب التفسير) (المقتفى في آية الإسراء) وله على تراجم البخاري (المناسبات) وغيرها. ترجمته في: طبقات المفسرين للداوودي: ٨٩/١ حسن المحاضرة: ٣١٦/١، مرآة الجنان: ١٩٨/٤.

(٤) الانتصاف حاشية على الكشاف ٦٨٢ / ١.

كلامه هذا اشتمل على مخالفة صريحة لنصوص الكتاب والسنة الدالة على عدل الله تعالى وتنزيهه عن الظلم، فالله تعالى عدل لا يظلم مثقال ذرة ولا أقل من ذلك، وقوله حق ولا يجزي أحداً إلا بذنبه، والنصوص على ذلك كثيرة كاثرة لا تحصى؛ نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُنْ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * أَنْفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٥).

وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»^(٦).

الوقفه الرابعة:

قال أبو المظفر السمعاني^(٧) رحمه الله تعالى: اعلم أن في مصحف ابن

(١) سورة النساء الآية: ٤٠.

(٢) سورة طه الآية: ١١٢.

(٣) سورة ص الآية: ٢٨.

(٤) سورة ن الآيات: ٣٤ - ٣٦.

(٥) سورة الزلزلة الآيات: ٧، ٨.

(٦) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد حديث رقم ٤٩٠، والإمام مسلم كتاب البر والصلة والأدب حديث رقم ٥٥.

(٧) الإمام العلامة مفتي خراسان منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني المروزي الحنفي ثم الشافعي ولد سنة ٤٢٦هـ وحيد عصره في وقته فضلاً وزهداً وورعاً تفقه بأبيه وصار من فحول أهل

مسعود: وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، وكان ابن شنبوذ^(١) يقرأ كذلك زماناً بيغداد^(٢).

قلت: إن قوله ﴿العزیز الحکیم﴾ بعد قوله ﴿وإن تغفر لهم﴾ هي القراءة المتواترة وبها يستقيم معنى الآية (فإن قوله سبحانه وتعالى ﴿وإن تغفر﴾ يوهم أن الفاصلة تكون ﴿الغفور الرحيم﴾ لمناسبة ما بين الغفران والغفور، ويذهل هذا التوهم عن كونهم مستحقين العذاب دون الغفران فيجب أن يكون ﴿العزیز الحکیم﴾ إذ لو جاءت ﴿الغفور الرحيم﴾ بعد ذكر الغفران لكان ذلك تسجيل بالغفران، وهم لا يغفر لهم، فوجب أن تكون الفاصلة ﴿العزیز الحکیم﴾، لأنه لما جاء في تقسيم الشرط الذي جاء توطئة ﴿وإن تغفر لهم﴾ وجب أن يقول ﴿العزیز﴾ لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه، ولا يعارضه فيه، فهو ممتنع من القهر والمعارضة، و ﴿العزیز﴾ الممتنع القاهر، ولا بد أن يوصف بعد وصفه بالعزة بالحكمة، لأن الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه، وربما ظهر من فعله ما يتوهم الضعفاء، أنه جار على غير الحكمة لخباء وجوه الحكمة، وامتناع علم الغيب على المخلوق القاصر عن إدراك أسرار الربوبية^(٣). أما عن هذه القراءة عن ابن مسعود فإنها شاذة.

قال ابن الجزري^(٤): نص كثير من العلماء على أن الحروف التي وردت عن أبي وابن مسعود وغيرهما مما يخالف هذه المصاحف منسوخة، وأما من يقول إن بعض الصحابة كابن

= النظر وأخذ يطالع الحديث قال الذهبي: تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة، وكان شوكاً في عين المخالفين وحجة لأهل السنة توفي سنة ٤٨٩هـ. من آثاره: (القواطع) في أصول الفقه و(منهاج أهل السنة) و(الانتصار)

ترجمته في: طبقات الشافعية ٣٣٦/٥، وطبقات المفسرين للداوودي ٣٣٩/٢، وسير الأعلام ١١٤/١٩.

(١) شيخ المقرئين أبو الحسن محمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ، المقرئ، أكثر الترحال في الطلب توفي سنة ٣٢٨هـ. ترجمته في: معرفة القراء ٢٢١/١، النجوم الزاهرة: ٢٦٧/٣، سير الأعلام: ٢٦٥/١٥.

(٢) تفسير القرآن ٨٣/٢.

(٣) (بديع القرآن) لابن أبي الأصبغ ص ٢٣٦.

(٤) محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف أبو الخير المنعوت بابن الجزري الدمشقي الشافعي الحافظ شيخ الإقراء في زمانه ولد سنة ٨٥١هـ أخذ القراءات وسمع الحديث وأذن له في الافتاء ابن كثير

مسعود كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه، إنما قال: نظرت القراءات فوجدتهم متقاربين فاقروا كما علمتم^(١).

وأما أن ابن شنبوذ كان يقرأ كذلك زماناً ببغداد فمنع عن ذلك.
قلت: ابن شنبوذ رحمه الله تعالى كان إماماً صدوقاً أميناً متصوناً، كبير القدر كما وصفه الذهبي في سير الأعلام^(٢).

لكنه أخطأ في القراءة بالشواذ قال الإمام الذهبي: كان له رأي في القراءة بالشواذ التي تخالف رسم الإمام فنقموا عليه لذلك، وبالغوا وعزروه^(٣).
وما عارضوه أصلاً فيما أقرأ به ليعقوب^(٤)، ولا لأبي جعفر^(٥)، بل فيما خرج عن المصحف العثماني، وقد ذكرت ذلك مطولاً في طبقات القراء^(٦).

الوقفه الخامسة:

قال أبو جعفر النحاس^(٧) وقوله جل وعز ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ سئل بعض أهل النظر عن معنى هذا فقيل له: لو صدق الكافر، وقال: أسأت، لم ينفعه ذلك؟

= والسراج البلقيني وولي قضاء الشام كان إماماً في القراءات حافظاً للحديث توفي سنة ٨٣٣هـ. من آثاره: في النظم (طبية النشر في القراءات العشر) وفي النحو (الجوهرة). ترجمته في: الدرر الكامنة: ٣/٣٩٥ طبقات المفسرين للداوودي: ٦٤/٢ - ٦٥.

(١) النشر في القراءات العشر: ٨٦/١.

(٢) ٢٦٥/١٥.

(٣) تاريخ بغداد ١/٢٨٠ - ٢٨١؛ وفيات الأعيان ٤/٢٩٩ - ٣٠٠. ولشيخ الإسلام ابن تيمية تعليق على قصته انظر الفتاوى ١٣/٣٩٢ - ٣٩٣.

(٤) يعقوب ابن إسحاق أحد القراء العشرة، توفي سنة ٢٠٥هـ. ترجمته في سير الأعلام ج ١٠ رقم الترجمة ٣٠.

(٥) أبو جعفر المخزومي، يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة، تابعي مشهور، كبير القدر، توفي سنة ١٣٠. ترجمته في: سير الأعلام ج ٥ رقم ٣٦.

(٦) انظره في ١/٢٢٢ من طبقات القراء.

(٧) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المفسر المصري النحوي ولد في مصر سنة ٢٦٠ هـ تقريباً نشأ دؤوباً على طلب العلم ورحل في طلبه حتى صار إماماً في العربية والتفسير والحديث توفي سنة

والجواب عن هذا:

أن يوم القيامة يوم مجازاة، وليس بيوم عمل، فإنما المعنى: هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم في الدنيا وتركهم الافتراء على الله جل اسمه وعلى رسله...^(١).

قلت: وهو كما قال لكن عموم الصادقين في الآية يشمل الصدق الصادر في ذلك اليوم والصادر في الدنيا، فأما نفع الصادر في الدنيا فهو حصول ثوابه، وأما نفع الصادر في الآخرة، كصدق المسيح فيما قاله فهو برضى الله عن الصادق أو تجنب غضبه على الذي يكذبه^(٢).

الوقفه السادسة:

قال ابن عاشور ومعنى نفع الصدق صاحبه في ذلك اليوم، أن ذلك اليوم يوم الحق، فالصادق ينتفع فيه بصدقه، لأن الصدق حسن فلا يكون له في الحق إلا الأثر الحسن، بخلاف الحال في عالم الدنيا عالم حصول الحق والباطل فإن الحق قد يجزأ لصاحبه بتحريف الناس للحقائق، أو بمؤاخذته على ما أخبر به بحيث لو لم يخبر به لما اطلع عليه أحد. وأما ما يترتب عليه من الثواب في الآخرة فذلك من النفع الحاصل في يوم القيامة.

قلت: والأمر كما قال لكن يجب التفطن أنه حتى في عالم الدنيا إن كان الكذب ينجي أحياناً فالصدق أنجي، ونفع الصدق في الدنيا واضح جلي، فمن ذلك النفع: (حب الحق وإيثاره وقوة الإرادة ومحبة الآخرين، والسعادة، وصفاء البال، وحلول البركات..)^(٣).

صحيح أنه ربما حصل بعض الأذى في الدنيا بسبب الصدق لكن ذلك ما هو إلا ابتلاء وتمحيص سرعان ما يتلاشى، ويبقى أثر الصدق وعاقبته الحسنة في الدنيا قبل الآخرة، ولا أدل

= ٣٣٨هـ. من آثاره: (إعراب القرآن) (شرح السبع الطوال) (أدب الكتاب). ترجمته في: وفيات

الأعيان: ١/١٠٠، الوافي بالوفيات: ٧/٣٦٢، سير الأعلام: ١٥/٤٠٢.

(١) معاني القرآن الكريم ٢/٣٩٤ بتصرف.

(٢) انظر: ابن عاشور ٧/١١٣.

(٣) انظر هذه المنافع وغيرها بالتفصيل في كتاب الصدق في القرآن الكريم دراسة موضوعية: من ٢٥٩ -

على ذلك من قصة كعب بن مالك^(١) فقد ابتلي في الصدق لكن سرعان ما رأى حسن مغبته في الدنيا.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ^(٢).

(١) انظر الحديث في صحيح البخاري، كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك حديث: ٤١٥٦، ١٦٠٣/٤ - ١٦٠٩، وهو في الفتح ١١٣/٨ - ١١٦. وفي صحيح مسلم كتاب التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، حديث ٢٧٦٩، ٢١٢٠/٤ - ٢١٢٩.

(٢) سورة التوبة الآيات: ١١٧ - ١١٨.

الفصل الثاني: حوار الله تعالى مع الملائكة:

قال الله تعالى عن الملائكة: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ

يَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

افتدى عليهم المشركون كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَانِ إِنِاثًا﴾ ^(٢) وبنوا على ذلك بناء سوء على حرف هارٍ فانهار بهم في نار جهنم إذ قالوا إفكاً وزوراً، الملائكة بنات الله ونحن نعبدهم حتى يشفعن لنا عند الله كما قال الله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ^(٣) قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطِرُنَ مِنْهُ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ^(٤) هيهات لما يقولون من قول فاسد، بين الفساد، فالملائكة ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ^(٥) إذ يحشر الله تعالى يوم القيامة المشركين جميعاً مع معبوداتهم من دون الله تعالى للحساب والجزاء ﴿وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا تَمَّ يَقُولُ...﴾ ^(٦).

(١) سورة الأنبياء الآية: ٢٦ - ٢٧.

(٢) سورة الزخرف الآية: ١٩.

(٣) سورة الزمر الآية: ٣.

(٤) سورة مريم الآية: ٨٩ - ٩٣.

(٥) سورة مريم الآية: ٨٢.

(٦) سورة سبأ الآية ٤٠، وهذه قراءة ابن كثير وعاصم ويعقوب قال ابن أبي مريم في كتابه (الموضح): والوجه أن الضمير يعود إلى الرب... وقرأ ابن عامر ﴿ويوم نحشرهم﴾ ثم نقول ﴿بالتون فيها. والوجه أنه على الإخبار عن النفس الوارد على لفظ الجمع المعبر عن التعظيم. وقرأ نافع وأبو عمر وحمزة والكسائي وعاصم ﴿نحشرهم﴾ بالتون و ﴿يقول﴾ بالياء على لفظ الأفراد، والمعنى فيهما واحد أخذاً بالأفراد، ويجوز أن يكون أفرادهم الضمير في القول لأجل أن ما يتصل به مما بعده جاء على لفظ الأفراد وهو قوله تعالى ﴿أأنتم أضللتم عبادي﴾ فاختاروا لفظ الأفراد في ﴿يقول﴾ إرادة التناسب. وأما ﴿نحشرهم﴾ فإنه منقطع عما قبله، وهو وما قبله كلامان، فيحسن أن يرد أحدهما بلفظ الأفراد والآخر بلفظ الجمع. اهـ منه ٩٢٦/٢ - ٩٢٧، وانظر حجة أبي زرعة ص ٥٠٨.

ويدور الحوار التالي بين الله جل وعلا والملائكة، فيسأل الله تعالى الملائكة تقريباً وتوبيخاً وإهانة للمشركين على رؤوس الخلائق، فيقول للملائكة: ﴿أَهْوَاءَ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾^(١) بأمر منكم كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾^(٢).

(وإنما خص الملائكة بالذكر مع أن بعض المشركين قد عبدوا غيرهم من الشياطين والأصنام لأنهم أشرف معبودات المشركين)^(٣).

(ولأن عبادتهم مبدأ الشرك وأصله لزعمتهم أن الأوثان على صورة الهياكل العلوية المقربة)^(٤)

قال الزمخشري: هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار، وارد على المثل السائر ((إياك أعني واسمعي يا جارة))^(٥): ونحوه قوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ

(١) قال القاضي عبد الجبار: كيف يصح ذلك وفيهم من لم يكن يعبد الملائكة بل أكثرهم ليس بهذه الصفة؟.

وجوابنا: أن الغرض إبطال عبادة غير الله دون بيان لمن كانوا يعبدون من ملك أو جن أو صنم ولذلك قال تعالى بعده ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضِرًّا﴾ فإذا أقبل على الملائكة جل وعز نبه على أن من عبدهم فقد عبد من لا يملك له ضراً ولا نفعاً فقد نبه بذلك على أن عبادة الجن والصنم بهذا التوبيخ أولى. اهـ من كتابه تنزيه القرآن ص ٢٩١.

(٢) سورة الفرقان الآية: ١٧.

(٣) فتح القدير للشوكاني: ٣٣١/٤؛ وانظر أبو السعود: ٤٦٣/٤.

(٤) القاسمي في تفسيره محاسن التأويل.

(٥) عجز بيت لسهل بن مالك الفزاري إذ يقول:

يا أخت خير البدو والحضارة كيف ترين في فتى فزاره

أصبح يهوى حرة معطارة إياك أعني واسمعي يا جاره

يخاطب أخت حارثة بن لأم، وكان قد سألها عن أخيها فلم يجده فأنزله وأكرمه فأراها في غاية الجمال والكمال، فأنشد ذلك، فأجابته بقولها:

إني أقول يا فتى فزاره لا أبتغي الزوج ولا الدعارة

ولا فراق أهل هذي الحارة فارحل إلى أهلك باستحاره

انتهى من مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان المرزوقي حاشية مع الكشاف ٥٦٩/٣.

مِنْ دُونِ اللَّهِ^(١) وقد علم الله تعالى أن الملائكة وعيسى منزهون عما نسب إليهم، والغرض من السؤال والجواب، أن يكون تقرير المشركين أشد، وحجلهم أعظم^(٢). (فالملائكة صلوات الله عليهم إذا كذبتهم كان في ذلك تبيكيت لهم فهو استفهام توبيخ للعابدين)^(٣)

فأجاب الملائكة ﴿سبحانك﴾ تنزهت وتقدست عن أن يكون معك إله (وتنزيهاً لك عما فعل هؤلاء الكفرة ثم برؤوا أنفسهم)^(٤) فقالوا ﴿أنت ولينا من دونهم﴾ فنحن عبيدك، ونبراً إليك من هؤلاء، فأنت الذي نتولاه ونطيعه ونعبده^(٥)، من دونهم، ما اتخذناهم عابدين ولا توليناهم، وليس لنا غيرك ولياً، ولم نرض بعبادتهم^(٦) (فنحن نتولاك ولا تتولاهم يعني كونك ولي بالعبودية أولى وأحب إلينا من كونهم أولياءنا بالعبادة لنا)^(٧).

ثم صرحوا بما يعبده المشركون فقالوا: ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ من شياطين وجنودهم فهم أضلوهم وزينوا لهم عبادة الأوثان ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ فأكثر المشركين بالجن مؤمنون بهم، مصدقون لهم، مطيعون لأمرهم، ومن ذلك أمرهم بعبادة الأصنام كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَاتَّخِذْ مِنْ عِبَادِكِ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَلَا ضِلَالَنَّهُمْ وَلَا مَنِيْنَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَتَّكُنْ آذَانَ الْإِنْعَامِ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وِليًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾^(٨).

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: أي أكثرهم بالجن مصدقون، يزعمون أنهم بنات

(١) سورة المائدة الآية: ١١٦

(٢) الكشاف: ٥٦٩/٣ - ٥٧٠؛ وانظر الخازن: ٤٥٠/٣، وابن الجوزي: ٤٦٣/٦.

(٣) (معاني القرآن) لأبي جعفر النحاس: ٦٧٩/٢.

(٤) ابن عطية ١٤٥/١٣.

(٥) انظر القرطبي: ٢٩٧/١٤.

(٦) انظر زاد المسير ٤٦٣/٦.

(٧) تفسير ابن عادل: ٧٩/١٦.

(٨) سورة النساء الآية: ١١٧ - ١١٩.

الله، تعالى عما يقولون علواً كبيراً^(١).

فيقول الله تعالى موجهاً الكلام للملائكة، ومن عبدهم^(٢):

﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا﴾.

وقال أبو السعود: هذا من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبرؤ عما نسب إليهم الكفرة، يخاطبون بذلك على رؤوس الأشهاد، وإظهاراً لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيماً على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية^(٣). وفي نفي النفع إفادة الحسرة للعابدين، وفي نفي الضر إشارة إلى أن العبادة إنما تكون رغبة أو رهبة والرغبة تتمثل في جلب نفع المعبود للعابد والرهبة تتمثل في دفع عقاب وضرر عذاب المعبود فينفي الضر إلى أن الملائكة ليس فيهم ذلك الوجه الذي يحسن لأجله عبادتهم^(٤).

ثم يخاطب الله تعالى المشركين الذين عبدوا الملائكة فيقول لهؤلاء الظالمين: ﴿ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ فهو اليوم حقيقة تلمسونها لا مجال لتكذيبه، كما كنتم تكذبون به في الدنيا، عندما كانت تأتيكم آياتنا بينات فتقولون: ﴿ما هذا إلا إفك مفترى﴾ لا مصداق له في الواقع، وتنسبونه للسحر كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(٥).

أما اليوم فيدعون إلى النار ويقاسون عذابها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾^(٦).

(١) جامع البيان: ٢٢ / ٦٩.

(٢) انظر ابن عطية ١٣ / ١٤٥.

(٣) إرشاد العقل السليم: ٤ / ٤٦٣.

(٤) انظر تفسير ابن عادل ١٦ / ٨١.

(٥) سورة سبأ الآية: ٤٣.

(٦) سورة الطور الآية: ١٣ - ١٥.

فهذا جزاء من عبد غير الله، وكذب بجزائه وعذابه ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا

سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١).

(١) سورة الطور الآية: ١٦.

الفصل الثالث : حوار الله تعالى مع الكافرين ،

وفيه مباحث :

المبحث الأول : عند لقاء الله وقيامهم بين يديه :

المبحث الثاني : عند سؤال الأمم عن بعثة الرسل .

المبحث الثالث : عند سؤالهم عن شركائهم الذين

كانوا يزعمون .

المبحث الرابع : عند سؤال المعبودين وتبرئهم ممن

عبدتهم .

المبحث الخامس : حوار الله تعالى عند استجواب الجن

في إضلالهم للإنس

المبحث السادس : حوار الله تعالى مع الكافرين وهم

في غمرات العذاب .

الفصل الثالث: حوار الله تعالى مع الكافرين:

تمهيد:

في هذا الفصل نستعرض آيات الحوار في كتاب الله تعالى بين الله تعالى والكفرة المعاندين، فإن الله تعالى ينظر إلى الكفار يوم القيامة، ويكلمهم، ولكن ليس كلاماً ونظراً يرحمهم به، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: يعني لا يكلمهم الله كلام لطف بهم، ولا ينظر إليهم بعين الرحمة ﴿ولا يزكّيهم﴾ من الذنوب والأدناس، بل يأمر بهم إلى النار^(٢).

فإن جميع ما يقال لهم هو على سبيل التوبيخ والتقريع، والتبكييت، سواء عندما يوقفون بين يدي أحكم الحاكمين، حيث يجلسون للمساءلة والمحاسبة، أمام رب الأرباب، كما يقف العبد الجاني بين يدي سيده للعقاب، وهناك يسألهم الله تعالى، سؤال توبيخ وتأنيب، عن كفرهم بالله تعالى، وتكذيبهم لرسوله. أو عندما يوقفون على النار، أو عند مقاساتهم للعذاب.. إلى آخر ما هنالك من مواقف.

ولحكم عظيمة، وفوائد جلييلة، أورد الله تعالى، آيات الحوار هذه في كتابه العظيم منها:

تسليية الرسول ﷺ، بأن هؤلاء الكفرة، الطغاة، المعاندين، المستكبرين، سيأتي يوم لا مردّ له، يحاسبون فيه^(٣)، فيندمون على كل ما فعلوا، ويقرون بين يدي الله تعالى أن ما جاء به رسل الله هو الحق المبين، ويتمنون العودة إلى الدنيا؛ ليؤمنوا ويعملوا صالحاً، ولكن هيهات.

(١) سورة آل عمران الآية: ٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير: ١ / ٥٦١.

(٣) سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن الكفار هل سيحاسبون يوم القيامة أو لا؟ فقال: هذه المسألة تنازع فيها المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم.. إلى أن قال: وفصل الخطاب: أن الحساب يراد به عرض لأعمالهم وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات، فإن أريد بالحساب المعنى الأول فلا ريب أنهم يحاسبون بهذا الاعتبار. وإن أريد المعنى الثاني: فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة. فهذا خطأ ظاهر. وإن أريد أنهم يتفاوتون في

وفيها أيضاً تذكير وتخويف للكفار الجاحدين، المكذبين باليوم الآخر، وإيقاظ لهم من رقدتهم، وتنبية لهم من غفلتهم.

قال الزمخشري: ويكون اقتصاص ذلك لطفاً لمن سمعه، وزاجراً لمن اقتص عليه (١).

وقال الخازن: والمقصود من شرح حالهم تحذير السامعين وزجر لهم عن الكفر والمعاصي (٢). وأنه ما بينهم وبين اليوم الآخر أمداً بعيداً، بل ما بينهم وبينه إلا أن تقبض أرواحهم، فيصبرون إلى أول منزل من منازل الآخرة، فما هي ﴿إِلَّا صَيِّحَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُخَضَّرُونَ﴾ (٣)، يقومون من قبورهم فيواجهون ﴿يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٤) أي كان شره فاشياً ظاهراً وعالياً منتشراً، ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (٥) (وهذه استعارة، لأن العبوس من صفات الإنسان القاطب المعبس، فشبه سبحانه ذلك اليوم - لقوة دلائله على عظيم عقابه وأليم عذابه - بالرجل العبوس الذي يستدل بعبوسه وقطوبه على إرصاده بالمكروه، وعزمه على إيقاع الأمر المخوف، وأصل العبوس تقييض الوجه، وهو دليل السخط، وضده الاستبشار والتطلق وهما دليلان الرضا والخير، ويقال يوم قمطير وقماطر إذا كان شديد ضره، طويلاً شره) (٦). فيستيقنون حينئذ بما كانوا يكذبون به، فلا رجعة إلى الدنيا، ولا ندم ينفع، فلا طريق للخلاص إلا في هذه الدنيا فالبدار البدار.

ومن الحكم أيضاً - والله أعلم - تثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الحق، وأن لا

= العقاب، فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته، ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب، كما أن أبا طالب أخف عذاباً من أبي لهب. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ سورة النحل آية ٨٨، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ سورة التوبة آية ٣٧، والنار دركات فإذا كان بعض الكفار عذابه أشد عذاباً من بعض - لكثرة سيئاته وقلة حسناته - كان الحساب لبيان مراتب العذاب، لا لأجل دخول الجنة. اهـ من الفتاوى ٤/٣٠٥.

(١) الكشف ٣/٥٧٠.

(٢) لباب التأويل: ١٥٨/٢.

(٣) سورة يس الآية: ٥٣.

(٤) سورة الإنسان الآية: ٧.

(٥) سورة الإنسان الآية: ١٠.

(٦) (تلخيص البيان في مجازات القرآن) للشريف الرضي ص ٣٥٦.

يلتفتوا إلى ما يلاقونه من صنوف الأذى والابتلاء على أيدي المشركين، فإن العاقبة للذين آمنوا،
وأن لهؤلاء الكفرة الفجرة، الحسرة والندامة ولات ساعة مندم.

وفي هذا الفصل نستعرض جميع الحوارات الواردة في القرآن الكريم مع الكافرين في

المباحث التالية:

المبحث الأول: عند لقاء الله وقيامهم بين يديه تعالى:

اللقاء: مقابلة الشيء ومصادفته^(١)، فكل شيء استقبل شيئاً، أو صادفه فقد لقيه من الأشياء كلها^(٢).

ووردت مادة هذا اللفظ في القرآن الكريم بصيغ متعددة^(٣)، والذي يدل منها على المعنى الذي بين يدينا - لقاء الله تعالى - الصيغ التالية:

١- التلاق: في قوله تعالى ﴿يَلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ

التَّلَاقِ﴾^(٤) يوم التلاقي هو يوم القيامة الذي يتم فيه لقاء الله تعالى بعباده.

٢- مُلَاقٍ: في قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِي﴾^(٥) أي ملاقي الله تعالى ليحاسبني.

٣- مُلَاقُوا: في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٦) أي واقفون بين يدي الله يوم العرض واللقاء والحساب والثواب والعقاب.

٤- مُلَاقُوهُ: في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾^(٧) أي واقفون بين يديه يوم القيامة.

٥- ملاقيه: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾^(٨) أي فمقابل ربك يوم الحساب ليجازيك على عملك.

٦- اللقاء وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم مضافاً إلى:

أ - لفظ الجلالة ((الله)) كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾^(٩).

(١) (المفردات) مادة لقي ص ٧٤٥.

(٢) (تهذيب اللغة) ٢٩٩/٩.

(٣) انظر (معجم ألفاظ القرآن الكريم) ٢٣٢/٥ ٢٤٠ وقد استفدت منه الصيغ المذكورة.

(٤) سورة غافر الآية: ١٥.

(٥) سورة الحاقة الآية: ٢٠.

(٦) سورة البقرة الآية: ٤٦ واللفظ في آية ٢٤٩ أيضاً، وفي سورة هود ٢٩.

(٧) سورة البقرة الآية: ٢٢٣.

(٨) سورة الانشقاق الآية: ٦.

(٩) سورة الأنعام الآية: ٣١ واللفظ يونس الآية ٤٥، والعنكبوت الآية ٥.

- ب- إلى « ربكم » كما في قوله تعالى: ﴿يَفْصَلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾^(١).
- ج- إلى « ربهم » كما في قوله تعالى: ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَلَّهِمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).
- د- إلى « ربه » كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾^(٣).

- هـ- إلى ضمير المتكلمين مراداً به الله تعالى: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾^(٤).
- و- إلى ضمير المفرد الغائب عائداً على الله تعالى: كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾^(٥).

القرآن الكريم يذكر دائماً بقاء الله، ومن أجل ذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب، ونصب الأدلة عليه. قال تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَلَّهِمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾^(٦) وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾^(٧).

فالله تعالى يأمرنا أن نستحضر اليقين ببقائه تعالى، في كل شأن من شؤوننا، قال تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٨).

ولا غرابة في التأكيد على اليقين ببقائه تعالى، فإن اليقين بقاء الله تعالى، له ثمار عظيمة، فهو الدافع إلى صالح الأعمال، وأعظمها توحيد الله تعالى، واجتناب سيئها، وأفضعها الشرك

(١) سورة الرعد الآية: ٢.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٤٥، واللفظ في الروم الآية ٨، والسجدة الآية ١٠، وفصلت الآية ٥٤.

(٣) سورة الكهف الآية: ١١٠.

(٤) سورة يونس الآية: ٨٧، واللفظ في الآية ١٥ أيضاً، وفي الفرقان الآية ٢١.

(٥) سورة الكهف الآية: ١٠٥، واللفظ في العنكبوت الآية ٢٣، والسجدة الآية ٢٣.

(٦) سورة الأنعام الآية: ١٥٤.

(٧) سورة الرعد الآية: ٢.

(٨) سورة البقرة الآية: ٢٢٣.

با لله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١). قال أبو الدرداء: أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث: أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل لا غافل عنه وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط ربه أم راض. وأبكاني هول المطلع وانقطاع العمل وموقفي بين يدي الله ولا أدري أيؤمر بي إلى الجنة أم إلى النار.

وفي المقابل من أنكر وكذب بلقاء الله تعالى، فقد خسر الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾^(٢).

يحشرهم جميعاً، وقد مضت الدنيا وانقضت، وكأنها ساعة من نهار، وقد عرف بعضهم بعضاً، الأتباع يعرفون المتبوعين، والمستكبرون يعرفون المستضعفين.. وقد أيقنوا جميعاً بخسرانهم ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾^(٣) حيثئذ يقرهم الله عز وجل بأحقية ما كفروا به في الدنيا، ويوبخهم ويقرهم، وقد عرّضوا ووقفوا بين يدي الحق تبارك وتعالى^(٤)، وقفوا في موقف وأي موقف !!؟ ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم﴾ (تمثيل لحضورهم المحشر عند البعث، شبهت حالهم في الحضور للحساب بحال عبد جنى فقبض عليه فوقف بين يدي ربه. وبذلك تظهر مزية التعبير بلفظ ربهم دون اسم الجلالة)^(٥).

وحذف جواب لو؛ لأنه أبلغ لما في الحذف من تفخيم الشأن وتهويله، كما لو قلت لغلامك: والله لئن قمت إليك، وسكت عن الجواب، ذهب فكره إلى أنواع المكاره من الضرب والقتل وغيرهما، بخلاف ما لو قلت لأضربنك^(٦). والمعنى: ولو ترى أيها الرسول أو أيها السامع بعينيك هؤلاء الضالين المكذبين، لو ترى ما يحل بهم حينئذ وما يكون من أمرهم

(١) سورة الكهف الآية: ١١٠.

(٢) سورة يونس الآية: ٤٥.

(٣) سورة النازعات الآية: ١٢.

(٤) انظر القرطبي: ٣٨٥/٦.

(٥) ابن عاشور في تفسير: ١٨٧/٧.

(٦) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ١٦٧/٥، تفسير الرازي ١٢ / ١٥٧، النيسابوري ١٣٠/٧

ومن ندمهم على كفرهم ومن حسرتهم وتمنيهم ما لا ينال لرأيت أمراً عظيماً لا تدركه العبارة ولا يحيط به الوصف^(١).

وهم في موقف الذل والهوان، يقررهم الله تعالى توبيخاً لهم وتقريعاً: ﴿أليس هذا بالحق﴾؟ فما كنتم تنكرونه في الدنيا من البعث قد وجد، وما كنتم تجحدونه من الجزاء قد حضر.

قال النسفي^(٢): وهذا تعبير لهم على التكذيب بالبعث، وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث: ما هو بحق^(٣). و (إدخال الباء على الحق يفيد تأكيد المعنى)^(٤).

فأجابوا إجابة الدليل المستكين: ﴿بلى وربنا﴾ إنه حق.

قال الإمام البغوي^(٥): أليس هذا البعث والعذاب بالحق؟ ﴿قالوا بلى وربنا﴾ إنه حق، قال ابن عباس: هذا في موقف، وقولهم ﴿وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٦) في موقف آخر، وللقيامه مواقف، ففي موقف يقرون، وفي موقف ينكرون^(٧) اهـ.

عجيب حال هؤلاء الذين كانوا في الحياة الدنيا ينكرون هذا اليوم، وما فيه من بعث وحساب، وجزاء، أشد الإنكار، ويتفننون في نفي وقوعه، ويضربون الأمثال، استنكاراً، واستبعاداً له، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا

(١) انظر المنار: ٣٥٠/٧.

(٢) عبداً لله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي أبو البركات، فقيه أصولي متكلم مفسر، توفي في أيدج - بلد بين خوزستان وأصبهان - سنة ٧١٠ هـ من آثاره: (عمدة العقائد) في علم الكلام (منار الأنوار) في أصول الفقه (الكافي في شرح الواقي) في الفقه الحنفي ترجمته في: الدرر الكامنة ٢/٢٤٧.

(٣) تفسير النسفي: ٩ / ٢، وانظر ابن عطية: ٣٣/٦.

(٤) المنار: ٣٥٨/٧.

(٥) أبو محمد الحسين بن مسعود، ولد سنة ٤٣٣ هـ، الإمام الحافظ الفقيه المجتهد محيي السنة إمام في الكتاب والسنة والفقه، وكان ديناً ورعاً زاهداً عابداً صالحاً، توفي سنة ٥١٦ هـ من آثاره: (التهذيب) في فقه الشافعي (شرح السنة) (مصاييح السنة) ترجمته في: سير الأعلام ٤٣٩/١٩ وطبقات الشافعية: ٧٥/٧.

(٦) سورة الأنعام الآية: ٢٣.

(٧) معالم التنزيل: ١٣٨/٣.

يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ»^(١)، وقالوا ﴿أَنذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنِنَّا لَمَبْعُوثُونَ..﴾^(٢). بل جعلوا كلام الله تعالى ورسوله (عن البعث والنشور، والجنة والنار، مصدر سخرية واستهزاء ، كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلَّ مُمْزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (٧) أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ»^(٣) وضربوا الأمثال تكديماً واستبعاداً ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٤) أما الآن، فلا تكذيب ولا إنكار فقد ﴿وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (١) لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ»^(٥) بل إيمان وكمال يقين، وتأکید تصديقهم بالقسم، إيمان لكنه حين لا ينفع.

قال أبو السعود: أكدوا اعترافهم باليمين، إظهاراً لكمال يقينهم بحقيقته، وإيداناً بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط اهـ^(٦).

فيقول الله تعالى لهم ﴿فذوقوا العذاب﴾ (وخص لفظ الذوق ؛ لأنهم في كل حال يجدونه وجدان الذائق في قوة الإحساس)^(٧).

﴿بما كنتم تكفرون﴾ أي وما ذاك إلا بسبب كفركم في الدنيا بآيات الله الواضحة، وحججه البينة، وبراهينه الساطعة فإن الله لا يظلم أحداً ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾^(٨).

فاليوم يوم مجازاة على الأعمال، وجزاؤكم هو عذاب النار ؛ بسبب كفركم وعدم إيمانكم في دار التكليف حيث ينفع، أما الآن ف ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ

(١) سورة الجاثية الآية: ٢٤.

(٢) سورة الواقعة الآية: ٤٧.

(٣) سورة سبأ الآية: ٧ - ٨.

(٤) سورة يس الآية: ٧٨.

(٥) سورة الواقعة الآية: ١ - ٢.

(٦) تفسير أبو السعود: ١٩٣/٢، وقارن بالقرطبي ٣٨٥/٦.

(٧) التفسير الكبير للفخر: ١٢ / ١٦٢.

وقال ابن عطية في المحرر الوجيز: ١٧٥/٥: عند قوله تعالى: ﴿فذوقوا﴾ استعارة بليغة، والمعنى:

باشروه مباشرة الذائق، إذ هي من أشد المباشرات اهـ.

(٨) سورة النحل الآية: ٢٣.

أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا^(١).

ثم أكد الله تعالى حقيقة ما وصلوا إليه وما كانوا عليه وهو الخسران ﴿قد خسر الذين كذبوا بقاء الله﴾ خسروا ماذا؟ كل شيء، خسروا كل ما ربحه المؤمنون بقاء الله من ثمرات الإيمان، وعبادة الله تعالى ولذة مناجاته: كالقناعة، والإيثار، والرضا من الله في كل حال، والشكر له عند النعمة، والصبر والعزاء والطمأنينة عند المصيبة، وغير ذلك من المزايا التي تصغر معها المصائب والشدائد، ويكبر قدر النعم والمواهب.

وخسروا من ثمرات الإيمان في الآخرة من الحساب اليسير والثواب الكبير والرضوان الأكبر والفوز بالجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كل ذلك يخسره المكذبون بقاء الله بسبب تكذيبهم.

وحذف مفعول (خسر) للدلالة على ذلك كله، وجعل فاعله موصولاً (الذين) لدلالة صلته على سبب الخسران لأن التكذيب بقاء الله تعالى يستلزم من الأعمال والأحوال التي فيها فساد النفس، ومن خسر نفسه بفسادها فقد خسر كل شيء.

فهم عاشوا في خسار إلى آخر لحظة ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة﴾ عاشوا الخسران الأكبر، والتعبير بـ ﴿بغتة﴾^(٢) يشعر أنهم نسوا أنفسهم ونسوا الله فكذبوا وطغوا وتكبروا، والساعة في أصل اللغة الزمن القصير، المعين بعمل يقع فيه.

وإصطلاحاً: هي الوقت الذي ينقضي فيه أجل هذه الحياة، ويخرب هذا العالم، وإنما يكون ذلك في زمن قصير، وعلى ما يلي ذلك من البعث والحساب وهو يوم القيامة، وهذه الساعة ساعة العالم كله، ومن دونها ساعة كل فرد وقيامته وهو الوقت الذي يموت فيه، وكذا ساعة الأمة أو الجيل، ولذلك قالوا إن القيامة ثلاثة: كبرى ووسطى وصغرى. فإذا جاءت القيامة الكبرى حيثئذ ليس لأولئك الضلال إلا أن يعضوا أصابع الندم، ولات ساعة مندم، ونادوا الحسرة ﴿يا حسرتنا﴾^(٣) على ما فرطنا فيها. فهذا أوانك فاحضري، وبرحي بالأنفس ما

(١) سورة الأنعام الآية: ١٥٨.

(٢) قال ابن عاشور: البغتة: فعله من البغت، وهو مصدر بغته الأمر إذا نزل به فجأة من غير ترقب ولا إعلام، ففي البغت معنى المجيء من غير إشعار. اهـ من تفسيره: ١٨٧/٧.

(٣) أضافوا الحسرة إلى أنفسهم ليكون تحسرهم لأجل أنفسهم فهم المتحسرون والمتحسر عليهم وهي الندم الشديد. المصدر السابق.

شئت أن تبرحي. وغمهم ذلك وندمهم إنما هو بسبب تفریطهم وتقصيرهم في وقت كانوا قادرين على الجد والتشمير للفوز بالنعيم الأبدي والنجاة من العذاب السرمدى.

وما تغني عنهم حسرتهم وما تجدي ندامتهم فقد فات الأوان، فحالهم حينئذ بئس الحال، فهم في كرب عظيم وخطب جسيم، وشر مستطير، فأمامهم جهنم وقد خرج عنق منها يتربص بهم، للانطواء عليهم وابتلاعهم، والزبانية يجوبون أرض المحشر، يأخذون المجرمين بالنواصي والأقدام.. وقد تزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، وشدهت أبصارهم، فلا يرتد إليهم طرفهم، وبلغت القلوب - من شدة الخوف والهلع - إلى الحناجر ﴿وَأَفْنَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾^(١) والحمل على ظهورهم كالجبال قد أثقلهم، حمل أيام الحياة وسنينها، التي تصرمت وانقضت على غضب الله، وسخطه ولعنته، اغترار بالمتاع الزائل، وتلذذ بالصد عن سبيل الله، وتفكك بإيقاع الأذى والشر بالمؤمنين، ونشوة بإضلال الخلق.. ذهبت اللذائذ والشهوات، وبقيت أوزارها التي تنوء ظهورهم من حملها، ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾ وفي تسمية الذنب وزر ملحظ بلاغي فالوزر الحمل الثقيل، وأطلق الوزر على الإثم والذنب لأن ثقله على النفس كثقل الحمل على الظهر...

فحالة النفوس فيما تقاسيه من سوء تأثير الذنوب فيها، وما يترتب على ذلك من التعب والشقاء والألام يشبه هيئة الأبدان في حال نوئها بالأحمال الثقيلة، وما تقاسيه في ذلك من الجهد والتعب والزحير.

﴿ألا ساء ما يزررون﴾. وهنا ملحظ بلاغي آخر، وهو أنه بدأ هذه الجملة بـ (ألا) الافتتاحية التي يراد بها العناية بما بعدها وتوجيه ذهن السامع إليه، يفيد المبالغة في تقريره، لسوء تلك الحال التي تلابسهم عند اللهيح بذلك المقال ﴿يا حسرتنا على ما فرطنا فيها﴾ وتأكيد مضمونه، ووجوب الاهتمام بالاعتبار به. وفي ﴿ساء﴾ اشراب فعل الذم لمعنى التعجب أي ما أسوأ تلك الأثقال التي يحملونها^(٢).

(١) سورة إبراهيم الآية: ٤٣.

(٢) تفسير المنار: ٣٥٩/٧-٣٦٢ مع التصرف اليسير بالاختصار، وانظر تفسير ابن عاشور ٧/١٨٧-

وقفه مع آية الحوار:

استدل بالآيات الدالة على لقاء الله تعالى على رؤيته عز وجل (فمن قرأ هذه الآيات - آيات لقاء الله تعالى - ونحوها^(١)) مما لم نذكره، مؤمناً بها علم يقيناً أن مضمونها إخبار الله تعالى بأن العبد سيلقى ربه، لقاء يتضمن المحاسبة والكلام والمقابلة، والمعينة، والجزاء بالعمل الذي كان العبد يعمل في الدنيا، ولم يزل أهل السنة من السلف، وأتباعهم، يستدلون بمثل هذه الآيات على رؤية الله تعالى... فمن أنكر ذلك فقد خالف كتاب الله وسنة رسوله ^{صلى الله عليه وسلم} وسلك غير سبيل المؤمنين، والله تعالى جعل التكذيب بلقائه كفراً، لا ينفع معه عمل كما في قوله تعالى: ﴿والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم﴾^(٢) (٣).

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وقد جاء في الكتاب والسنة ألفاظ من نحو (لقاء الله) كقوله: ﴿ولقد جتتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ وقوله: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا﴾ وقوله: ﴿وعرضوا على ربك صفاً لقد جتتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾ وقوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ وقوله: ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ وقوله: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ وقوله: ﴿إليه المصير﴾ اهـ من الفتاوى: ٤٦٥/٦.

(٢) سورة العنكبوت الآية: ٢٣.

(٣) (شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري) ٣٨/٢ مع التصرف بالاختصار.

المبحث الثاني: عند سؤال الأمم عن بعثة الرسل:

من تمام عدل الله تعالى، وعظيم رحمته تعالى بعباده، وإتماماً لحجته البالغة، لم يدع أمة إلا وبعث فيها رسولاً، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا...﴾^(١) وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(٢).

وفي يوم القيامة عندما يجمع الله تعالى الأولين والآخرين، يأتي الله بالرسول ليشهدوا على أممهم بإبلاغهم البلاغ المبين وإقامة الحججة عليهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤١) *يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا*^(٣) وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾^(٤) (وهذا الموقف هو الذي أبكى رسول الله وخليله محمد بن عبد الله ﷺ، يوم طلب من ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه القرآن، فقرأ حتى بلغ آية النساء السابقة، فقال له ((حسبك الآن)) فإذا عيناه تذرفان))^(٥).

وهذا الموقف من أشد المواقف على الرسل أنفسهم عليهم السلام؛ لأنهم يسألون سؤاليين: هل بلغتكم؟ وبماذا أجابتكم الأمم؟ وهذا الأخير أشدهما، لأن في جوابه هلاك الأمم الضالة جميعاً. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(٦).

ويقرر القرآن العظيم أن الله تعالى إتماماً لحجته البالغة، وعدله الأعلى، يسأل الأمم هذا السؤال العام عن بعثة الرسل فيهم، وعن موقفهم منهم، فيشهدون على أنفسهم^(٧) - كما

(١) سورة النحل الآية: ٣٦.

(٢) سورة النساء الآية: ١٦٥.

(٣) سورة النساء الآية: ٤١ - ٤٢.

(٤) سورة النحل الآية: ٨٩.

(٥) صحيح البخاري: كتاب التفسير تفسير سورة النساء ٨/٥.

(٦) سورة المائدة الآية ١٠٩.

(٧) من ((المدخل)) في موضوع الآخرة ومشاهدها في ضوء القرآن، لعبد الستار فتح الله مع التصرف

اليسير.

سيأتي بيانه - فعندما يحشر الله تعالى كفار الجن والإنس جميعاً، يقول الله تعالى لهم تقريراً، وتوبيخاً، وتقريعاً على رؤوس الخلائق جميعاً:

﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾^(١) يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا؟ ﴿

قال ابن عباس: رسل الجن هم الذين بلغوا قومهم ما سمعوه من الوحي، كما قال

(١) قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١٥٩/١٣: اختلفوا هل كان من الجن رسول أم لا؟ فقال الضحاك: أرسل من الجن رسل كالإنس وتلا هذه الآية قوله: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ فاطر: ٢٢. ويمكن أن يحتج الضحاك بوجه آخر وهو قوله تعالى ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً﴾ الأنعام ٩. قال المفسرون: السبب فيه أن استثناس الإنسان بالإنسان أكمل من استثناسه بالملك، فوجب في حكم الله تعالى أن يجعل رسول الإنس من الإنس، ليكمل هذا الاستثناس؛ إذا ثبت هذا المعنى، فهذا السبب حاصل في الجن، فوجب أن يكون رسول الجن من الجن. والقول الثاني: وهو قول الأكثرين: أنه ما كان من الجن رسول البتة، وإنما كان الرسل من الإنس، ويمكن أن يستدل فيه بقوله تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ آل عمران: ٣٣.

وأجمعوا على أن المراد بهذا الاصطفاء إنما هو النبوة، فوجب كون النبوة مخصوصة بهؤلاء القوم فقط، فأما تمسك الضحاك بظاهر هذه الآية فالكلام عليه من وجوه: الأول: أنه تعالى قال: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ فهذا يقتضي أن رسل الجن والإنس تكون بعضاً من أبعاض هذا المجموع، وإذا كان الرسل من الإنس كان الرسل بعضاً من أبعاض ذلك المجموع، فكان هذا القدر كافياً في حمل اللفظ على ظاهره. فلم يلزم من ظاهر هذه الآية إثبات رسول من الجن.

الثاني: لا يبعد أن يقال: إن الرسل كانوا من الإنس إلا أنه تعالى كان يلقي الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا كلام الرسل، ويأتوا قومهم من الجن ويخبرونهم بما سمعوه من الرسل، وينذرونهم به، كما قال تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾ الأحقاف: ٢٩، فأولئك الجن كانوا رسل الرسل، فكانوا رسلاً لله تعالى، والدليل عليه: أنه تعالى سمى رسل عيسى رسل نفسه، فقال: ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين﴾ يس: ١٤. وتحقيق القول فيه أنه تعالى إنما بكت الكفار بهذه الآية لأنه تعالى أزال العذر وأزاح العلة، بسبب أنه أرسل الرسل إلى الكل مبشرين ومنذرين، فإذا وصلت البشارة والنذارة إلى الكل بهذا الطريق فقد حصل ما هو المقصود من إزاحة العذر وإزالة العلة، فكان المقصود حاصلًا اهـ. انظر جامع البيان ١٢٢/١٢١، والقرطبي: ٨٧/٦، وابن الجوزي ١٢٦/٣، وروح المعاني: ٢٨/٨.

﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ..﴾^(١) ﴿٢﴾.

فلا يجدون سبيلاً إلا الاعتراف، والإقرار بالحقيقة، فأقروا، واعترفوا^(٣): ﴿قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ أن رسل الله قد جاءتنا، وبلغتنا

آياته، التي فيها الأمر والنهي، والوعد والوعيد، وأنذرتنا لقاء هذا اليوم العصيب، لكننا لم ننتفع بشيء من ذلك، ولم نرفع بذلك رأساً.

فقال الله تعالى راداً عليهم، ومبيناً سبب وقوعهم في ذلك، ومقررأ ما شهدوا به على أنفسهم: ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ فضيعوا أنفسهم في ملذاتها، وشهواتها من مال، وجاه، وحب رياسة وسلطان على الناس، وكذبوا بما جاءتهم به رسل الله.

قال ابن عطية رحمه الله تعالى: ﴿وغرتهم﴾ فيه التفاته فصيحة تضمنت أن كفرهم كان بأدم الوجوه لهم وهو الإغترار الذي لا يواقعه عاقل. اهـ^(٤).

﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾^(٥). (فكفروا بالآيات والنذر واضطروا في الآخرة إلى الاستسلام لأشد العذاب وفي ذلك من تحسرهم وتحذير السامعين عن مثل

(١) سورة الأحقاف الآية ٢٩ وبدايتها ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي...﴾.

(٢) القرطبي ٨٧/٦.

(٣) قال الخازن: فإن قلت: كيف أقروا على أنفسهم بالكفر في هذه الآية وجحدوا الشرك والكفر في قوله: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ قلت: يوم القيامة يوم طويل والأحوال فيه مختلفة فإذا ما رأوا ما حصل للمؤمنين من الخير والفضل والكرامة أنكروا الشرك لعل ذلك الإنكار ينفعهم، وقالوا: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾، فحينئذ يحتم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر، فذلك قوله تعالى: ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ اهـ من اللباب ١٥٨/٢.

وقال ابن عطية: الجمع بينهما هو إما بأنها طوائف وإما طائفة واحدة في مواطن شتى. وأما كلام الخازن فقال عنه ابن عطية: واللفظ ها هنا يبعد من هذا اهـ من تفسيره: ٣٥٢/٥. وانظر الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ١٨ ١٩.

(٤) من تفسيره: ٣٥٢/٥.

(٥) قال الله عنهم ﴿قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ وقال هنا ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ وليس فيها تكرار؛ لأن الأولى من قولهم هم، والثانية: من قول الله تعالى عنهم. فالأول حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون، والثانية: ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقله نظرهم لأنفسهم. انظر: الكشاف ٦٤/٢ وابن عاشور: ١٨٧/٧.

صنيعهم ما لا مزيد عليه^(١).

ويتكرر السؤال عن الرسل، ذلك أن يوم القيامة يوم طويل، شديد هول، عظيم فزعه والأحوال فيه مختلفة، والأسئلة متنوعة، فيسألون تارة ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾^(٢) وتارة يسألون عن موقفهم من دعوة الرسل، ومدى استجابتهم لهم، وقد وقع عليهم السؤال كالصاعقة لسوء فعالهم مع رسل الله، فتبльд أذهانهم وتغلق أفهامهم، وتطيش عقولهم، وتضطرب قلوبهم، فلا جواب لفرط الدهشة والحيرة، فلم يعرفوا ما يقولون، فهم حيارى - واجمون - نعوذ بالله من موقف الخزي والحيرة - لا يسأل بعضهم بعضاً، ولا ينطقون بحجة، ولا يدرون بم يجيبون حتى صاروا كالعمي الذين لا يهتدون، لأن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، فلا يكون لهم عذر ولا حجة يوم القيامة. قال الله تعالى مخبراً عن حالهم تلك في محكم التنزيل: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٣). (فلم يجدوا خبراً يخبرون به مما لهم فيه نجاة لأنهم عميت عليهم الأنباء أي أظلمت لهم الأمور وساق الفعل (عميت) في صيغة الماضي لتحقيق وقوعه وأنه يقين، والماضي من الأفعال متيقن فلذلك توضع صيغته بدل المستقبل المتيقن ليقوى وقوعه وصحته^(٤) .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ وهذا كما يسأل العبد في قبره: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فأما المؤمن فينطق بالشهادتين، وأما الكافر فيجيب: لا أدري^(٥).

= قال الفخر الرازي ١٦١/١٣: والمراد أنهم وإن بالغوا في عداوة الأنبياء والطعن في شرائعهم ومعجزاتهم إلا أن عاقبة أمرهم أنهم أقروا على أنفسهم بالكفر، ومن الناس من حمل قوله ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ بأن تشهد عليهم الجوارح بالشرك والكفر، ومقصودهم دفع التكرار عن الآية. انظر: الخازن ١٥٨/٢.

(١) روح المعاني: ٢٩/٨ وانظر ابن عاشور: ١٨٨/٧.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٣٠.

(٣) سورة القصص الآية: ٦٥ - ٦٦.

(٤) ابن عطية: ١٢ / ١٨٠ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٥) انظر هذا في حديث فتنة القبر، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وهو متفق عليه أخرجه

الإمام البخاري في صحيحه: في الجناز ١٢٢/٢، وفي التفسير: ١٠٠/٦ ومسلم في كتاب الجنة

.٢١٩٩/٤

ولهذا لا جواب له يوم القيامة إلا السكوت ؛ لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، ولهذا قال تعالى: ﴿فعميت عليهم الأنبياء يومئذ فهم لا يتساءلون﴾^(١).

فلا يسأل بعضهم بعضاً كما يتساءل الناس في المشكلات ؛ لأنهم يتساوون جميعاً في عمى الأنبياء عليهم والعجز عن الجواب^(٢).

وقال أبو السعود رحمه الله تعالى: وإذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يفوضون العلم في ذلك المقام الهائل إلى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة المسؤل، فما ظنك بأولئك الضلال من الأمم ؟^(٣).

(١) تفسير ابن كثير: ٤٠١/٣.

(٢) الكشاف ٤١٣/٣.

(٣) تفسير أبو السعود ٣١٦/٤. وقرئاً منه الكشاف ٤١٣/٣.

المبحث الثالث: عند سؤالهم عن شركائهم الذين كانوا يزعمون:

الشرك بالله تعالى أظلم الظلم، وهو أقبح وأشنع وأفحش ذنب عصي الله به على ظهر البسيطة، والمشركون مغترون، مغرورون بما هم عليه، متمسكون به لفرط ما هم فيه من ضلالة وعماية وغواية وتيه وبعد عن الحق.

اتخذوا أهواءهم آلهة، وابتدعوها ديناً ما أنزل به من سلطان وقالوا: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١). وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٢) ويوم القيامة، وقد اسودت وجوههم ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾^(٣). إذ تكشفت الأمور، وانقضت الأغشية، التي حجبتهم عن رؤية الأشياء على حقائقها ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٤). فهل هؤلاء شفعاء لمن عبدهم كما زعموا؟!.

وهل يقربون من عبدهم إلى الله زلفى كما افتروا؟!.

فتتهتك أستار الباطل، وتنجلي الغشاوة ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ والمقصود من حشر أصنامهم معهم أن تظهر مذلة الأصنام وعدم جدواها^(٥)، فيوقفون بعد حشرهم، ويوجه إليهم سؤال مريب، على رؤوس الأشهاد، تقريباً وتوبيخاً لهم، فيقول لهم الحق تبارك وتعالى: ﴿أين شركاؤكم﴾^(٦) الذين كنتم تزعمون.

(وصفوا بـ) الذين كانوا يزعمون) تكديماً لهم وحذف المفعول الثاني لـ (تزعمون) ليعم كل ما كانوا يزعمونه لهم من الإلهية والنصر والشفاعة. والزعم: ظن يميل إلى الكذب أو الخطأ أو لغرابته يتهم صاحبه فيقال: زعم بمعنى أن

(١) سورة يونس الآية: ١٨.

(٢) سورة الزمر الآية: ٣.

(٣) سورة يونس الآية: ٢٧.

(٤) سورة ق الآية: ٢٢.

(٥) ابن عاشور: ١٦٢/٧ مع التصرف اليسير.

(٦) أضاف الشركاء إليهم، لأنها لم تكن شركاء لله في الحقيقة، بل لما سموها شركاء أضيفت إليهم، وقال في الآية الأخرى في سورة القصص ﴿شركائي﴾ آية ٦٢ أي في زعمكم.

عهدة الخبر عليه لا على الناقل^(١).

هذا سؤال إفصاح لا إفصاح^(٢)، فأين الأصنام والأنداد المعبودة من دوني التي كنتم تزعمون أنها تقربكم زلفى، وتشفع لكم كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٣).

فقد كذبوا في قولهم وادعائهم أنهم شركاء.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كل زعم في القرآن فهو كذب)^(٤)

لذلك يجارون حينئذ ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ فلم تكن معذرتهم، وقولهم وجوابهم^(٥).

قال ابن قتيبة: ﴿ثم لم تكن فتنتهم...﴾ أي جوابهم، لأنهم حين سئلوا اختبر ما عندهم بالسؤال فلم يكن الجواب على ذلك الاختبار إلا هذا القول^(٦).

قال ابن عباس: أي معذرتهم وكذا قال قتادة^(٧).

وقال ابن جرير: والصواب: ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا إياهم، اعتذاراً مما سلف منهم من الشرك بالله إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فوضعت (الفتنة) موضع القول لمعرفة السامعين معنى الكلام وإنما (الفتنة) الاختبار والابتلاء، ولكن لما كان الجواب من القوم غير واقع هنالك إلا عند الاختبار وضعت (الفتنة) التي هي الاختبار موضع الخبر عن جوابهم ومعذرتهم. اهـ^(٨).

(١) ابن عاشور: ١٦٢/٧.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٥٨/٦.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٩٤.

(٤) القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن) ٢٥٨/٦. انظر: جامع البيان للطبري: ٢٩٧/١١-٣٠٠.

(٥) فالمقصود بالفتنة هنا: المعذرة أو القول أو الجواب. انظر: جامع البيان للطبري: ٢٩٧/١١-٣٠٠، وأصل الفتنة: الشدة والاختبار والعرض على النار ونحو ذلك. انظر المفردات للراغب ص ٣٨٥ (فتن)

وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي ٢٣٨/٣ وانظر الخازن ١٠٥/٢ وابن عاشور: ١٦٣/٧.

(٦) (تأويل مشكل القرآن) ص ٣٦٣.

(٧) (تفسير القرآن العظيم) للحافظ ابن كثير ١٣/٣.

(٨) جامع البيان ٣٠٠/١١.

﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(١) فأقسموا بالاسم الأعظم (والله) كاذبين، وأكدوا ذلك بقولهم (ربنا) وهذا يدل على شدة كذبهم، ولهم قال الله تعالى يعجب من شدة كذبهم القارئ، والسامع، وكل من يتأتى منه النظر من أصحاب العقول: ﴿انظر كيف كذبوا على أنفسهم﴾ باعتذارهم بالباطل، وجحودهم وتبرئهم من الشرك الذي كانوا عليه ملازمين، مقاتلين لأجله، مفتخرين به. ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٢).

قال الرنخشر(ي): فإن قلت: كيف يصح أن يكذبوا حين يطلعون على حقائق الأمور وعلى أن الكذب والجحود لا وجه لمنفعته؟ قلت: الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرةً ودهشاً ألا تراهم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾^(٣). وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه^(٤).

وهذه غاية كل باطل الزوال والتلاشي.. كما قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٥).

قال الإمام البقاعي رحمه الله تعالى رابطاً هذه الآيات بالآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(٦). ولما كان معنى هذا أنهم أكذب الناس، دل عليه بكذبهم يوم الحشر بعد انكشاف الغطاء فقال: ﴿ويوم﴾ أي اذكر كذبهم على الله وتكذيبهم في هذه الدار، واذكر أعجب من ذلك هو كذبهم في عالم الشهادة عند كشف الغطاء، وارتفاع الحجب يوم ﴿نحشرهم جميعاً﴾.

وقال أيضاً عند قوله تعالى: ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا﴾ ثباتاً منهم فيما هم عريقون فيه من وصف الكذب: ﴿والله﴾ فذكر الاسم الأعظم، الذي تندك لعظمته الجبال الشم، وتنطق بأمره الأحجار الصم، الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنی.. وأكدوا ذلك

(١) سورة الأنعام الآية: ٢٣، وتقدم قريباً وجه الجمع بين إنكارهم تارة وإقرارهم أخرى.

(٢) سورة الأنعام الآية: ٢٤.

(٣) سورة المؤمنون الآية: ١٠٧.

(٤) الكشاف: ١٢/٢.

(٥) سورة يونس الآية: ٣٠.

(٦) سورة الأنعام الآية: ٢١.

بذكر الوصف المذكور بتزييتهم، ودوام الإحسان إليهم فقالوا ﴿ربنا﴾ فلم يقنعوا بمجرد الكذب حتى أقسموا، ولا بمجرد القسم حتى ذكروا الاسم الجامع والوصف المحسن، ولما كان هذا من أعجب العجب أشار إليه بقوله: ﴿انظر﴾ وبالإستفهام في قوله ﴿كيف كذبوا﴾ وبالإشارة إلى أنهم فعلوه مع علمهم بما انكشف لهم من الغطاء أنه لا يجديهم بقوله ﴿على أنفسهم﴾^(١).

ويتكرر الحوار عن الشركاء المزعومين، وتأتي هذه المرة الإجابة من المعبودين ﴿ويوم يناديهم﴾ على رؤوس الخلائق إفضاحاً لهم ﴿فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ وفيه تهكم بهم.

فليس لله تعالى شريكاً، ولكن بحسب زعمهم وافترائهم، فيجيب ﴿الذين حق عليهم القول﴾^(٢)، (وجب عليهم العذاب)^(٣) من الشركاء الذين عبدوا من دون الله - برضاهم - شياطين ومردة ودعاة إلى الكفر^(٤):

﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويانهم كما غوينا﴾ فلم نكرههم، وإنما أغويانهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والإلجاء، فغوا باختيارهم، غياً مثل غينا باختيارنا^(٥).

وعن قتادة في قوله: ﴿هؤلاء الذين أغوينا أغويانهم كما غوينا﴾ قال: هم الشياطين^(٦). ويتبرعون في جوابهم ممن عبدهم فيقولون: ﴿تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾ وإنما كانوا يعبدون أهواءهم فليعودوا على أنفسهم بالملامة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ

(١) (تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور) للإمام البقاعي: ٢/٦٢٠-٦٢١ مع التصرف اليسير بالاختصار..

(٢) المراد بالقول - والله أعلم - هو قوله تعالى: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ سورة السجدة الآية ١٣، ولا يملؤها الله تعالى إلا بمن وجب عليهم العذاب، وهم من وجب عليهم غضب الله ولعنته وهم رؤوس الضلالة. انظر: الطبري ١٩/٦٠٦، والبعوي: ٦/٢١٧.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيد: ٢/١٠٩.

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣/٤٠١، وتفسير ابن سعدي: ٤/٣٥.

(٥) انظر الكشاف: ٣/٤١٢.

(٦) الطبري: ١٩/٦٠٦.

إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَتُلُومُوا أَنْفُسَكُمْ...^(١)، وهذه نهاية أهل الباطل، ومن اجتمعوا عليه، وتناصروا له.. كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا...﴾^(٢) وكما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾^(٣).

قال أبو السعود رحمه الله تعالى: (مسارعتهم إلى الجواب مع كون السؤال للعبده، إما لتفطنهم أن السؤال عنهم، لاستحضارهم وتوبيخهم بالإضلال، وجزمهم بأن العبدة سيقولون هؤلاء أضلوننا، وإما لأن العبدة قد قالوا اعتذاراً، وهؤلاء إنما قالوا ما قالوا رداً لقولهم إلا أنه لم يحك قول العبدة إيجازاً لظهوره)^(٤).

فيوجه حينئذ الخطاب من الله تعالى للمشركين الذين اتخذوا من دون الله الشركاء من أنداد وأصنام، توبيخاً لهم، وتقريعاً، وكشفاً لهم على رؤوس الخلائق يوم القيامة بدعائهم من لا نفع عنده، ولا فائدة ترجى منه، فيمكنهم ويخزيهم بإراءتهم أن شركاءهم لا يستجيبون لدعائهم ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ ليخلصوكم مما أنتم فيه، كما كنتم ترجون منهم في الدار الدنيا، فما كان منهم، وقد اشتد خوفهم، وظهرت حيرتهم، إلا أن دعوهم، واستغاثوا بهم، فلم يستجيبوا لهم، ولم يغيثوهم، وتقطع ما بينهم من تواد كما قال تعالى ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٥).

ورأوا العذاب، وتيقنوا أنهم صائرون إليه واقعون فيه لا محالة، فندموا ولات ساعة مندم، وتمنوا لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين قال الله تعالى ذاكراً حالهم المخزي وموقفهم المهين ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون﴾^(٦) وهذه الآية نظير قوله

(١) سورة إبراهيم الآية: ٢٢.

(٢) سورة العنكبوت الآية: ٢٥.

(٣) سورة مريم الآية: ٨١ - ٨٢.

(٤) تفسير أبي السعود: ٣١٥/٤.

(٥) سورة الزخرف الآية: ٦٧.

(٦) جواب لو قيل محذوف تقديره: لما نالهم العذاب ولما كانوا في الدنيا عابدين للأصنام، ففي الكلام على هذا التقدير تأسف عليهم. وقيل: لو متعلقه بما قبلها تقديره: فودوا لو أنهم كانوا يهتدون. انظر:

تفسير ابن عطية ١٢/١٧٩.

تعالى ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ (٥٢) وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿١﴾. نعوذ بالله من الخذلان ومن سوء المعتقد، وسوء المنقلب.

ويتكرر الحوار مرة ثالثة، وهذه المرة بعد سحبهم في الحميم، وسجرهم في نار جهنم. قال الله تعالى مبيناً شناعة حالهم وسوء منقلبهم ﴿إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٢﴾ فتحيط بهم النار وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم، ومنه قوله تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ﴾ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٣﴾. فيا لهولهم، وأليم عقابهم، وشدة كربهم، وفضاعة ما يقاسون، وفيه ما فيه من الإهانة والتحقير.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (السلاسل متصلة بالأغلال بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة إلى الحميم، وتارة إلى الجحيم، ولهذا قال تعالى: ﴿يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون﴾ كما قال تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آن ﴿٤﴾ اهـ.

ومع ما هم فيه من كرب عظيم، وبلاء مستطير، يأتيتهم التوبيخ والتبكيك، زيادة في حسرتهم وآلامهم فيسألون، توبيخاً وتقريعاً ﴿أين ما كنتم تشركون من دون الله﴾ ؟ فيجيبون جواب الحائر الذليل ﴿ضلوا عنا﴾ فغابوا فلم نرهم، ثم أضربوا عن ذلك، وأن الشركاء المزعومون حتى لو رأوهم فإنهم لا نفع عندهم ولا فائدة ترجى منهم، فلا تشفع لمن عبدها، ولا تدفع عنه ضراً، فهم في الحقيقة لا شيء ﴿بل لم تكن ندعوا من قبل شيئاً﴾ فقد تبين لهم عجز الآلهة المزعومة، وأنها عديمة النفع، وأنها ليست بشيء كما تقول: حسبت فلاناً شيئاً فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنده خيراً، وهذا اعتراف صريح منهم بأن عبادتهم لها كانت باطلة ﴿٥﴾.

(١) سورة الكهف الآية: ٥٢ - ٥٣.

(٢) سورة غافر الآية: ٧١ - ٧٢.

(٣) سورة الهمزة الآية: ٧، الكشاف: ١٧٤/٤.

(٤) سورة الرحمن الآية: ٤٤. (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير ٨٦/٤.

(٥) وفي الآية قول آخر، قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: أي جحدوا عبادتهم كقوله حلت عظمتهم ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ اهـ منه في ٨٦/٤.

الآن تكشف لهم الحقائق وظهر لهم ضلالهم وأقروا بأنفسهم على بطلان ما كانوا يعبدون ولكن بعد فوات الأوان. وجاء التعقيب من الله تعالى على هذه المحاوره ﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾ المخاطب هو النبي (يقول الله تعالى له (كذلك الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا، الضلال الواضح لكل أحد، حتى هم بأنفسهم يقرون ببطلانه يوم القيامة) ^(١) . ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ بل ﴿جزاءً وفاقاً﴾ ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ قال الله تعالى مبيناً سبب ضلالهم وشقايتهم ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون﴾ فالفرح في الدنيا بمعاصي الله والكفر به سبحانه وتعالى ^(٢) .

قال ابن قتيبة والفرح البطر والأشر، لأن ذلك عن إفراط السرور. قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ ^(٣) ^(٤) . فالله تعالى ليس بظلام للعبيد فما كانوا فيه، وما صاروا إليه إنما هو بسبب فرحهم بمعاصي الله، وسرورهم بمخالفة رسله وكتبه، وطغيانهم وفجورهم في الدنيا، وبسبب بطرهم وخيلائهم ^(٥) .

= والراجح هو الذي أثبتته بالأعلى. قال ابن سعدي رحمه الله تعالى في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ٣٨٧/٤: يحتمل أن مرادهم بذلك الإنكار، وظنوا أنه ينفعهم ويفيدهم. ويحتمل وهو الأظهر أن مرادهم بذلك الإقرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون، وأنه ليس لله شريك في الحقيقة، وإنما هم ضالون مخطئون، بعبادة معدوم الإلهية، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾ أي كذلك الضلال، الذي كانوا عليه في الدنيا، الضلال الواضح لكل أحد، حتى إنهم بأنفسهم يقرون ببطلانه يوم القيامة، ويتبين لهم في قوله تعالى: ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن﴾ سورة يونس: ٦٦. ويدل عليه قوله تعالى ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ سورة فاطر: ١٤، وقوله: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ الأحقاف: ٥ - ٦. وانظر الكشاف: ١٧٤/٤، والتفسير الكبير للرازي: ٧٦/٢٧، وتفسير أبو السعود: ٢٨/٥. والخازن: ٨٠/٤، وفتح القدير للشوكاني: ٥٠٢/٤، وتفسير ابن عطية: ١٥٦/١٤.

(١) تفسير ابن سعدي: ٣٨٧/٤.

(٢) انظر ابن عطية: ١٥٦/١٤.

(٣) سورة غافر الآية: ٧٥.

(٤) (تأويل مشكل القرآن): ص ٣٧٥.

(٥) قال في (عمدة الحفاظ) للسمين الحلبي ٢٥٢/٣، عند مادة (فرح) الفرح: إنشراح الصدر، وأكثر ما يكون بلذة دنيوية عاجلة، ومن ثم نهى عنه، وقد أذن الله تعالى فيه بقوله ﴿فبذلك فليفرحوا﴾ يونس: ١٠٠؛ لأنه أمر أخروي ومثله ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ الروم: ٣٠ لأنه نصره لدين الله..

(قال مجاهد وغيره: تمرحون أي تبطرون وتأشرون.

وقال الضحاك: الفرح السرور، والمرح العدوان) (١).

وتبيساً لهم من النجاة من العذاب، وتبكيئاً لهم قال الله تعالى: ﴿ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ فهذه نهاية كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، وهذا مصيره ومنزله، فبئس المثوى وبئس القرار.

فليس لهم اليوم من مثوى إلا نار جهنم يدخلونها خالدين مخلدين فيها أبد الآبدين ﴿ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ (٢).

(١) فتح القدير للشوكاني: ٥٠٢/٤.

(٢) سورة غافر الآية: ٧٦.

المبحث الرابع: عند سؤال المعبودين وتبرئتهم ممن عبدتهم

يعذب الله تعالى الكفار يوم القيامة بأنواع شتى من العذاب، فيزيدهم عذاباً فوق العذاب، ومن زيادة عذاب الكفار، وحسراتهم، أن الله تعالى يحشرهم يوم القيامة جميعاً مع معبوداتهم، من دون الله تعالى، التي كانوا في الدنيا يبذلون لها النفس والنفيس، ومن أجلها يوالون، ويعادون هذا مع ما يصرفون من أنواع العبادة.

فإذا حشروا وقد بعث ما في القبور وحصل ما في الصدور، انقلبت كل مودة بينهم إلى مقت وبغض، وكل محبة إلى عداوة كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾^(١).

وكما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾^(٢)، فيتصل يوم القيامة بعضهم من بعض المعبود من العابد، والعابد من المعبود فكل منهم سبب لشقاء الآخر، فيلعن بعضهم بعضاً كما قال الله تعالى عنهم ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾^(٣) وذلك أن الله تعالى يحشرهم جميعاً، من عبد من دون الله تعالى من ملائكة وأنبياء وصالحين، ويشمل أيضاً الأصنام مع من عبدها، فالكل يحشرون بين يديه تعالى العابد والمعبود، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٤).

(١) سورة مريم الآيات: ٨١ - ٨٢.

(٢) سورة الأحقاف الآيات: ٥ - ٦.

(٣) سورة العنكبوت الآية: ٢٥.

(٤) سورة الفرقان الآية: ١٧، رجح هذا القول في تفسير الآية جمع من المفسرين.

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون عاماً لهم جميعاً - يعني الملائكة والمسيح وعزيز والأصنام - فإن قلت: كيف صح استعمال (ما) في العقلاء؟ قلت: هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم، بدليل قولك إذا رأيت شبحاً من بعيد ما هو؟ اهـ. من الكشاف: ٣/٣٦٣.

قال ابن كثير: ٦/٩٩ عند تفسير الآية: يحشر تعالى عما يقع يوم القيامة من تفرقة الكفار في عبادتهم من عبدوا من دون الله من الملائكة وغيرهم اهـ. وقال الشنقيطي في ٦/٢٩٩: والأظهر عندي شمول المعبودين المذكورين للأصنام مع الملائكة وعيسى وعزير لأنه عبر عن المعبودين بما التي هي لغير العاقل، فلفظه (ما) تدل على شمول غير العقلاء، وأنه غلب غير العقلاء لكثرتهم، وانظر الشوكاني: ٤/٦٧، والطبري: ١٧/٢٤٧.

فيقول الحق تبارك وتعالى للمعبودين ﴿أَنتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ فزيتتم لهم أن يعبدوكم من دوني ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ فكفروا وأشركوا بعبادتهم إياكم من دوني، من غير أن تأمروهم بذلك، ولا أن تزينوه لهم.

فيجيب المعبودون منزهيين الله تعالى من الشرك والمشركين، متبرئين منهم ومن عبادتهم فقالوا: ﴿سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾^(١) فما ينبغي ولا يليق أن نعبد غيرك ونتخذ غيرك ولياً ومعبوداً، فكيف ندعو أحداً إلى عبادتنا^(٢)، فنحن وهم عبيدك، ولا ينبغي لعبيدك أن يتخذوا من دونك أولياء، وليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحداً سواك فنحن ما دعوناهم إلى ذلك، بل هم فعلوه من تلقاء أنفسهم، من غير أمرنا ونحن برآء منهم، ومن عبادتهم.

قال الفخر الرازي: (ذكروا في تفسير هذه الآية وجوهاً أولها: وهو الأصح الأقوى، أن المعنى إذا كنا لا نرى أن نتخذ من دونك أولياء، فكيف ندعو غيرنا إلى ذلك)^(٣).

ثم أكمل المعبودون من دون الله إجابتهم مبينين سبب ترك العابدين للإيمان بالله تعالى فقالوا: ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾^(٤).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أطلت لهم العمر، وأفضلت عليهم، ووسعت لهم في الرزق، فما ضللناهم، ولكنهم ضلوا، فاشتغلوا ببلذات الدنيا، والانكباب على شهواتها، فحافظوا على دنياهم، وضيعوا دينهم، فتركوا ما أنزلت إليهم على ألسنة رسلك، من الأمر بعبادتك وحدك لا شريك لك، وكانوا قوماً بائرين هالكين لا خير فيهم.

قال قتادة: والله ما نسي قوم ذكر الله عز وجل إلا باروا وفسدوا.

فقال الله تعالى حينئذ، مخاطباً العابدين، توبيخاً وتقريعاً ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ فمن كنتم تزعمون أنهم شفعاء لكم عند الله، وأنهم أولياء لكم، ويقربونكم إلى الله زلفى،

(١) سورة الفرقان الآية: ١٨.

(٢) انظر: الزمخشري: ٣٦٣/٣.

(٣) التفسير الكبير: ٥٥/٢٤.

(٤) سورة الفرقان الآية: ١٨.

نفوا ذلك وكذبوا قولكم فيهم^(١).

قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره مخبراً عما هو قائل للمشركين عند تبيري من كانوا يعبدونه^(٢)، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣).

قال الشريف الرضي: المراد بهذا الكلام ما يقوله المعبودون لمن عبدتهم من الأمة.. فقال المعبودون لهم في الجواب عن ذلك ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي في أنا دعوناكم إلى العبادة، أو في قولكم إننا آلهة، وقد يجوز أيضاً أن يكون التكذيب من العابدين للمعبودين، فكأنهم قالوا لهم: كذبتم في ادعائكم أنكم تستحقون العبادة من دون الله.

..ومعنى (إلقاء القول) هو أن يكون على وجه الخضوع والضرعة، ويكون سبب هذه الاستكانة الخوف من الله سبحانه، لا خوف بعض الشركاء من بعض، ومثل ذلك قوله سبحانه عقب هذه الآية ﴿وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ﴾^(٤). أي استسلموا عن ضرع ذلة وانقطاع حيلة، ومن ذلك قولهم: ألقى فلان يد العاني. أي ذلُّ ذلُّ الأسير وخضع خضوع المقهور^(٥).

فحالمهم كلها ذل وهوان ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ فالعذاب حاصل لهم واقع بهم، لا حيلة لهم إلى صرفه عن أنفسهم ولا نصرها من الله^(٦)، فهذه حال من اتبع هواه، وجعل الشيطان له قائداً ودليلاً.

قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾، قال: لا يستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذي نزل بهم حين كذبوا ولا أن ينتصروا، قال: وينادي مناد يوم القيامة حين يجتمع الخلائق ﴿مَا لَكُمْ لَا يَنْتَصِرُونَ﴾^(٧) قال: من عبد من دون الله، لا ينصر

(١) انظر تفسير ابن كثير: ٣٠٧/٣.

(٢) جامع البيان: ٢٥٠ / ١٩.

(٣) سورة النحل الآية: ٨٦.

(٤) سورة النحل الآية: ٨٧.

(٥) (تلخيص البيان.. ص ١٩٤-١٩٥ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٦) انظر: الطبري ٢٥٠/ ١٩.

(٧) سورة الصافات الآية: ٢٥.

اليوم من عبده، والعابدون من دون الله لا ينصره اليوم إله الذي يعبد من دون الله فقال الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾^(١). وقرأ قول الله جل ثناؤه: ﴿إِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ اهـ^(٢).

فالعذاب كبير، والخطب جسيم ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾^(٣) فقد قارفوا أظلم الظلم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٤).

وفي موقف آخر من مواقف الحشر يوم القيامة يوقف الله تعالى العابدين والمعبودين جميعاً: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ الزموا أماكنكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم^(٥)، ومن يجرؤ في ذلك اليوم المهيل على مخالفة أمر الله، فيلزمون أماكنهم ويثبتون فيها، ليقع التحاكم والفصل بينهم، وقد فرق الله تعالى بينهم، وميّز بينهم^(٦) والفاء في قوله (فزيلنا) للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب من غير مهلة^(٧)، فحصلت بينهم العداوة الشديدة، بعد أن كانوا في الدنيا متحايين خالص المحبة، فانقلبت تلك المحبة بغضاً وعداوة كما قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٨) وتقطعت الصلات والروابط التي كانت بينهم في الدنيا كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتبعوا لو

(١) سورة الصفات الآية: ٢٦.

(٢) جامع البيان ٢٥١/١٩.

(٣) سورة الفرقان الآيات: ١٧ - ١٩.

(٤) سورة لقمان الآية: ١٣.

(٥) الكشاف: ٣٣٢/٢.

(٦) زيلنا: ليس من أزلت إنما هو من زلت إذا فرقت، تقول العرب: زلت الضأن من المعز فلم تنزل أي ميزتها فلم تتميز. انظر المفردات للراغب الأصبهاني ص ٢١٥. وقال الطبري: ﴿فزيلنا بينهم﴾ يقول ففرقنا بين المشركين بالله وما أشركوه من قلوبهم: زلت الشيء أزيله إذا فرقت بينه وبين غيره وأبنته منه. وقال ﴿فزيلنا﴾ إرادة تكثير الفعل وتكريره، ولم يقل (فزّلنا بينهم) اهـ من جامع البيان ٧٨/١٥.

(٧) روح المعاني: ١٠٧/١١.

(٨) سورة الزخرف الآية: ٦٧.

أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم.. ﴿١﴾

قال الزمخشري: ففرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا ﴿٢﴾.

وذلك أن شركاءهم الذين اتخذوهم آلهة من دون الله تعالى أنكروا عبادتهم وتبرؤا منهم ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ فلم نأمركم بعبادتنا، ولم نعلم بعبادتكم لنا ﴿فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم﴾ فحسبنا الله شاهداً بيننا وبينكم ﴿٣﴾.

وما أعظم هذا - التبري - مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها منهم.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم﴾ أننا ما كنا نعلم بها - أي عبادتكم لنا - وإنما كنتم تعبدوننا من حيث لا ندري بكم والله يشهد أننا ما دعوناكم إلى عبادتنا، ولا أمرناكم بها ولا رضينا منكم بذلك. وهذا تبكيت عظيم للمشركين في وقت هم أحوج ما يكونون إلى تأييدهم ﴿٤﴾.

أخرج الإمام الطبري بسنده عن مجاهد ﴿٥﴾ قال: يكون يوم القيامة ساعة فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدون فيقال: هؤلاء الذين كنتم تعبدون من دون الله، فتقول الآلهة: «والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل، ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا» فيقولون: «والله لإياكم كنا نعبد» فتقول الآلهة: ﴿فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم

(١) سورة البقرة الآية: ٦٧ - ٦٨. قال الأستاذ / أحمد البقري في كتابه (دراسات لغوية في القرآن): فمن وجوه البلاغة في الآية أن الذي بدأ في التبرؤ المتبوعين، بعدما أغروا التابعين إياهم، فكانت تلك صدمة لهؤلاء، لأنهم خبيوا فيهم الأمل، وإن قرب من الوهم، فأرادوا أن يعاملوهم بالمثل فصدُّوا مرةً أخرى، لأن الوقت وقت حساب على سالف الأعمال. وفي تكرار الفعل (تبرأ) ما نحس معه مدى شعورهم بالنندم والحسرة، والذنب العميق، مما جتته أيديهم. اهـ منه ص ٧٦.

(٢) الكشاف: ٣٣٢/٢، وانظر لزاماً الطبري ٧٨/١٥.

(٣) انظر الطبري ٨٠/١٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤٠٣/٢.

(٥) مجاهد ابن جبر الإمام شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي مولى السائب بن أبي السائب المخزومي روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن، والتفسير والفقهاء، وعن أبي هريرة وعائشة وسعد وعبد الله بن عمرو وابن عمر وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ثقة فقيه عالم توفي سنة ١٠٢هـ.

ترجمته في: تذكرة الحفاظ: ٨٦/١، وسير الأعلام: ٤٤٩/٤.

لغافلين ﴿١﴾.

وَأَمْوًا تَرَوُهُمْ مِنَ الْعَابِدِينَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ﴾ لَا نَعْلَمُ وَلَا نَشْعُرُ

بِهَا.

فَمَا أَعْظَمَ حَسْرَةَ الْعَابِدِينَ، وَمَا أَشَدَّ خَبِيئَتَهُمْ، كَانُوا يَرْجُونَ أَنْ يَشْفَعَ لَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ فَتَبَرَّؤُا مِنْهُمْ وَانْقَلَبَتِ الْمَوَدَّةُ إِلَى عَدَاوَةٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (٢).

وَحَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْمَوْقِفَ الَّذِي تَضْمَنَ حَوَارِأً مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمَعْبُودَاتِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى بِتَأْكِيدِ الْحَقِيقَةِ النَّاصِعَةِ ﴿هِنَالِكَ تَبْلُو﴾ (٣) كُلَّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴿فَفِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ سَتَذُوقُ كُلَّ نَفْسٍ وَتَخْبِرُ، وَتَعْلَمُ مَا قَدِمْتَ مِنَ الْعَمَلِ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، فَتَعْرِفُ كَيْفَ هُوَ، أَقْبِيحٌ أَمْ حَسَنٌ؟ كَمَا يَحْتَسِرُ الرَّجُلُ الشَّيْءَ وَيَتَعَرَّفُهُ، لِيَتَبَيَّنَ جَالَهُ﴾ (٤)، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (٥)، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُنَبِّأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (٦).

﴿وَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾ (٧) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿فَالِيَهُ تَعَالَى وَحْدَهُ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلَّهُ فَيَجَازِي كَلَّأً بِمَا يَسْتَحِقُّ، أَمَا مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ افْتِرَاءً عَلَيْهِ، فَلَا خَيْرَ

(١) جامع البيان: ٧٨/١٥.

(٢) سورة مريم الآية: ٨٢.

(٣) قرأ حمزة والكسائي ((تتلوا)) بتاءين، وقرأ عاصم ((تبلوا)) والباقون ((تبلوا)) وأما على قراءة ((تتلوا)) ففي معنى الآية وجهان:

الأول: أنها تتلوا بمعنى تقرأه كل نفس في كتاب أعمالها جميع ما قدمت.

والثاني: أي تتبع كل نفس ما أسلفت من عمل، لأن عمله يهديه إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار.

انظر كتاب ((الموضح في وجوه القراءات وعللها)) ٦٢٢/٢ ٦٢٣.

(٤) انظر: تفسير أضواء البيان للشنقيطي: ٤٨١/٢؛ والطبري: ٨٠/١٥؛ والكشاف: ٣٣٢/٢؛ والخازن: ٤٤١/٢.

(٥) سورة الطارق الآية: ٩.

(٦) سورة القيامة الآية: ١٣.

(٧) لا تعارض بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ سورة محمد: الآية ١١، لأن المولى هنا المراد به الناصر، أما في قوله تعالى: ﴿مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾ فالمراد أنهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات الموالى الباطلة وهي النفس والشهوة والغضب فلما مات الإنسان تخلص من تصرفات النفس الباطلة

عندهم يرجى ﴿وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾^(١)، فيرجعون في ذلك المقام إلى الحق، ويعترفون به، ويقرون ببطان ما كانوا يعبدونه، وقد حصل بينهم ما حصل من التبرؤ والتباغض، ولكن حين لا ينفعهم.

= وانتقل إلى تصرفات المولى الحق. انظر: التفسير الكبير ١٦/١٣. وانموذج جليل ص ١٣٨، والرد على الجهمية للإمام أحمد ص ٢٣.
قال العلامة ابن عطية رحمه الله تعالى: فهو مولاهم في الملك والإحاطة لا في الرحمة والنصر ونحوه. اهـ من تفسيره: ٣٥/٩.
(١) سورة الأعراف الآية ١٩٧.

المبحث الخامس: كلام الله تعالى عند استجواب الجن في إضلالهم للإنس.

للجن دور خطير في إضلال الإنس وصددهم عن سبيل الله، وإيقاعهم في الشرك (وكانوا يلقون الأراجيف والسحر والكهانة)^(١) ويلبسون عليهم دينهم ويغونهم بالوسوسة، والتخييل، والإرهاب والمس ونحو ذلك حتى توهم الناس مقدرتهم، وأنهم محتاجون إليهم، فتوسلوا إليهم بالإرضاء وترك اسم الله على ذبائحتهم، وفي شؤونهم، وحتى أصبح المسافر إذا نزل وادياً قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وكثير من الناس رأى من قال: إني أنا الخضر، وإنما كان جنياً، ثم صار من الناس من يكذب بهذه الحكايات إنكاراً لموت الخضر، والذين قد عرفوا صدقها يقطعون بحياة الخضر، وكل من الطائفتين مخطئ، فإن الذين رأوا من الخضر، إني أنا الخضر هم كثيرون صادقون، والحكايات متواترات، لكن أخطأوا في ظنهم أنه الخضر، وإنما كان جنياً^(٣).

لذلك يحشر الله تعالى جميع الثقلين من الإنس والجن، من ضل منهم، ومن أضل غيره، الذين كانوا يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، فيقول الله تعالى توبيخاً للجن الذين أضلوا الإنس، وزينوا لهم الشر، والوقوع في حرمان الله تعالى (فالمراد بالجن الشياطين وأعدائهم من بني جنسهم)^(٤).

﴿يا معشر^(٥) الجن قد استكثرتم^(٦) من الإنس﴾ استكثرتم من إضلالهم وإغوائهم،

(١) تفسير البغوي ١٨٨/٣ مع التصرف بالاختصار.

(٢) انظر ابن عادل: ٤٢٩/٨، وابن عاشور: ٦٦/٨، والقرطبي: ٨٥/٧.

(٣) (التفسير الكبير) لشيخ الإسلام: ٢٧٣/٤.

(٤) ابن عاشور: ٦٦/٨.

(٥) المعشر والنفر والقوم والرهط والعشيرة والعالم معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم للرجال دون النساء، والمعشر الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على أصناف الطوائف ومنه العشرة لأنها تمام العقد. انظر المفردات حرف العين ص ٥٦٧.

قال الألويسي: ذكر المعشر في جانب الجن دون جانب الإنس لما أن الإغواء كثيراً ما يقتضي التظاهر والتعاون، وفي المعشر نوع إيماء إليه، ولا كذلك الغوي. اهـ من روح المعاني: ٢٥/٨.

(٦) قال ابن عاشور: الإستكثرار شدة الإكتثار، فالسين والتاء فيه للمبالغة مثل الإستسلام والإستخدام والإستكبار. اهـ منه ٦٦/٨.

فأوقعتم كثيراً منهم في الضلال، وصددتموهم عن سبيل الله.

قال الحافظ ابن كثير: يعني الجن وأولياءهم من الإنس الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا ويعوذون بهم ويطلبونهم ويوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً^(١).

قال ابن عباس ومجاهد: أضللتهم منهم كثيراً^(٢). (فكيف أقدمتم على محارمي، وتجراتم على معاندة رسلي؟ وقمتم محاربين لله، ساعين في صد عباد الله عن سبيله، إلى سبيل الجحيم؟ فالיום حقت عليكم لعنتي، ووجبت لكم نقمتي، وستزيدكم من العذاب بحسب كفركم، وإضلالكم لغيركم، وليس لكم عذر به تعتذرون، ولا ملجأ إليه تلجأون، ولا شافع يشفع ولا دعاء يسمع، فلا تسال حينئذ، عما يحل بهم من النكال، والخزي والوبال، ولهذا لم يذكر الله لهم اعتذاراً^(٣). (فقد تجاوزتم الحد في استهوائهم واستغوائهم فطوعتم منهم كثيراً جداً^(٤)).

وأما أوليائهم من الإنس، الذين أطاعوهم في التكذيب بدين الله، واتبعوهم في مجادلة المؤمنين، ومحاولة صداهم عن سبيل الله، فأجابوا معتذرين إلى الله عز وجل، يوم القيامة حين لا ينفع الظالمين معذرتهم، نادمين حين لا ينفع الندم، فأبدوا عذراً غير مقبول كما قص الله تعالى ذلك: ﴿وقال أوليائهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾ فاستمتع الإنس بالجن بإعانتهم على معصية الله تعالى، والشرك به، وزينوا لهم ذلك، واستخدمهم بالسحر وإخبارهم ببعض المغيبات.

وتمتع الجن بالإنس، فأطاعهم الإنس فيما يرضيهم من الشرك والفواحش والفجور.

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: استمتع الإنس والجن ما كانوا يلقون إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التي يهونها، وتسهيل سبيلها عليهم، واستمتع الجن بالإنس طاعة الإنس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي^(٥).

وقال ابن السائب: استمتع الإنس بالجن استعاذتهم بهم، واستمتع الجن بالأنس أن

(١) تفسير ابن كثير: ٣/٣٣٨.

(٢) جامع البيان: ١٢/١١٥.

(٣) تفسير ابن سعدي: ٢/٦٨.

(٤) ابن عاشور: ٨/٦٦.

(٥) تفسير البغوي: ٣/١٨٨.

قالوا قد سدنا الإنس مع الجن حتى عاذوا بنا، فيزدادون شرفاً في أنفسهم وهذا كقوله تعالى:
﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: الاستمتاع بالشيء هو أن يجتمع به، ينال به ما يطلبه ويريده ويهواه، ويدخل في ذلك استمتاع الرجال بالنساء، بعضهم ببعض، كما قال: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾^(٢). ومن ذلك الفواحش ﴿كاستمتاع الذكور بالذكور، والإناث بالإناث.. إلى أن قال رحمه الله، وفي الجملة استمتاع الإنس بالجن والجن بالإنس يشبه استمتاع الإنس بالإنس قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٣). فتارة يخدم هؤلاء هؤلاء في أغراضهم، وهؤلاء هؤلاء في أغراضهم، فالجن تأتيه بما يريد من صورة أو مال أو قتل عدو، والإنس تطيع الجن، فتارة يسجد له، وتارة يسجد لما يأمره بالسجود له، وتارة يمكنه من نفسه فيفعل به الفاحشة.. وصرع الجن^(٤) للإنسان هو لأسباب ثلاثة:

(١) سورة الجن الآية: ٦

(٢) سورة النساء الآية: ٢٤.

(٣) سورة الزخرف الآية: ٦٧.

(٤) كلامه رحمه الله تعالى هنا عن صرع الجن خاصة، أما عموم الصرع فقد قال رحمه الله تعالى في شرح كتاب العمدة: فأما الصرع، وهو الخنق الذي يعرض وقتاً ثم يزول فينبغي أن يلحق بالإغماء والغشي، لأنه يزيل الإحساس من السمع والبصر والشم والذوق، فيغطي فيزول العقل تبعاً لذلك، بخلاف الجنون، فإنه يزيل العقل خاصة، فيلحقه بالبهائم) اهـ كلامه رحمه الله تعالى من شرح العمدة كتاب الصيام: ٤٦/١.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: الصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة، والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء، في سببه وعلاجه.. وأما الصرع الذي يكون من الأرواح فلا ينفع فيه أي علاجهم اهـ من (زاد المعاد) ٦٦/٤ مع التصرف اليسير بالاختصار.

وقد أنكر الزمخشري دخول الجن في بدن المصروع، فقد قال في الكشاف عند تفسير قول الله تعالى ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ سورة البقرة الآية ٢٧٥: وتخبط الشيطان، من زعمات العرب، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع، والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء، فورد على ما كانوا يعتقدون، والمس الجنون، ورجل ممسوس، وهذا أيضاً من زعماتهم، وأن الجن يمسه فيختلط عقله، وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن، ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب، وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات اهـ.

تارة يكون الجني يحب المصروع فيصرعه ليتمتع به، وهذا الصرع يكون أرفق من غيره وأسهل.

وتارة يكون الإنس آذاهم إذا بال عليهم أو صب عليهم ماء حار، أو يكون قتل بعضهم أو غير ذلك من أنواع الأذى، هذا أشد الصرع، وكثيراً ما يقتلون المصروع^(١).
وتاره يكون بطريق العبث به كما يعبث سفهاء الإنس بأبناء السبيل^(٢)

= وتعقبه ابن المنير رحمه الله تعالى فقال: قوله: وتخبط الشيطان من زعمات العرب أي من كذباتهم وزخارفهم التي لا حقيقة لها، كما يقال في الغول والعنقاء ونحو ذلك، وهذا القول على الحقيقة من تخبط الشيطان بالقدرية في زعماتهم المردودة بقواطع الشرع - ثم بعد أن ذكر أحاديث وآثار في ذلك - قال: واعتقاد السلف وأهل السنة أن هذه أمور على حقائقها واقعة كما أخصر الشرع عنها، وإنما القدرية خصماء العلانية، فلا جرم أنهم ينكرون كثيراً مما يزعمونه مخالفاً لقواعدهم من ذلك السحر وخبطة الشيطان ومعظم أحوال الجن، وإن اعترفوا بشيء من ذلك، فعلى غير الوجه الذي يعترف به أهل السنة، وينبئ عنه بظاهر الشرع في خبط طويل لهم، فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون. اهـ من الانتصاف حاشية على الكشاف: ٣١٥/١. وممن أنكر دخول الجن في بدن المصروع في العصر الحديث محمد الغزالي في كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأصل الحديث) وقد رد عليه كثير من العلماء منهم الشيخ ربيع بن هادي المدخلي في كتابه (كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها)، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في كتابه (المعيار) والشيخ عبد الرحمن زعيتز في كتابه (تفنيد أخطاء الغزالي) والشيخ عبد الله الطيار والشيخ سامي المبارك في كتابه (فتح الحق المبين) والشيخ مصطفى سلامة في كتابه (براءة أهل الفقه وأهل الحديث) وغيرهم كثير.

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وقد يكون الصرع من الجن، ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة منهم إما لاستحسان بعض الصور الإنسية، وإما لإيقاع الأذى به. اهـ منه: ١١٤/١٠.

(٢) انظر في تفصيل أسباب المس وأساليب العلاج ومن يقوم به الكتب التالية:

- ١- (فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام عن الجن) جمع مشهور حسن سلمان.
- ٢- (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان) لابن القيم.
- ٣- (تلبس الجن بالأنس) للدكتور عبد الرزاق الماص.
- ٤- (البديل الرباني لفك السحر) لجمال عبد الباري.
- ٥- (حفظ مساكن الإنس من مردة شياطين الجن) لأحمد رمضان.
- ٦- (عالم الجن والملائكة) لعبد الرزاق نوفل.
- ٧- (كيفية إخراج الجن من جسم الإنسان) للشيخ سعيد جاد.
- ٨- (نصيحة الإخوان في معالجة السحر والجان) لعبد الحميد هندواوي.
- ٩- (وقاية الإنسان من الجن والشيطان) لوحييد عبد السلام بالي.

ومن استمتاع الإنس بالجن استخدامهم في الأمور الغائبة كما يخبر الكهان، واستخدامهم في إحضار ما يطلبون من مال وثياب ونفقة، فقد يأتونه ببعض ذلك، وقد يدلونه على كنز وغيره، واستمتاع الجن بالإنس استعمالهم فيما يريده الشيطان من كفر وفسوق ومعصية.. ومن استمتاع الإنس بالجن استخدامهم فيما يطلبه الإنس من شرك وقتل وفواحش، فئارة يتمثل الجني في صورة الإنس فإذا استغاث به بعض أتباعه أتاها فظن أنه الشيخ نفسه^(١).

وقال العلامة ابن عاشور: استمتاع الإنس بالجن هو انتفاعهم في العاجل بتيسير شهواتهم، وفتح أبواب اللذات والأهواء لهم، وسلامتهم من بطشتهم.

واستمتاع الجن بالإنس: هو انتفاع الجن بتكثير أتباعهم من أهل الضلالة، وإعانتهم على إضلال الناس، والوقوف في وجه دعاة الخير، وقطع سبيل الإصلاح والصلاح، وكل من الفريقين أعان الآخر على تحقيق ما في نفسه، مما فيه ملائم طبعه، وارتياحه لقضاء وطره^(٢).

ثم قال تعالى ذاكراً تكملة ما يجيب به أولياء الجن من الإنس: ﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا﴾ فعشنا على ذلك الاستمتاع الفاني مدة حياتنا الدنيا التي قدرت أجلنا فيها، حتى فارقنا ذلك بالموت.

(وفي هذا الكلام نوع اعتراف واستسلام وتحسر، أي استمتع الجن بنا واستمتعنا بهم، فاشتركتنا في الشرك ودواعيه وأسبابه، وآثرنا الاستمتاع على طاعتك وطاعة رسلك، وانقضت آجالنا وذهبت أعمارنا في ذلك، ولم نكتسب فيها رضاك، وإنما كان غاية أمرنا في مدة آجالنا استمتاع بعضنا ببعض.

فتأمل ما في هذا من الاعتراف بحقيقة ما هم عليه، وكيف بدت لهم تلك الحقيقة ذلك اليوم وعلموا أن الذي كانوا فيه في مدة آجالهم هو حظهم من استمتاع بعضهم ببعض، ولم يستمتعوا بعبادة ربهم ومعرفته وتوحيده ومحبته وإيثار مرضاته وهذا من نمط قولهم: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٣) وقوله: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾^(٤) وقوله:

(١) التفسير الكبير لشيخ الإسلام ٢٦٥/٤ - ٢٦٧ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٢) (التحرير والتنوير) ٦٧/٨.

(٣) الملك الآية ١٠.

(٤) الملك الآية ١١.

﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾^(١) ونظائره^(٢).

فلم يتمتعوا بلذة مناجاة الله والشعور بالطمأنينة والراحة عند ذكره ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٣).

قال الفخر الرازي: فالاستمتاع كان حاصلًا إلى أجل معين ووقت محدد، ثم جاءت الحمية والحسرة والندامة من حيث لا تنفع^(٤).

فهذا الكلام منهم نوع تضرع وترفق واعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم^(٥).

فهم أقروا واعتذروا بأن ما فعلوه لم يكن ثمرًا على الله، ولا استخفافًا بأمره، ولكنه كان لإرضاء الشهوات من الجانبين، وهي المراد بالاستمتاع^(٦).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: وكأن هذا - والله أعلم - إشارة منهم إلى نوع استعطاف وتوبة، فكأنهم يقولون هذا أمر كان إلى وقت وانقطع بانقطاع أجله فلم يستمر ولم يدم فبلغ الأمر الذي كان أجله وانتهى إلى غايته، ولكل شيء آخر^(٧). والاقتصار على حكاية كلام الضالين دون المضلين (علله بعضهم بأنه يؤذن بأن المضلين قد أفحموا فلم يتكلموا، والصواب أن الله تعالى يذكر لنا بعض ما يكون يوم القيامة في آي متفرقة من سور متعددة؛ لأن المراد به وهو العظة والاعتبار ينبغي أن يكون متفرقًا، وقد قال تعالى في الفريقين ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾^(٨). وبين في سورة البقرة كيف يتبرأ بعضهم من بعض، وقال بعده ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾^(٩) «^(١٠)».

(١) القصص آية ٧٥ ونظائره.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح للعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ص ٤٩٣.

(٣) سورة الرعد الآية: ٢٨.

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي: ١٥٧/١٣.

(٥) انظر: الزمخشري: ٦٢/٢.

(٦) ابن عاشور: ٦٧/٨ مع التصرف اليسير.

(٧) إغاثة اللفهان: ٢٣٨/٢.

(٨) سورة العنكبوت الآية: ٢٥.

(٩) سورة البقرة الآية: ١٦٦ - ١٦٧.

(١٠) تفسير المنار: ٦٧/٨ - ٦٨ مع التصرف اليسير بالاختصار.

فقال تعالى: ﴿النار مثواكم خالدين فيها﴾ فإنه وإن انقطع زمن التمتع وانقضى أجله، فقد بقي زمن العقوبة، فلا يتوهم أنه إذا انقضى زمن الكفر والشرك وتمتع بعضكم ببعض أن مفسدته زالت بزواله، وانتهت بانتهائه.

نعم هذا ما حكم الله تعالى به عليهم: ﴿النار مثواكم خالدين فيها﴾ خلوداً مؤبداً، لا خروج بعده كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾^(١).

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعيراً (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيحاً﴾^(٢) فعذاب الكفار للإهانة والانتقام لا للتطهير والتمحيص، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣).

(ولا غرابة في ذلك لأن حبشهم الطبيعي دائم لا يزول، فكان جزاؤهم دائماً لا يزول، والدليل على أن حبشهم لا يزول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾^(٤) فقوله: ﴿خَيْرًا﴾ نكرة في سياق الشرط فهي تعميم، فلو كان فيهم خير ما في وقت ما لعلمه الله، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾^(٥). وعودهم بعد معاينة العذاب، لا يستغرب بعده عودتهم بعد مباشرة العذاب لأن رؤية العذاب عياناً كالوقوع فيه)^(٦).

﴿إلا ما شاء الله﴾ فهم مخلدون في النار أبداً إلا ما شاء الله من أوقات المحاسبة، لأنهم في تلك الأحوال ليسوا بخالدين في النار كما قال تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ

(١) سورة النساء الآية: ١٦٨ - ١٦٩.

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٦٤ - ٦٥.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٧٤.

(٤) سورة الأنفال الآية: ٢٣.

(٥) سورة الأنعام الآية: ٢٨.

(٦) أضواء البيان للشنقيطي: ١٠/١٢٧ - ١٢٨ مع التصرف اليسير.

(١) سورة هود الآية: ١٠٥ - ١٠٨. عقب على دار السعداء بقوله: ﴿عطاء غير مجذود﴾ لأن دخول الجنة بمحض رحمة الله تعالى وعظيم كرمه وجزيل إنعامه وتمام إحسانه وتفضله، ولما كان لا أحد يرفض النعيم ويرده عقب عليه بقوله ﴿عطاء﴾ يعني هو بمحض التفضل كالعطية يعطاها المرء بدون مقابل.

ولما كانت النار دار النكد والهوان والذل والشقاء، فيها الجحيم والسعير، والسلاسل والأغلال والضريع والزقوم، والمهل والحميم.. فأهل النار لا يريدون أن يدخلوها، فيساقون إليها سوقاً عنيفاً، ويُدْعَوْنَ فيها دعاً شديداً، وإذا دخلوها يريدون أن يخرجوا منها، وما هم بمخرجين، وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، بمقام الحديد، لذلك عقب الله تعالى على دار الأشقياء بقوله: ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ فلا راد لعذاب الله، ولا معقب لحكمه، فالكل في قبضته، وتحت سطوته وتصرفه، لا معارض، ولا ممانع، ولا نصير فلا أحد يرد عن نفسه - فضلاً عن غيره - العذاب، لأن الله يريد تعذيبه به والله ﴿فعال لما يريد﴾ وأما قوله في كلا الدارين ومقام الفريقين فيهما ﴿ما دامت السموات والأرض﴾ فهو جرياً على عادة العرب في التأييد، فإنهم يقولون للشيء إذا أرادوا تأييده ما دامت السموات والأرض، وإلا لو كان الخير على ظاهره فإن الجنة والنار تفتنى قبل دخول أهلها إليها لأن السموات والأرض تتبدل وتزول كما قال تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات...﴾ وقال: ﴿يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب...﴾. انظر ابن قتيبة ص ٥٤-٥٥.

وأما الاستثناء بعدهما ﴿إلا ما شاء ربك﴾ قال فيه صاحب المنار: ليس المراد به عدم بقاؤهما بل هو جرياً على ما عهد في القرآن الكريم من مثل هذا الاستثناء في سياق الأحكام القطعية للدلالة على تقييد تأييدها بمشيئة الله تعالى فقط، لا لإفادة عدم عمومها، كقوله تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله﴾ أي لا أملك شيئاً من ذلك بقدرتي وإرادتي إلا ما شاء الله أن يملكه منه، بتسخير أسبابه، وتوفيقه، وكقوله تعالى: ﴿سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله﴾ على أن الاستثناء لتأكيد النفي أي أنه تعالى ضمن لنبيه حفظ هذا القرآن الذي يقرئه إياه بقدرته، وعصمه أن لا ينسى منه شيئاً بمقتضى الضعف البشري.. اهـ منه ١٢ / ١٦٠ - ١٦١ مع التصرف اليسير.

وقال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى: وقد أحصيت للمفسرين في تأويل الاستثناء هنا عشرة تأويلات بعضها لا يتم، وبعضها بعيد، ولا يستقيم منها إلا واحداً، إذا جعل الاستثناء معترضاً بين حكاية ما يقال للمشركين في الحشر وبين ما خوطب به النبي (فيكون هذا الاعتراض خطاباً للمشركين الأحياء الذين يسمعون التهديد إعداراً لهم أن يسلموا فتكون (ما) مصدرية أي إلا حال مشيئة وهي حال توفيقه بعض المشركين للإسلام.. اهـ باختصار. انظره في تفسيره: ٦٨/٨ فله كلام نفيس، وانظر القاسمي: ٦/٢٤٨٨.

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى: عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾^(١) يعني إلا ما شاء الله من قدر مدة ما بين مبعثهم من قبورهم إلى مصيرهم إلى جهنم.

فتلك المدة التي استثناها الله من خلودهم في النار^(٢).

قال الإمام البيهقي في المراد بالاستثناء: يريد به - والله أعلم - من وقفهم حيث كانوا فيه إلا أن حوسبوا وسبق كل فريق إلى قضي له به^(٣).

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ في إثابة الطائعين، وعقاب المجرمين، ومن يستحق الخلود.

وختم الحق تبارك وتعالى هذا الحوار بهذه الموعظة البالغة: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ

(١) قال العلامة الشنقيطي في (أضواء البيان) ١٠/١٢٢: هذه الآية الكريمة يفهم منها كون عذاب أهل النار غير باق بقاء لا انقطاع له أبداً ونظيرها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُفِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾.

سورة هود: الآية ١٠٧. وقد جاءت آيات تدل على أن عذابهم لا انقطاع له كقوله ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ والجواب عن هذا من أوجه:

أحدها: أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ معناه إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين. وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن بعض أهل النار يخرجون منها وهم أهل الكبائر من الموحدين، وغاية ما في هذا القول إطلاق (ما) وإرادة (من) ونظيره في القرآن ﴿فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

الثاني: أن المدة التي استثناها الله تعالى هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم واستقرارهم في مصيرهم قاله ابن جرير أيضاً.

الوجه الثالث: أن قوله ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فيه إجمال وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأنهم خالدون فيها أبداً، وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له، والظهور من المرجحات فالظاهر مقدم على الجمل، كما تقرر في الأصول.

ومنها: أن ﴿إِلَّا﴾ في سورة هود بمعنى: سوى ما شاء الله من الزيادة على مدة السموات والأرض. اهـ منه مع الاختصار اليسير. وانظر للاستزادة وزيادة إيضاح وبسط: الانتصاف لأحمد بن المنير الاسكندري. حاشية مع الكشاف ٢/٦٢. وابن القيم رحمه الله تعالى في حادي الأرواح فقد أطال النفس في ذلك والألوسي في روح المعاني ١٢/١٤٢-١٤٥، وتفسير المنار: ٨/٦٨-٩٩ و١٢/٢١٥-٢١٦. وقد أفرد العلامة مرعي بن يوسف الكرسي الحنبلي هذه المسألة في رسالة بعنوان (توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين).

(٢) جامع البيان: ١٢/١١٨، وانظر زاد المسير: ٣/١٢٣.

(٣) شعب الإيمان: ١/٣٢٩.

الظالمين بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»^(١). أي مثل تولية الضالين من الجن والإنس، فاستمع بعضهم ببعض في الدنيا لما بينهم من التناسب والمشاكلة، نولي بعض الظالمين لأنفسهم وللناس بعضاً بسبب ما كانوا يكسبونه باختيارهم من أعمال الظلم الجامعة بينهم.

فتولية الله الناس بعضهم بعضاً هو جعلهم أولياء وأنصاراً بعضهم لبعض، إما بمقتضى أمره في شرعه ومقتضى سننه وقدره معاً، وإما بمقتضى الثاني فقط.

فالأول: ولاية المؤمنين بعضهم بعضاً في الحق والخير والمعروف، فقد أمرهم بذلك في شرعه، ونهاهم عن ضده، وهو مقتضى الإيمان الصادق، وأثره الذي لا ينفك عنه بحسب تقدير الله الذي مضت به سنته في خلقه.

والثاني: ولاية الكفار المجرمين والمنافقين بعضهم بعضاً، فهو أثر مترتب على الاعتقاد والأخلاق والمنفعة المشتركة بينهم، بحسب تقديره وسننه في نظام الحياة البشرية، وهو لم يأمرهم بشيء مما يتناصرون به في الباطل والشر والمنكر بل نهاهم عنه^(٢).

وقال العلامة ابن عاشور: ﴿بما كانوا يكسبون﴾ الباء للسببية أي جزاء على استمرار شركهم، والمقصود من الآية: الاعتبار والموعظة والتحذير من الاغترار بولاية الظالمين، وتوخي الأتباع صلاح المتبوعين، وبيان سنة من سنن الله في العالمين^(٣).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: ومعنى الآية الكريمة: كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي أغوتهم من الجن كذلك نفعل بالظالمين فنسلط بعضهم على بعض ونهلك بعضهم ببعض، وننتقم من بعضهم ببعض، جزاءً على ظلمهم وبغيهم^(٤).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: وهذا تهديد للظالم إن لم يمتنع من ظلمه سلط الله عليه ظالماً آخر. ويدخل في الآية جميع من يظلم من راعٍ وتاجر.. وغيرهم^(٥).

(١) سورة الأنعام الآية: ١٢٩.

(٢) تفسير المنار: ١٠٠/٨-١٠١ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٣) (التحرير والتنوير) ٦٨/٨.

(٤) تفسير ابن كثير ١٦٢/٢.

(٥) (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي: ٨٥/٧.

قال ابن زيد^(١): في قوله: ﴿وَكذَلِكَ نُولِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ قال: ظالمي الجن وظالمي الإنس. وقرأ: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٢). قال: نسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس^(٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: أن الله تعالى إذا أراد بقوم خيراً ولّى أمرهم خيارهم، وإذا أراد بقوم شراً ولّى أمرهم شرارهم^(٤).

وقال قتادة: إنما يولي الله بين الناس بأعمالهم، فالمؤمن ولي المؤمن من أين كان وحيثما كان، والكافر ولي الكافر من أين كان وحيثما كان، ليس الإيمان بالتمني، ولا بالتحلي، ولعمري لو عملت بطاعة الله ولم تعرف أهل طاعة الله ما ضرك ذلك، ولو عملت بمعصية الله وتوليت أهل طاعة الله ما نفعك ذلك شيئاً^(٥).

(يعني أن انتماء المرء إلى المؤمنين، ودخوله في جامعتهم، ونصرتهم لهم، لا تجعله منهم حقيقة، إلا إذا كان يعمل عملهم، وينصرهم لمشاركته إياهم في ذلك، لا مجرد العصبية الجنسية أو المنفعة الدنيوية، وأما العمل بهدى دينهم فإنه ينفعه بدون توليهم، إذا كان عدم توليهم لعدم معرفته بهم، وهو لا يكون إلا كذلك لأنه إذا عرفهم لا يسعه إلا أن يتولاهم إذا كان موافقاً لهم في الجامعة الاعتقادية العملية التي تقتضي المشاركة بحسب قدر الله وشرعه. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ... وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾^(٦). أي إلا تفعلوا أيها المؤمنون هذا التولي بالتعاون والتناصر بينكم تكن فتنة في الأرض وفساد كبير. هذا الذي رجحه ابن جرير لأن اللفظ يدل عليه دون القول الآخر

(١) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني حدث عن أبيه وابن المنكدر، توفي سنة ١٨٢ هـ. من آثاره: جمع تفسيراً في مجلد وكتاباً في الناسخ والنسوخ.

(٢) سورة الزخرف الآية: ٣٦.

(٣) جامع البيان: ١١٩/١٢.

(٤) تفسير البغوي: ١٨٩/٣.

(٥) رواه الإمام الطبري في التفسير: ١١٩/١٢.

(٦) سورة الأنفال الآية: ٧٣ - ٧٤.

بأنه خاص بولاية الإرث. وقد وقعت الفتنة والفساد الكبير بترك المسلمين هذه الولاية بينهم
وتخاذلهم وتولي بعضهم لمن نهاهم الله عن ولايتهم، وأولئك هم الظالمون.

وعن منصور بن أبي الأسود قال: سألت الأعمش عن قوله تعالى: ﴿وَكذَلِكَ نُوَلِّي
بعض الظالمين بعضاً﴾ ما سمعتهم يقولون فيه؟ قال: سمعتهم يقولون إذا فسد الناس أمر عليه
شراهم^(١). والأعمش تابعي فهو إنما يُسأل عن أقوال الصحابة وكبار علماء التابعين^(٢).

(١) الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٨٦/٣ وعزاه لأبي الشيخ.

(٢) تفسير المنار ١٠١/٨ مع التصرف اليسر بالاختصار.

المبحث السادس: حوار الله تعالى مع الكافرين وهم في غمرات

العذاب:

قال الله تعالى واصفاً لنا حالة من حالات المهانة للمستكبرين عن دعوة الرسل، وموقفاً من مواقف الخزي التي خوَّفوا بها في الدنيا فلم ينزجروا ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ﴾^(١).

يقول تعالى ذكره واصفاً حالهم ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾^(٢). ومشهد لفح النار للوجوه حتى تكلح، وتشوه هيئتها، وتكدر لونها.. مشهد مؤذ أليم. وفي الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ﴾ قال: تلفحهم لفحة تسيل لحومهم على أعقابهم^(٣). وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ﴿وهم فيها كالحون﴾ قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته^(٤).

ومع ما هم فيه من العذاب الحسي، فإن الله تعالى يزيدهم عذاباً فوق العذاب، عذاباً معنوياً أشد من العذاب الحسي، يوبخهم ويؤنبهم، ويخسيهم، فلا عذر لهم، ولا مطمع لهم في خروج، فقد غضب الله عليهم، وآيسهم من كل خير. فيوجه الله تعالى إليهم سؤال توبيخ وتقرير:

﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾^(٥).

(١) سورة القمر الآية: ٤.

(٢) سورة المؤمنون الآية: ١٠٤.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤٩٧/٥ وعزاه لابن مردويه، ورواه الضياء المقدسي في صفة النار كما في الدر المنثور: ١١٧/٦ من حديث أبي الدرداء، وفي صفة النار لابن أبي الدنيا نحوه موقوفاً حديث رقم ١١٠.

(٤) في مسند الإمام أحمد ٨٨/٣، والترمذي في جامعه حديث رقم ٢٥٨٧ من كتاب صفة جهنم، وحديث رقم ٣١٧٦ من كتاب التفسير والحاكم في المستدرک ٣٩٥/٢. قال الترمذي في الموضعين السابقين حديث حسن صحيح غريب، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٥) سورة المؤمنون الآية: ١٠٥.

فقد تليت عليهم قوارع القرآن وزواجره وخوفوا بها^(١) فكذبوا بها ظلماً، وبغياً، واستكباراً، وعناداً.

فقد أقام الله تعالى عليهم الحجّة، فلا حجة لهم كما قال ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(٢).

ولهذا لم يكن جوابهم، إلا اعترافاً وإقراراً فقالوا: ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ فأقروا بالإجرام، وبقيام الحجّة عليهم، ثم تدرجوا إلى الرغبة والطمع فتضرعوا طالبين الخروج من النار، والرجوع إلى الدنيا، قاطعين عهداً على أنفسهم، بعدم العودة إلى الكفر والتكذيب، لكن هيهات هيهات، فلا سبيل إلى الرجعى.

فجاء الجواب من الله تعالى: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ تبيساً لهم، وإهانة، وتحقيراً.

قال ابن جزى^(٣): ﴿اخسئوا كلمة تستعمل في زجر الكلاب ففيها إهانة وإبعاد﴾^(٤).

قال عبدا لله بن عمرو: فوالله ما نبس^(٥) القوم بعدها بكلمة واحدة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم، قال فشبهت أصواتهم بأصوات الحمير، أولها زفير وآخرها شهيق^(٦).

وعن عبدا لله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾

قال: .. فإن قالوا ذلك أطبقت عليهم فلا يخرج منهم أحد^(٧). ثم علل ما هم فيه فقال

(١) الخازن ٢٧٧/٣ مع التصرف اليسير.

(٢) سورة النساء الآية: ١٦٥.

(٣) هو محمد بن أحمد بن محمد الكلبي الغرناطي، ولد سنة ٦٩٣ هـ أبو القاسم عالم أديب مشارك في العربية والفقه والأصول والكلام والحديث والقراءة والتفسير توفي سنة ٧٤١ هـ من آثاره: (وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم) (تقريب الوصول إلى علم الأصول) المختصر البارع في قراءة نافع). ترجمته في: الدرر الكامنة: ٣/٣٥٦، الدياج لابن فرحون ص ٢٩٥.

(٤) التسهيل: ٥٧/٣.

(٥) قال ابن الأثير: في حديث ابن عمرو في صفة أهل النار: ((فما ينسون عند ذلك ما هو إلا الزفير والشهيق)) أي ما ينطقون وأصل النبس الحركة، ولم يستعمل إلا في النفي اهـ. من النهاية في غريب الحديث والأثر. ٨/٥.

(٦) ابن كثير ٢٥٢/٣.

(٧) ابن كثير ٢٥٢/٣.

تعالى: ﴿إِنَّه كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا﴾^(١).

تهزؤون بهم وتحتقرونهم ﴿حتى أنسوكم ذكري﴾ فنسيتم بتشاكلهم بهم واستهزأكم عليهم طاعتي وعبادتي^(٢).

﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ على أذاكم أحسن الجزاء ﴿أنهم هم الفائزون﴾ ثم ذكّرهم الله تعالى ونبههم على ما أضاعوه من طاعة الله تعالى في عمرهم القصير في الدنيا، لما سألوا الرجوع إلى الدنيا بعد أن أخبرهم بأن ذلك غير كائن كما في قوله ﴿احسبوا فيها﴾ وأنهم لو صبروا في مدة الدنيا القصيرة لفاضوا كما فاز أولياؤه المتقون، ولكنهم بدلاً من ذلك فقد اكتسبوا في هذه المدة القصيرة، كل شر أوصلهم إلى غضب الله تعالى وأليم عذابه^(٣).

فقال الله تعالى لهم على وجه اللوم ﴿كم لبثتم في الأرض عدد سنين﴾ فأجابوا مستقصرين مدة مكثهم في الدنيا ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فسأل العادين﴾ هذه هي الدنيا التي كانوا يقولون ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾^(٤).

وكم كان الرسول (يذكر الناس بقرب الأمر وما هم مقبلون عليه: « ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف استظل تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها»^(٥) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ النبي (بمنكي فقال: « كن في الدنيا

(١) ﴿سُخْرِيًّا﴾ فيها قراءتان بضم السين وكسرها، فالكسر (سُخْرِيًّا) من الاستهزاء، وبالضم (سُخْرِيًّا) من التسخير، قال أبو زرعة: قرأ نافع وحمة والكسائي (سُخْرِيًّا) بالضم، وقرأ الباقر بالكسر، وقال الخليل هما لغتان، وقال آخرون: بل ما كان في الاستهزاء فهو بالكسر، وما كان من جهة السخري فهو بالضم، والكسر أحسن لاتباع الكسرة. ويقوى الكسرة قوله بعدها: ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ والضحك بالهزة أشبه. اهـ من كتاب حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ص ٤٩١ - ٤٩٢ ؛ وانظر: الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم ٩٠١/٢ - ٩٠٢. فقيه زيادة بيان.

(٢) انظر الخازن ٢٨٧/٣ ؛ والكشاف ٢٠٠/٣.

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني: ٤٩٩/٣.

(٤) سورة الأنعام الآية: ٢٩.

(٥) رواه الإمام أحمد ٣٠١/١، وابن حبان (موارد الظمان) حديث رقم ٢٥٢٦ والحاكم في المستدرک ٣٠٩/٤ وعبد بن حميد في المنتخب حديث رقم ٥٩٧. قال الحاكم: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

كأنك غريب، أو عابر سبيل» وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)^(١).

هذه هي الدنيا كظل زائل، أو طيف مر بالخيال لذلك عَقَّبَ الله تعالى على جوابهم ﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فصدقهم الله في نقالهم لسني لبثهم في الدنيا، ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها^(٢)، فالدنيا دار مرور والآخرة هي دار القرار، والدنيا فانية سريعة الانقضاء والآخرة باقية دائمة، فلو علمتم ذلك حق العلم وصدقتم به لعملم له، بدلاً من التكذيب والطغيان، واستعجاله واستبعاد وقوعه.

ثم ختم الحق تبارك وتعالى هذا الحوار بتنزيه نفسه تعالى وتقدس عن أن يخلق شيئاً عبثاً من غير حكمة ومن غير ثواب ولا عقاب، وفي ذلك تنبيه عظيم إلى الحكمة من خلق الخلق وإثبات البعث بعد الموت للجزاء.. قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِيْنَا لَا تَرْجِعُونَ﴾ في الدار الآخر كما قال الله تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(٣) وكما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾^(٤). ﴿فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾^(٥).

(١) رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه كتاب الزهد ١١/١٩٥.

(٢) انظر الكشاف ٣/٢٠٠.

(٣) سورة القيامة الآية: ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء الآية: ١٦.

(٥) سورة المؤمنون الآيات: ١١٠ - ١١٦.

قال الزمخشري في الكشاف: وصف العرش بالكرم لأن الرحمة تنزل منه والخير والبركة أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين، كما يقال: بيت كريم - إذا كان ساكنوه كراماً ونحوه ﴿ذو العرش المجيد﴾. اهـ
٢٠١/٣

وقفات مع آية الحوار:

الوقفة الأولى:

عند قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ^(١). ويسأل الكفار في جهنم عن مدة لبثهم في الدنيا فيقولون: إنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم، وتخبر آية أخرى عنهم أنهم يقولون يوم القيامة إن لبثهم في الدنيا كان عشرًا، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (١٠٢) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا^(٢). وتصرح آية أخرى بأن الكفار يقسمون يوم القيامة أنهم ما لبثوا في الدنيا غير ساعة وهي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ^(٣)﴾.

والجواب عن هذا: أن هذه الأقوال المختلفة التي حكمتها هذه الآيات قد قالها الكفار لاختلافهم في الآخرة في تقدير مدة لبثهم في الدنيا.

فبعضهم يقول: كذا وبعضهم يقول كذا وبعضهم يقول كذا فحكمت الآيات أقوالهم المختلفة جميعاً فلا تناقض^(٤)، وأن يوم القيامة يوم طويل والمواطن فيه كثيرة والمواقف متعددة ففي موطن يقولون كذا وفي آخر يقولون كذا أو أنهم في مواقف صعبة ومواطن مهيلة قد اشتد كربهم وعظم فزعهم وبلغ الخوف منهم كل مبلغ فهم في قول مضطرب طاشت عقولهم لشدة ذلك اليوم وزاغت أبصارهم لفظاعة ما يرون.

كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ^(٥). وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ﴾ (٧) وَخَسَفَ

(١) سورة المؤمنون الآية: ١١٢ - ١١٣.

(٢) سورة طه الآية: ١٠٢ - ١٠٤.

(٣) سورة الروم الآية: ٥٥.

(٤) (البيان في دفع التعارض المتوهم بين آيات القرآن) لمحمد أبو النور الحديدي ص ٨٣.

(٥) سورة الحج الآيات: ١ - ٢.

الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ (١). فتارة يقولون كذا وتارة كذا (٢).

الوقفه الثانية:

وردت أدلة عديدة في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه ﷺ على حرمان الكفار من تكليم الله تعالى لهم منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤).

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع الإمام...» الحديث (٥). وحديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي (قال: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار. قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: المسبل إزاره والمنان عطاءه والمنفق سلعته بالحلف الكاذب (٦) وحديث أبي هريرة الآخر قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكين (٧).

(١) سورة القيامة الآية: ٧ - ١٠.

(٢) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤٦-٤٧.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٧٤.

(٤) سورة آل عمران الآية: ٧٧.

(٥) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري ٣٤/٥ ومسلم حديث رقم ١٠٨.

(٦) أخرجه الإمام أحمد ١٤٨/٥ ومسلم في صحيحه حديث رقم ١٠٦.

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه حديث رقم ١٠٧.

ولا يشكل تسمية هذا الفصل بـ (حوار كلام الله تعالى مع الكافرين) مع ما ورد من نفي كلام الله تعالى لهم.

لأنا نقول:

ما كان من كلام الله تعالى مع الكافرين فهو على نوعين:

١- نوع منفي وهو كلام لطف بهم وإكرام قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١). قال: يعني لا يكلمهم الله كلام لطف بهم ولا ينظر إليهم بعين الرحمة ولا يزكيهم من الذنوب والأدناس بل يأمر بهم إلى النار^(٢).

٢- نوع مثبت وهو ما كان للتوبيخ والتقريع والإهانة والتخسية وجميع ما ورد من آيات في الفصل الثالث من الباب الأول يعتبر دليلاً على هذا النوع داخلاً فيه وقد بوب إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى في كتابه (كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل) على حديث صفوان بن محرز السابق، باباً بعنوان: باب الفرق بين كلام الله - تباركت أسماؤه وجل ثناؤه - المؤمن الذي قد ستر الله عليه ذنوبه في الدنيا وهو يريد مغفرتها له في الآخرة. وبين كلام الله الكافر الذي كان في الدنيا غير مؤمن بالله العظيم، كاذباً على ربه، ضالاً عن سبيله كافراً بالآخرة، ثم ساق الحديث من ستة طرق^(٣).

وقال - رحمه الله تعالى - أيضاً: إن الله جلّ وعلا يكلم الكافر والمنافق يوم القيامة تقريراً وتوبيخاً^(٤).

وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يقول الله تبارك وتعالى

(١) سورة آل عمران الآية: ٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٥٦١.

(٣) انظر (كتاب التوحيد..) ١/٣٨٦ - ٣٨٩.

(٤) المصدر السابق ١/٣٦٥، وانظر ١/٣٦٦ - ٣٨٥ فقد ساق عدّة أحاديث تدل بوضوح على كلام الله تعالى مع الكافرين والمنافقين.

لأهون أهل النار عذاباً: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك - أحسبه قال: ولا أدخلك النار - فأبيت إلا الشرك^(١). والأحاديث في ذلك أكثر من أن تحصى^(٢).

(١) متفق عليه. أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في عدّة مواضع ٣٦٣/٦ و ٤١٦/١١ ومسلم في صحيحه حديث رقم ٢٨٠٥.
(٢) انظر مثلاً المستدرک ٨٥/٢ حديث رقم ٢٤٠٥، و(كتاب التوحيد) لابن خزيمة ٣٧٥/١ حديث رقم ٢٢٢ وما قبله. وشرح السنة للبخاري ٣٣١/١٤ حديث رقم ٤١٤٣.

الفصل الرابع: حوار الله تعالى مع جهنم

جهنم دار الذل والهوان والتعاسة والشقاء. فهي مكان غضب الجبار. جمع الله تعالى فيها أنواع العذاب والنكال. فيها السلاسل والأغلال. والضريع^(١) والزقوم^(٢). والحميم^(٣) والغسلين^(٤). فيها مقامع الحديد. أوكل الله تعالى إضرامها. وإنزال أهلها في دركاتها إلى ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

ومن الأهوال العظام والمصائب الجسام. التي تذهل بسببها كل مرضعة عما أرضعت. وتضع كل ذات حمل حملها. وترى الناس سكارى وما هم بسكارى.. أن يجعل الله تعالى لجهنم مواقف مفعجة. وأحوالاً رهيبة مذهلة من ذلك:

١- أن يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام. مع كل زمام سبعون ألف ملك: قال تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾^(٥) قال ﷺ: يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام. مع كل زمام سبعون ألف ملك^(٦).

٢- خروج عنق من النار يطلع على أهل المحشر ويتكلم..

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يخرج يوم القيامة عنق من النار. له عينان تبصران. وأذنان تسمعان. ولسان ينطق: يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد. وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر. وبالمصورين»^(٧).

٣- أن النار يوم القيامة تبصر. فإذا رأت الكفار من مكان بعيد في عرصات المحشر اشتد غيظها على من كفر بربها. وعلا زفيرها. قال الله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ

(١) الضريع: نبت يقال له الشريق. وأهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس (اللسان (ضرع).

(٢) الزقوم: شجرة غبراء صغيرة الورق مدورتها لا شوك لها. ذفرة مرة. لها كعابر في سوقها كثيرة. ولها وريد ضعيف جداً. ونورتها بيضاء. ورأس ورقها قبيح جداً. اللسان (زقم).

(٣) الحميم: الماء الحار. اللسان (حمم).

(٤) الغسلين: ما يسيل من جلود أهل النار كالقيح وغيره كأنه يغسل عنهم. اللسان (غسل).

(٥) سورة الفجر الآية: ٢٣.

(٦) رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها. باب في شدة حر جهنم: ٢١٨٤/٤ رقم ٢٨٤٢.

(٧) رواه الترمذي رقم ٢٥٧٧ في صفة جهنم. باب ما جاء في صفة النار. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا^(١) وقال تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيْقًا وَهِيَ تَفُوْرٌ(٧) تَكَادُ تَمِيْزُ مِنَ الْغَيْظِ^(٢) .

فيكاد بعضها ينفصل عن بعض من شدة غيظها. على من كفر بالله تعالى. والزفير والشهيق مثلهما معاً صوت الحمار في نهيقه. فأوله زفير وآخره الذي يردده في صدره شهيق^(٣).

فالنار تبصر وتغتاظ وتتكلم^(٤)، كل ذلك تنكيلاً بأهلها وإظهاراً لحنقها وغيظها على الكافرين.

ومن ذلك ما أخبرنا الله تعالى في محكم التنزيل من حوار يكون من نار جهنم في ذلك اليوم. عندما يلقي في جهنم الأعداد الهائلة التي لا يحصيها إلا الله. مع ضخامة الواحد منهم.

(١) سورة الفرقان الآية: ١٢.

(٢) سورة الملك الآية: ٧ - ٨. قال الشريف الرضي في كتابه (تلخيص البيان في مجازات القرآن): وصف الله سبحانه النار بأن لها أصواتاً مقطعة تهول من سماعها ويصعق من قُرب منها. ﴿تَكَادُ تَمِيْزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ من قولهم تغيظت القدر إذا اشتد غليانها. ثم صارت الصفة به مخصوصة بالإنسان المغضب. فكأنه سبحانه وصف النار - نعوذ بالله منها - بصفة المغيظ الغضبان. الذي من شأنه إذا بلغ ذلك الحد أن يبالي في الانتقام. ويتجاوز الغايات في الإيقاع والإيلام. وقد جرت عاداتهم في صفة الإنسان الشديد الغيظ بأن يقولوا: يكاد فلان يتميز غيظاً أي تكاد أعصابه المتلاحمة تترايل. وأحلاطه المتجاورة تتنافى وتتباعد من شدة احتياج غيظه. واحتدام طبعه. فأجرى سبحانه هذه الصفة التي هي أبلغ صفات الغضبان على نار جهنم لما وصفها بالغيظ ليكون التمثيل في أقصى منازلها. وأعلى مراتبها. اهـ منه ص ٣٣٩.

(٣) انظر (المفردات) للراغب مادة (زفر) ص ٢١٧ ومادة (شهو) ص ٢٧٧.

(٤) كما ورد في السنن للترمذي رقم ٢٥٧٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (يخرج يوم القيامة عنق من النار لها عينان تبصران. وأذنان تسمعان ولسان ينطق..) قال العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى: واعلم أن ما يزعمه كثير من المفسرين وغيرهم. من المنتسبين للعلم من أن النار لا تبصر ولا تتكلم. ولا تغتاظ. وأن ذلك كله من قبيل المجاز. أو أن الذي يفعل ذلك خزنتها كله باطل ولا معول عليه. بمخالفته لنصوص الوحي الصحيحة بلا مستند. وقد أجمع من يعتد به من أهل العلم على أن النصوص من الكتاب والسنة. لا يجوز صرفها عن ظاهرها إلا للدليل يجب الرجوع إليه كما هو معلوم في محله. اهـ كلامه رحمه الله من الأضواء ٢٨٩/٦؛ وانظر القرطبي: ١٧/١٧؛ والقاسمي في تفسيره: ١٨٠/١٥.

حتى يكون ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد. وغلظ جلده: مسيرة ثلاث»^(١). حيثئذ يقول الحق جل وعلا لجهنم ﴿هل امتلأت﴾^(٢)؟ (وفائدة سؤاله إياها وقد علم هل امتلأت أم لا؟ فإنه توبيخ لمن أدخلها. وزيادة في مكروهه. ودليل على تصديق قوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾^(٣) ^(٤).

فتجيب جهنم ﴿وتقول: هل من مزيد﴾؟ فالاستفهام هنا بمعنى الزيادة أي أنها تطلب الزيادة على من قد صار فيها. فكأنها تقول: زيدوني^(٥)، تغيظاً وحنقاً عليهم وغضباً لله عز وجل على من كفر به وعصاه، كما قال تعالى ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾^(٦). وكما قال ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾^(٧).

(١) من حديث رواه مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه رقم ٢٧٥١ في صفة الجنة باب النار يدخلها الجبارون.

(٢) قرأ عاصم ونافع بالياء ﴿يوم يقول لجهنم﴾ والوجه: إخبار عن الله. والفاعل ضمير مستتر يعود على اسمه تعالى. وقرأ الباقون ﴿نقول﴾ بنون العظمة. والوجه أنه على وفاق ما قبله ﴿فكشفتنا عنك غطاءك﴾ أو لما يليه وهو قوله ﴿ما يبذل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾. انظر (الموضح في وجوه القراءات ٣/١٢٠٠) وقرأ ابن مسعود والحسن والأعمش: (يقال) مبنياً للمفعول. انظر المحتسب: ٣٣٣/٢. وتفسير ابن عادل ٣٧/١٨.

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٨.

(٤) تفسير ابن الجوزي ١٩/٨. وقارن بالزجاج في معاني القرآن: ٤٧/٥.

(٥) هذا هو القول الراجح في الآية إن شاء الله تعالى - وهو الذي رجحه جمع من المفسرين.

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: وأولى القولين - ما من مزيد لشدة امتلائها والثاني بمعنى زيدوني - في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو بمعنى الاستزادة. هل من شيء ازداده؟ وإنما قلنا في ذلك أولى القولين بالصواب لصحة الخبر عن رسول الله (هـ من جامع البيان: ٣٦١/٢٢). وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: هذا هو الظاهر من سياق الآية وعليه تدل الأحاديث الهـ من ٢٣٤/٤.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في (الفوائد) ص ١٥: ثم أخبر عن سعة جهنم وأنها كلما ألقى فيها ﴿تقول هل من مزيد﴾ وأخطأ من قال إن ذلك للنفي. أي ليس من مزيد. والحديث الصحيح يرد هذا التأويل.

(٦) سورة الملك الآية: ٨.

(٧) سورة الفرقان الآية: ١٢.

وهذا الجواب كأرهب ما يكون. وفيه بيان عظيم اتساع جهنم^(١)، فهي تطلب المزيد بالرغم من الكثرة الكثيرة. والأغلبية الساحقة التي تكرس في النار. وتساق إلى الجحيم جزاء كفرها وتكذيبها. والتي جاء بيان كثرتها في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أول من يدعى يوم القيامة: آدم عليه السلام. فتزأى ذريته. فيقال لهم: هذا أبوكم آدم؟ فيقول: لبيك وسعديك. فيقول: أخرج بعث جهنم من ذريتك. فيقول: يا رب. كم أخرج؟ فيقول: أخرج من كل مائة تسعة وتسعين...»^(٢) وبالرغم من ذلك فإن النار لا تضيق بهم. ولا تفتقر عن ابتلاعهم. فهي شاسعة واسعة. بعيد قعرها. يدل على هذا حديث أبي هريرة (قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع وجبة^(٣)). فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تدرون ما هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم. قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً. فهو يهوي في النار إلى الآن»^(٤).

فلا تزال تطلب الزيادة. غضباً لربها. وغيظاً على الكافرين. حتى يضع رب العزة عليها قدمه الكريمة فينزوي بعضها على بعض. وتقول: قط قط، قد اكتفيت وامتألت. ففي حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يلقى في النار وتقول: هل من مزيد. حتى يضع قدمه فتقول: قط قط».

(١) يحكى أن أحد المستشرقين الفرنسيين. زار مصر فاجتمع بالرافعي. الأديب المشهور. فسأله: هل أنت ممن يعتقد بإعجاز القرآن؟ وفهم الرافعي غرضه فقال له: حتى ندرك أن القرآن معجز أو غير معجز ينبغي أن نحاول محاكاته. أريد منك أن تعبر لي باللغة العربية لفظاً مفاده: جهنم واسعة. وأعطاه ورقة وأخذ ورقة يوهمه أنه سيكتب فيها. فكتب المستشرق عبارات عربية. حاول فيها التعبير عن سعة جهنم. منها: جهنم واسعة جداً. إن جهنم لأوسع مما تظنون. إن جهنم لا يتصور سعتها خيال... الخ ثم قرأها على الرافعي وقال له: هل جاء القرآن بتعبير أروع من هذا؟ فضحك الرافعي وقال له: لقد كنا أطفالاً أو أقزاماً أمام إبداع القرآن وإعجازه. فقال له: وماذا قال القرآن؟ قال: اسمع قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِلْجَنَّةِ هَلْ امْتَأَلْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾؟ فقد أوردتها بصورة محاورة لفظية. يعجز عن التعبير عنها البشر. فطأطأ المستشرق رأسه. وأذعن لروعة إعجاز القرآن اهـ. بواسطة دراسات قرآنية رقم (١٢) ص ٢٤٣.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: ٣٣٦/١١ في الرقاق. باب الحشر.

(٣) قال في (المجموع المغيب في غريب القرآن والحديث) ٣/٣٨٥ - ٣٨٦. وجبت الشمس: إذا سقطت لتغيب. وقال أيضاً: صوت السقوط.

(٤) رواه مسلم في كتاب الجنة. باب في شدة حر النار: ٤/٢١٨٤ ورقمه ٢٨٤٤.

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه: «يقال لجهنم هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟ فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها. فتقول: قط قط».

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه: فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض. ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً^(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فإذا قالت حسبي حسبي كانت قد اكتفت بما ألقى فيها. ولم تقل بعد ذلك هل من مزيد. بل تمتلئ بما فيها لانزواء بعضها إلى بعض. فإن الله يضيقها على من فيها لسعتها. فإنه قد وعدا ليملأنها من الجنة والناس أجمعين. وهي واسعة فلا تمتلئ. حتى يضيقها على من فيها اهـ^(٢).

(١) جميع هذه الروايات رواها الإمام البخاري في صحيحه كتاب التفسير. باب (وتقول هل من مزيد) انظر البخاري مع الفتح: ٥٩٤/٨ - ٥٩٥.

(٢) (التفسير الكبير) لشيخ الإسلام ابن تيمية. جمع د/ عبدالرحمن عميرة: ٧/٦.

وقفات مع آية الحوار:

الوقفة الأولى: قال الباقلاني^(١):

ومن البديع الغلو والإفراط في الصفة. وبعد أن ساق له عدّة شواهد شعرية قال: ومن هذا الجنس في القرآن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلأتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾^(٢) اهـ^(٣).

قلت: إذا علمت أن المبالغة تنقسم - عند البلاغيين - ثلاثة أقسام وهي:

١- التبليغ: وضابطه أن يكون الوصف المدعى فيه جائز الوقوع عقلاً وعادة، يعنى: أن تحقيقه غير ممتنع.

٢- الإغراق: وضابطه أن يكون الوصف المدعى فيه جائز الوقوع عقلاً وممتنعاً عادة.

٣- الغلو: وضابطه أن يكون الوصف المدعى فيه غير ممكن الوقوع لا عقلاً ولا عادة^(٤).

فإن قول الباقلاني - السابق الذكر - غير مقبول البتة. فهل من اللائق أن يصف آية من كتاب الله تعالى بالغلو والإفراط؟ سبحانك هذا بهتان عظيم. بل إن الغلو والإفراط أن يقال إن في هذه الآية غلواً أو إفراطاً!!

فكل ما في القرآن العظيم حقيقة وصدق. وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(٥). وقال عز من قائل: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ..﴾^(٦) الآية. وقال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٧).

(١) الباقلاني هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر البصري ثم البغدادي القاضي. كان إماماً كبير القدر. وكان غاية في الذكاء والفطنة.. مالكي في الفروع. أشعري في الأصول. يعتبر المؤسس الثاني للمذهب الأشعري. له مصنفات عديدة منها: إعجاز القرآن والتمهيد والإنصاف وغيرها. انظر: السير ١٧/١٩٠. وفيات الأعيان ٤/٢٦٩.

(٢) سورة ق الآية: ٣٠.

(٣) إعجاز القرآن للباقلاني: ٧٦-٧٧ تحقيق أحمد صقر.

(٤) انظر (الصناعتين) لأبي هلال العسكري ص ٢٨٠.

(٥) سورة النساء الآية: ١٢٢.

(٦) سورة فصلت الآية: ٤٢.

(٧) سورة الحج الآية: ٤٦.

والحق الذي ليس بعده إلا الضلال المبين أن هذه الآية تبليغ صادق مبين - بدون زيادة ولا نقص - لما سيقع في اليوم الآخر من كلام الله تعالى لجهنم. وقولها جواباً على كلام الله تعالى لها. كما سبق بيانه^(١).

الوقف الثانية:

قال الزمخشري عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لَجَهَنَّمَ..﴾ وسؤال جهنم وجوابها من باب التخيل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتشبيته^(٢).

وتعقبه ابن المنير بقوله: قد تقدم إنكاري عليه إطلاق التخيل في غير ما موضع. والنكير ها هنا أشد عليه. وأي إيهام أشد من إيهام لفظ التخيل. ألا ترى كيف استعمله الله فيما أخبر أنه سحر وباطل في قوله ﴿يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾^(٣). فلا يشكل في وجوب اجتنابه. ثم يعود بنا الكلام إلى إطلاقه ههنا. فنقول: هو منكر لفظاً ومعنى. أما اللفظ فقد تقدم. وأما المعنى فلأننا نعتقد أن سؤال جهنم وجوابها حقيقة. وأن الله تعالى يخلق فيها الإدراك بذلك بشرطه. وكيف نفرض وقد وردت الأخبار وتظاهرت على ذلك: منها هذا. ومنها تحتاج الجنة والنار. ومنها اشتكاؤها إلى ربها فأذن لها في نفسين. وهذه وإن لم تكن نصوصاً فظواهر يجب حملها على حقائقها لأننا متبعون باعتقاد الظاهر ما لم يمنع مانع. ولا مانع ههنا، فإن القدرة سالحة. والعقل يجوز. والظواهر قاضية بوقوع ما صوره العقل. وقد وقع مثل هذا قطعاً في الدنيا. كتسليم الشجر. وتسبيح الحصى في كف النبي ﷺ. وفي يد أصحابه. وليس هذا كالظواهر الواردة في الإلهيات مما لم يجوز العقل اعتقاد ظاهرها. فإن العدول فيها عن ظاهر الكلام بضرورة الانقياد إلى أدلة العقل^(٤).

(١) انظر: مجلة كلية اللغة العربية. جامعة أم القرى. العدد الأول. السنة الأول. أسس بلاغية على البيان القرآن محذور مثل من المبالغة والسجع.

(٢) الكشاف: ٣٧٩/٤.

(٣) سورة طه الآية: ٦٦.

(٤) ((الانتصاف حاشية على الكشاف)) ٣٧٩/٤. قلت: كلامه هذا في غاية الجودة لولا ما ذيله بقوله (وليس هذا كالظواهر الواردة في الإلهيات..). فهذا تناقض ظاهر وتفريق لا دليل عليه.

بل هما من مشكاة واحدة فكليهما أخبرنا الله تعالى به وأمرنا بالإيمان به كما ورد. ولو أراد منا غير ظاهره لبيته الله تعالى لنا. أو لبيته رسوله ﷺ. والعقل الصريح لا يتعارض مع ما ورد من الخير الصحيح في باب الإلهيات وغيرها من أصول وفروع الشريعة. انظر: الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية: ص ٤٨٣ - ٥٠٠.

قلت: وكلام الزمخشري يشبه من بعض الوجوه كلام بعض فرق الفلاسفة قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ومنهم - أي من فرق الفلاسفة - أهل الوهم والتخيل وهم الذين يقولون: أن الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر. وعن الجنة والنار والملائكة بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه. ولكنهم خاطبوا بما يتخيلون ويتوهمون به أن الله جسم عظيم. وأن الأبدان تعاد. وأن لهم نعيماً محسوساً. وعقاباً محسوساً. وإن كان الأمر ليس كذلك في نفس الأمر. لأن من مصلحة الجمهور أن يخاطبوا بما يتوهمون به ويتخيلون من أن الأمر هكذا. وإن كان هذا كذباً فهو كذب لمصلحة الجمهور. إذ كانت دعوتهم ومصالحتهم لا تمكن إلا بهذه الطريق اهـ^(١).

الوقف الثالث:

قال الشريف الرضي^(٢): الخطاب للنار والجواب منها في الحقيقة لا يصحان. وإنما المراد - والله أعلم - أنها فيما ظهر من امتلائها. وبأن من اغتصاصها بأهلها بمنزلة الناطقة بأنه لا مزيد فيها. ولا سعة عندها... والوجه في قوله تعالى في الحكاية عن جهنم ﴿هل من مزيد﴾ بمعنى لا من مزيد في. وليس ذلك على طريق طلب الزيادة اهـ^(٣).

قلت: لا أحد أعلم بمراد الله سبحانه من رسول الله ﷺ لا يجادل ولا ينزع أحد من المسلمين في ذلك.

وعليه فإن قول النبي ﷺ: «يقال لجهنم هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟» فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها. فتقول: قط قط»^(٤) هو التفسير الصحيح لقوله تعالى: ﴿يوم

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول) لشيخ الإسلام ابن تيمية: ٣/١.

(٢) هو محمد بن الحسين بن موسى يتصل نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما نقيب الطالبين ببغداد. أديب. شاعر. وكان شيعياً. ولد ببغداد سنة ٣٥٩ هـ. وتوفي بها سنة ٤٠٦ هـ.

من مصنفاته: نهج البلاغة - زعم أنه جمع فيه أقوال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد أنكر العلامة الذهبي رحمه الله تعالى صحة نسبة هذه الأقوال. وقال: فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها ولكن أين المنصف - وله كتاب «معاني القرآن» قال الذهبي عنه: تمتع يدل على سعة علمه. وله أيضاً المجازات النبوية وغيرها. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٢/٢٤٦. وسير أعلام النبلاء: ٢٨٥/١٧.

(٣) «تلخيص البيان عن مجازات القرآن» ص ٣١١.

(٤) الحديث سبق تخريجه قريباً.

نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴿ وليس بعد قول الله وقول رسوله (من قول إلا الضلال المبين فإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل. وقد قيل: لا اجتهاد مع نص^(١).

قال العلامة ابن قتيبة الدينوري رحمه الله تعالى: وأما تأويلهم قوله تعالى لجهنم ﴿هل امتلأت﴾ إنه إخبار عن سعتها فما يُحوج إلى التعسف والتماس المخارج بالحيل الضعيفة وما ينفع من وجود ذلك في الآية والآيتين. والمعنى والمعنيين. وسائر ما جاء في كتاب الله عز وجل من هذا الجنس. وفي حديث رسول الله ﷺ ممتنع عن مثل هذه التأويلات. وما نطق جهنم ونطق السماء والأرض^(٢)؟ والله تبارك وتعالى ينطق الجلود. والأيدي. والأرجل^(٣)، ويسخر الجبال. والطيور بالتسييح فقال: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾^(٤).

وقال: ﴿يَا جِبَالُ أَوَّي مَعَهُ وَالطَّيْرُ...﴾^(٥) أي سبحت معه وقال: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٦).
وروي^(٧) في الحديث أنها تقول: قط قط^(٨). أي حسي.

وهذا سليمان عليه السلام يفهم منطق الطير^(٩) وقول النمل^(١٠) من الحكل، والحكل ما لا

(١) بوب الخطيب البغدادي في كتابه (الفتاوى والمتفقه) باباً بعنوان: (باب في سقوط الاجتهاد مع وجود النص) انظر ٢٠٦/١ منه. وبوب في (جامع بيان العلم وفضله) له أيضاً باباً بعنوان (باب اجتهاد الرأي على الأصول عند عدم النصوص.. انظر: ٥٥/٢ منه. وانظر (إعلام الموقعين) ٢٧٩/٢.

(٢) يقصد قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾. سورة فصلت الآية: ١١

(٣) يقصد قوله تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾. سورة يس الآية: ٦٥

(٤) سورة ص الآية: ١٩

(٥) سورة سبأ الآية: ١٠

(٦) سورة الإسراء الآية: ٤٤

(٧) روي من صيغ التمريض وإنما تورد عند ذكر الحديث الضعيف. أما والحديث في صحيح البخاري فيورد بصيغة الجزم.

(٨) الحديث تقدم قريباً تخريجه.

(٩) قال تعالى: ﴿وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير...﴾ سورة النمل الآية: ١٦

(١٠) قال تعالى: ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون * فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك...﴾ النمل الآية:

يسمع له صوت.

وهذا رسول الله ﷺ تخبره الذراع المسمومة^(١)، ويخبره البعير أن أهله يجيعونه ويدبونه^(٢)،
في أشباه لهذا كثيرة...

وما جاء في هذا أكثر من أن نحيط به فمن آمن بمحمد ﷺ وبأن ما جاء به الحق. آمن
بجميع هذا وشرح صدره به^(٣).

(١) رواه أبو داود في كتاب الديات حديث رقم ٤٥١٠ وحديث رقم ٤٥١٢ والدارمي باب ما أكرم النبي (من
كلام الموتى: ٢٧/١) حديث رقم ٦٧ و٦٨ و٦٩. قال الهيثمي في مجمع الزوائد. رجاله ثقات. اهـ منه
٢٩٩/٨.

(٢) انظر سنن أبي داود كتاب الجهاد باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم.

(٣) «تأويل مشكل القرآن» ص ٨٣-٩٢ مع التصرف بالاختصار.

وقففة مع آيات حوار الله تعالى مع خلقه:

استدل بآيات حوار الله تعالى مع خلقه - الملائكة. الأنبياء. الكافرين. جهنم - الواردة في هذا الباب على:

١- أن الله تعالى متصف بالصفات الاختيارية ومنها الكلام والنداء وغير ذلك من صفاته تعالى التي تقوم بمشيئته تعالى واختياره فإن شاء تكلم وإن شاء سكت^(١) وفي ذلك رد على طوائف من المبتدعة الذين يسمون الصفات الاختيارية بمسألة حلول الحوادث قالوا: فلو اتصف الرب بها لقامت به الحوادث. ولو قامت به الحوادث لم يخل منها. وما لم يخلو من الحوادث فهو حادث.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: الصفات الاختيارية هي الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل. فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته مثل: كلامه. وسمعه. وبصره. وإرادته. ومحبه... ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة.

(١) يوصف الله تعالى (بالسكوت) على ما يليق به سبحانه وتعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وهي صفة فعلية اختيارية ثابتة بالسنة الصحيحة. منها حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً: ((ما أحل الله في كتابه فهو الحلال. وما حرم فهو الحرام. وما سكت عنه فهو عفو. فاقبلوا من الله عافيته. فإن الله لم يكن نسياً)) أخرجه البزار رقم ٢٢٣١ - في كشف الأستار - والدارقطني ١٣٧/٢ والحاكم ٣٧٥/٢ وصححه ووافقه الذهبي. وحسنه الهيثمي في مجمع الروائد ١٧١/١.

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء. ويتركون أشياء تقدرأ. فبعث الله تعالى نبيه (وأنزل كتابه. وأحل حلاله. وحرم حرامه. فما أحل فهو حلال. وما حرم فهو حرام. وما سكت عنه فهو عفو وتلا: ﴿قل لا أحد في ما أوحى إلي محرماً...﴾ إلى آخر الآية - الأنعام ١٤٥ - أخرجه أبو داود برقم ٣٨٠٠. والحاكم ١١٥/٤ وصححه ووافقه الذهبي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري: فطار لتلك الفتنة - التي وقعت بين الإمام أبو بكر بن خزيمة وأصحابه - ذاك الإمام أبو بكر. فلم يزل يصيح بتشويهها. ويصنف في ردها. كأنه منذر جيش. حتى دون في الدفاتر وتمكن في السرائر. ولقن في الكتائب. ونقش في الحاريب: أن الله متكلم إن شاء تكلم وإن شاء سكت. فجزى الله ذاك الإمام. وأولئك نفر الغر عن نصره دينه، وتوقير نبيه خيراً... ثم قال رحمه الله تعالى - يعني ابن تيمية -: ويقول الفقهاء في دلالة المنطوق والمسكوت. وهو ما نطق به الشارع وهو الله ورسوله. وما سكت عنه... فثبت بالسنة والإجماع أن الله يوصف بالسكوت... اهـ من الفتاوى ١٧٨/٦ - ١٧٩ مع التصرف اليسير بالاختصار.

٢- إثبات الصوت لله تعالى وهو كسائر صفاته تعالى. فكما أن صفاته لا تشبه صفات المخلوقين فكذلك صوته تعالى لا يشبه أصواتهم. فالله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

وذلك أن الله تعالى قال عن نفسه: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾^(١) والنداء في لغة العرب هو (النداء بأرفع صوت)^(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: هذه الصفة - الصوت - دل عليها القرآن فإن الله أخبر بمناداته لعباده في غير آية كقوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾^(٣) وقوله ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾^(٤) وقوله ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾^(٥) و «النداء» في لغة العرب هو صوت رفيع. لا يطلق النداء على ما ليس بصوت لا حقيقة ولا مجازاً. وإذا كان النداء نوعاً من الصوت فالدال على النوع دال على الجنس بالضرورة، كما لو دل دليل على أن هنا إنساناً فإنه يعلم أن هنا حيواناً^(٦).

وقال أيضاً رحمه الله تعالى: وأن الله يتكلم بصوت^(٧) ...

(١) وردت بهذا اللفظ في سورة القصص الآية ٦٢ . ٦٥ . ٧٤ . وفصلت الآية ٤٧ .

(٢) (لسان العرب) مادة ندى وانظر (الصحاح) للجوهري مادة ندا .

(٣) سورة مريم الآية: ٥٢ .

(٤) سورة فصلت: ٤٧ .

(٥) سورة الأعراف الآية: ٢٢ .

(٦) استدلل رحمه الله تعالى من عشرة أوجه على إثبات صفة الصوت لله تعالى ولولا خشية الإطالة لذكرتها انظرها في (مجموع الفتاوى) ٥٣٠/٦ وما بعدها .

(٧) انظر (مجموع الفتاوى) ١٢/٢٤٣ - ٢٤٤ .

الباب الثاني : حوار المؤمنين

وفيه :

الفصل الأول : حوار المؤمنين مع بعضهم بعضاً

وفيه : مبحثان

المبحث الأول : الحوار في موقف الشفاعة .

المبحث الثاني : حوارهم عند تذكرهم أحوالهم في الدنيا .

الفصل الثاني : حوار المؤمنين مع الكافرين

وفيه مبحثان

المبحث الأول : حوار المؤمنين عند مناداتهم لأصحاب النار .

المبحث الثاني : حوار المؤمنين مع الكافرين عند تساؤلهم

عن المجرمين .

الباب الثاني: حوار المؤمنين

تمهيد:

حوار المؤمنين في الآخرة. حوار من أمن من الفزع الأكبر. وتلقته الملائكة بالبشرى ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون * لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتتهت أنفسهم خالدون * لا يجزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾^(١) فهو حوار متضمن بيان ما كانوا عليه في الدنيا. وما صاروا إليه من نعيم مقيم وثناء لله تعالى. على ما أنعم به عليهم في الدنيا. من نعمة الهداية. ولذة مناجاته تعالى. والالتزام بدينه القويم. والثبات عليه إلى الممات. وفي الآخرة بقبول شفاعة الشافعين فيهم وإدخالهم جنات النعيم.

ومن تمام سرورهم أنهم يرون بأعينهم. مصير من كان يظلمهم. ويسفهمهم ويستهزئ بهم وبما هم عليه من دين قويم. بل ويدور بين الفريقين حوار. يناقش فيه المؤمنون الكافرين. عن أسباب دخولهم نار جهنم. وهم يعلمون سبب ذلك. لكن لزيادة عذاب الكافرين. وتحقيراً وإهانة لهم. فهم اليوم يضحكون ممن كان يضحك منهم. قال الله تعالى: ﴿إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مروا بهم يتغامزون * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾^(٢).

وفي هذا الباب نستعرض إن شاء الله تعالى - هذه الحوارات وغيرها بالتفصيل.

(١) سورة الأنبياء الآية: ١٠١ - ١٠٣.

(٢) سورة المطففين الآيات: ٢٩ - ٣٤.

الفصل الأول: حوار المؤمنين مع بعضهم بعضاً وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الحوار في موقف الشفاعة:

يوم القيامة يوم عظيم هوله. شديد فزعه. إذ يغضب فيه الرب غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله. كما جاء في حديث الشفاعة العظمى ((... إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله. ولن يغضب بعده مثله))^(١).

ومن عظيم رحمة الله تعالى بعباده أن شرع لهم الشفاعة^(٢). ولكن من يجترئ. وقد: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾^(٣).

يأتي الرب سبحانه وتعالى^(٤)، وملائكته أهل السموات كلهم يجيئون صفوفاً. للفصل بين العباد. قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(٥).

الكل في مشهد مهيب. عند مجيء الرب سبحانه وتعالى. فلا يجترئ أحد أن يشفع عنده إلا بإذنه تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾^(٦). (والمعنى لا يشفع إلا لمن أذن له)^(٧).

(١) جزء من حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما البخاري ٢٦٤/٦ في الأنبياء: وباب قول الله عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ وباب قول الله تعالى ﴿واخذ الله إبراهيم خليلاً﴾. ومسلم رقم ١٩٤ في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) الشفاعة تنقسم إلى قسمين: شفاعاة مثبتة وشفاعة منفية. المثبتة لأهل التوحيد. والمنفية لأهل الشرك.
قال الإمام النووي (أهل السنة متفقون على وقوع الشفاعة. ودل عليه العقل والسمع، فقد ثبت ذلك في كتاب الله وسنة رسوله. والأحاديث فيها بلغت حد التواتر. وأجمعوا على وقوعها للمذنبين من أهل التوحيد. وإنما خالف أهل البدع الذين سلكوا غير سبيل المؤمنين). اهـ من شرح مسلم ٣٥/٢. انظر للاستزادة شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٣. وفتح الباري: ٤٣٧/١١.

(٣) سورة الفجر الآية: ٢٢-٢٣.

(٤) وهذا الإتيان على ظاهره وبما يليق بجلاله تعالى وعظمته.

(٥) سورة البقرة الآية ٢١٠.

(٦) سورة سبأ الآية: ٢٣.

(٧) (معاني القرآن) للأخفش: ٤٤٤/٢.

ولن رضي الله عنه. قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(١).

وقد أخبرنا الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل. عن ذلك المشهد المرهوب. في اليوم العظيم ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢). ﴿وَوَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾^(٣). إذ يقف الشفعاء والمشفوع فيهم. الجميع خائفين وجلين. منتظرين الإذن بالشفاعة من الله تعالى ويطول انتظارهم.

وثبت في الصحيحين في حديث الشفاعة العظمى: (...فأسجد لله تعالى فيدعني ما شاء الله أن يدعني ويفتح عليّ. بمحامد لا أحصيها الآن...) ^(٤). حتى إذا صدر الإذن من ذي الجلال والإكرام ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم﴾ فرال الفرع عن قلوب الشفعاء من الملائكة والأنبياء ^(٥). قال الإمام البقاعي رحمه الله تعالى: ولما كان من المعلوم أن الموقوفين في محل خطر للعرض على ملك مرهوب متى نودي باسم أحد منهم فليل: اين فلان؟ ينخلع قلبه وربما أغمي عليه. فلذلك كان من المعلوم مما مضى أنه متى برز النداء من قبله تعالى في ذلك المقام الذي ترى فيه كل أمة جاثية يغشى على الشافعين والمشفوع لهم. فلذلك حسن كل الحسن قوله تعالى ﴿حتى﴾ وهو غاية لنحو أن يقال: فإذا أذن له وقع الصعق لجلاله وكبريائه وكماله حتى ﴿إذا فرغ﴾ أي أزيل الفرع بأيسر أمر وأهون سعي من أمره سبحانه ﴿عن قلوبهم﴾ أي الشافعين والمشفوع لهم. فإن «فعل» يأتي للإزالة كقذيت عينه: إذا أزلت عنها القذى.. اهـ ^(٦).

وفي اختيار هذه اللفظة (فَرَعَ) ^(٧) في هذا الموضع من الفصاحة والبلاغة ما تتفرد به و (لا

(١) سورة الأنبياء الآية: ٢٨.

(٢) سورة المطففين الآية: ٦.

(٣) سورة طه الآية: ١٠٨.

(٤) جزء من حديث الشفاعة الطويل (سبق تخريجه).

(٥) قال الأزهري: اتفق أهل التفسير وأهل اللغة أن معنى الآية: كشف الفرع عن قلوبهم. اهـ من تهذيب

اللغة: ١٤٥/٢. قال أبو عبيد: نفس الفرع عن قلوبهم وطير عنها الفرع. اهـ من مجاز القرآن: ١٤٧/٢.

(٦) (نظم الدرر): ١٧٦/٦ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٧) قرأ ابن عامر ويعقوب: ﴿فَرَعَ﴾ بفتح الفاء والزاي والوجه أن الفعل مبني للفاعل والضمير عائد على اسم

الله تعالى فالمعنى: حتى إذا فرَعَ الله عن قلوبهم أي أزال وأخرج الفرع عنها.

يكاد الغير يقع عليها ويضعها هذا الموضوع بحيث تكون مؤتلفة مع ما قبلها ومع ما بعدها هذا الائتلاف^(١). قال ابن أبي الأصبغ^(٢): إن ألفاظ القرآن مختارة منتقاة. حتى أصبحت كل لفظه من ألفاظه تنزل منزلة الفريدة من حب العقد. وهي الجوهرة التي لا نظير لها تدل على عظم فصاحته. وقوة عارضته. وجزالة منطقته. وأصالة عريته. بحيث تكون هذه اللفظة إذا سقطت

= قرأ الباقر بضم الفاء وكسر الزاي وكلهم شدد الزاي والوجه أن الفعل مبني للمفعول به أي أنه لم يُسم فاعله. والمعنى: أزيل عن قلوبهم الفرع.

انظر النشر في القراءات العشر: ٣٥١/٢ وحجة القراءات لأبي زرع ص ٥٨٩ ومعاني القراءات ص ٣٩٤. والموضح في وجوه القراءات وعللها: ١٠٥٤/٣ - ١٠٥٥.

و في قراءة فرّع انظر القراءات الشاذة ص ١٢٢ - قال ابن قتيبة في (تأويل مشكل القرآن): فرّع خفف عنها الفرع. و(فرّع) فرّع عنها الفرع. اهـ منه ص ٣٢ وقال الشريف الرضي في كتابه (تلخيص البيان) وقراءة من قرأ فرّع بالعين المعجمة قريب من المراد بالقراءة الأولى - المتواترة - كأنه سبحانه قال: حتى إذا أخرج ما كان في قلوبهم من الخوف والوجل ففرغت منها. وإنما قال: (عن قلوبهم) لأنه سبحانه أقام ذلك مقام التفريغ عن قلوبهم. فكما حسن أن يقال: فرّج عن قلبه. فكذلك حسن أن يقال: فرّع عن قلبه. وهذا موضع سرّ لطيف. ومعنى عجيب. اهـ منه ص ٢٦٦، وانظر فتح الباري: ٥٣٩/٨.

قال أبو البقاء العكبري في كتابه: (إعراب القراءات الشواذ) ٣٣٢/٢: ويقرأ (أفرنقع) أي فرّق. ووقعت هذه القراءة بالبصرة فأحضر من قرأها. وهو عيسى بن الحضرمي عند السلطان. فأنكر عليه القراء. فلم يعد إلى قراءتها إلى أن مات. وقال في كتابه الآخر (إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن) ١٩٧/٢: ويقرأ (فرغ) أي أخلي. وقرئ شاذاً (أفرنقع) أي تفرق ولا تجوز القراءة بها. اهـ وقال أبو الفتح بن جني في كتابه (المحتسب) ١٩٢/٢: بلغني عن عيسى بن عمر أنه كان يقرأ (حتى إذا أفرنقع عن قلوبهم) قال يقال: أفرنقع القوم عن الشيء أي تفرقوا عنه. ومما يحكى في ذلك أن أبا علقمة النحوي ثار به المرار - داء من غلبه المرّة - فاجتمع الناس عليه. فلما أفاق قال: مالكم تكأكم على تكأكم على ذي جنة؟ أفرنقوا عني قال: فقال بعض الحاضرين: إن شيطانك يتكلم بالهندية. اهـ ١٩٣/٢.

(١) (إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق) لحفني محمد شرف ص ٢٢٨

(٢) ابن أبي الأصبغ المصري هو أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد المصري المعروف بابن أبي الأصبغ العدواني. ولد بمصر سنة ٥٨٥ هـ أديب شاعر.

من آثاره: بدائع القرآن. تحرير التوجيه في بديع الشعر والنثر. الخواطر السوانح في أسرار الفواتح وغيرها. توفي بمصر ١٣ شوال سنة ٦٥٤ هـ. انظر ترجمته في حسن المحاضرة: ٣٢٧/١ النجوم الزاهرة: ١٠٥/٧. فوات الوفيات: ٣٧٤/١.

من الكلام عزت على الفصحاء^(١).

أخرج الإمام الطبري بسنده عن مجاهد: ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم﴾، قال: كشف عنها الغطاء يوم القيامة^(٢). و(حتى عاطفة لا غاية لها أي وإذا رُفِعَ الفزع عن قلوب الملائكة الذين زعمهم الناس أولياء وأفاقوا. تكلموا بينهم فقالوا ما قالوا. فكيف يستحقون العبادة مع هذا الضعف وعدم القدرة لقوله تعالى ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٣)﴾^(٤). ودار الحوار التالي:

فيتساءل الناس المشفوع لهم و ﴿قالوا ماذا قال ربكم﴾ في أمر الشفاعة؟ فيجيب الشفعاء ﴿قالوا الحق﴾ وأذن في الشفاعة لمن ارتضى من المؤمنين^(٥).

وفي قولهم ﴿ربكم﴾ ذكر منهم لصفة الإحسان ليرجع إليهم رجاءهم فتسكن لذلك قلوبهم. ولما كان ملوك الدنيا ربما قال بعضهم قولاً. ثم بدا له فرجع عنه أو عارضه فيه شخص من أعيان جنده فينتقض. أخبر أن الملك الديان ليس كذلك فقال: ﴿قالوا الحق﴾ أي الثابت الذي لا يمكن أن يبدل بل يطابقه الواقع فلا يكون شيء يخالفه^(٦).

أما الكافرون ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾^(٧) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: ولا تنفع شفاعة شافع كائناً من كان الشافع لمن شفع له إلا أن يشفع لمن أذن الله في الشفاعة. يقول تعالى: فإذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحداً إلا لمن أذن الله في الشفاعة

(١) (بديع القرآن) تحت (باب الفرائد) ص ٢٨٧.

(٢) جامع البيان: ٣٩٦/٢٠. وقال ابن عطية: فرَّع معناه أظير الفزع عنهم، وهذه الأفعال جاءت مخالفة لسائر الأفعال لأن (فعل) أصلها الإدخال في الشيء. وقولك فرَّعت زيدا معناه: أزلت الفزع عنه. وكذلك جزَّعته: أزلت الجزع عنه. ومنه في الحديث: (فدخل ابن عباس على عمر فجزَّعه) - رواه البخاري في صحيحه في باب مناقب عمر عن المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر جعل يألم فقال له ابن عباس - وكأنه يجزعه - يا أمير المؤمنين ولئن كان ذلك.. - ومنه مرَّضت فلاناً: أزلت المرض عنه.. ومضارع هذه الأفعال يلحق بـ: تحنَّت وتحرج. تفكَّه تأثم.. اهـ من المحرر الوجيز ١٢ / ١٨٢ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٣) سورة النحل الآية: ١٧.

(٤) (تفسير القرآن بكلام الرحمن) لأبي الوفاء ثناء الله الأمر تسري.

(٥) انظر الكشاف: ٥٦٢/٣. انظر الخازن: ٤٤٧/٣ - ٤٤٨. والمستنير في تخریج القراءات: ٣٢٨/٢.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٧٦/٦ مع التصرف اليسير.

(٧) سورة المدثر الآية: ٤٨.

له. والله لا يأذن لأحد من أوليائه في الشفاعة لأحد من الكفرة به وأنتم أهل كفر به أيها المشركون. فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله زعماً منكم أنكم تعبدونه ليقربكم إلى الله زلفى وليشفع لكم عند ربكم اهـ^(١) (يعني إن عبدتم غير الله رجاء الشفاعة منهم فليست الشفاعة إلا في اختياره سبحانه وهو لا يجيز للمشرك لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(٢) ﴿٣﴾.

فالله تعالى هو ﴿الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(٤) متفرد بالعلو والكبرياء. والعظمة. فله أن يحكم في عباده بما يريد. وحكمه تعالى الحق. وقوله الحق. ووعدته الحق. لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه. يغفر ويرحم لمن يشاء فضلاً وإنعاماً. وكرماً وإحساناً. ويعذب من يشاء. عدلاً منه تعالى.

فيظل في ذلك اليوم كل ما تعلقت به النفوس. من معبودات من دون الله تعالى. يقول الحق وهو العلي الكبير. كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(٥).

قال الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم﴾ فإن قلت بم اتصل قوله ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم﴾؟ ولأي شيء وقعت (حتى) غاية؟ قلت: بما فهم من هذا الكلام من أن انتظاراً للإذن وتوقعاً وتمهلاً وفرعاً من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أم لا يؤذن. وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد ملي من الزمان وطول تربص. ومثل هذه الحال دل عليه ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^(٦) كأنه قيل يتربصون ويتوقفون ملياً فرعين ولحين حتى إذا فرغ عن قلوبهم أي كشف الفرغ عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن تباشروا

(١) جامع البيان: ٣٩٥/٢٠ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٢) سورة طه الآية: ١٠٩.

(٣) تفسير القرآن بكلام الرحمن لأبي الوفاء ثناء الله الأمر تسري وهو مكتوب بخط اليد.

(٤) سورة سبأ الآية: ٢٣.

(٥) سورة النور الآية: ٢٥.

(٦) سورة النبأ الآية: ٣٨.

بذلك وسأل بعضهم بعضاً ﴿ماذا قال ربكم﴾ ﴿قالوا﴾ قال ﴿الحق﴾ أي القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى... ثم قال ﴿وهو العلي الكبير﴾ ذو العلو والكبرياء ليس للملك ولا نبي أن يتكلم في ذلك اليوم إلا بإذنه وأن يشفع إلا لمن ارتضى^(١) اهـ.

وقال الإمام القرطبي: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ أي إن الشفاعة لا تكون من أحد هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام إلا أن الله تعالى يأذن للأنبياء والملائكة في الشفاعة^(٢) وهم على غاية الفزع من الله كما قال ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(٣) والمعنى: أنه إذا أذن لهم في الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا. لما يقتزن بتلك الحال من الأمر الهائل والخوف أن يقع في تنفيذ ما أذن لهم فيه تقصير^(٤). قال ابن الجوزي: وفي هذا رد عليهم - المشركين - حين قالوا: إن هذه الآلهة تشفع لنا^(٥).

(١) الكشاف للزمخشري: ٣ / ٥٦٢ - ٥٦٣.

(٢) قلت: وشفاعتهم ليست لمن عبدهم أو طلب الشفاعة منهم في الحياة الدنيا وهم - أي الأنبياء - أموات في قبورهم. لانتفاء شرط الشفاعة الثاني وهو الرضى عن المشفوع له والله تعالى لا يرضى عن المشركين فإنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين إنما الشفاعة لأهل التوحيد كما سبق بيانه.

(٣) سورة الأنبياء الآية: ٢٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٨٤/١٤.

(٥) زاد المسير ٤٥١/٦.

وقفات مع آية الحوار:

الوقفة الأولى:

ورد في الحديث عن النواس بن سميان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي. أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفاً من أمر الله. فإذا سمع أهل السموات صعقوا وخرروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل فيكلمه الله من وحيه بما أراد. ثم يمر جبرائيل على الملائكة كلما مر بسماء سألته ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبرائيل؟ فيقول جبرائيل: قال الحق وهو العلي الكبير. قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبرائيل، فينتهي جبرائيل بالوحي حيث أمره الله»^(١)

- ورب سائل يسأل هل هذا هو التفسير الوحيد لهذه الآية؟

أجاب عن ذلك الإمام الطبري رحمه الله تعالى فقال بعد أن أشار إلى الحديث السابق: فمعنى الكلام: لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له أن يشفع عنده. فإذا أذن الله لمن أذن له أن يشفع فزع لسماعه إذنه. حتى إذا فزع عن قلوبهم فجلى عنها. وكشف الفزع عنهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: ﴿الحق وهو العلي﴾. على كل شيء ﴿الكبير﴾ الذي لا شيء دونه^(٢).

قلت: والأمر كما قال فالآية متعلقة بالشفاعة يوم القيامة. ويدل على ذلك سباق الآية وسياقها فالآية لها تعلق بما قبلها. وليس معنى ورودها في كلام الملائكة في حديث النواس بن سميان «إذا تكلم الله بالوحي...» أنها مقصورة على ذلك الموقف بعينه فقط بل لا مانع من وقوع نفس الإجابة مع تنوع المواقف واختلاف الزمان والمكان. فليس هناك مانع يمنع من ذلك، وليس هناك دليل يحصر هذا الكلام بموقف دون موقف.

ولا يفهم ذلك من كلام النبي ﷺ^(٣).

(١) رواه الإمام الطبري في جامع البيان: ٣٩٧/٢٠-٣٩٨ وابن أبي عاصم في كتابه (السنة) حديث رقم ٥١٥ واللفظ للطبري وبنحوه الإمام البخاري في صحيحه كتاب التفسير حديث رقم ٤٨٠٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه وأبي داود حديث رقم ٣٩٨٩ وابن ماجه حديث رقم ١٩٤ والترمذي حديث رقم ٣٢٢٣.
(٢) جامع البيان ٤٠٠/٢٠.
(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٧٦/٦.

الوقفه الثانية:

الآية تدل على أن الله تعالى كلاماً يتكلم به. ويقوله بصوته. وأنه يسمع منه. كما هو ظاهر الآية ﴿ماذا قال ربكم قالوا الحق﴾ وأن قوله صفة له تعالى. لا يكون مخلوقاً. كما زعم الضالون. فالله ينادي بصوت كما صح في الأحاديث^(١). وفي ذلك أبلغ دليل على بطلان قول المعتزلة. ومن تابعهم على أن الله لا يتكلم بكلام يسمع منه. وإنما كلامه ما يخلقه في غيره. أو هو المعنى القائم في نفسه - تعالى الله عن قولهم - وأنه لا يكون بحرف وصوت يسمع. (وكل ذي لب صحيح يعرف بالحس. والمشاهدة قبل الاستدلال أن القرآن العربي حروف ولا فرق بين منكر ذلك ومنكر الحواس. وأنها من مبادئ العلوم وأسباب المدارك)^(٢) والشاهد من الآية للباب قوله ﴿إلا بإذنه﴾ فإن الإذن يكون بالقول المسموع الذي يسمعه المأذون له على الأقل^(٣).

(١) من ذلك حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ سمعه من رسول الله ﷺ في القصاص ولم أسمع فاشترت بغيراً. ثم شددت عليه رحلي. فسرت إليه شهراً. حتى قدمت عليه الشام. فإذا عبد الله بن أنيس. فقلت للباب: قل له جابر على الباب. فقال: ابن عبد الله؟ قلت: نعم. فخرج يطأ ثوبه. فاعتنقني واعتنقته. فقلت: حديثاً بلغني عنك. أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص. فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمع. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الناس يوم القيامة أو قال العباد. عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا. قال: قلنا: وما بُهْمًا؟ قال: ليس معهم شيء. ثم يناديهم بصوت يسمعه من بُعد، كما يسمعه من قُرْبٍ أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى أقصه منه حتى اللطمة قال: قلنا: كيف ذا وإنما تأتي الله غرلاً بهماً؟ قال: بالحسنات والسيئات وتلا رسول الله ﷺ: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم﴾ غافر: ١٧ الحديث رواه الإمام أحمد ٤٩٥/٣ والإمام البخاري في الأدب المفرد حديث رقم ٩٧٠، وفي خلق أفعال العباد حديث رقم ٥٩ والحاكم في المستدرک ٤٧٥/٢. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي صحيح.

(٢) درء تعارض العقل: ٩٢/٢.

(٣) شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الله الغنيمان: ١٩٦/٢-١٩٧ مع التصرف اليسير بالاختصار.

وقال: هذا هو مراد البخاري من تبويبه بهذه الآية وما نقله الحافظ عن ابن بطال: من أن مراد البخاري أن قول الله قديم لذاته قائم بصفاته. لم يزل موجوداً به. ولا يزال كلامه لا يشبه كلام المخلوقين إلى آخره. فهو بعيد كل البعد عن مراد البخاري. بل هذا القول يدخل في قول من قصد البخاري الرد عليهم. ولكن ابن بطال يريد من البخاري أن يكون متفقاً معه في العقيدة. وبينهما مثل ما بين المشرق والمغرب. وأما قول الحافظ فيما ظنه: (أن البخاري أشار بهذه الآية إلى ترجيح أن الضمير في قوله ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم﴾

المبحث الثاني: حوارهم عند تذكريهم أحوالهم في الدنيا.

العلاقة بين أهل الجنة علاقة حب ومودة. فهي على العكس تماماً مما هي عليه بين أهل النار. فلا خصام بين أهل الجنة. ولا تباض. لأنه سبحانه وتعالى هذب نفوسهم. وكملمها. وجملها. قبل أن يكرمهم بدخول الجنة كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾^(١) وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار. فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار. فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا. حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة. فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى في الجنة. منه بمنزلة كان في الدنيا»^(٢) فإذا نزلوا منازلهم. وتقلبوا في ذلك النعيم المقيم. كان من تمام تمتعهم وكمال لذتهم. أن يتزاوروا. فيجتمعوا في مجالس طيبة - أكرم بها من مجالس وأكرم بهم من جلسات قلوب طاهرة وألسنة نقية ومقعد صدق عند مليك مقتدر - ويطاف عليهم بكأس الخمر كما قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزَفُونَ﴾^(٣) وكما قال سبحانه وتعالى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾^(٤) فهي خمر منزهة عن جميع عيوب خمر الدنيا. وكما قال تعالى: ﴿يَتَنَزَّعُونَ (٥) فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمُ﴾.

قال الزجاج: يتناول هذا الكأس من يد هذا. وهذا من يد هذا وقوله ﴿لا لغو فيها ولا تأتيم﴾ معناه لا يجري بينهم ما يلغي. أي لا يجري بينهم باطل ولا ما فيه إثم كما يجري في

= للملائكة فهو بعيد عن مراد البخاري. اهـ منه ١٩٦/٢-١٩٧، وقال الحافظ في الفتح: هذا أول باب تكلم فيه البخاري على مسألة الكلام وهي طويلة الذبول. اهـ منه: ٤٥٤/١٣.

(١) سورة الأعراف الآية: ٤٣.

(٢) صحيح البخاري كتاب الرقاق رقم ٦٥٣٥.

(٣) سورة الواقعة الآيات: ١٧ - ١٩.

(٤) سورة الصافات الآيات: ٤٥ - ٤٧.

(٥) قال القرطبي: يتنازعون أي يتناولها بعضهم من بعض وشاهد التنازع والكأس في اللغة قول الأخطل - في

ديوانه ص ١١٦ :-

وشارب مُرِجٍ بالكأس نادمني
صاح الدجاج وحانت وقعة الساري
لا بالحصور ولا فيها بسوار
نازعه طيب الراح الشمول وقد

الدنيا لشربة الخمر. والكأس في اللغة الإناء المملوء. فإذا كان فارغاً فليس بكأس^(١).

﴿ويطوف عليهم﴾ للخدمة ﴿غلمان لهم كأنهم﴾ في الحسن والبياض ﴿لؤلؤ مكنون﴾^(٢) أي مصون لم تمسه الأيدي^(٣). هذا الخادم فكيف المخدوم - لا حرماً الله من الجنة - وورد في الأثر: «أنَّ فضل ما بينهما كفضل القمر ليلة البدر على النجوم»^(٤).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: - نزه الله سبحانه خمر الجنة عن الآفات التي هي في خمر الدنيا. من صداع الرأس. ووجع البطن. وذهاب العقل. وقال ابن عباس: في الخمر أربع خصال: السكر. والصداع. والقيء. والبول. فذكر الله خمر الجنة. ونزهها عن هذه الخصال^(٥).

فإذا شربوا من تلك الخمر الطيبة. تحدث بعضهم إلى بعض. وفي ذلك من اللذة شيء عظيم كما قال الشاعر:

وما بقيت من اللذات إلا محادثة الكرام على المدام^(٦)

وأخبر الله تعالى بلون من ألوان تلك الأحاديث. التي يتحدثون بها. في إحدى جلساتهم. قال الله تعالى ذاكراً ما يدور بينهم في ذلك المجلس من حوار: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ يقول بعضهم لبعض: بم صرتم إلى هذه الدرجة ففزتم بالجنة ونجوتم من النار^(٧)؟

قال ابن عباس: يتذكرون ما كانوا فيه في الدنيا من الخوف والتعب^(٨) فيقول المسئول للسائل: ﴿إنا كنا قبل﴾ في دار الدنيا ﴿في أهلنا مشفقين﴾^(٩) وكونهم بين أهلهم فيه مظنة

(١) معاني القرآن: ٦٣/٥ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٢) قال ابن عطية: أجمل اللؤلؤ لأن الصون والكن يحسنه اه منه ٢٤٢/١٥.

(٣) زاد المسير: ٥٢/٨.

(٤) انظر الطبري: ٢٩/٢٧. والسيوطي في الدر: ١١٩/٦. وابن حجر في تخريج الكشاف: ١٦٠/٤.

(٥) تفسير ابن كثير مع التصرف اليسير بالاختصار: ٨/٤.

(٦) للفرزدق في ديوانه ص ٥٦.

(٧) انظر: التفسير الكبير: ٢١٩/٢٦. وفتح القدير للشوكاني: ٩٨/٥ ومعاني القرآن للزجاج: ٦٣/٥.

والقرطبي: ٧٠/١٧.

(٨) ابن الجوزي: ٥٢/٨ وقارن بالقرطبي: ٧٠/١٧.

(٩) قال ابن عطية: الاشفاق أشد الخشية ورقة القلب اه منه: ٢٤٢/١٥.

الأمن والأمان. لأن الإنسان يقوى بأهله. وخاصة إذا كان بينهم. فإذا خاف وهو بينهم. فمن باب أولى أن يخاف في سائر الأحوال والأزمان. وحملهم ذلك الخوف على فعل الأوامر واجتناب النواهي.

قال ابن سعدي^(١) رحمه الله تعالى: فتركنا من خوفه الذنوب. وأصلحنا لذلك العيوب^(٢). ﴿فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾ فالخوف في دار الدنيا هو علة ما من الله به عليهم من الوقاية من عذاب السموم الذي هو عذاب جهنم - أعاذنا الله منها - وذلك أن حرها ينفذ في المسام كالسموم - وهي الريح الحارة - وإذا كان الخوف في دار الدنيا من عذاب الله سبب للسلامة من عذاب الله تعالى في الآخرة. فإن العكس بالعكس. فمن لم يخف من عذاب الله في الدنيا. لم يسلم من العذاب في الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾^(٤) فمن أنكر البعث بعد الموت لا يكون مشفقاً في أهله خوفاً من العذاب لأنه لا يؤمن بحساب ولا بجزاء.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ -

(١) هو علامة القصيم عبد الرحمن بن ناصر السعدي ولد في عنيزة سنة ١٣٠٧هـ تلقى العلم على كبار علماء نجد ثم درس ووعظ وأفتى وخطب في الجامع الكبير بعنيزة وبها توفي سنة ١٣٦٧هـ. كثير من طلابه اليوم قضاة ورؤساء محاكم وأعضاء في هيئة كبار العلماء وغيرها من الوظائف الدينية. من آثاره: (طريق الوصول إلى العلم المأمول) و (الحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء والمرسلين) و (القواعد الحسان في تفسير القرآن) وغيرها.

ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٢١/٢. وقد كتبت عنه وعن منهجه في الدعوة والعقيدة والتربية عدة رسائل جامعية منها رسالة دكتوراة بعنوان (الفكر التربوي عند السعدي) للطلاب عبد العزيز الرشودي.

(٢) تفسير ابن سعدي: ١٠٥/٥.

(٣) سورة الانشقاق الآيات: ١٠ - ١٤.

(٤) سورة الواقعة الآيات: ٤١ - ٤٧.

إلى قوله - أَوْلَيْكَ فِي جَنَاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿١﴾ فالخوف في دار الدنيا من عذاب الله تعالى يحمل صاحبه على اجتناب النواهي والمسارعة والمسابقة إلى فعل الخيرات. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أَوْلَيْكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٢﴾.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى ﴿إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين﴾ أي: كنا خائفين في محل الأمن من بين الأهل والأقارب والعشائر. فأوصلنا ذلك الخوف والإشفاق إلى أن من الله علينا فأمننا مما نخاف ﴿ووقانا عذاب السموم﴾ وهذا ضد حال الشقي الذي كان في أهله مسروراً. فهذا كان مسروراً مع إساءته. وهؤلاء كانوا مشفقين مع إحسانهم. فبدل الله سبحانه إشفاقهم بأعظم الأمن. وبدل أمن أولئك بأعظم المخاوف اهـ (٣).

﴿إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو الدير الرحيم﴾ فعبادة الله وحده لا شريك له والتوجه إليه بصدق. حصلت النجاة. فالدعاء هنا شامل لدعاء العبادة. ودعاء المسألة (٤). فأوصلتهم عبادته

(١) سورة المعارج الآيات: ٢٧ - ٣٥.

(٢) سورة المؤمنون الآيات: ٥٧ - ٦١.

(٣) بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم: ٢٦١/٤ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٤) هذا التقسيم معناه أن الدعاء يراد به تارة دعاء المسألة. وتارة دعاء العبادة. وليس معنى هذا أنهما متضادان بحيث أنه لا يدل إلا على النوع الذي أريد به. بل معناه أنه في تلك الحالة دلالة على أحد النوعين أظهر. ويدل على النوع الآخر إما بدلالة الالتزام (٥) أو بدلالة التضمن. وعلى النوع الذي يكون فيه أظهر بدلالة المطابقة.

فإذا أريد به المسألة والطلب يدل على العبادة بطريق التضمن (٦) لأن الداعي دعاء المسألة عابد لله تعالى بسؤاله. ورغبته. والتضرع إليه. والابتهاج إليه. والانطراح بين يديه. وهو يرجو قبول دعوته. وقضاء حاجته. وهو مع ذلك خائف من طرده. وعدم قبول دعوته. فهذا هو لب العبادة ومخها وروحها وحقيقتها. فالآيات التي ورد فيها الدعاء مراداً به دعاء المسألة - تدل هذه الآيات بطريق التضمن على دعاء العبادة. وأما إذا أريد بالدعاء دعاء العبادة. فإنه يدل على دعاء المسألة بطريق دلالة الالتزام (٧) وذلك لأن العابد لله تعالى كالذي يذكر الله مثلاً فهو في الحقيقة سائل وإن كان لا يأتي بلفظ السؤال كالذي يطوف على بعض الأبواب والأسواق ليدعو الناس يكون سائلاً وإن حذف لفظ السؤال (٨).

وحده والتضرع إليه إلى محل كرامته. والذي جمع لهم كل ذلك برة تعالى ورحمته فإنه هو البر الرحيم.

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿إنا كنا من قبل ندعوه﴾ يقول: إنا كنا في الدنيا من قبل يومنا هذا ندعوه. نعبده مخلصاً له الدين لا نشرك به شيئاً ﴿إنه هو البر﴾ يعني اللطيف بعباده. وقوله ﴿الرحيم﴾ يقول: الرحيم بخلقه أن يعذبهم بعد توبتهم اهـ^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿إنا كنا من قبل ندعوه﴾ إنه هو البر الرحيم ﴿فهذا دعاء العبادة المتضمن للسؤال رغبة ورهبة. والمعنى إنا كنا من قبل نخلص له العبادة وبهذا استحقوا أن وقاهم عذاب السموم. لا بمجرد السؤال المشترك بين الناجي وغيره فإن الله سبحانه يسأله من في السموات ومن في الأرض. والفوز والنجاة إنما هي بإخلاص العبادة لا بمجرد السؤال والطلب اهـ^(٢).

= فالعابد لله سبحانه سائل لله تعالى. يسأله الفوز بالجنة. والنجاة من النار. فإنه يعبد الله خوفاً من عقابه. وطمعاً في رحمته. ولا يخلو العابد في قرارة نفسه من الخوف والرجاء. لا كما يزعمه بعض المتصوفة ((إنه يعبد الله لا خوفاً من النار ولا طمعاً في الجنة وإن هذا المقام نقص، وإنما الكمال في عبادة الله لذاته))^(****) وهذا باطل مخالف لنصوص الكتاب والسنة ولواقع عباد الله الصالحين من الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة.

^(١) دلالة اللفظ على تمام ما وضع له تسمى مطابقة. وعلى جزئه تضمناً. وعلى الخارج التزاماً، قال صاحب السلم: دلالة اللفظ على ما وافقه * * * يدعوها دلالة المطابقة. وجزئه تضمناً وما لزم * * * فهو التزام إن يعقل التزام اهـ. إرشاد الفحول ص ١٧. وسلم المنورق ضمن مجموع المتون: ٢٧٣. ومنهاج السنة: ٤٥٢/٥ - ٤٥٤.

^(**) مجموع الفتاوى: ١٥/١٠. ١٠/١٥. ٢٤٣/١٠. وجلاء الأفهام ص ٨١.

^(***) الفتاوى: ١١/١٥. بدائع الفوائد: ٣/٣. ونحوه في اقتضاء الصراط: ٤١١.

^(****) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي: ٥٣٧/١.

^(*****) الفتاوى: ١٠/٦٩١ اهـ بواسطة ((الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية)) ١١٦/١ - ١١٧ مع التصرف اليسير.

(١) جامع البيان: ٤٧٧/٢٢.

(٢) بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم: ٤/٢٦١ مع التصرف اليسير باختصار. وانظر الخازن: ٤/٢٠٠.

ومحاسن التأويل للقاسمي: ١٥/٢١٣.

و عن مسروق^(١) عن عائشة أنها قرأت هذه الآية ﴿فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم﴾^(٢) فقالت: اللهم منّ علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم. قيل للأعمش: في الصلاة؟ قال نعم^(٣).

* وفي مجلس آخر من مجالس أهل الجنة التي يتجاذبون فيها أطراف الحديث. وتدار عليهم الكأس^(٤) وهذا من تمام سرورهم. (فإن محادثة العقلاء بعضهم مع بعض على الشرب من الأمور اللذيذة. وتذكر الخلاص عند اجتماع أسباب الهلاك من الأمور اللذيذة^(٥) المراد أن أهل الجنة يقبل بعضهم على بعض بالقصد لأجل الكلام^(٦)). ولما كان ذلك الاجتماع إنما هو للسرور. وكان السرور لا يتم إلا بالمنادمة. وكان أحلى المنادمة ما يذكر بحلول نعمة أو انحلال نقمة^(٧). فيتحاورون فيما بينهم. فيسأل هذا ذلك. وذاك هذا عن أحوالهم التي كانت في الدنيا. وما كانوا يعانون فيها ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ تسأول راحة وتنعّم يتذكرون أمورهم في الجنة وأمر الدنيا وحال الطاعة والإيمان فيها^(٨).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وذلك من حديثهم على شرايبهم واجتماعهم في تنادهم ومعاشرتهم في مجالسهم وهم جلوس على السرر، والخدم بين أيديهم يسعون ويجيئون بكل خير عظيم من مآكل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر^(٩). (وصور هذه المحاورة - وغيرها - بصورة الأمر الواقع وجاء لها بصيغة الماضي

(١) مسروق بن الأجدع الإمام القدوة العالم العلم أبو عائشة الوادعي الهمداني الكوفي.

حدث عن أبي بن كعب وعمر وأم رومان ومعاذ وعائشة وابن مسعود وعثمان وعلي وابن عمر وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. ويعتبر من كبار التابعين المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ. توفي سنة ٦٢هـ. وترجمته في: الخلية: ٩٥/٢. أسد الغابة: ٣٥٤/٤. والسير للذهبي: ٦٣/٤.

(٢) سورة الطور الآيات: ٢٥ - ٢٨.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٥٠/٤.

(٤) قال ابن عباس كل (كأس) في القرآن فهي الخمر اهـ من تفسير جامع البيان: ٣٤/٢٣.

(٥) التفسير الكبير للفخر: ١٢١/٢٦.

(٦) وأما المواجهة فإنها دائمة بدليل قوله تعالى عن أهل الجنة ﴿على سرر متقابلين﴾ سورة الصافات الآية: ٤٤.

(٧) نظم الدرر: ٣١٢/٦.

(٨) انظر ابن عطية: ٢٣٤/١٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٧/٤.

وأنه لم يفعل ذلك إلا لأنه يعلم أن المعاصرين للنبي (ينكرون البعث الذي هو حق لا بد من وقوعه. وأنه يريد أن يسد عليهم المنافذ. وأن يضع المسألة موضع الأمر الذي وقع ومضى فجاء بصيغة الماضي الدالة على ذلك ليؤكد وقوع الفعل^(١)).

فيقول المستؤل للسائل: لقد حصل لي في الدنيا ما يوجب الوقوع في عذاب الله. ولكن الله تعالى خلصني بنعمته وفضله منه. وإلا لكنت من المحضرين في العذاب. فقد كان لي صاحب ملازم. ينكر البعث والحساب والجزاء. ويستبعد حصول ذلك بعد ما نصير تراباً وعظاماً نخره. ويوبخي على التصديق به ﴿أنتك لمن المصدقين﴾^(٢)، ويسخر مني. ويهزأ بي. لأجل إيماني بالبعث والجزاء.

قال الإمام البقاعي رحمه الله تعالى: ولما كان ظنه أنه لا يخلص من شر ذلك القرين الذي يحدث عنه فنجاه الله منه على خلاف الظاهر. فكان ذلك إحدى النعم الكبرى. نبه عليه بالتأكيد فقال: ﴿إني كان لي قرين﴾ ثم بين أنه دائم التكرير عليه التكذيب بالبعث والسخرية والإستهزاء. بمن يصدق بالبعث بعد الموت أتى بصيغة المضارع ﴿يقول﴾ أي مكذباً بالبعث مستبعداً له غاية الاستبعاد مجدداً لقوله في كل وقت. يريد أن يختدعني بلطافة قياده إلى سوء اعتقاده: ﴿أإنك لمن المصدقين﴾ أي بالبعث. يوبخي بذلك ويستقصر باعي في النظر استشاره لهمتي وإلهاباً لنخوتي وحميبي. ويكرر الإنكار بقوله: ﴿إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً﴾ فذهبت أرواحنا وانمحت أجسامنا ﴿أإنا لمدينون﴾ بما عملنا بأن نبعث ونجازى. وكان تأكيده للإشارة منه إلى أن كل عاقل جدير بأن يكذب بما أقررت به لبعده^(٣).

فكما سخروا بنا في الدنيا نسخر اليوم منهم ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون * على الأرائك ينظرون * هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾^(٤). ﴿قال هل أنتم مطلعون﴾^(٥) في

(١) الفن القصصي ص ١٥٢ - ١٥٣ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٢) قال الإمام الأخفش: إنما سأل رجل ((من صاحبه)) وحكى عن قرينه في الدنيا فقال: كان لي قرين يقول: أنتك لمن المصدقين إنا لنبعث بعد الموت)) أي أتؤمن بهذا؟ أي أتصدق بهذا؟ اهـ. من معاني القرآن ٤٥٢/٢.

(٣) (نظم الدرر): ٣١٢/٦ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٤) سورة المطففين آية: ٣٤ - ٣٦.

(٥) وفي قراءة ابن عباس وأبي سراج وابن أبي عمير وأبي عمرو - بخلاف - وابن محيصن ﴿هل أنتم مطلعون فأطلع﴾ قال أبو الفتح: يقال: أطلع: أقبل فهو على هذا: هل أنتم مقبلون فأقبل؟ اهـ من المختصب: ٢٦٥/٢

النار لترى ذلك القرين السوء، فيطلع على قرينه المنكر للبعث فيجده في وسط الجحيم^(١) حيث
(متراكم جمر النار)^(٢).

كما قال تعالى: ﴿فاطلع فراه في سواء الجحيم﴾ وقد تغير لونه من شدة العذاب. يقاسي
أنواع العذاب المهين.

قال الإمام ابن جرير الطبري: وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره.
وهو فقالوا: نعم^(٣).

وفي التعبير بقوله ﴿فاطلع﴾ إشارة لعلو المكان والمكانة وصحة الأجسام وقوة التركيب
ونفوذ الأبصار بحيث ينظرون ما شاؤوا.

وأخرج الإمام الطبري بسنده عن مطرف بن عبد الله في قوله: ﴿فاطلع فراه في سواء
الجحيم﴾. قال: والله لولا أنه عرفه ما عرفه. لقد غيرت النار حيره وسيره^(٤).

فتذكر - المؤمن - نعمة الله عليه بتوفيقه له للإيمان والتصديق والنعم عليه بالهداية والنجاة
من النار ﴿ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾^{(٥)(٦)}.

ولفظاعة ما رأى من سوء المصير والخسران المبين لمن كفر بالله وكذب بالبعث ولم يتبع
المرسلين. يقسم قسماً غريباً مصدرأ بالتاء وفيه ما فيه من التأكيد^(٧) ﴿قال تالله إن

= وانظر معاني القرآن للفراء: ٢١٩/٢. ومعاني القرآن للنحاس: ٧٤٩/٢.

(١) انظر الكشف: ٤٣ / ٤. و(تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة ص ٣٩٧ قال أبو عبيد: سمعت عيسى بن عمر
يقول: كنت وأنا شاب أقعد بالليل فأكتب حتى ينقطع سوائي أي وسطي. اهـ من مجاز القرآن ١٧٠/٢.

(٢) تفسير ابن عطية: ٢٣٤/١٣.

(٣) جامع البيان: ٤٧/٢١.

(٤) جامع البيان: ٤٨ / ٢١ ومعنى حيره وسيره: الحَيْرُ: أثر الحسن والبهاء من حَبَّرت الشيء وحَبَّرته. والسَّيْرُ: ما
عرف من هيئته وشارته. من السَّيْر. وهو تعرف الشيء. عن أبي عمرو بن العلاء: أتيت حياً من أحياء
العرب. فلما تكلمت قال بعض من حضر: أما اللسان فبدوي. وأما السير فحضري اهـ من الفائق:
٢١٨/١.

(٥) قال الماوردي في تفسيره: أحضر لا تستعمل مطلقاً إلا في الشر. اهـ منه: ٤٥/٥.

(٦) انظر: الطبري ٥١/٢١.

(٧) قال د/ عبد الباري طه سعيد في كتابه (كاد في الذكر الحكيم الموقع والدلالة): وفي هذا القسم الغريب
مبالغة في التأكيد حين يضاف إلى ما في قوله ﴿إن كدت لتزدنين﴾ من تأكيد سواء على مذهب البصرة من

كدت^(١) لتردين^(٢) (ومحل الغرابة هو خلاصه من شبكة قرينه واختلاف حال عاقبتهما مع ما كانا عليه من شدة الملازمة والصحبة. وما خصه الله من نعمة الهداية. وما تورط قرينه في أوحال الغواية)^(٣).

فذكر مقالته وساقها في أسلوب القسم تنبيهاً على التعجب من سلامته منه. وزاد التأكيد بعد ما علقه بالاسم الأعظم بالمخففة من المثقلة فقال: ﴿إن كدت لتردين﴾ أي إنك قاربت أن تهلكني وتجعلني في أروء ما يكون من الأماكن. وفي هذا التأكيد غاية الترغيب في الثبات لمن كان قريباً من التزلزل. وفي المباعدة لقرناء السوء...

فيا لله ما أعظم إحسان هذه الآية في التنفير عن قرناء السوء لأنهم شديدي الخطر قبيحي الأثر^(٤).

وخطب ذلك الكافر ساخراً مستهزئاً به ﴿أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين﴾ وهذا أسلوب ساخر لاذع. يظهر فيه التشفي من ذلك القرين الكافر فهو يخاطب قرينه على جهة التوبيخ كأنه يقول أين الذي كنت تقول من أنا نموت وليس بعد الموت عقاب ولا عذاب^(٥).

ويأتي التعقيب بعد ذلك من الله تعالى بالاستعداد والتسابق والمصارعة للفوز العظيم والسعادة الأبدية. وهي النجاة من النار. ودخول جنات النعيم، فلمثل ذلك يكون التنافس

= أن (إن) مخففة من الثقيلة واللام فارقه مؤكدة، أو على مذهب الكوفة من أن التركيب على نهج الاستثناء المرفوع المفيد قصراً من أجل أن (إن) نافية بمعنى (ما) و (اللام) بمعنى (إلا) فهو تأكيد على تأكيد. اهـ منه ص ٦٨.

(١) قال الإمام ابن قتيبة رحمه الله تعالى في كتابه (تأويل مشكل القرآن): (كاد) بمعنى همّ ولم يفعل. ولا يقال: يكاد أن يفعل. إنما يقال: كاد يفعل. قال الله تعالى: ﴿وما كادوا يفعلون﴾ اهـ منه ص ٤٠٧ وقال في ص ٤١٩: قوله تعالى ﴿تالله إن كدت لتردين﴾ بمعنى: لقد. اهـ

(٢) قال أبو عبيد: أرديته أهلكته. وردى هو أي هلك. اهـ من مجاز القرآن ١٧٠/٢. وانظر معاني القرآن للزجاج: ٣٠٤/٤.

(٣) (التحرير والتنوير): ١١٧/٢٣ - ١١٨.

(٤) (نظم الدرر): ٣١٣/٦ - ٣١٤ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٥) انظر تفسير ابن عطية: ٢٣٥/١٣.

والتسابق ويجب أن يعمل العاملون. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَوْزَ الْعَظِيمَ لِمَثَلِ هَذَا فليعمل العاملون﴾^(١).

فهو أحق ما أنفقت فيه نفائس الأنفاس. وأولى ما شمر إليه العارفون الأكياس. والحسرة كل الحسرة أن يمضي على الحازم وقت من أوقاته وهو غير مشغول بالعمل. الذي يقرب هذه الدار. فكيف إذا كان يسير بخطاياه إلى دار البوار^(٢).

فالمثقون يتنعمون في الجنة. نعيماً مقيماً. ويتلذذون بما أعطاهم الله من أصناف المأكول والمشرب. ويمن الله عليهم أن نجاهم من النار. وتلك نعمة مستقلة بذاتها. مع ما أضيف إليها من دخول الجنة. وهم في الجنة يحبرون. نفوسهم مطمئنة. يعلوها الإطمئنان والرضى. فالنفس لا تتوزع. ولا تنشطر. ولا يشغلها شاغل. يرفع الله ذرية المؤمن معه إلى درجته في الجنة. حتى تفر عينه برؤيتهم. (فيجمع الله لأهل الجنة أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم. ومزاوجة الحور العين. وموانسة الإخوان المؤمنين. وباجتماع أهلهم ونسلهم بهم)^(٣) وهم يتعاطون في الجنة كؤوس الخمر. يتجاذبونها في تلذذ وأنس. وسرور. دون أن يقع بينهم ما يسيء. ولا يلحقهم أذى مما يحدث في خمر الدنيا. ويخدمهم غلمان مخصصون لهم. كأنهم اللؤلؤ جمالاً وشفاءً. وهم في نهاية المشهد يتسامرون. تلذذاً واعترافاً بالنعمة. متحاورين فيما بينهم عن أحوال الدنيا. وأعمالهم فيها. حيث كانوا خائفين من الله. مشفقين من عذابه. وها هم قد من الله عليهم بالجنة. ووقاهم عذاب جهنم. ذلك أنهم عاشوا على حذر من هذا اليوم. عاشوا مشفقين من لقاء الله. وحسابه. عاشوا كذلك وهم في أهلهم. حيث الأمان الخادع. ولكنهم

(١) سورة الصافات الآيات: ٥٠ - ٦١. وهذا مستأنف من كلام الله تعالى لأمرين:

الأول: أن لحاق الكلام وهو قوله تعالى ﴿أذْكَرُ خَيْرٌ نَزَلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقْوَمِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً﴾ يدل على أنه من كلام الله تعالى. وبه قال ابن كثير رحمه الله تعالى.

والثاني: أن سباق الكلام وسياقه يدل عليه. فإن الله تعالى لما ذكر نعيم الجنة ووصفه بهذه الأوصاف الجميلة. مدحه وشوق العاملين. وحثهم على العمل له فقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَوْزَ الْعَظِيمَ لِمَثَلِ هَذَا فليعمل العاملون﴾ انظر الزمخشري: ٤/٤٤ والقرطبي: ١٥/٨٦.

(٢) تفسير السعدي: ٤/٢٦١.

(٣) الكشاف: ٤/٣٤.

لم يندعوا وحيث المشغلة الملهية. ولكنهم لم ينشغلوا^(١).
وفي هذا الحوار تحذير صريح من قرين سوء. ففيه (مثال لكل من له قرين سوء. يعطى
هذا المثال التحفظ من قرناء سوء)^(٢).

(١) (من جماليات التصوير في القرآن الكريم) ص ٨٢ مع التصرف اليسير بالاختصار.
(٢) تفسير ابن عطية: ٢٣٥/١٣ مع التصرف اليسير وانظر القاسمي في تفسيره: ٥٠٣٨/١٤.

الفصل الثاني: حوار المؤمنين مع الكافرين:

تمهيد:

بعد أن يستقر أهل الجنة في الجنة. وأهل النار في النار. ويتذكر أهل الجنة استهزاء الجرمين بهم. واستكبارهم. وكفرهم بالله. وصددهم عن سبيل الله. حينئذ تجري محاورات من المؤمنين لأهل النار. وليس المراد منها استيضاح أو استبيان شيء مخفي عن المؤمنين من أهل الجنة. بل المراد منها (اغتياباً بحالهم وشماتة بأصحاب النار. وزيادة في غمهم)^(١). وهذا من العذاب النفسي الذي يسلط على الكفار يوم القيامة بالإضافة إلى ما يقاسونه من أنواع كثيرة من العذاب الأليم في جهنم وبئس المصير.

وزيادة في سرورهم برؤيتهم لأعدائهم الذين أذاقوهم في الدنيا الأمرين، محاربة للمؤمنين. وصدراً عن سبيل الله. وهم في غمرات الجحيم. صاغرين أذلاء في غاية الهوان والحقارة والعذاب. وفي هذا الفصل نستعرض - إن شاء الله تعالى - هذه الحوارات بالتفصيل:

(١) الزمخشري: ١٠٢/٢.

المبحث الأول : حوار المؤمنین عند مناداتهم لأصحاب النار:

يتميز يوم القيامة بكثرة النداءات فيه. حتى سماه الله تعالى بيوم التناد. كما في قوله تعالى: ﴿وَيَأْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾^(١) ومن هذه النداءات نداء أصحاب الجنة لأصحاب النار. وذلك أن الله تعالى يمكن المؤمنين وهم في منازلهم في الجنة من الاطلاع على أهل النار وهم في دركات الجحيم؛ ليزداد أهل الجنة سروراً. ويزداد أهل النار حسرةً وعذاباً على ما فرطوا في جنب الله. فيدور الحوار التالي:

فيقول أهل الجنة لأهل النار - على وجه التقرير والتوبيخ - تبجحاً بحالهم وشماتة بأعدائهم وتحسيراً لهم لا لمجرد الإخبار والاستخبار^(٢).

﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَ رَبُّنَا حَقًّا﴾ فقد وعدنا على الإيمان والعمل الصالح الجنة. فحقق وعده وأدخلناها^(٣)، ووجدنا ما وصف لنا من أهوال البعث والنشور.

﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾^(٤) على الكفر من الخزي والهوان والعذاب (وهذا سؤال تقرير وتعير)^(٥). ﴿حَقًّا﴾.

(١) سورة غافر الآية: ٣٢.

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى في تفسير الآية: يوم القيامة يدعى كل أناس بإمامهم، وينادي بعضهم بعضاً. فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار، وأصحاب النار أصحاب الجنة وينادي أصحاب الأعراف. ويُنادى بالسعادة والشقاوة. ألا إن فلان ابن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً وفلان بن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً. ويُنادى حين يذبح ملك الموت: خلود فلا موت. اهـ منه ١٤٧/٧.

(٢) روح المعاني: ١٢٣/٨.

(٣) انظر الطبري: ٤٤٥/١٢.

(٤) قال الزمخشري: فإن قلت هلا قيل: ما وعدكم..ربكم. كما قيل: ما وعدنا ربنا؟ قلت: حذف ذلك تخفيفاً لدلالة وعدنا عليه. اهـ الكشاف ١٠٢/٢.

وقال ابن المنير الاسكندراني: ولقائل أن يقول: ولو ذكر المفعول حسب ذكره في الأول، وقيل: فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً. لكان الفعل مطلقاً أيضاً باعتبار الموعود به. لأنه لم يذكر. فكان يتناول كل موجود من البعث والحساب والعقاب. الذي هو أنواع من جملة التحسر على نعيم أهل الجنة فليس ذلك خاصاً بحذف المفعول الواقع على الموعودين. فالوجه أن حذفه إيجاز وتخفيف واستغناء عنه بالأول. والله أعلم. اهـ من الانتصاف حاشية على الكشاف: ١٠٢/٢.

(٥) زاد المسير ٢٠٣/٣.

فأجاب أهل النار جواب الذليل الكسير: ﴿قالوا نعم﴾ قد وجدنا ما وعدنا ربنا على الكفر. وها نحن نقاسي عذاب النار.

وختم الحوار بين أهل الجنة وأهل النار بنداء علوي بين الفريقين بأن قال: أن لعنة الله على الظالمين. وهم الذين أشركوا بالله تعالى. ولم يكفهم أن ضلوا بل أضلوا غيرهم (فمنعوا الناس عن دين الله بالنهي عنه وإدخال الشبه في دلائله)^(١). وقصدوا الطريق الأعوج المنحرف فاتخذوه سبيلاً. فتركوا طريق التوحيد ومالوا إلى طريق الإشراك كما قال الله عنهم: ﴿وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً﴾ (وحاولوا سبيل دينه أن يغيروه ويبدلوه عما جعله الله له من استقامة)^(٢) حتى لا يتبعه أحد (المراد من الإعلام بلعنة الله لهم زيادة لسرور أصحاب الجنة وحزن أصحاب النار)^(٣). يروى أن طاووساً دخل على هشام بن عبد الملك فقال له: اتق الله واحذر يوم الأذان. فقال: وما يوم الأذان؟ قال: قوله تعالى: ﴿فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾ فصعق هشام. فقال طاووس: هذا ذل الصفة فكيف ذل المعاينة^(٤).

أخرج الإمام الطبري بسنده عن ابن عباس قوله: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً﴾ وذلك أن الله وعد أهل الجنة النعيم والكرامة وكل خير علمه الناس أو لم يعلموه. ووعد أهل النار كل خزي وعذاب علمه الناس أو لم يعلموه. فذلك قوله: ﴿وآخر من شكليه أزواج﴾^(٥) قال: فنادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ قالوا: نعم. يقول: من الخزي والهوان والعذاب. قال أهل الجنة: فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً من النعيم والكرامة ﴿فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾^(٦). (وعبر به نادى) كناية عن بلوغه إلى أسماع أهل النار من مسافة سحيقة البعد. فإن سعة الجنة وسعة النار تقتضيان ذلك.

(١) روح المعاني: ١٢٣/٨.

(٢) الطبري: ١٢ / ٤٤٨ ؛ وانظر الخازن: ٢٠٢/١٢.

(٣) روح المعاني: ١٢٣/٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٠٣/٧.

(٥) سورة ص الآية: ٥٨ .

(٦) جامع البيان: ٤٤٦/١٢.

ووسيلة بلوغ هذا الخطاب وسيلة غريبة غير معروفة. في علم الله تعالى^(١).

وفوق ذلك كافرون بالساعة والبعث والنشور والثواب والعقاب. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا^(٢) وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾^(٣).

قال العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى: الإخبار عن السبيل بـ(عوج) إخبار بالمصدر للمبالغة أي ويرومون ويحاولون إظهار هذه السبيل عوجاء أي يختلقون لها نقائص يموهونها على الناس تنفيراً عن الإسلام كقولهم ﴿هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق...﴾. وورد وصفهم بالجملة الإسمية ﴿وهم بالآخرة كافرون﴾ للدلالة على ثبات الكفر فيهم وتمكنه منهم اهـ^(٤).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: وهم بلقاء الله في الدار الآخرة كافرون. أي جاحدون مكذبون بذلك لا يصدقونه. ولا يؤمنون به. فلهذا لا يباليون بما يأتون من منكر من القول والعمل؛ لأنهم لا يخافون حساباً عليه ولا عقاباً، فهم شر الناس أعمالاً وأقوالاً^(٥).

وقد تضمنت آية الحوار نوعاً من أنواع الجدل القرآني وهو ما يسمى بالإسجال وهو أن يثبت على لسان الخصم حقيقة كان ينكرها. وفي مثل هذا اللون من التسجيل إثارة لوجدان المتشككين والمنكرين. وإثارة الخوف في أنفسهم. حين يسمعون اعتراف من على شاكلتهم. ويدفعهم الخوف إلى التأمل عساهم يهتدون^(٦).

ولو ألقينا نظرة على الحوار في الآية مرة أخرى لوجدناه سريعاً خاطفاً وجيزاً مع ما تضمنه من معانٍ بليغة (فالمؤمنون في الجنة ينادون الكفار في النار ﴿أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً﴾ في تهكم مر. ويوجب الكفار ﴿نعم﴾ بلا جدال أو

(١) ابن عاشور: ١٣٥/٨.

(٢) قال ابن جرير الطبري: العرب تقول للميل في الدين والطريق عوج بكسر العين فأما ما كان خلقه في الإنسان فإنه يقال فيه ((عوج ساقه)) بفتح العين اهـ منه ١٢ / ٤٤٨ باختصار يسير.

(٣) سورة الأعراف الآيات: ٤٤ - ٤٥.

(٤) ابن عاشور: ١٣٦/٨.

(٥) تفسر ابن كثير: ٢٠٤/٢.

(٦) ((من بلاغة القرآن)) لأحمد أحمد بدوي ص ٣٧٦ مع التصرف اليسر بالاختصار. وانظر الإتيقان: ١٣٧/٢.

نكران. كل ذلك في خطفة سريعة تزيد من متعة الأولين. وتضاعف من نقمة الآخرين. وحينئذ ينادي بينهما مناد: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ مواقف تصورها الألفاظ أبلغ تصوير. دون أن تنبو لفظة عن مكانها أو ترى فيها أثراً للحشو، أو للإطناب في غير موضعه. أو للإيجاز في غير مكانه. كلها بوضعها وتنسيقها مما يتطلبها المقام حتى تتضح خطوط الصورة. وتزهو ألوانها وتتعاون في إبرازها في فنية واتساق.

تلك في صور القيامة. ومن صور الحوار فيها والخصام. ومن صور النعيم فيها والعذاب. فهل كان القارئ في أثناء استعراضها يحس أن هذا كله آتٍ في المستقبل البعيد؟ أم كان يحس أنه واقع في الحاضر المشهود^(١).

وأيضاً في نداء المؤذن بينهم ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ من الوجوه البلاغية والصور البيانية ما يجعلك تزداد إيماناً بإعجاز القرآن. وتلذذاً بفصاحته. من تقديم الجار والمجرور ﴿بِالْآخِرَةِ﴾ على متعلقه. وذلك للإهتمام به. فإن أصل كفرهم قد علم مما قبله وهذا النوع منه - يعني الكفر بالآخرة - له تأثير خاص في إصرارهم على ما أسند إليهم: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ وقد غفل عن هذا من قال إن التقديم لأجل رعاية الفاصلة.

ومن المعلوم أن المؤذن يلعن هؤلاء. ويصفهم بالظلم. ويسند إليهم الصد عن سبيل الله. وبغيها عوجاً. بصيغة المضارع. ويصفهم بالكفر بالآخرة في الآخرة بعد أن زال الكفر بها بعين اليقين فيها وليعتبر بها في الدنيا من يتصور حالهم هذه. فكانت البلاغة أن يعدل هنا عن صيغة الماضي إلى صيغة الحال حتى يخيل أنه هو الواقع عند إطلاق الكلام كما كانت البلاغة في العدول عن صيغة الاستقبال في تحاور أهل الجنة وأهل النار إلى صيغة الماضي لإثبات القطع به وتحقق وقوعه^(٢).

(١) (فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم) (د/ فتحي أحمد عامر ص ١٥٦ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٢) تفسير المنار: ٤٣٠/٨ مع التصرف بالاختصار.

المبحث الثاني: حوار المؤمنيين مع الكافرين عند نساؤلهم عن

المجرمين:

أهل النار يصطلون النار من تحتهم. ومن فوقهم. وأهل الجنة تجري من تحتهم الأنهار. أهل النار يشتغلون بالتنازب والخصام. وأهل الجنة يشتغلون بالحمد والاعتراف والسرور والنعيم المقيم ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا ﴿١﴾.

أهل النار ينادون بالتحقير والتأنيب من الله تعالى والملائكة والمؤمنين. وأهل الجنة ينادون بالتأهيل والتكريم. وقد أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم بشيء مما يوجه إلى الكفار. ويقصد به زيادة التنكيل والتوبيخ نفسياً. بالإضافة إلى العذاب البدني الشديد الذي لا يطاق.

من ذلك أن الله تعالى ذكر عن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة. نودوا بالتكريم فإذا صحاف من ذهب وأكواب يطاف بها عليهم. وإذا لهم في الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿يَاعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢﴾.

وقد زادهم الله حبوراً ولذة باجتماعهم مع بعضهم البعض. واطلاعهم على المجرمين. وهم في غمرات الجحيم. فيدور الحوار التالي بين المؤمنيين وهم يتقبلون في جنات النعيم. والمجرمين وهم يقاسون العذاب الأليم. يتساءلون^(٣) المجرمين فيقولون لهم: ﴿ما سلككم في سقر﴾ لزيادة تبكيت أولئك المجرمين وتوبيخهم. وإدخال الألم والحسرة على أنفسهم.

فقال المجرمون مجيبين السائلين: ما نحن فيه من عذاب وسعر. إنما هو بسبب أمور أربعة استمر عليها عملنا حتى أتانا الموت:

الأول: ترك الصلاة^(٤). وهي عمود الإخلاص للمعبود.

(١) سورة الواقعة الآيات: ٢٥ - ٢٦.

(٢) سورة الزخرف الآيات: ٦٨ - ٧١.

(٣) قال الفخر الرازي: يقال: سألته كذا. وسألته عن كذا. وقال: والمقصود من السؤال زيادة التوبيخ والتخجيل. ١٨٥/٣٠ - ١٨٦ من التفسير الكبير.

الثاني: ترك إطعام المسكين الذي هو من مراتب الإحسان للعبيد. فلا إخلاص للمعبود ولا إحسان للمخلوق.

(٤) قال الرازي: ١٨٦/٣٠: واحتج أصحابنا بهذه الآية على أن الكفار يعذبون بترك فروع الشرائع. وقال الشنقيطي في الأضواء: ١١٤/٧: فالآية تدل على خطاب الكفار بفروع الإسلام. وكونهم مخاطبين بذلك. وأنهم يعذبون على الكفر ويعذبون على المعاصي. فصرح تعالى عنهم مقررأ له أن من الأسباب التي سلكتهم في سقر أي أدخلتهم النار عدم الصلاة. وعدم إطعام المسكين وعد ذلك مع الكفر بسبب التكذيب بيوم الدين. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿خذوه فغلوه • ثم الجحيم صلوه • ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾. ثم بين سبب ذلك فقال: ﴿إنه كان لا يؤمن بالله العظيم • ولا يحض على طعام المسكين﴾ اهـ. ولا شك أن أحكام الكفار ثابتة في الكتاب والسنة. فاعتماداً على تلك النصوص وضع بعض الأصوليين قاعدة يستند إليها الفقهاء في استنباط الأحكام المتعلقة بالكفار. هذه القاعدة هي: ((تكليف الكفار بفروع الإسلام)) ولكن هؤلاء الأصوليين. ومعهم بعض الفقهاء اختلفوا فيها: فمنهم من أثبت تكليفهم بالفروع. ومنهم من نفى ذلك. ومنهم من فرق بين الأوامر والنواهي. ومنهم من قال غير ذلك. ومنهم من جعل للخلاف ثمرة. ومنهم من جعل الخلاف لفظياً. (وهذا الخلاف يتلاشى باتفاقهم على الأمور الآتية:

الأمر الأول: أن الكفار مخاطبون إجماعاً بالإيمان الذي هو الأصل. وإنما وقع الخلاف في فروع الإيمان.

الأمر الثاني: أن الكافر غير مطالب بفعل الفروع حال كفره. يوضحه:

الأمر الثالث: وهو أن فروع الإيمان لا تصح ولا تقبل ولا يشاب عليها الكافر إلا بتحصيل أصل الإيمان. والدليل على هذين الأمرين قوله تعالى ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ الفرقان الآية: ٢٣. انظر أضواء البيان: ٣٥٣/٣.

الأمر الرابع: أن الكافر إذا أسلم لا يلزمه قضاء ما فاتته من العبادات. لأن الإسلام يَجِبُ ما قبله.

الأمر الخامس: أن الكفار مطالب بالفروع لكن مع تحصيل شرطها الذي هو الإيمان ودليله قوله تعالى: ﴿و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ آل عمران الآية: ٩٧.

الأمر السادس: أن الكافر يعاقب في الآخرة على تركه أصل الإيمان وعلى تركه الفروع. وذلك لقوله تعالى إخباراً عن المشركين في معرض التصديق لهم تحذيراً من فعلهم ﴿ما سلككم في سقر﴾ الآيات من سورة المدثر ٤٢-٤٤.

انظر: روضة الناظر: ١٤٥/١ وما بعدها ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١٦-٧/٢٢ وزاد المعاد ٦٩٨/٥-٦٩٩. والقواعد والفوائد الأصولية ص ٤٩. وشرح الكوكب المنير ٥٠٠/١ وما بعدها. ونزهة الخاطر العاطر ١٤٥/١. ومذكرة الشنقيطي ص ٣٣-٣٤). اهـ مع التصرف اليسير من ((معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة)) لحمد بن حسين الجيزاني، وقد فصل القول في هذه المسألة وجمع شتاتها الدكتور/ عبد الكريم ابن علي النملة في مؤلف مستقل بعنوان: ((الإمام في مسألة تكليف الكفار بفروع الإسلام)).

الثالث: الخوض^(١) بالباطل مع الخائضين. فكلما غوى غاو غوينا معه. وكلما خاض خائض خائض في أمر محمد ﷺ بالباطل خضنا معه. وقلنا بقولهم: إنه كاذب. مجنون. ساحر. شاعر.
الرابع: التكذيب بيوم الدين. وهذه الطامة الكبرى. فالتكذيب بيوم الدين أساس كل انحراف وفساد في الدنيا.

قال الزمخشري: فإن قلت لم أخرج التكذيب وهو أعظمها؟ قلت: أرادوا أنهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيماً للتكذيب كقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢).
قال الإمام ابن عطية: هذا هو اعتراف الكفار على أنفسهم وفي نفي الصلاة يدخل الإيمان بالله. والمعرفة به. والخشوع والعبادة. فالصلاة تنتظم على عظم الدين وأوامر الله تعالى وواجبات العقائد..

وإطعام المساكين ينتظم الصدقة فرضاً وطوعية. والتكذيب بيوم الدين كفر صراح وجهل بالله تعالى. واليقين معناه عندي صحة ما كانوا يكذبون به من الرجوع إلى الله تعالى والدار الآخرة. وقال المفسرون اليقين الموت. وذلك عندي متعقب. لأن نفس الموت يقين عند الكافر وهو حي. وإنما اليقين الذي عنوا في هذه الآية الشيء الذي كانوا يكذبون به وهم أحياء في الدنيا. فيتيقنوه بعد الموت. وإنما يتفسر اليقين بالموت في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(٣) اهـ^(٤).

(١) قال الراغب في المفردات ص ١٦١: أكثر ما ورد - الخوض - في القرآن. ورد فيما يُدْمُ الشروع فيه. نحو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخْوَضُ وَنَلْعَبُ﴾ وقوله ﴿وَحَضَّمْتُ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ سورة التوبة: ٩.

وقال السمين في عمدة الحفاظ ١/٦٢١: الخوض: الدخول في الحديث. فقيل: فلان يخوض. أي يتكلم بما لا ينبغي. وغلب على الرديء من الكلام. اهـ.

(٢) سورة البلد الآية: ١٧؛ الكشف ٤/٦٤٢.

(٣) سورة الحجر الآية: ٩٩.

(٤) تفسير ابن عطية: ١٦٧/١٦ مع التصرف اليسير بالاختصار.

فمن كانت هذه خاتمة حاله فلا شفاعة تنفعه ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾^(١). فقد أقام الله تعالى عليهم الحجّة. وأبان لهم الحجّة. لكنهم استحبوا العمى على الهدى. فأعرضوا عن التذكرة ولم يرفعوا بها رأساً. ونفروا عن سماعها ﴿كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة﴾ والمستنفرة النفرة المدعورة (شديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه.. شبههم في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه. بجمر جدّت في نفاها مما أفرعها. وفي تشبيههم بالحر: مذمة ظاهرة وتهجين لحالم يّين. كما في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(٢).

وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل. ولا في مثل نفار حمير الوحش. واطرادها في العدو إذا رابها رائب^(٣).

نعوذ بالله من حال أهل الردى. ونسأله التوفيق والثبات على الهدى.

(١) قال القرطبي: هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين. وذلك أن قوماً من أهل التوحيد عذبوا بذنوبهم. ثم شُفّع فيهم. فرحمهم الله بتوحيدهم والشفاعة. فأخرجوا من النار. اهـ من الجامع لأحكام القرآن ١٩/٨٥. وانظر معاني القرآن للزجاج: ٥/٢٤٩.. وزاد المسير: ٨/٤١١.

(٢) سورة الجمعة الآية: ٥.

(٣) الكشاف ٤/٦٤٣. مع التصرف اليسير بالاختصار.

وقفه مع آيات الحوار:

لم يرد في هذا الباب حوار للمؤمنين مع الله تعالى. فوجب التنبيه على ما يأتي:
أولاً: ليس معنى ذلك أن الله تعالى لا يتكلم مع المؤمنين. بل ثبت ذلك في القرآن الكريم. وقد أفردت الكلام عليه في الفصل الأول من الباب الأول. هذا بالإضافة إلى أنه قد ورد في السنة كثيراً من الحوارات. بين الله تعالى والمؤمنين^(١). وأيضاً تكليم المؤمنين لله تعالى. والأمثلة على ذلك كثيرة^(٢) منها:

حديث صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى^(٣)؟ قال سمعته يقول: يُدني^(٤) المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل. حتى يضع عليه

-
- (١) ماورد من كلام الله تعالى مع المؤمنين فهو على أنواع منها:
- ١ - ما كان على أرض المحشر فهو للحساب اليسير وهو العرض كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها. انظر صحيح البخاري، كتاب الرقاق، حديث رقم ٦٥٣٦.
 - ٢ - ما كان مع آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً من النار وهو للتفضل والإحسان. انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/٣٦٣.
 - ٣ - ما كان في الجنة فهو لزيادة النعيم وإحلال الرضوان عليهم. انظر صحيح مسلم حديث رقم ٢٨٢٩.
- (٢) انظر صحيح البخاري كتاب التوحيد باب كلام الرب مع أهل الجنة حديث رقم ٥٧١٩. وانظر المستدرک ٢/٣٣٥ حديث رقم ٣١٩٧ وجامع الترمذي ٤/٣١٢ حديث رقم ٢٥٥٢.
- (٣) النجوى هي المحادثة بين اثنين أو أكثر سراً. بحيث لا يسمع حديثهم من قرب منهم. والمقصود هنا: كلام الرب تعالى مع عبده. اهـ من شرح كتاب التوحيد ص ٣٠٩ باختصار. وقال الحافظ في الفتح: المراد من النجوى في الحديث: المناجاة التي تقع من الرب سبحانه وتعالى يوم القيامة مع المؤمنين.
- (٤) نقل الحافظ ابن حجر في الفتح عن ابن التين أنه قال: يعني يقرب من رحمته. وهو سائغ في اللغة. يقال: فلان قريب من فلان. ويراد الرتبة. اهـ منه ٤٧٧/١٣. وتعقبه العلامة ابن غنيمان في (شرح كتاب التوحيد) فقال: ما نقله الحافظ عن ابن التين... فهو تأويل الجهمية المعروف الذي ذكره السلف عنهم. وردوه. وبينوا أنه مخالف لقول الله تعالى ولقول رسوله ﷺ ولعقيدة أهل العلم والإيمان. وهو سلوك غير سبيل المؤمنين.
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وبيان بطلان هذا التأويل من وجوه: ثم ذكر تسعة أوجه تدل دلالة لا لبس فيها ولا غموض على بطلان تأويل القرب بالقرب من رحمته فانظرها فإنها نفيسة جداً. ولولا خشية الإطالة لذكرتها.
- انظرها في (بيان تلبيس الجهمية) ٢/١٧٧ المخطوط بواسطة شرح كتاب التوحيد ٢/٣١٦.

كنفه. فيقرره بذنوبه. فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف. قال: فإنني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم. فيعطى صحيفة حسناته^(١)..

وبوّب الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باباً بعنوان: باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم^(٢) وأورد في الباب عدّة أحاديث منها: حديث صفوان بن محرز السابق وحديث الشفاعة الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه^(٣) وحديث آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً من النار وفيه قال عنه ﷺ: يخرج حبواً فيقول له ربه: أدخل الجنة. فيقول: رب الجنة ملأى. فيقول له ذلك ثلاث مرات. فكل ذلك يعيد عليه الجنة ملأى. فيقول: إن لك مثل الدنيا عشر مراراً، وأورد فيه أيضاً حديث عدي بن حاتم قال قال رسول الله ﷺ: ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان. فينظر أيمن منه. فلا يرى إلا ما قدم من عمله. وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم. وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه. فاتقوا النار ولو بشق تمرة).

وقد بوّب على هذا الحديث إمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة في (كتاب التوحيد) بقوله: (باب إن الله جل وعلا يكلم عباده يوم القيامة من غير ترجمان يكون بين الله عز وجل وبين عباده بذكر لفظ عام مراده خاص)^(٤).

الثاني: نستشف من عدم ورود حوار للمؤمنين مع الله تعالى في القرآن الكريم تمام رضاهم. وكامل قناعتهم بما هم فيه من نعيم وحبرة وسرور. فما ظنك بقوم يتمتعون برؤية الله تعالى. واستمع إلى الحوار التالي ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) انظر كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٢٠٢/٨ باب ٣٦.

(٣) والمقصود من إيراده تحت هذا الباب إثبات كلام الله تعالى لرسولنا محمد ﷺ في الموقف. فإن فيه محاوره بين رب العالمين جل وعلا وبين عبده ورسوله محمد ﷺ. اهـ من شرح كتاب التوحيد ٣٠٠/٢ مع التصرف اليسير.

(٤) يقصد بقوله (لفظ عام) أي عباده. وبقوله (مراده خاص) أي المؤمنين. انظر (كتاب التوحيد) لابن خزيمة

خلقتك؟ فيقول: ألا أعطيتكم أفضل من ذلك؟ قالوا: يارب. وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني. فلا أسخط عليكم بعده أبداً^(١).

أما أهل النار فقد كثرت مراجعتهم. وارتفع صراخهم. وكثر جدالهم واشتد خصامهم. واستعر حجاجهم. يطلبون العودة ولا عودة. ويسألون الخروج ولا خروج. فيكون ويندمون ولات ساعة مندم. وتشتد حسرتهم، ويطلبون الموت فلا يجابون. فهم ناقمون على أنفسهم. ناقمون على دارهم فبئس الدار وبئس القرار. وهكذا فهم في شقاء ونكد. وشؤم وضجر.

(١) بؤب الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد: (باب كلام الرب مع أهل الجنة) وأورد فيه هذا الحديث برقم ٧٥١٨.

الباب الثالث : حوار الكافرين

الفصل الأول : حوار الكافرين مع الله تعالى وفيه مباحث:

المبحث الأول : حوار الكافرين مع الله تعالى عند حشرهم يوم القيامة عمياً .

المبحث الثاني: حوار الكافرين مع الله تعالى لطلب الرجوع إلى الدنيا ليعملوا

صالحاً .

المبحث الثالث : عند تخاصمهم مع قرنائهم .

المبحث الرابع : حوار الكافرين مع الله لطلب تضييف العذاب على المتبوعين .

الفصل الثاني : حوار الكافرين مع الملائكة .

الفصل الثالث : حوار الكافرين مع المؤمنين .

الفصل الرابع : حوار الكافرين مع جلودهم .

الفصل الخامس : حوار الكافرين مع بعضهم بعضاً المستضعفين

والمستكبرين .

الفصل السادس : حوار الملائكة - خزنة جهنم - مع الكافرين .

الباب الثالث: حوار الكافرين

تمهيد:

حوار الكافرين في الدار الآخرة حوار من أيقن الهلاك، وعانين العذاب، ويريد النجاة، فيسلك كل سبيل، ولا سبيل، فتارة ينكر، كما ذكر الله تعالى عنهم في محكم التنزيل: ﴿رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(١)، وقوله عنهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾^(٢)، وقوله: ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾^(٣)، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير...»^(٤).

وتارة يطلب الرجعة إلى الدنيا، ويتعهد بعمل الصالحات والإيمان، وإتباع الرسول، كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..﴾^(٥).

وتارة بإلقاء تبعة ما عمل على غيره، ليرى نفسه، وينجو من العقاب... لكن هيهات هيهات ﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٦).

وإذا ما صاروا في غمرات الجحيم، وقاسوا من العذاب الأليم، تعالى نداؤهم، وارتفع صراخهم، مرة لطلب الخروج، ومرة لطلب الإغاثة، وثالثة لطلب التخفيف، وأخرى للقضاء عليهم بالموت فيستريحون مما هم فيه.. لكنهم لا يجابون لشيء من ذلك فجوابهم الحاسم ﴿قَالَ أَحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونَ﴾^(٧).

(١) سورة الأنعام، الآية ٢٣.

(٢) سورة النحل، الآية ٢٨.

(٣) سورة غافر، الآية ٧٤.

(٤) رواه البخاري في كتاب التفسير باب ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ حديث رقم ٤٤٨٧. انظر فتح الباري: ١٧١/٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٢٧.

(٦) سورة الأعراف، الآية ٣٨.

(٧) سورة المؤمنون الآية: ١٠٨.

وتتعدد حواراتهم، تارة مع الله سبحانه وتعالى، وتارة مع الملائكة، وثالثة مع المؤمنين،
ورابعة مع أتباعهم، وكبرائهم ومع قرنائهم بل ومع أنفسهم أيضاً.
وفي هذا الباب نبين ذلك - إن شاء الله تعالى - .

الفصل الأول : حوار الكافرين مع الله تعالى : وفيه مباحث :

المبحث الأول : عند حشرهم يوم القيامة عمياً .

المبحث الثاني : عند طلبهم الرجوع إلى الدنيا

المبحث الثالث : عند تخاصمهم مع قرنائهم .

المبحث الرابع : حوار الكافرين - الأتباع - مع الله تعالى

لطلب تضييف العذاب على المتبوعين .

المبحث الأول: حوار الكافرين مع الله تعالى عند حشرهم يوم القيامة عمياً:

آية الحوار في هذا المبحث تتضمن بيان حالتين، وما ينتج عنهما دنيا وأخرى، حالة متبع هدى الله، وحالة المعرض عن هدى الله.

الأول: له الأمن التام والاهتداء التام في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(١) وقد نفي عنه الخوف والحزن، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢) وتكفل له بأن يحيه حياة طيبة، ويجزيه أجره في الآخرة، فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣). وضمن له عدم الضلالة والشقاء ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾.

قال الإمام البقاعي رحمه الله تعالى: فلا يضل بسبب اتباع هدى الله - عن طريق السداد في الدنيا ولا في الآخرة أصلاً ﴿ولا يشقى﴾ أي في شيء من سعيه في واحدة منهما، فإن الشقاء عقاب الضلال، ويلزم من نفيه نفي الخوف والحزن بخلاف العكس فهو أبلغ مما في البقرة، فإن المدعو إليه في تلك - مطلق العبادة، والمقام في هذه للخشية والبعث على الجِدِّ ﴿إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَنْ يَخْشَى﴾^(٤) وللاقبال على الذكر ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾^(٥) والتحفظ من المخالفة ولو بالنسيان ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْمًا﴾^(٦)...^(٧)

(١) سورة الأنعام الآية: ٨٢.

(٢) سورة البقرة الآية: ٣٨.

(٣) سورة النحل الآية: ٩٧. وانظر الكشاف: ٩٢/٣.

(٤) سورة طه الآية: ٣.

(٥) سورة طه الآية: ١٠٠.

(٦) سورة طه الآية: ١١٥.

(٧) (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ٥٤/٥ مع التصرف باليسير بالاختصار.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: تضمن الله عز وجل لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا هذه الآية ^(١).

وعنه رضي الله عنه: من قرأ القرآن واتبع ما فيه عصمه الله من الضلالة، ووقاه من هول يوم القيامة وذلك أنه قال ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ في الآخرة ^(٢).
وعنه رضي الله عنه قال: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداي الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك بأن الله عز وجل قال: ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ ^(٣).

والثاني: في شقاء وضلال ونكد وذنك كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ ^(٤)؛ فإن من أعرض عن ذكر الله الذي أنزله، فله من ضيق الصدر،

(١) رواه الإمام الطبري في جامع البيان: ٣٨٩/١٨.

(٢) المصدر السابق: ٣٨٩/١٨ - ٣٩٠.

(٣) رواه الحاكم في المستدرک كتاب التفسير تفسير سورة طه، حديث رقم ٣٤٣٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي في التلخيص صحيح اه منه ٤١٣/٢.

(٤) قال ابن عادل الحنبلي في تفسيره ﴿ضَنْكًا﴾ صفة لمعيشة، وأصله المصدر، فكأنه قال: معيشة ذات ضنك، فلذلك لم يؤنث ويقع للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد. اه من تفسيره: ٤١٤/١٣. قال ابن مالك في الألفية:

ونعتوا بمصدر كثيراً فالتزموا الإفراد والتذكير

أي يقع المصدر نعتاً كثيراً، وكان حقه أن لا ينعت به لجموده، ولكن وقوعه نعتاً قصداً للمبالغة أو توسعاً بحذف مضاف. انظر شرح الألفية لابن عقيل: ٢٠١/٣، واشترطوا للنعت بالمصدر أن يكون مصدراً ثلاثياً. انظر معجم القواعد العربية: ص ٥٣٩.

(٥) سورة طه الآية: ١٢٤. فسر غير واحد من السلف المعيشة الضنك بعذاب القبر، وجعلوا هذه الآية أحد الأدلة الدالة على عذاب القبر، ولهذا قال بعده ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى..﴾ فذكر عذاب البرزخ، وهذا عذاب الآخرة، ونظيره قوله تعالى في آل فرعون ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾ سورة غافر: ٤٦. فهذا في القبر ﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ وهذا في القيامة، والأحاديث في إثبات عذاب القبر تكاد تبلغ حد التواتر. انظر لزماماً: جامع البيان: ٣٩٤/١٨. قال الزجاج في كتابه معاني القرآن: الضنك أصله في اللغة الضيق والشدة ومعناه - والله أعلم - أن هذه المعيشة الضنك في نار جهنم وأكثر ما جاء في التفسير أنه عذاب القبر اه منه: ٣٧٨/٣ وانظر المستدرک للحاكم: ٤١٣/٢ حديث رقم ٣٤٣٩.

ونكد العيش، وكثرة الخوف، وشدة الحرص والتعب على الدنيا والتحسر على فواتها قبل حصولها وبعد حصولها، والآلام التي من خلال ذلك.

قال العلامة ابن عادل^(١) الحنبلي: الكافر بالله يكون حريصاً على الدنيا، طالباً للزيادة أبداً فعيشه ضنك، وأيضاً فمن الظلمة من ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة بكفره قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾^(٢) وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾^(٣). وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤).

(فالشقاء فراق العبد من الله، والسعادة وصوله إليه. وفي التعبير بـ ﴿معيشة ضنكاً﴾ تحقيرها بالتأنيث، ثم وصفها - سبحانه وتعالى - بأفطع وصف وهو الضيق، لكونه على ضلال وإن رأى أن حاله على غير ذلك في السعة والراحة، فإن ضلاله لا بد أن يريده، فهو ضنك لكونه سبباً للضيق آيلاً إليه، من تسمية السبب باسم المسبب، مع أن المعرض عن الله لا يشبع.. مستول عليه الحرص الذي لا يزال أن يطيح ببال من يريد الازداد من الدنيا، مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق،.. ومناوأة الخصوم، وتعاقب الهموم، مع أنه لا يرجو ثواباً، ولا يأمن عقاباً، فهو لذلك في أضييق الضيق، لا يزال همه أكبر من وحده: «لو كان لابن آدم واد من ذهب لابتغى إليه ثانياً، ولو أن له واديين لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»^(٦)... وهكذا حال من أتبع نفسه هواها، وأما

(١) هو أبو حفص عمر بن علي سراج الدين دمشقي الحنبلي العالم العلامة البحر الفهامة جمع علم اللغة والأصول والحديث والبلاغة بعلومها الثلاثة. لم تحدد كتب السير والأعلام زمن مولده ولا زمن وفاته إلا أنه عاش في القرن التاسع، وكان حياً سنة ٨٧٩هـ فقد فرغ من تأليف تفسيره (اللباب...) في رمضان من هذه السنة. من آثاره: حاشية على المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. ترجمته في: هدية العارفين ٧٩٤/٥، الأعلام للزركلي ٥٨/٥ ومعجم المؤلفين ٥٦٨/٢.

(٢) سورة البقرة الآية: ٦١.

(٣) سورة المائدة الآية: ٦٦.

(٤) سورة الأعراف الآية: ٩٦.

(٥) اللباب لابن عادل ٤١٤/١٣ - ٤١٥ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٦) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب ما يتقى من فتنة المال حديث رقم ٦٤٣٩، ومن حديث ابن عباس حديث رقم ٦٤٣٦ و ٦٤٣٧ في نفس الباب، وأخرجه مسلم حديث رقم ١٠٤٨.

حال المقبل على الذكر بكليته فهو قانع راض بما هو فيه، مستكثر من ذكر الله الشارح للصدور الجمالي للقلوب فهو أوسع سعة فلا تغتر بالصور وانظر إلى المعاني^(١).

فقلوب أهل البدع، والمعرضين عن القرآن، وأهل الغفلة عن الله، وأهل المعاصي: في حجيم قبل الجحيم الأكبر، وقلوب الأبرار في نعيم قبل النعيم الأكبر ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾^(٢) هذا في دورهم الثلاث؟، ليس مختصاً بالدار الآخرة، وإن كان تمامه وكمال ظهوره: إنما هو في الدار الآخرة^(٣).

فإذا ما بعثه الله تعالى من قبره وحشره إلى أرض الموقف، حشره أعمى، أعمى البصر^(٤)، يتخبط على وجهه، في أذل وأحقر حال، فيقول حينئذ الكافر على وجه الذل، والمراجعة،

(١) (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ٥/٥٤-٥٥ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٢) سورة الانفطار الآية: ١٣-١٤.

(٣) بدائع التفسير: ٣/١٧٢-١٧٤ مع التصرف. وانظر الكشاف: ٣/٩٢.

(٤) اختلف في العمى المراد في الآية هل هو من عمى البصيرة أم من عمى البصر؟ فقيل: أعمى أي لا حجة له والأظهر عندي أنه عمى البصر، لوجود قرينه في نفس الآية تدل على ذلك وهي قوله ﴿قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾ فصرح بأن عماء هو العمى المقابل للبصر، وهو بصر العين، لأن الكافر كان في الدنيا أعمى القلب. انظر جامع البيان: ١٨/٣٩٥.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي عند قوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾ الإسراء الآية ٧٢. والمراد عمى القلب لا عمى العين ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ أن عمى العين مع إبصار القلب لا يضر، بخلاف العكس، فإن أعمى العين يتذكر فتنفعه الذكرى ببصيرة قلبه، قال تعالى: ﴿عيسى وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى﴾ سورة عبس الآيات ١-٤ إذا أبصر القلب المروءة والتقى فإن عمى العينين ليس يضير وقال ابن عباس:

لما عمى في آخر عمره - كما روى عنه من وجوه - كما ذكره ابن عبد البر وغيره:

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور.

أه من أضواء البيان ٣/٦١٨. قلت: والقول ما قال - رحمه الله تعالى - في تفسير آية الإسراء ﴿ومن كان في هذه أعمى..﴾، وأما آية الحوار فإن فيها زيادة على عمى البصيرة، وبيان ذلك: أن الكافر عندما يقول: ﴿رب لم حشرتني أعمى﴾ فإنه فقد شيئاً كان موجوداً له في الدنيا، أما البصيرة فهي مفقودة منه أصلاً، بدليل آية الإسراء ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى..﴾ وبدليل حاله فهو لا بصيرة له، إذ لو كانت له بصيرة لآمن بالله، وصدق المرسلين، فلم يكن إلا

والتألم والضرر من هذه الحالة: ﴿رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾ فأجابه الله تعالى ﴿كذلك أتتك آياتنا فنسيتها﴾ (على عظمتها التي هي من عظمتنا)^(١). بإعراضك عنها (فقد أتتك آياتنا واضحة مستتيرة فلم تنظر إليها بعين المعبر ولم تتبصر، وتركتها وتعاميت عنها)^(٢)، ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ أي تترك في العذاب، فهذا هو عين عملك، والجزاء من جنس العمل، فمثل ذلك فعلت أنت فكما عميت عن ذكر ربك ونسيته - من النسيان بمعنى الترك عمداً^(٣) - أعمى الله بصرك في الآخرة، وحشرك إلى النار أعمى، وأعرض عنك، ونسيك^(٤) في العذاب.

= الإبصار بالعين، فهم لهم أعين في الدنيا، لكن عطلوها عن النظر في ملكوت الله، والاستدلال على وحدانيته تعالى، وتعاموا عن كل ذلك، فعاقبهم الله تعالى من جنس عملهم، فأعينكم التي في الدنيا تعاميت بها، ولم تنتفعوا منها، اليوم نحرمتكم منها، ونسبكم نعمة الإبصار، فيحشرهم الله تعالى يوم القيامة على وجوههم عمياً...

كما قال تعالى: ﴿ونحشرهم على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم...﴾ سورة الإسراء الآية ٩٧.

قال العلامة ابن عطية رحمه الله تعالى: قالت فرقة العمي هنا - يعني في آية طه - هو عمى البصيرة قال: ولو كان هذا لم يخش الكافر لأنه كان أعمى البصيرة ويحشره كذلك. وقالت فرقة العمى عمى البصر، وهذا هو الأوجه، مع أن عمى البصيرة حاصل في الوجهين. اهـ من تفسيره: ١١٣/١١، وقال العلامة ابن المنير في منظومته: ((التيسير العجيب في تفسير الغريب)): في تفسير غريب سورة طه:

﴿أعمى﴾ أراد أنه أعمى البصر أن كان في الحياة مُظلم الفكر
﴿نسيتها﴾ تركتها حُجوداً وهكذا ترك آي حُلوداً.

اهـ منه ص ١١٢.

(١) (نظم الدرر) ٥٥/٥.

(٢) الكشف: ٩٣/٣.

(٣) قال الراغب في المفردات: وكل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى به، فهو ما كان أصله عن تعمّد. وأما ما عُذِر فيه نحو ما روي عنه عليه الصلاة والسلام: ((رفع عن أمّتي الخطأ والنسيان) أخرجه الطبراني في الكبير ١٣٣/١١ والدارقطني في السنن ١٧١/٤ وابن ماجه ٦٥٩/١ والحاكم ١٩٨/٢ وصححه ووافقه الذهبي. فهو بخرج ما لم يكن سببه منه. المفردات ص ٥١٢.

وقال السمين في عمدة الحفاظ: قوله تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ أي تركوا أو امره ونواهيته، فتركهم مخلدين في النار، والنسيان يعبر به عن الترك. اهـ منه: ١٩٩/٤.

(٤) سئل فضيلة الشيخ / محمد بن صالح بن عثيمين: هل يوصف الله تعالى بالنسيان؟ فأجاب بقوله: للنسيان معنيان: أحدهما: الذهول عن شيء معلوم مثل قوله تعالى ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ سورة البقرة: ٢٨٦، ومثل قوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم

أخرج الإمام أبو جعفر الطبري بسنده عن مجاهد في قوله ﴿كذلك أتتك آياتنا فنسيتها...﴾ قال: فتركها ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ وكذلك اليوم تترك في العذاب^(١). وفي الحديث عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً وسخرت لك الأنعام والحراث، وتركتك ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول: لا، فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني»^(٢).

قال الإمام الترمذي رحمه الله تعالى: ومعنى قوله: اليوم أنساك، يقول: اليوم أتركك في العذاب. هكذا فسروه.

وقد فسر بعض أهل العلم هذه الآية ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾^(٣) قالوا: إنما معناه اليوم نتركهم في العذاب. اهـ^(٤)

وقد وردت آيات عديدة في كتاب الله تعالى تنص على نسيان الله تعالى للكافرين، وإنسائهم أنفسهم في الدنيا منها قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ

= نجد له عزماً طه: ١١٥، ومثل قوله ﷺ: ((إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني)) من حديث عبد الله ابن مسعود متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في كتاب الصلاة باب التوجه نحو القبلة حديث رقم ٤٠١. ومسلم في صحيحه في كتاب المساجد باب السهو في الصلاة والسجود له حديث رقم ٥٧٢. وقوله ﷺ: ((من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها)) أخرجه مسلم ١٣٨/٢.

وهذا المعنى للنسيان منتفٍ عن الله عز وجل بالدليلين السمعي والعقلي كما قال تعالى عن موسى ﴿قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ سورة طه الآية ٥٢. وأما العقلي فإن النسيان نقص، والله تعالى منزّه عن النقص موصوف بالكمال..

والمعنى الثاني للنسيان: الترك عن علم وعمد، وهذا المعنى من النسيان ثابت لله تعالى - إلى أن قال - وقيام هذه الأفعال به سبحانه لا يماثل قيامها بالمخلوقين، وإن شاركه في أصل المعنى، كما هو معلوم عند أهل السنة. اهـ بتصرف من فتاوى العقيدة ص ١٠٣-١٠٦.

(١) جامع البيان: ٣٩٦/١٨.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه ٢٢٤/٤ (واللفظ له) باب ما جاء في العرض حديث رقم ٢٤٢٨ وابن خزيمة في التوحيد ص ١٥٥. قال الإمام الترمذي: هذا حديث صحيح غريب.

(٣) سورة الأعراف الآية: ٥١.

(٤) جامع الترمذي: ٢٢٥/٤.

يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ
الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ
كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾^(١).

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى: يقول الله جل ثناؤه: ﴿فالיום ننساهم كما نسوا..﴾
أي ففي هذا اليوم وذلك يوم القيامة ﴿ننساهم﴾ يقول نتركهم في العذاب المبين جيعاً عطاشاً
بغير طعام ولا شراب، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ورفضوا الاستعداد له بإتباع
أبدانهم في طاعة الله^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا
وَمَاوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^(٥) وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ
فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٦).

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: وأما قول الله للكفار: ﴿الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ
يَوْمِكُمْ هَذَا﴾^(٧) وقال في آية أخرى ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾^(٨) فشكوا في
القرآن. أما قوله ﴿فالיום ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ يقول نترككم في النار كما
نسيتم كما تركتم العمل للقاء يومكم هذا. وأما قوله ﴿في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾
يقول لا يذهب من حفظه ولا ينساه. ^(٩) اهـ

(١) سورة التوبة الآية: ٦٧.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٥١.

(٣) جامع البيان: ٤٧٥/١٢.

(٤) سورة السجدة الآية: ١٤.

(٥) سورة الجاثية الآية: ٣٤.

(٦) سورة الحشر الآية: ١٩.

(٧) سورة الجاثية الآية: ٣٤.

(٨) سورة طه الآية: ٥٢.

(٩) (الرد على الزنادقة والجهمية) ص ٢٥.

وَأَمَّ تَعَالَى الْجَوَابَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾^(١) (أي ومثل ذلك الجزاء نجزي ﴿من أسرف﴾ أي أشرك ﴿ولم يؤمن﴾
بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد ﴿مما يعذبهم في الدنيا والقبر﴾ وأبقى ﴿وأدوم﴾^(٢).

وقال ابن عطية: ﴿كذلك﴾ إشارة إلى العمى الذي حلَّ به أي مثل هذه في الدنيا أن
أتتك آياتنا فنسيتها، والنسيان هنا بمعنى الترك، ولا مدخل للذهول في هذا الموضع و ﴿تنسى﴾
أيضاً بمعنى ترك في العذاب. اهـ^(٣).

فعذاب الآخرة أشدُّ ألماً وأدوم عذاباً من عذاب الدنيا، ومن عذاب القبر (لأنه إلى غير أمدٍ
ولا نهاية)^(٤) كما قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾^(٥) وقوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾^(٧).

ويلاحظ أن جميع هذه الآيات المذكور فيها عذاب الآخرة صُدِّرت بلام القسم لسببين:
الأول: أنهم مكذبون به فأكدوه.

والثاني: إشارة إلى أن أدنى نوع من عذاب الآخرة فإنه أشد من أخطر وأعظم عذاب في
الدنيا ففي الحديث عنه ﷺ: (يؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا من أهل الجنة، فيقول:
اصبغوه صبغة في الجنة، فيصبغونه فيها صبغة فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً
قط أو شيئاً تكرهه؟ فيقول: لا وعزتك ما رأيت شيئاً أكرهه قط، ثم يؤتى بأنعم الناس كان
في الدنيا من أهل النار فيقول: أصبغوه فيها صبغة، فيقول: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط، قررة
عين قط؟ فيقول: لا وعزتك ما رأيت خيراً قط، ولا قررة عين قط)^(٨).

(١) سورة طه الآيات: ١٢٤ - ١٢٦.

(٢) تفسير ابن عادل: ٤١٧/١٣.

(٣) من تفسيره: ١١٣/١١.

(٤) الطبري: ٣٩٦/١٨.

(٥) سورة طه الآية: ١٢٧.

(٦) سورة فصلت الآية: ١٦.

(٧) سورة الزمر الآية: ٢٦.

(٨) أخرجه الإمام أحمد ٢٠٣/٣ من حديث أنس رضي الله عنه والإمام مسلم في صحيحه ١٣٥/٨
واللفظ له، وأخرج بنحوه ابن ماجه ٥٨٧/٢ وفيه يدل اصبغوه اغمسوه وبدأ الحديث: بأنعم أهل
الدنيا من الكفار.. الخ ثم قال: ويؤتى بأشد المؤمنين ضرراً وبلاء.. الخ وهو من حديث أنس أيضاً.

المبحث الثاني: حوار الكافرين مع الله تعالى لطلب الرجوع إلى

الدنيا ليعملوا صالحاً:

أخبر الله تعالى أن الكفار لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم، فإذا ما رأوه آمنوا وصدّقوا حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، فيتمنون الرجعة إلى الدنيا ولو لوقت قصير ﴿رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾^(١) ﴿نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ ولكن هيهات هيهات.

وقد تكرر طلبهم الرجعة إلى الدنيا في ستة مواطن ذكرها الله تعالى في محكم التنزيل

وهي:

أولاً: عند الاحتضار:

فأول تلك المواطن عند احتضارهم، وذلك أنهم يرون العذاب كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٣).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿والملائكة باسطوا أيديهم﴾ أي بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم: ﴿أخرجوا أنفسكم﴾، وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده، وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم: ﴿أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ أي: اليوم تهانون غاية الإهانة، كما

(١) سورة إبراهيم الآية: ٤٤.

(٢) سورة الأنفال الآية: ٥٠.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٩٣.

كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته، والانقياد لرسله.

وقد وردت أحاديث متواترة في كيفية احتضار المؤمن والكافر. اهـ^(١).

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعاً: «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب» قال: «فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول...»^(٢).

فعندما تأتي سكرة الموت يتطاير الظن الفاسد من رؤوس أصحابه، ويذهب الباطل الذي اتبعوه، ويأتي الحق الذي أنكروه، ويقول الذين كفروا وقد جدوا ما وعد ربهم حقاً: ﴿يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، فيسألون الرجعة لتدارك ما فات كما قال تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني﴾^(٤) لعلني أعمل صالحاً فيما تركت ﴿ فهذا وصف لحالة المحتضر عند الموت من الكافرين أو المفرطين في أمر الله، يتمنون الرجعة

(١) تفسير ابن كثير: ٣/٣٠٢.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند: ٤/٢٨٧، وأبي داود في السنن برقم ٤٧٥٣ والنسائي في السنن: ٤/٧٨ والبيهقي في شعب الإيمان: ١/٣٥٦ والحاكم في المستدرک: ١/٩٦ قال البيهقي: هذا حديث صحيح الإسناد. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة وقمع للمبتدعة ولم يخرجاه بطوله. ووافقته الذهبي في التلخيص.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٢٧.

(٤) قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان: وفي هذه الآية سؤال معروف وهو أن يقال: ما وجه صيغة الجمع في قوله ﴿رب ارجعوني﴾ ولم يقل رب ارجعني بالإنفراد؟ يجاب عنه من ثلاثة أوجه:

الأول: لتعظيم المخاطب، وذلك النادم السائل الرجعة يظهر في ذلك الوقت تعظيمه ربه

الوجه الثاني: قوله ﴿رب﴾ استغاثة به تعالى وقوله ﴿ارجعوني﴾ خطاب للملائكة.

الوجه الثالث: إنه جمع الضمير ليدل على التكرار فكأنه قال: رب ارجعني ارجعني ارجعني ولا يخفى بعد هذا القول كما لا يخفى اهـ. منه بتصريف: ٥/٨٢١ وانظر (أسلوب التغليب) لمحمود عبد العظيم صفا ص ٩٧ - ٩٨ و(معاني القرآن) للفراء: ٢/٢٤١، ٢٤٢ و (معترك الأقران في إعجاز القرآن) للسيوطي ص ٢٣٣ و (مشكل إعراب القرآن: ٢/١١٣ - ١١٤) وتفسير ابن عادل: ١٤/٢٥٤ - ٢٥٥.

ليصلحوا ما أفسدوه ويطيعوا في كل ما عصوا.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت، من الكافرين أو المفرطين في أمر الله تعالى، وقيلهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا، ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته، ولهذا قال: ﴿رب ارجعون لعلني أعمل صالحاً فيما تركت﴾ - ثم ذكر آيات طلب الكفار الرجوع إلى الدنيا ثم قال - فذكر تعالى أنهم يسألون الرجعة، فلا يجابون، عند الاحتضار، ويوم النشور، ووقت العرض على الجبار، وحين يعرضون على النار، وهم في غمرات العذاب^(١).

فيبدأ الحوار بطلب الرجعة إلى الدنيا لا للتمتع بلذاتها، واقتطاف شهواتها، وإنما ليعمل صالحاً. قال قتاده: والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا عشيرة ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها، ولا قوة إلا بالله.

قال وكان العلاء بن زياد^(٢) يقول: لينزلن أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فليعمل بطاعة الله تعالى^(٣).

فيآته الجواب من الله تعالى، رادعاً زاجراً له عن طلبه واستبعاد حصوله^(٤): ﴿كلا﴾ ثم بين ما تأصل في نفوسهم من الكذب وخلف الوعد ﴿إنها كلمة هو قائلها﴾ مجرد كلمة لا أساس لها من الصدق، ولو أجيب إلى ذلك لما حصل منه الوفاء، فإنه لو ردّ لعاد، ولكانت حالته الثانية مثل حالته الأولى.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وقوله ﴿كلا إنها كلمة هو قائلها﴾ قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: أي لا بد أن يقوله لا محالة كل محتضر ظالم. قال: ويحتمل أن يكون ذلك علة لقوله

(١) تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٥.

(٢) العابد القدوة أبو نصر العدوي البصري حدث عن عمران بن حصين وغياض بن حمار وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً. وكان ربانياً تقياً قانتاً لله بكى من خشية الله حتى غشي بصره وكان إذا أراد أن يتكلم أو يقرأ، جهشه بالبكاء، وكان قوته رغيماً كل يوم توفي رضي الله عنه سنة ٩٤ هـ ترجمته في: النجوم الزاهرة: ٢٠٢/١ وسير الأعلام: ٢٠٢/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٥.

(٤) انظر الكشاف ١٩٨/٣.

﴿كلا﴾ أي: سؤاله الرجوع ليعمل صالحاً هو كلام منه، وقول لا عمل معه، ولو رُما عمل صالحاً وكان يكذب في مقاله هذه، كما قال تعالى ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(١) اهـ^(٢).

ثم أتم الجواب بتهديد هؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ ﴿وَمِنْ وَّرَائِهِمْ بَرَزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٣) كما قال تعالى: ﴿مِنْ وَّرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَّرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾^(٥).

(قال مجاهد: البرزخ هو الحاجز ما بين الدنيا والآخرة)^(٦)

أخرج ابن جرير الطبري بسنده قال ابن زيد في قوله ﴿كلا إنها كلمة هو قائلها﴾ لا بد أن يقولها ﴿ومن ورائهم برزخ﴾ يقول: ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع، يعني: إلى يوم يبعثون من قبورهم، وذلك يوم القيامة، والبرزخ والحاجز والمهلة متقاربات في المعنى^(٧). وفي قوله: ﴿إلى يوم يبعثون﴾ إشارة صريحة إلى استمرار العذاب في الحياة البرزخية إلى يوم البعث.

وفي الآية تبيس هؤلاء الظلمة إلى يوم القيامة، فلا يستطيعون الرجوع إلى الدنيا، لأن أمامهم حاجزين الدنيا والآخرة، فإنهم إذا لم يرجعوا حال وجود بقية من الحياة فلن يرجعوا بعدئذٍ مطلقاً.

ثانياً: عند بعثهم:

الكفار إذا بعثوا من قبورهم وعانوا الحقائق التي أخطرت بها الرسل، من اليوم الآخر وتفصيله، وما يؤول إليه أمرهم من مصيرهم إلى النار تحقيقاً لما توعدهم الله به، تنشق عنهم

- (١) سورة الأنعام الآية: ٢٨.
- (٢) تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٥.
- (٣) سورة المؤمنون، الآية ٩٩-١٠٠.
- (٤) سورة الجاثية، الآية ١٠.
- (٥) سورة إبراهيم، الآية ١٧.
- (٦) تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٥.
- (٧) جامع البيان ٧٠/١٩.

الغشاوة، كما قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(١) حيثئذ يقرّون أن الرسل قد جاءت بالحق، ويطلبون أحد أمرين: أن يشفع لهم شفعاء فينقذوهم أو يردوا إلى الدنيا ليصدقوا الرسل، ويعملوا بما يرضي الله، قال الله تعالى ذاكراً قولهم ذلك: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾^(٢) يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾^(٣) (استفهام فيه معنى التمني)^(٤) وذلك أنهم علموا أنه لا شفيع لهم، وإنما يتمنون أن يكون لهم هناك شفعاء، فيردوا بشفاعتهم فيعملوا ما كانوا لا يعملونه من الطاعة)^(٥).

﴿يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ أما ﴿الذين نسوه﴾ فتركوه، فلما رأوا ما وعدهم أنبيأؤهم استيقنوا فقالوا: ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾^(٦).
 فيأتي الرد عليهم من الله تعالى، مؤكداً خسارتهم، فلا رجعة، مذكراً بشركهم وافترائهم الكذب وزعمهم الباطل، عندما جاءهم الحق ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٧) فخابوا وخسروا وغبنوا أنفسهم وضيعوها ببيعهم نعيم الآخرة الدائم، بالخسيس من عرض الدنيا الزائل، وغاب عنهم ما كانوا يعبدون من دون الله، ويزعمون كذباً وافترأء أنهم أربابهم من دون الله^(٨)، فلا ولي لهم ولا شفيع، ولا منقذ من نار جهنم، فقد قطع الله حجتهم، وأزاح علل هؤلاء الخاسرين الأشقياء في دار الدنيا، فلم يترك عذراً لمعتذر ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾^(٩) وبين لهم أن من مات على الكفر فلا شفاعة له من كائن من كان قال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾^(١٠)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ

(١) سورة ق، الآية ٢٢.

(٢) قال الزمخشري: (إلا تأويله) إلا عاقبة أمره وما يؤول إليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعد. اهـ منه ١٠٥/٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٥٣.

(٤) القرطبي: ٢١١/٧.

(٥) المحتسب ٣٦٤/١.

(٦) جامع البيان ٤٨٠/١٢.

(٧) سورة الأعراف الآية: ٥٣.

(٨) انظر الطبري: ٤٨١/٤.

(٩) سورة الأعراف، الآية ٥٢.

(١٠) سورة المدثر، الآية ٤٨.

لِمَنْ ارْتَضَى ﴿١﴾ مع قوله: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ ﴿٢﴾ وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٣﴾، فما أغنى عنهم أن (اعترفوا بالحق في وقت لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، فلا عود ولا رجوع بعد انقضاء أجل وانقطاع عمل، ويا له من خسران لمن كذب بالحق واتبع الباطل، حتى إذا جاءت ساعة الحاجة وجد أن ما اتبعه كان سراباً ووجد الله فوفاه حسابه) ﴿٤﴾.

ثالثاً: عند رؤية العذاب:

ويتكرر منهم طلب الرجعة كرةً أخرى، عند رؤية العذاب، ويقابل طلبهم مرةً بالتوبيخ والتقرير، وأخرى بعرضهم على النار، وهم في أذل وأهون حال، يعرضون عليها خاشعين من الذل، ينظرون من طرف خفي، فالرد إلى الدنيا لن يكون، والعذاب واجبٌ عليهم، ولا محيص لهم عنه.

وقد بين تعالى لهم البيان الأوفى، وأنذرهم الرسول ﷺ خالص النذاره، بما قص الله تعالى عليهم في القرآن الكريم، من حال المفرطين في الآخرة، وما يكون منهم عند معاينة العذاب من حوار يقصدون به الرجعة لتدارك ما فات ومضى ولكن هيهات هيهات.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ ﴿٥﴾ فيكون الحوار التالي: ﴿فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾ ﴿٦﴾ إستغاثوا بالاسم المتضمن للإحسان بالخلق والرزق والتزينة ﴿ربنا﴾ (هذا قيل الذين ظلموا أنفسهم حين معاينة العذاب) ﴿٦﴾ طلبوا الرجوع ليستدرکوا فارط ذنوبهم ﴿٧﴾.

(١) سورة الأنبياء جزء من الآية ٢٨.

(٢) سورة الزمر جزء من الآية ٧.

(٣) سورة التوبة جزء من الآية ٩٦.

(٤) كلمة الحق في القرآن الكريم) ل محمد الراوي ص ٨٥٣ - ٨٥٤.

(٥) قال الماوردي: وإنما خصه بيوم العذاب وإن كان يوم الثواب أيضاً لأن الكلام خرج مخرج التهديد للعاصي وإن تضمن ترغيباً للمطيع. اهـ من تفسيره: ١٤٢/٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٢.

(٧) تفسير الماوردي: ١٤٢/٣.

أخرج الإمام الطبري بسنده عن مجاهد قوله: ﴿وأُنذِرُ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ قال يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ قال: مدة يعملون فيها من الدنيا. (١).

فرد الله تعالى عليهم توبيخاً وتقريراً: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ (٢) فلقد كانوا قبل هذا الموقف في الدنيا يقسمون بالأيمان المغلظة - جهلاً وسفهاً وأشراً وبطراً - أن لا زوال لهم من هذه الحياة الدنيا إلى حياة أخرى، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ (٣) فكانوا ينكرون يوم القيامة غاية الإنكار كما ذكره الله تعالى عنهم في مواضع عديدة من الكتاب العزيز.

وَأَمَّ الْجَوَابَ عَلَيْهِمْ بقوله: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ (من كان قبلكم من كفار الأمم الخالية، كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم) (٤) من الكفار (فقرؤا فيها واطمأنوا طمئي النفوس، سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الأولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا) (٥).

﴿وَتَبِينَ لَكُمْ﴾ بمشاهدة الآثار ﴿كيف فعلنا بهم﴾ من العقوبة والعذاب الشديد ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ (٦) في القرآن ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على كل من شاهد أحوال الماضين من الأمم الخالية والقرون الماضية، وعلم ما جرى لهم وكيف أهلكوا أن يعتبر بهم ويعمل في خلاص نفسه من العقاب والهلاك (٧).

فهذه هي سنة الله تعالى في كل من طغى وبغى وتكبر ولن تجد لسنة الله تبديلاً (فمن شاهد هذه الحال وجب عليه أن يعتبر، وإذا لم يعتبر، يستوجب الذم والتقريع) (٨).

(١) جامع البيان: ٣٥/١٧ - ٣٦.

(٢) سورة إبراهيم الآية: ٤٤.

(٣) سورة النحل، الآية ٣٨.

(٤) الخازن: ٤٤/٣.

(٥) الكشاف: ٥٤٣/٢.

(٦) سورة إبراهيم، الآية ٤٤ - ٤٥.

(٧) الخازن ٤٤/٣. وانظر الكشاف ٥٤٣/٢.

(٨) تفسير ابن عادل الحنبلي: ٤١٠/١١.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: قد رأيتم وبلغكم ما أحللتنا بالأمم المكذبة قبلكم ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر، ولم يكن فيما أوقعنا بهم لكم مزدجر^(١) اهـ. بل أعرضتم، ودمتم على باطلكم، حتى صار ما صار، ووصلتم إلى هذا اليوم الذي لا ينفع فيه اعتذار من اعتذر بباطل ﴿فِيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾^(٢).

* ويتكرر الحوار لطلب الرجعة وهو أيضاً عند رؤية العذاب:

قال تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْحَسَنِينَ﴾ لكنه في هذه المرة متسلسل بأحوال أخر وهي في مجملها ثلاثة أحوال، أخبر الله تعالى عن الكافر أنه يقولها يوم القيامة:

الحالة الأولى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتِ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّاحِرِينَ﴾ خوف وكرهية أن تقول يا حسرتي فأبدل من الياء ألفاً لأنها أخف؛ وأمكن في الاستغاثة بعد الصوت وربما ألحقوا بها الهاء^(٣) والفائدة في نداء الحسرة أن في ذلك معنى أنها لازمة موجودة فهذا أبلغ من الخير^(٤)، فيتحسر على تفريطه وعمله في الدنيا أن جعله عمل المستهزئ الساخر المكذب، قال قتادة: فلم يكفه ما ضيع من طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل الله^(٥).

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم^(٦).

قال إبراهيم التيمي: من الحسرات يوم القيامة أن يرى الرجل ماله الذي أتاه الله في الدنيا يوم القيامة في ميزان غيره، قد ورثه وعمل فيه بالحق، كان له أجره وعلى الآخر وزره، ومن

(١) تفسير ابن كثير: ٥٤٩/٢.

(٢) سورة الروم، الآية ٥٧.

(٣) القرطبي: ٢٥٦/١٥.

(٤) معاني القرآن للنحاس: ٨٢٥/٢.

(٥) جامع البيان للطبري: ٣١٥/٢١.

(٦) رواه الإمام الترمذي في أبواب الدعاء: ٣٩١/٥ واللفظ له والإمام مسلم: ٧٢/٨.

الحسرات أن يرى الرجل عبده الذي حوله الله إياه في الدنيا أقرب منزلة من الله عز وجل أو يرى رجلاً يعرفه أعمى في الدنيا قد أبصر وعمي هو^(١).

الثانية: ﴿أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين﴾ تمنيه لو أن الله هداه. ففي الحديث عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أهل النار يرى مقعده من الجنة، فيقول: لو أن الله هداني فتكون عليه حسرة، قال: وكل أهل الجنة، يرى مقعده من النار، فيقول: لولا أن الله هداني، قال: فيكون له الشكر»^(٢).

وعنه ؓ قال: قال النبي ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن، ليكون عليه حسرة»^(٣).

الحالة الثالثة: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤) يتمنى الرجوع إلى الدنيا لتحسين العمل، والإتيان بـ (أو) (للدلالة على أنها لا تخلو عن هذه الأقوال، تحسراً أو تعلاً بما لا طائل تحته، وندماً حيث لا ينفع، وقيل: إن قوماً يقولون هذا، وقوماً يقولون ذلك)^(٥).

فرد الله تعالى عليهم ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٦). فقد جاءتك حجج من بين رسول أرسلته إليك، وكتاب أنزلته يتلى عليك ما فيه من الوعد والوعيد والتذكير ﴿فكذبت﴾ بآياتي ﴿واستكبرت﴾ عن قبولها واتباعها ﴿وكننت من الكافرين﴾ يقول: وكننت ممن يعمل عمل الكافرين، ويستن بسنتهم، ويتبع منهاجهم^(٧).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٥٦/١٥.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند: ٥١٢/٢ قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. اهـ من مجمع الزوائد: ٤٠٢/١٠.

(٣) رواه الإمام البخاري كتاب الرقاق باب صفة الجنة: ١٤٦/٨ حديث رقم ٦٥٦٩. قال الحافظ في الفتح: قوله (ليكون عليه حسرة) أي للزيادة في تعذيبه اهـ منه: ٤٤٢/١١.

(٤) سورة الزمر، الآيات ٥٦ - ٥٨.

(٥) انظر الطبري: ٣١٥/٢١.

(٦) سورة الزمر، الآية ٥٩. وانظر الكشاف: ١٣٢/٤.

(٧) جامع البيان: ٣١٧/٢١.

قال الزجاج: (بلى) جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي، ولكن معنى (لو أن الله هداني): ما هداني، وكان هذا القائل قال: ما هديت، فقليل: بلى قد بين لك طريق الهدى فكنت بحيث لو أردت أن تؤمن أمكنك أن تؤمن، فقد وضح الدليل فأنكرته وكذبه وتكبرت عن الإيمان^(١).

أخرج الإمام الطبري بسنده عن قتادة: يقول الله رداً لقولهم وتكذيباً لهم يعني لقول القائلين ﴿لو أن الله هداني﴾ والصنف الآخر - يقصد القائلين: ﴿لو أن لي كرة فأكون من المحسنين﴾ -: ﴿بلى قد جاءتك آياتي﴾.... الآية^(٢).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: فقد جاءتك أيها العبد النادم، على ما كان منه، آياتي في الدار الدنيا، وقامت حججي عليك، فكذبت بها، واستكبرت عن إتباعها، وكنت من الكافرين بها، الجاحدين لها^(٣).

بل لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، أخرج الإمام الطبري بسنده عن ابن عباس، قوله: ﴿أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾

قال: أخبرنا الله ما العباد قائلوه قبل أن يقولوه، وعملهم قبل أن يعملوه، قال: ﴿ولا يبيئك مثل خبير﴾ ﴿أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله أو تقول لو أن الله هداني﴾... إلى قوله ﴿فأكون من المحسنين﴾، يقول من المهتدين، فأخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا لم يقدروا على الهدى، وقال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٤) وقال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٥) قال: ولو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى، كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا^(٦).

(١) معاني القرآن: ٣٥٨/٤ مع التصرف اليسير.

(٢) جامع: ٣١٧/٢١ - ٣١٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٥٩/٤.

(٤) سورة الأنعام الآية: ٢٨.

(٥) سورة الأنعام الآية: ١١٠.

(٦) الطبري: ٣١٦/٢١.

رابعاً: عند عرضهم على الله تعالى:

يقوم الكافرون بين يدي الله تعالى صفوفاً، فيقرعهم ويوبخهم على رؤوس الأشهاد ﴿وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾^(١).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم، ولا أن هذا كائن^(٢).

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾^(٣) فتعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم، بل هو عالم بالسرائر والظواهر والضمائر، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجداول ومعاذير، وأما الثالثة، فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فأخذ بيمينه وأخذ بشماله))^(٤).

ويكون عرض الكافرين على الله تعالى على أسوأ حال، حقيرين ذليلين، يعرضون ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾^(٥) ناكسوا رؤوسهم، قلوبهم مضطربة

(١) سورة الكهف الآية: ٤٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ١٦٥/٥.

(٣) سورة الحاقة الآية: ١٨.

(٤) أحمد في المسند ٤١٤/٤ والترمذي كليهما من حديث أبي هريرة: ٢٢٢/٤ رقم ٢٤٢٥ وابن ماجه من حديث أبي موسى ١٤٣٠/٢ حديث رقم ٤٢٧٧ والبيهقي في البعث - استدراقات البعث - ص ٩٢ حديث رقم ١٤٩ موقوفاً على عبد الله بن مسعود.

قال الإمام الترمذي: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن علي وهو الرفاعي عن الحسن عن أبي موسى عن النبي ﷺ ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى. اهـ منه ٢٢٢/٤، وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: أخرجه البيهقي عن عبد الله بن مسعود بسند حسن. ومثله قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح: وأخرجه البيهقي في البعث بسند حسن عن عبد الله بن مسعود موقوفاً. اهـ منه ٤٠٣/١١.

(٥) سورة يونس الآية: ٢٧.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾^(١) بلغت من الهلع والقلق إلى حناجرهم، وقد ملئت همًا وغمًا وكرهًا، أما أبصارهم فقد شخصت، كما قال تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾^(٢) فيقول المجرمون حينئذ على وجه الذل، وإرادة الخلاص مما هم فيه: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾^(٣) هم القائلون ﴿أَنذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَننَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٤).

الذين كانوا في الدنيا ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾^(٥) لا لشيء إلا لشدة كراهيتهم لكلام الرسل، على عادة العرب في قولهم، لا أستطيع أن أسمع كذا إذا كان شديد الكراهية والبغض له، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا تَنَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾^(٦) وكما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾^(٧).

فهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع، ولا أن يبصروا إبصار مهتدٍ، لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين عن استعمال جوارحهم في طاعة الله تعالى، وقد كانت لهم أسماع وأبصار.

أما الآن فقد ذهبت الغشاوة عن أعينهم والوقر عن آذانهم وقالوا: أبصرنا صدق وعدك ووعيدك، وسمعنا منك تصديق رسلك^(٨). فرد الله تعالى عليهم ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ فقد نفذ قضائي وقدري، وسبقت كلمتي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٩) (فكان مقتضى هذا القول أن لا يعطي لكل نفس هداها، وإنما

(١) سورة النازعات الآية: ٨.

(٢) سورة إبراهيم الآية: ٤٣.

(٣) سورة السجدة الآية: ١٢.

(٤) سورة السجدة الآية: ١٠.

(٥) سورة هود الآية: ٢٠.

(٦) سورة الحج الآية: ٧٢.

(٧) سورة نوح الآية: ٧.

(٨) الزمخشري: ٤٩٥/٣.

(٩) سورة السجدة الآية: ١٣.

قضى عليهم بهذا؛ لأنه سبحانه قد علم أنهم من أهل الشقاوة، وأنهم ممن يختار الضلالة على الهدى^(١).

وقد فات وقت الإيمان والتوبة والرجوع، ولم يبق إلا العذاب ﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ فورود العذاب ومقاساة أصناف الجحيم، إنما هو بسبب تركهم لهدى الله، وتكذيبهم بلقاء الله، (وفيه إشعار بأن تعذيبهم ليس لمجرد سبق القول المتقدم بل بذلك وهذا)^(٢)، ﴿إنا نسيناكم﴾ فليس لكم إلا التزك في عذاب الخلد.

أخرج الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله ﴿إنا نسيناكم﴾ يقول: تركناكم^(٣).

قال ابن قتيبة^(٤) رحمه الله تعالى: وقوله تعالى: ﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ أي بما تركتم الإيمان بلقاء هذا اليوم ﴿إنا نسيناكم﴾ أي

تركناكم^(٥). فالجزاء من جنس العمل فكما نسيتم نسيتم. فليس لكم إلا أن تذوقوا وتتقلبوا في ﴿عَذَابِ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٦) من الكفر والفسوق والطغيان.

قال الزمخشري: وفي استئناف قوله: ﴿إنا نسيناكم﴾ وبناء الفعل على إن واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا أي ما أنتم فيه من نكس الرؤوس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء^(٧).

(١) الشوكاني ٢٥٢ / ٤.

(٢) المصدر السابق: ٢٥٢ / ٤.

(٣) جامع: ١٧٧ / ٢٠.

(٤) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي الكاتب، ولد سنة ٢١٣ هـ كان رأساً في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس، ولي قضاء الدينور، وحدث عن إسحاق بن راهويه وأبي حاتم السجستاني، توفي سنة ٢٦٧ هـ من آثاره: (إعراب القرآن) (معاني القرآن) (غريب القرآن) (مختلف الحديث) ترجمته في: طبقات المفسرين للداوودي ٢٥١ / ١ تذكرة الحفاظ ٦٣٣ / ٢، سير الأعلام: ٢٩٦ / ١٣.

(٥) (تأويل مشكل القرآن) ص ٣٨٢.

(٦) سورة السجدة، الآية ١٤.

(٧) الكشف: ٤٩٥ / ٣. وقال أحمد بدوي في كتابه (من بلاغة القرآن): تستخدم ألوان المعارف في القرآن الكريم في مواضعها الدقيقة الجديرة بها، فيستخدم الضمير الذي يجمع بين الاختصار الشديد، والارتباط المتين، بين جمل الآية بعضها وبعض، ومن روائع استخدام ضمير المخاطب أن يأتي به

خامساً: عند عرضهم على النار:

أخبر الحق تبارك وتعالى في آيات عديدة أن الكفار يعرضون على النار، وفي ذلك ما فيه من كربٍ وهم عظيم، وفزع شديد، على الكفار لزيادة

التنكيل بهم، فليس لهم إلا عذاباً فوق العذاب، فهم من عذاب شديد إلى أشد، ومن سيء إلى أسوأ (فجهنم جسم محدود بالزمان والمكان، يعرض في موكب مهيب رهيب، فتخزي له عيون الكفار، وتزلزل نفوسهم، قبل أن يصيبهم العذاب.

وتصور أنت حال المشنوق تعرض عليه المشنقة قبل أن يشنق، وحال خائن حكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص يرى جماعة من الجند يعبثون سلاحهم بقذائف الموت) (١).

نعوذ بالله من ذلك كله، قال تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ (فيه إضمار تقديره فيقال لهم: ﴿أليس هذا بالحق﴾ يعني هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق) (٣).

﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٤). يقال لهم ذلك توبيخاً وتقريعاً على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ (٥).

وقال ابن جرير: يقال لهم ذلك توبيخاً من الله لهم على تكذيبهم به في الدنيا ﴿قالوا بلى وربنا﴾ فيجيب هؤلاء الكفرة من فورهم بذلك، بأن يقولوا: بلى هو الحق والله، قال:

مخاطباً كل من استطاع الخطاب معه عندما يكون الأمر من الوضوح بمكان، ومن ذلك قوله تعالى

﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا

موقنون﴾ فكان سوء حالهم من الوضوح لدرجة ظهور لكل أحد. اهـ منه ص ١٣١.

(١) (فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم)، د/فتحي أحمد عامر ص ١٥٦ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٢) سورة الكهف، الآية ١٠٠ - ١٠١.

(٣) الخازن: ١٣٤/٤.

(٤) سورة الأحقاف، الآية ٣٤.

(٥) سورة الشعراء، الآية ١٣٨، وانظر الكشاف: ٣٠٥/٤.

﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ يقول: فذوقوا عذاب النار الآن بما كنتم تجحدونه في الدنيا وتكفرونه، وتأبون الإقرار إذا دعيتم إلى التصديق به اهـ. (١).

وقال تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيِّ﴾ (٢).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: يخبر تعالى عما يفعله بالكفار يوم القيامة أنه يعرض عليهم جهنم، أي يبرزها ويظهرها ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها، ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك» (٣).

وفي مشهد آخر من مشاهد القيامة عند عرض الكفار على النار يبين الله تعالى حالاً أخرى، وموطناً آخر من مواطن الذل والحزني التي يتمنى فيها المفرطون الرجوع إلى الدنيا لتدارك ما فات، وعمل الصالحات، قال تعالى: ﴿ولو ترى إذ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ رأوا الأهوال وشاهدوا السلاسل والأغلال... وعلموا أنهم داخلوها، فتمنوا الرجعة إلى الدنيا، فيؤمنون بالله وآياته ولا يكذبون رسله.

فيأتي الرد من الله تعالى مضرباً على وعودهم وأمانتهم، كاشفاً حقيقة هامة، لا يطلع عليها ولا يحيط بها إلا العليم الخبير ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٤).

فالأمر ليس كما زعموا، فقد ظهر لهم ما كانوا يخفون في قرارة أنفسهم، من صدق ما

(١) الطبري: ١٤٤/٢٢ مع التصرف البشير.

(٢) سورة الشورى، الآية ٤٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٩٤/٣. والحديث أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة ٤/٢١٨٤ حديث رقم ٢٨٤٢.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٢٧. قال الإمام الأخصفش في (معاني القرآن): فيسأل السائل: فيقول: كيف كانوا كاذبين ولم يعودوا بعد؟ إنما يكونون كاذبين إذا عادوا، وقد قلت: إنه لا يقال له كافر قبل أن يكفر إذا علم أنه كافر.

وهذا يجوز أن يكون إنهم كاذبون بعد اليوم، كما يقول الرجل: أنا قائم، وهو قاعد، يريد: سأقوم، أو تقول: إنهم لكاذبون يعني: ما وافوا به يوم القيامة من كذبهم وكفرهم، لأن الذين دخلوا النار كانوا كاذبين كافرين. اهـ منه ٣٠٤/٢.

جاءتهم به الرسل في الدنيا^(١).

كما قال الله تعالى عن أشباههم، وإخوانهم في الكفر من قبلهم ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢).

وأنهم ليس في طبائعهم وسجاياهم الإيمان، بل سجيئتهم الكفر والتكذيب والشرك، وأنهم لو ردوا لعادوا لما نهو عنه، ولكانوا بعد الرد كما كانوا قبله، وأخبر أنهم لكاذبون في زعمهم أنهم لآمنوا وصدقوا، وفي ذلك دليل قطعي على شمول علم الله تعالى، لما كان وما يكون وما هو كائن، وأنه عز وجل يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون.

سادساً: وهم في غمرات الجحيم:

الذين كفروا في غمرات الجحيم، وقد كتب الله تعالى عليهم الخلود في نار جهنم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾^(٣) لا يحكم عليهم بموت ثانٍ، فيستريحوا من العذاب والآلام، ولا يخفف عنهم شيء من العذاب طرفة عين، بل كلما خبت زيد سعيها، وكلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها، ليدوقوا العذاب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (٧٤) لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ^(٤)

قال العلامة المفسر ابن عادل الحنبلي رحمه الله تعالى: وفي الآية - أي قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ...﴾ - لطائف:

الأولى: أن العذاب في الدنيا إن دام قتل، وإن لم يقتل يعتاده البدن، ويصير مزاجاً فاسداً، لا يحس به المعذب، فقال عذاب نار الآخرة ليس كعذاب الدنيا إما أن يفنى وإما أن يألفه البدن، بل هو في كل زمان شديد والمعذب فيه دائم.

الثانية: وصف العذاب بأنه لا يفتر، ولا ينقطع، ولا بأقوى الأسباب وهو الموت حتى يتمنوه

(١) انظر الكشاف: ١٥/٢.

(٢) سورة النمل، الآية ١٤.

(٣) سورة فاطر، الآية ٣٦.

(٤) سورة الزخرف، الآية ٧٤ - ٧٥.

ولا يجابوه، كما قال تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾^(١) أي بالموت.

الثالثة: ذكر في المعذبين الأشقياء بأنه لا ينقص عذابهم ولم يقل: يزيدهم، وفي المثابين قال: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢) اهـ.^(٣)

قلت: قد ذكر الله تعالى زيادة العذاب على الكافرين الأشقياء، في آيات أخرى من كتابه العظيم، منها: قوله ﴿كُلَّمَا حَبَتِ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾^(٤) وكما قال تعالى ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾^(٥) وقال ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون»^(٦). وكل ذلك ﴿جَزَاءً وَفِاقًا﴾^(٧). فبينما هم كذلك، وقد تعالت أصواتهم، وارتفع صرختهم، يستغيثون في النار بشده وصوت عالٍ ﴿وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾^(٨).

(يصطرخون: يتفاعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشده)^(٩).

وقد أظهروا ندامتهم وحسرتهم على ما عملوه واقترفوه في الحياة الدنيا، معترفين بذلك. ولكن هيهات هيهات، فقد فات وقت الندم والتوبة، وأتى وقت الحساب والجزاء

(١) سورة الزخرف الآية: ٧٧.

(٢) سورة فاطر جزء من الآية: ٣٠.

(٣) (اللباب في علوم الكتاب): ١٤٦/١٦ - ١٤٨.

(٤) سورة الإسراء الآية: ٩٧.

(٥) سورة النبا الآية: ٣٠.

(٦) رواه مسلم في صحيحه. كتاب الإيمان ١٧٢/١ حديث رقم ٣٠٨.

(٧) سورة النبا جزء من الآية: ٢٦.

(٨) قال الزمخشري في الكشاف: فإن قلت: هلا اكتفى بصالحاً كما اكتفى به في قوله تعالى ﴿فارجعنا نعمل صالحاً﴾ سورة السجدة: ١٢، وما فائدة زيادة ﴿غير الذي كنا نعمل﴾ على أنه يؤذن أنهم يعملون صالحاً آخر غير الصالح الذي عملوه؟ قلت: فائدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به. وأما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي، ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة، كما قال الله تعالى: ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ الكهف ١٠٤ فقالوا: أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نحسبه صالحاً فنعمله. اهـ منه. ٥٩٧/٣.

(٩) الكشاف: ٣ / ٥٩٧، وانظر الماوردي ٤٧٦/٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٩٤/٦ والقرطبي

٣٣٩/١٤.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١). ردّ الله تعالى عليهم موجهاً لهم ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾^(٢) (أو لم نعمركم العمر الذي يتذكر فيه من

تذكر)^(٤).

فقد أبقيناكم دهرًا وعمراً، قيل: (هو البلوغ، وقيل ثمان عشرة سنة، وقيل أربعون سنة)^(٥).

قال قتادة: اعلموا أن طول العمر حجة، فعوذ بالله أن نعيّر بطول العمر، قد نزلت هذه الآية ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ وإن فيهم لابن ثمان عشرة سنة^(٦).

وعن مسروق أنه قال: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة، فليأخذ حذره من الله عز وجل^(٧). وعن ابن عباس أنه كان يقول: العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ أربعون سنة^(٨). ويؤيد ذلك ويدل عليه أن الله تعالى ذكر في محكم التنزيل سن الأربعين، ووصف صاحبها بالعودة والإنابة والتضرع والخشوع، فقال عز وجل ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ

(١) سورة يس الآية: ٥٤.

(٢) قال أبو عبيد في (مجاز القرآن): الألف ها هنا مجاز التقرير وليس باستفهام ومجاز (ما) مجاز المصدر اه منه ١٥٦/٢.

(٣) قال الزمخشري في الكشاف: فإن قلت: علام عطف وجاءكم النذير؟ قلت: على معنى: أو لم نعمركم، لأن لفظه لفظ استحبار. ومعناه معنى إخبار، كأنه قيل: قد عمرناكم وجاءكم النذير. اه منه ٥٩٨/٣، وانظر الدر المصون ٤٨٦/٤ والبحر المحيط ٣١٦/٧ واللباب لابن عادل ١٤٩/١٦.

(٤) معاني القرآن للزجاج: ٢٧١/٤.

(٥) وهو الذي رجحه أبو جعفر الطبري، ووجهه: بأن قال لأن في الأربعين يتناهى عقل الإنسان وفهمه، وما قبل ذلك وما بعده منتقص عن كماله في حال الأربعين. اه من تفسير الطبري ٤٧٨/٢٠.

وانظر (معاني القرآن) للزجاج ٢٧١/٤ والنحاس في (معاني القرآن) ٤٦١/٥.

(٦) ذكره ابن كثير في التفسير: ٥٥٣/٦ والسيوطي في الدر المنثور ٤٧٧/٥.

(٧) ابن كثير في تفسيره: ٤٧٧/٢٠.

(٨) المصدر السابق: ٤٧٧/٢٠.

وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾

ويستنبط من الآية من بدايتها ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً﴾ إلى ﴿وبلغ أربعين سنة قال: ...﴾ مراحل العمر وهي:

المرحلة الأولى: الحمل والوضع فالرضاع ثم الفطام.

المرحلة الثانية: ما بعد الفطام إلى ما قبل البلوغ.

المرحلة الثالثة: مرحلة الأسد، من البلوغ إلى ما قبل الأربعين (فبلوغ الأشد محصور الأول محصور النهاية، فهي مرتبة البلوغ وبين الأربعين) (٢).

المرحلة الرابعة: مرحلة الأربعين وما بعدها. ثم الخاتمة الحسنة - لمن ختم الله له بالحسنى - قبول الحسنات والتجاوز عن السيئات والدخول في أصحاب الجنة. (فقوته بين ضعفين، وحياته بين موتين) (٣).

قال ابن عطية رحمه الله تعالى: وإنما ذكر تعالى الأربعين لأنها حد للإنسان في فلاحه ونجاته. قال الشاعر أيمن بن حريم (٤):

إذا المرء وفي الأربعين ولم يكن ** له دون ما يأتي حياء ولا ستر

فدعه ولا تنفس عليه الذي ارتأى ** وإن جرّ أسباب الحياة له العمر (٥)

وقال عمر بن عبد العزيز: تمت حجة الله على ابن الأربعين (٦).

قال ابن رجب الحنبلي: فمات لها - أي لأربعين سنة - ورأى في منامه قائلاً يقول له:

(١) سورة الأحقاف الآية: ١٥.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم ص ٢٥٥.

(٣) المصدر السابق ص ٢٥٦.

(٤) أيمن بن حريم بن الأخرم، أبو عطية الأسدي الشامي شاعر مختلف في صحبته، قال الصولي: كان أيمن يسمى خليل الخلفاء، لإعجابهم في تحديثه، لفصاحته وعلمه = = قال له مروان بن الحكم: ألا تخرج تقاتل معنا؟ فقال: إن أبي وعمي شهدا الحديبية وعهدا إليّ ألا أقاتل مسلماً، ولأبيه وعمه صحبة غير مختلف فيها. انظر ترجمته في الإصابة: ٩٤/١.

(٥) (المحرر الوجيز) لابن عطية: ٢٢/١٥.

(٦) (لطائف المعارف) لابن رجب ص ٣٢٩.

إذا ما أتتك الأربعين فعندها فاخش الإله وكن للموت حذارا
وقال أيضاً:

وإذا تكامل للفتى من عمره خمسون وهو إلى التقى لم يجنح
عكفت عليه المخزيات فما له متأخر عنها ولا متزحزح
وإذا رأى الشيطان غرة وجهه حيا وقال فديت من لا يفلح^(١)
وقال الآخر:

ويح نفسي أما كفاها من العي ش تقضي سنين بعد سنين
ليت شعري وما انتظاري وقد * * * لاح شيب بعارضي وقروني
يا ابن الأربعين ما اعتذارك من بع * * * د بلوغ الأشد والأربعين^(٢)

قال الإمام النخعي^(٣): (كان يقال لصاحب الأربعين: احتفظ بنفسك) وكان كثيراً من السلف إذا بلغ الأربعين: تفرغ للعبادة^(٤).

قال الإمام مالك: أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا والعلم ويخالطون الناس، حتى يأتي لأحدهم أربعون سنة، فإذا أتت عليهم اعتزلوا الناس، واشتغلوا بالقيامة حتى يأتيهم الموت^(٥) فهذا هو دأب الصالحين خلفاً عن سلف، يحاسبون أنفسهم قبل أن يجاسبوا، كلما قطعوا مرحلة من مراحل العمر، وقفوا مع أنفسهم، لوماً للنفس، وقرعاً للسنن على ساعات

(١) المصدر السابق ص ٣٣٠ والبيت الأخير مقتبس من حديث: ((إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان على وجهه بيده، وقال: بأبي وجه من لا يفلح)) ذكره الغزالي في الإحياء وقال الحافظ العراقي في (المغني عن حمل الأسفار...): لم أجد له أصلاً. اهـ منه ٧١٨/٢.

(٢) (بهجة المجالس) لابن عبد البر.

(٣) علقمة بن قيس الكوفي كان من أكابر أصحاب ابن مسعود وعلمائهم. وكان يشبهه بابن مسعود، وكان أعلم أصحابه بعلم ابن مسعود وحديثه عند أصحاب الكتب الستة، توفي سنة ٦٢، وعمره تسعون سنة. ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٧٦/٧.

(٤) (لطائف المعارف) لابن رجب ص ٣٢٨.

(٥) (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي: ٣٤٠/١٤.

ذهبت، وأيام وليالي انقضت وتصرمت من أعمارهم^(١).

فقد وضعوا نصب أعينهم قول الله تعالى في الحديث القدسي: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي
أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت يديك شغلاً ولم أسد فقرك^(٢)».

أما أهل الشك والشرك والفجور فهم بالعكس من ذلك ﴿بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا
قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ﴾^(٣) مد الله لهم في الأعمار والأرزاق، فازدادوا اغتراراً وطغياناً وأحبوا الحياة
الدنيا حباً جماً فما ييغون عنها حولا ولا يريدون بها بديلاً كما قال الله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ
أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ
بِمُزْخِرٍ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(٤).

ولا شك أن طول العمر فيه خير كثير وفرصة للتزود من الطاعات، لكن هؤلاء صار
طول العمر لهم شرّاً لا خير فيه فلم يزدادوا إلا ضللاً وفجوراً، وظلماً وعتوا، وفي الحديث عن
أبي بكر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله: أي الناس خير؟ فقال النبي ﷺ: «من
طال عمره وحسن عمله، قالوا يا رسول الله: وأي الناس شر؟ قال: من طال عمره وساء
عمله»^(٥).

(١) للشيخ الأديب علي الطنطاوي رحمه الله تعالى ووفات كان يقفها مع نفسه كلما تجاوز مرحلة من
مراحل العمر عبارة عن مقالات مؤثرة لولا خشية الإطالة لذكرتها، منها مقالة بعنوان (على أبواب
الثلاثين) وبعد عشر سنوات كتب (على عتبة الأربعين) وثالثة بعنوان (بعد الخمسين) وهي موجودة
في كتابه (من حديث النفس) ص ٧٢ وص ١٧٨ وص ٢٢٣ ووقفه أخيرة وهو في التسعين ضمنها
مقدمة كتاب (مقدمات الطنطاوي).

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٣٥٨/٢، والترمذي واللفظ له ٢٥٢/٤ حديث رقم ٢٤٦٥، وابن ماجه برقم
٤١٠٧، وابن حبان ٣٩٣، والحاكم ٤٨١/٢.

قال الترمذي: حديث حسن غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال
الذهبي في التلخيص: هذا حديث صحيح. وانظر صحيح الترمذي للألباني رقم ٢٠٠٦.

(٣) سورة إبراهيم الآية: ٢٨.

(٤) سورة البقرة الآية: ٩٦.

(٥) رواه الإمام أحمد ٤٣٠/٥، والترمذي ١٥٧/٤ حديث رقم ٢٣٣٠ باب ما جاء في طول العمر

للمؤمن والدارمي ٢٤٤/٢ حديث رقم ٢٧٤٢ كتاب الرقاق باب أي المؤمنين خير والبعوي في شرح
السنة ٢٨٨/١٤ باب استحباب طول العمر للطاعة وتمني المال للخير حديث رقم ٤٠٩٥. قال الإمام

الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الإمام البغوي: هذا حديث حسن.

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾: (وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر إلا أن التوبيخ في المتناول أعظم، وفي الحديث «من عمره الله ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر»^(١)).

يتمكن فيه من أراد التذكر من العمل، متعناكم في الدنيا، وأدررنا عليكم الأرزاق، وقبضنا لكم أسباب الراحة، ومددنا لكم في العمر، وتابعنا عليكم الآيات، وأوصلنا إليكم النذر، وابتليناكم بالسراء والضراء، لتنبؤوا إلينا، وترجعوا إلينا، فلم ينجح فيكم إنذار، ولم تفد فيكم موعظة، وأخرنا عنكم العقوبة، حتى إذا انقضت آجالكم، وتمت أعماركم، ورحلتم عن دار الإمكان، بأشر الحالات، ووصلتم إلى هذه الدار، دار الجزاء على الأعمال، سألتهم الرجعة، هيئات هيئات^(٢). فلا معذرة لكم ولا عذر لديكم فقد أمد الله في أعماركم حتى استوت عقولكم وقويت أفهامكم وذهب عنكم طيش الشباب، ونصبنا لكم الأدلة الدالة على وحدانية الله وجاءكم رسولنا لينذركم^(٣) لقاء يومكم هذا، فلم تزدادوا إلا طغياناً وإثماً مبيناً.

فليس لهم اليوم إلا العذاب مهانين فيه، وجهنم خالدين مخلدين فيها ﴿فَذُوقُوا فَمَا

(١) رواه الإمام أحمد ٣٢٠/٢ وذكره الإمام البخاري في كتاب الرقاق معلقاً فقال باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر لقوله تعالى ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ ١١١/٨ وأورد في الباب حديث أبي هريرة موصولاً أن النبي ﷺ قال: ((أعذر الله إلى امرئ أحرأجله حتى بلغه ستين سنة)) حديث رقم ١٤١٩.

(٢) تفسير السعدي مع التصرف اليسير: ٢٢٠/٤.

(٣) هذا مع القول أن المراد بالندير في قوله تعالى ﴿وجاءكم النذير﴾ وهو الرسول وإلا ففي المراد بالندير عدة أقوال، قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى في معالم التنزيل: ﴿وجاءكم النذير﴾ يعني محمداً ﷺ، هذا قول أكثر المفسرين. وقيل: القرآن.

وقال عكرمة، وسفيان بن عيينة، ووكيع: هذا الشيب. معناه: أولم نعمركم حتى شيبتم، ويقال: الشيب نذير الموت. وفي الأثر: ما من شعرة تبيض إلا قالت لأختها: استعدي فقد قرب الموت اهـ منه: ٤٢٥/٦، وانظر الخازن ٤٥٨/٣ واللباب لابن عادل ١٤٩/١٦ والقرطبي ٣٣٩/١٤ فقد بسط القول في ذلك ذاكراً لجميع ما قيل في النذير موجهاً لكل قول مستشهداً عليه بالقرآن والسنة وشعر الحكمة فانظره.

لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ»^(١) وهذا من تنمة جواب الله تعالى لهم على طلبهم الرجعة، وهو في غاية التيسر والإيلاء لأهل النار، فلا ناصر يخرجهم ولا يخفف عنهم من عذابها. ثم قرر الله تعالى دوام العذاب عليهم فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (فهذا تقرير لدوامهم في العذاب وذلك من حيث إن الله تعالى لما أعلم أن جزاء السيئة سيئة مثلها ولا يزداد عليها، فلو قال قائل: الكافر ما كفر بالله إلا أياماً معدودة فينبغي أن لا يعذب إلا مثل تلك الأيام فقال: إن الله لا يخفى عليه غيب السموات والأرض فلا يخفى عليه ما في الصدور، وكان يعلم من الكافر أن في قلبه تمكن الكفر لو دام إلى الأبد لما أطاع الله)^(٢).

ويتكرر رجائهم ودعائهم لطلب الرجعة وعدم العودة إلى ما كانوا عليه من كفر وإشراك وتكذيب، فهم في كرب شديد، وعذاب عظيم، لا يطاق ولا يستطاع، قال الله تعالى مخبراً عن حالهم ومبيناً حوارهم ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ فهم أقروا بالإجرام، ثم تدرجوا من الإقرار إلى الرغبة والتضرع، والوعد بالعمل الصالح، فجاء الجواب من الله تعالى بالزجر والتيسر والإهانة والتحقير ﴿اٰخْسِئُوْا فِيْهَا وَلَا تَكْلِمُوْنَ﴾^(٣) ذلوا فيها ما كثر في الصغار والهوان، فحسأهم كما يحسأ الكلب، فكلمة (احسأ) إنما تقال للتحقير الذليل، كالكلب ونحوه، قال صاحب التسهيل: احسئوا كلمة تستعمل في زجر الكلاب. ففيها إهانة وإبعاد^(٤).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: هذا جواب من الله تعالى للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار، يقول تعالى: ﴿اٰخْسِئُوْا فِيْهَا﴾ أي امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء ﴿وَلَا تَكْلِمُوْنَ﴾ أي لا تعودوا إلى سؤالكم هذا فإنه لا جواب لكم عندي. قال عبد الله بن عمرو: فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة واحدة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم

(١) سورة فاطر الآية: ٣٧.

(٢) (الباب..) لابن عادل الحنبلي: ١٤٩/١٦.

(٣) سورة المؤمنون الآية: ١٠٦ - ١٠٧.

(٤) ٥٧/٣؛ وانظر الخازن ٢٧٧/٣؛ والكشاف: ١٩٩/٣ وقال الشريف الرضي في (تلخيص البيان): الخاسيء: في قول قوم: البعيد، من قولهم: حسأت الكلب إذا أبعدته. وفي قول قوم: هو الذليل، يقال: رجل خاسئ أي ذليل، وقد خسى أي خضع وذل اه منه ص ٣٣٩.

قال: فشبهت أصواتهم بأصوات الحمير، أولها زفير وآخرها شهيق. رواه ابن أبي حاتم وروى أيضاً عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ قال: ... فإذا قال ذلك أطبقت عليهم النار فلا يخرج منهم أحد^(١).

وعن عبد الله بن عيسى^(٢) عن زياد الخراساني^(٣) أسنده إلى بعض أهل العلم قال: إذا قيل لهم: ﴿احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ فيسكتون فلا تسمع لهم فيها حس إلا كطين الطست^(٤).

وختاماً تتجلى في جميع ما ذكر مرارة الحرمان والرفض لطلب المفرطون والمضيعون لطاعة الله واتباع رسله، وتظهر صور متعددة للعذاب النفسي الذي يقع على أولئك الضلال عند الرد عليهم بلا رجعة مع كل طلب للرجعة لتدارك ما فات، (فأنى يستجاب لهم، أو يسمع دعاؤهم؟! أو ليس من الخير أن يبادروا إلى الإيمان في الدنيا، حيث ينفع، قبل أن يقفوا هذا الموقف اليائس، وإن الأسف ليشند بهؤلاء حين يرون العذاب فيتمنون أن تكون لهم كرة ليكونوا من المحسنين، وذلك إنذار بما يرتقبهم، من يأس قاتل، من الخير ألا يضعوا أنفسهم في مكانه)^(٥).

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٥٢، وأخرجه الطبري قريباً منه ١٩/٧٦ - ٧٧.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن عيسى بن عبد الله العلامة من بيت علم ووزارة وقضاء بجرأ لا ينزف من الحديث والفقه والنحو وغير ذلك وكان ذا زهد وتعب. توفي بهراة سنة ٥٤٨هـ وله أربع وستون سنة. ترجمته في: سير الأعلام: ٢٠/٢٩٧ النجوم الزاهرة: ٥/٣١٠ شذرات الذهب ٤/١٤٠.

(٣) زياد بن سعد الإمام، الجود، الحجة، حدث عن شرحبيل بن سعدة، وابن شهاب وضمرة بن سعيد وطبقتهم. ومات كهلاً. أخذ عنه مالك، وابن عيينة والقدماء = حديثه في الكتب الستة، مات سنة خمسين ومئة تقريباً. ترجمته في: تقريب التهذيب ترجمة رقم ٢٠٩١ ص ٣٤٥ وسير أعلام النبلاء: ٦/٣٢٣.

(٤) تفسير عبد الرزاق الصنعاني ٢/٤٩ وأخرجه الطبري في جامع البيان ١٩/٧٩.

(٥) (من بلاغة القرآن) لأحمد بدوي ص ٩٩ مع التصرف اليسير بالاختصار.

وقفات مع آية الحوار:

الوقفة الأولى:

نسب بعضهم لأهل الحديث القول بأن الجنب في قوله تعالى ﴿يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾ صفة من صفات الله الذاتية.

قال الإمام الدارمي في «رده على المريسي» وادعى المعارض أيضاً زوراً على قوم أنهم يقولون في تفسير قول الله ﴿يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾ قال: يعنون بذلك الجنب الذي هو العضو، وليس على ما يتوهمونه.

فيقال: لهذا المعارض: ما أرخص الكذب عندك! وأخفه على لسانك! فإن كنت صادقاً في دعواك، فأشر بها إلى أحد من بني آدم قاله، وإلا فلم تشنع بالكذب على قوم هم أعلم بهذا التفسير منك، وأبصر بتأويل كتاب الله منك ومن إمامك؟! .!

إنما تفسيرها عندهم: تحسر الكفار على ما فرطوا في الإيمان والفضائل التي تدعوا إلى ذات الله تعالى، واختاروا عليها الكفر والسخرية بأولياء الله، فسماهم الساخرين، فهذا تفسير (الجنب) عندهم، فمن أنبأك أنهم قالوا: جنب من الجنوب؟! فإنه لا يجهل هذا المعنى كثير من عوام المسلمين، فضلاً عن علمائهم. اهـ^(١).

قلت: والقول ما قاله الإمام الدارمي رحمه الله تعالى، وما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بأنه لا يعرف عالم مشهور عند المسلمين، ولا طائفة مشهورة من طوائف المسلمين، أثبتوا لله جنباً نظير جنب الإنسان^(٢).

لكن المسألة كما قال الإمام الدارمي رحمه الله تعالى، لا تعدوا (التشنيع بالكذب على قوم هم أعلم بالتفسير، وأبصر بتأويل كتاب الله..). ولا يضير ذلك أهل الحق شيئاً إن شاء الله تعالى.

فقد لقي النبي ﷺ وأصحابه من هذا شيئاً كثيراً كما قال تعالى ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ

(١) رد الإمام الدارمي أبي سعيد على بشر المريسي العنيد) ص ١٨٤.

(٢) (الجواب الصحيح) ٣/١٤٥.

أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً^(١) فقد شنعوا على النبي ﷺ وسموه بالساحر وتارة شاعر وأخرى مجنون وكاهن وكذاب ومذمم ونحو ذلك وهكذا إنجر هذا اللمز وتلك السخرية إلى كل من تمسك بما كان عليه النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم واقتدى بهم واستن بسنتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئاً من الصفات مشبهاً - كذباً وافتراءً - حتى أن منهم من غلا ورمى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك، حتى قال ثمامة بن أشرس^(٢) من رؤساء الجهمية ثلاثة من الأنبياء مشبهه، موسى حيث قال ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾^(٣) وعيسى حيث قال ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(٤) ومحمد حيث قال: «ينزل ربنا...»^(٥) وحتى أن جل المعتزلة تدخل عامة الأئمة مثل: مالك وأصحابه، والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه... وغيرهم في قسم المشبهه... وأهل البدع كل صنف منهم يلقب أهل السنة، بلقب افتراه، يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد، فالروافض يقولون: من لم يبغض أبا بكر وعمر فقد أبغض علياً، لأنه لا ولاية لعلي إلا بالبراءة منهما، ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر ناصبياً، بناءً على هذه الملازمة الباطلة، التي اعتقدوها صحيحة، أو عاندوا فيها وهو الغالب.

والقدرية يقولون: من اعتقد أن الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد فقد سلب العباد القدرة والاختيار، وجعلهم مجبورين كالجمادات التي لا إرادة لها ولا قدرة، فهم يسمون أهل السنة مجبرة، والمرجئة يسمونهم شكاكاً - لأن الإيمان عندهم هو إقرار القلب والاستثناء شك فيه عند هؤلاء المرجئة - وأهل الكلام يسمونهم حشوية - من الحشو وهو ما

(١) سورة آل عمران الآية: ١٨٦.

(٢) ثمامة بن أشرس النمري البصري من كبار المعتزلة بل من غلاتهم ومن رؤوس الضلالة له أقوال شنيعة توفي سنة ٢١٣هـ انظر ترجمته في فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٧٢ والسير ٢٠٣/١٠ ولسان الميزان ٨٣/٢.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٥٥.

(٤) سورة المائدة الآية ١١٦.

(٥) متفق عليه أخرجه الإمام البخاري ٢٩/٣ في كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل حديث رقم ١١٤٥ ومسلم ٥٢١/١ حديث رقم ٧٥٨ كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

لا خير فيها^(١) - ويسمونهم نوابت - وهي بذور الزرع التي تنبت معه ولا خير فيها^(٢) - ويسمونهم غثاء - وهو ما تحمله الأودية من أوساخ^(٣) - ويسمونهم غثراً - وهم الجماعة الجهال^(٤) - إلى أمثال ذلك... إلى أن قال رحمه الله تعالى: قالوا - يعني السلف - : هذا علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة، فإن السنة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ اعتقاداً واقتصاداً^(٥) وقولاً وعملاً، فكما أن المنحرفين عنه يسمونه بأسماء مذمومة مكذوبة - وإن اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة - فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به في الحيا والممات، باطناً وظاهراً^(٦).

(١) انظر لسان العرب: ١٨٠/١٤.

(٢) لسان العرب: ٩٦/٢ والنهية في غريب الحديث ٥/٥.

(٣) انظر غريب الحديث للخطابي ٩٧/٣ والنهية في غريب الحديث ٣/٣٤٣.

(٤) انظر غريب الحديث للخطابي ٢٧٦/٢ والنهية في غريب الحديث ٣/٣٤٣.

(٥) اقتصاداً من القصد وهو استقامة الطريق، ومنه قوله تعالى ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ سورة النحل الآية ٩، أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليها بالحجج والبراهين الواضحة. أو بمعنى العدل أي الاعتدال في الأمور بلا زيادة ولا نقصان. اهـ. من كلام المحقق للحموية ص ٥٣٦.

(٦) (الفتوى الحموية الكبرى) ص ٥٣٠ - ٥٣٦ مع التصرف اليسير بالاختصار. ومثل ذلك ورد عن علماء السنة، قال الإمام أبو حاتم الرازي رحمه الله تعالى: علامة أهل البدع الوقعة في أهل الأثر. وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل السنة حشوية يريدون إبطال الأثر. وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبهة، وعلامة القدرية: تسميتهم أهل الأثر مجبرة. وعلامة المرجئة تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية. وعلامة الرافضة: تسميتهم أهل السنة ناصبة. ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد، يستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء) اهـ كلامه رحمه الله من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١٧٩/٢، وقد أثير مثل ذلك عن كثير من الأئمة = كأحمد وابن قتيبة وأبي القاسم الأصفهاني وغيرهم كثير أنهم جعلوا علامة أهل البدع الوقعة في أهل السنة والتشنيع عليهم ولولا خشية الإطالة لذكرت كلامهم رحمه الله تعالى انظر تأويل مختلف الحديث ص ٥٥ - ٥٧. وعقيدة السلف للصابوني ص ١٠٥ والعلو للذهبي ص ١٣٩ والفتاوي لشيخ الإسلام ١٧١/٣٣، والله در القائل:

أنعم بطلاب الحديث وأهله وأجله عن كل قول مفسد
هم زينة الدنيا مصاييح الدجى طلوعوا على الدنيا طلوع الفرقد
ورثوا النبي فأحسنوا في إرثه وحموه من كيد الخبيث المعتدي
سعدوا بهدي محمد وكلامه وسواهم بكلامه لم يسعد
والدين قال الله قال رسوله وهم لدين الله أفضل مرشد

الوقفه الثانية:

إذا قال قائل: «إذا كان من أوّل الصفات ضالاً. فنضلل السلف الصالح جميعاً، لأنهم أولوا - وذكر عدة أمثله على تأويل السلف في زعمه^(١) - إلى أن قال: فيجب التأويل في بعض الأحيان بل نقول: وإنه يتعين التأويل... فلماذا نحكم بضلال الأشاعرة بسبب التأويل ونبيح لأنفسنا التأويل؟^(٢).

ثم قال: وأولوا قوله تعالى: ﴿يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾ بأنه (تحسر الكافر على ما ضيع من العمل بما أمر الله به، وقصر في الدنيا في طاعة الله)^(٣).

فالجواب عليه أن نقول:

أولاً: (نعم، من أوّل الصفات عن مدلولها إلى غير معانيها، فهو ضال، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤).

ومن الإلحاد فيها صرفها عما دلت عليه، وهذا ضلال.. فنحكم بضلال من أوّل صفات الله عما دلت عليه من المعنى الحق، وحاول صرفها إلى غير معانيها الحقيقة من الأشاعرة وغيرهم، وإن لم يكن هذا ضلال، فما هو الضلال؟! قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾^(٥)^(٦).

= إلى أن قال:

وأعلم بأن من اقتدى بمحمد سيناله كيد الغواة الحسّـد
ويذوق أنواع العداوة والأذى من جاهل ومكابر ومقلد
فاصبر عليه وكن بربك واثقاً بهذا الطريق إلى الهدى والسؤدد
أه من (رياض الجنة في الرد على أعداء السنة). ص ١٧٠ - ١٧١.

- (١) ردّ عليه في زعمه ذلك جمع من المشايخ أنظر الصيد الثمين ٢٠٨/١ - ٢٣٠، وانظر لزاماً الفتاوى لشيوخ الإسلام ٢٧١/٢ و ٥٠٧/٥ و ٥١٠/٥ و ٣٩٧/٦.
- (٢) مجلة المجتمع العدد ٦٢٩ بتاريخ ١٠/٩/١٤٠٣ هـ.
- (٣) تفسير ابن جرير الطبري ٣١٤/٢١.
- (٤) سورة الأعراف الآية: ١٨٠.
- (٥) سورة يونس الآية: ٣٢.
- (٦) (البيان لأخطاء بعض الكتاب) للدكتور صالح الفوزان ص ٣٥ و ٣٨ مع التصرف اليسير بالاختصار.

ثانياً: (إن هذه الدعوى على مذهب السلف دعوى لا أساس لها من الصحة... ولا يجوز أن ينسب التأويل إلى أهل السنة مطلقاً بل هو خلاف مذهبهم، وإنما ينسب التأويل إلى الأشاعرة وسائر أهل البدع الذين تأولوا النصوص على غير تأويلها، أما الأمثلة التي مثل بها الأخ... للتأويل عند أهل السنة فلا حجة له فيها، وليس كلامهم فيها من باب التأويل بل هو من باب إيضاح المعنى وإزالة اللبس عند بعض الناس في معناها...^(١)).

ثالثاً: (وليس فيما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته ما يجب تأويله بل لا بد أن يوجد في النصوص ما يدل على المعنى المراد الذي يجب إثباته لله على الوجه اللائق به من غير حاجة إلى تأويل يخالف الظاهر من كلام الله، ومن كلام رسوله ﷺ مع تفويض علم الكيفية إلى الرب عز وجل)^(٢).

ف (لا نسلم أن تفسير السلف لها صرف عن ظاهرها فإن ظاهر الكلام ما يتبادر منه من المعنى وهو يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه الكلام فإن الكلمات يختلف معناها بحسب تركيب الكلام، والكلام مركب من كلمات وجمل يظهر معناها ويتعين بضم بعضها إلى بعض.

وأنا لو سلمنا أن تفسيرهم - يعني السلف - صرف عن ظاهرها فإن لهم في ذلك دليلاً من الكتاب والسنة، إما متصلاً وإما منفصلاً، وليس مجرد شبهات يزعمها الصارف براهين وقطعيات يتوصل بها إلى نفي ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ)^(٣).

رابعاً: ليس المراد بقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتَ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ إثبات صفة من صفات الله الذاتية، فهذا خطأ لم يقل به أحد من السلف^(٤) - كما بينت ذلك في الوقفة الأولى - ولكن المراد به - والله تعالى أعلم - بيان تحسر الكافر على ما ضيع

(١) (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة) لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى رحمة واسعة
٧٠/٣ و٧٤-٧٥ مع التصرف بالاختصار.

(٢) المصدر السابق ٧١/٣-٧٢.

(٣) (الصيد الثمين) لابن عثيمين: ٢٠٨/١ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٤) صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة ص ٨٢.

من العمل بما أمر الله به وقصّر في الدنيا في طاعة الله وهذا هو قول ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره^(١) وغيره من الأئمة^(٢) وهو الحق - كما سيأتي بيانه - وإذا ثبت أن هذه الآية ليست من آيات الصفات فمن الظلم حيثئذ أن يقال عن السلف أنهم أولوا فيها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتَ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾: ليس في مجرد الإضافة ما يستلزم أن يكون المضاف إلى الله صفة له، بل قد يضاف إليه من الأعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ما ليس بصفة له باتفاق الخلق، كقوله تعالى ﴿بَيْتَ اللَّهِ﴾ و ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ و ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ بل وكذلك ﴿رُوحَ اللَّهِ﴾ عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم، ولكن إذا أضيف إليه ما هو صفة له وليس بصفة لغيره، مثل كلام الله، وعلم الله، ويد الله، ونحو ذلك، كان صفة له.

وفي القرآن ما يبين أنه ليس المراد بالجانب ما هو نظير جنب الإنسان، فإنه قال: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتَ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ والتفريط ليس في شيء من صفات الله عز وجل، والإنسان إذا قال: فلان قد فرط في جنب فلان أو جانبه لا يريد به أن التفريط وقع في شيء من نفس ذلك الشخص، بل يريد به أنه فرط في جهته وفي حقه.

فإذا كان هذا اللفظ إذا أضيف إلى المخلوق لا يكون ظاهره أن التفريط في نفس جنب الإنسان المتصل بأضلاعه، بل ذلك التفريط لم يلاصقه، فكيف يظن أن ظاهره في حق الله أن التفريط كان في ذاته؟! اهـ^(٣).

وقال العلامة الرباني شيخ الإسلام الثاني^(٤) في (الصواعق المرسلية): فهذا إخبار عما تقوله هذه النفس الموصوفة بما وصفت به، وعمامة هذه النفوس لا تعلم أن الله جنباً، ولا تقر بذلك، كما هو الموجود منها في الدنيا، فكيف يكون ظاهر القرآن أن الله أخير عنهم بذلك، وقد قال

(١) جامع البيان ٣١٤/٢١ مع التصرف اليسير.

(٢) انظر ابن كثير ٥٩/٤ والبغوي ١٢٩/٧ والقرطبي ٢٥٦/١٥.

(٣) (الجواب الصحيح) ١٤٥/٣-١٤٦ مع التصرف اليسير بالاحصار.

(٤) هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، انظر: (ابن قيم الجوزية:

حياته وآثاره) للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ص ٤.

عنهم ﴿يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾ والتفريط فعل أو ترك فعل، وهذا لا يكون قائماً بذات الله، لا في جنب ولا في غيره، بل يكون منفصلاً عن الله، وهذا معلوم بالحس والمشاهدة، وظاهر القرآن يدل على أن قول القائل: ﴿يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾ ليس أنه جعل فعله أو تركه في جنب يكون من صفات الله وأبعاضه. اهـ (١).

وقال العلامة محمود شلتوت (٢) رحمه الله تعالى معلقاً على قول من قال إن الله (جنباً): وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن العرب لا تعرف الجنب في مثل هذا التركيب بمعنى العضو المعروف فهي تقول: هذا يصغر في جنب ذلك، تريد بالإضافة إليه. فهذا الابتداع أتى من جهة الجهل باللغة العربية: مفرداتها وأساليبها. وقد أجمع الأولون على أن معرفة ما يتوقف عليه فهم الكتاب والسنة من خصائص اللغة العربية شرط أساسي في جواز الاجتهاد ومعالجة النصوص الشرعية والاقتراب منها. اهـ (٣).

(١) (الصواعق المرسله) ٢٥٠/١ مع التصرف اليسير. وانظر (معاني القرآن) للفراء والقاسمي في (محاسن التأويل): ٥١٤٦/١٤ وابن الجوزي في (زاد المسير) ١٩٢/٧ = والزجاج في (معاني القرآن) ٣٥٨/٤ ومنظومة ابن المنير الاسكندراني (التيسير في تفسير الغريب) ص ١٥٨.

(٢) عالم مصري ولد من منية بني منصور بالبحيرة سنة ١٣٢٠هـ تخرج من الأزهر سنة ١٩١٨م ثم عمل مدرساً فيه إلى أن صار وكيلاً لكلية الشريعة ثم من أعضاء هيئة كبار العلماء سنة ١٩٤١م وعضواً في المجمع العلمي اللغوي ثم شيخاً للأزهر سنة ١٩٥٨هـ، وبقي شيخاً للأزهر حتى وفاته سنة ١٣٨٣هـ له مصنفات عديدة منها:

((التفسير)) و ((الإسلام عقيدة وشريعة)) و ((البدعة أسبابها ومضارها)) وجميعها مطبوعة. انظر ((الأعلام)) للزركلي ١٧٣/٧ و ((المستدرك على معجم المؤلفين)) لرضا كحالة ص ٧٧٤.

(٣) (البدعة أسبابها ومضارها) ص ٢١ و ٢٣ مع التصرف اليسير بالاختصار، وانظر تفسير الفخر ٦/٢٧ وروح المعاني ١٧/٢٤.

المبحث الثالث: عند تخصصهم مع قرنائهم:

يوم يجمع الله الأولين والآخرين على صعيد واحد، وتظهر الأمور على حقائقها، تنقلب كل مودة ومحبة في الدنيا لغير الله إلى عداوة وبغضاء، تخصص وتنافر، تبرؤ وتلاعن، قال تعالى: ﴿الْإِخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾^(٢).

ومن استمتع بعضهم ببعض في الدنيا من إنس وشياطين، الكل يتلاعنون، الكل يُلقى باللائمة على الآخر.

ومن ذلك الخصام، خصام الإنسان مع قرينه، فالإنسان الذي طغى في الدنيا، وأشرك بالله تعالى ذلك الإنسان الغاوي الموصوف في قوله تعالى: ﴿..كفار عنيد * مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله إلهاً آخر فآلقياه في العذاب الشديد﴾^(٣) فوصف بست صفات ذميمة:

أحدها: أنه كَفَّار - على وزن فعال - أي كثير الكفر، فهو كفار لنعم الله وحقوقه، كَفَّار بدينه وتوحيده وأسمائه وصفاته، كافر برسله وملائكته، كَفَّار بكتبه وباليوم الآخر.

الثاني: أنه معاند للحق يدفعه جحداً وعناداً.

الثالث: أنه مناع للخير - على وزن فعّال - فهو كثير المنع، وهذا يعم منعه للخير الذي هو إحسان إلى نفسه بتوحيد الله واتباع الرسول، والخير الذي هو إحسان إلى الناس، فليس فيه خير لنفسه ولا لبني جنسه.

الرابعة: أنه مع منعه الخير، معتد على الناس، ظلم غشوم، معتد عليهم بلسانه ويده.

الخامسة: أنه مريب، أي صاحب ريب وشك، ومع هذا فهو آت لكل ريبة.

السادسة: أنه مع كل ذلك مشرك بالله، قد اتخذ مع الله إلهاً آخر يحبه ويعبده، يغضب له، ويرضى له، ويحلف باسمه، وينذر له ويوالي فيه ويعادي فيه^(٤).

(١) سورة الزحرف الآية: ٦٧.

(٢) سورة عبس الآيات: ٣٤ - ٣٧.

(٣) سورة ق الآيات ٢٤ - ٢٥.

(٤) الفوائد لابن القيم ص ١٨-١٩. مع التصرف بالاختصار.

ذلك هو وصفه (لا يرعوي عن منع الخير والاعتداء على عباد الله وعلى حدود الله، والشك في وعده تعالى ووعيده سبحانه، فلا إيمان، ولا إحسان، ولكن وصفه الكفر والعدوان، والشك والريب والشح، واتخاذ الآلهة من دون الرحمن) ^(١) فعاقبه الله تعالى من جنس عمله كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ ^(٢) وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ ^(٣) فقيض الله تعالى له شيطاناً عقوبة له على إعراضه عن كتابه وطغيانه، ملازماً له، لا يفارقه في الإقامة ولا في المسيرة وهو مولاه وعشيرته فبئس المولى وبئس العشير، يصدّه عن طريق الهدى والنجاة، ويأمره بطرق الغواية والهلاك ويزينها له.. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ^(٤).

حتى إذا بعثه الله تعالى يوم القيامة، وكشف عنه غطاءه الذي غطى قلبه، وقد أبصر ما يزعجه ويروعه، من أنواع العذاب والنكال، يتهم قرينه الموكل به من الشياطين ^(٥)، بأنه هو الذي أطعاه، وحاد به عن الطريق المستقيم، أو أنه لولاه ما عصى الله.

قال الإمام ابن قتيبة رحمه الله تعالى: ﴿قال قرينه﴾ من الشياطين ^(٦). وقال ابن عطية رحمه الله تعالى: هو شيطانه في الدنيا ومغويه بلا خلاف، فتحرك ورام أن يبرئ نفسه ويخلصها ^(٧).

(١) من تفسير السعدي ٨٥/٥ مع التصرف اليسير، وانظر تفسير ابن القيم جمع الصالحين ٤٤٣/٥.

(٢) سورة الصف الآية: ٥.

(٣) سورة مريم الآية: ٧٥.

(٤) سورة الزخرف الآية: ٣٦ - ٣٧.

(٥) لأن كل كافر وفاجر يسلم عليه شيطاناً ملازماً مقارناً له يصدّه عن الهدى ويقوده إلى الضلالة كما

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ الزخرف الآية ٣٦.

قال الزخشي: ﴿وقال قرينه﴾ هو الشيطان الذي قيض له في قوله ﴿نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾

يشهد له قوله تعالى: ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته﴾ سورة ق ٢٧ اهـ. الكشاف ٣٧٧/٤.

(٦) (تأويل مشكل القرآن) ص ٣٢٦.

(٧) (المحرر الوجيز): ١٨٠/١٥ مع التصرف اليسير بالاختصار. ومثله في القرطبي ٢٠/١٧ وانظر ابن

الجوزي ١٧/٨.

أخرج الإمام الطبري بسنده عن ابن عباس عند قوله تعالى: ﴿قال قرينه﴾ قال: قرينه شيطانه^(١). فيختصمان بين يدي الحق تبارك وتعالى ويدور الحوار التالي: فيقول ذلك الغاوي من الإنس: يا رب هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني^(٢).

ويقول قرينه: ﴿ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد﴾ فلم يكن لي عليه سلطان ولا حجة ولا برهان، فهو الذي ضلّ وابتعد عن الحق باختياره وإنما دعوته فاستجاب لي (ووصف الضلال بالبعيد مبالغة أي لتعذر رجوعه إلى الهدى)^(٣).

وهذا هو صنيع الشيطان مع كل من أطاعه فإنه يتبرأ منه ويسلمه للحجيم كما يتبرأ من أوليائه جملة في النار كما أخبر الله تعالى ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ^(٤).

وهذا شأن الشيطان في الدنيا أيضاً كما قال تعالى ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥).

فيأتي الرد القاطع لكل جدال وخصام من الله تعالى ﴿لا تختصموا لدي﴾ (يعني المحرمين وقرناءهم من الشياطين)^(٦) فلا فائدة في اختصاصكم عندي إذ قد استوجب جميعكم النار

(١) أخرجه الإمام الطبري. جامع البيان ٣٥٧/٢٢. وروى عبد الرزاق في تفسيره بسنده عن قتادة في قوله تعالى ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته﴾ قال: قرينه الشيطان.

(٢) قال الزمخشري: فإن قلت: فأين التقاؤا هنا؟ قلت: لما قال قرينه: ﴿هذا ما لدي عتيد﴾ ق ٢٣، وتبعه قوله: ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته﴾ وتلاه ﴿لا تختصموا لدي﴾ ق ٢٨: علم أن ثم مقابلة من الكافر، لكنها طرحت لما يدل عليها، كأنه قال: رب هو أطغاني، فقال قرينه: ربنا ما أطغيته. اهـ الكشاف ٣٧٧/٤. قال محمد يسري زعير في كتابه: (دراسة لغوية في القرآن والحديث): جملة ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته﴾ منفصلة عما قبلها من الآيات؛ لأنها جواب لسؤال مقدر، وهي ما يسمى بالاستئناف البياني، فكأن الكافر لما سمع ﴿فألقياه في العذاب الشديد﴾ قال الكافر: الشيطان أطغاني فقيل: ماذا قال الشيطان؟ فأجيب: (قال ربنا ما أطغيته). اهـ منه ص ٥٧.

(٣) ابن عطية ١٨٠/١٥.

(٤) سورة إبراهيم الآية: ٢٢.

(٥) سورة الحشر الآية: ١٦.

(٦) (تأويل مشكل القرآن) ص ٣٢٧.

والحال أنني في الدنيا قبل اختصامكم هذا ﴿قد قدمت إليكم بالوعيد﴾ فقد أنذرتكم على السنة رسلي بعذابي وحذرتكم شديد عقابي ^(١).

﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ^(٢) فما أخبر الله تعالى به في الدنيا، من وقوع عذابه على من طغى واتبع هواه، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَعَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ ^(٣).

وقوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، وما الله يريد ظلماً للعالمين (وهذا عدل فيهم لأنني أعذرت وأمهلته وأنعمت بالادراكات وهديت السبيل والنجدين وبعثت الرسل) ^(٤). فسيقع عذاب الله تعالى على من يستحقه، فالله تعالى لا يعذب أحداً بغير جرم، ولا يعذب من لا يستحق العذاب.

قال الإمام ابن قتيبة رحمه الله تعالى: ﴿ما يبدل القول لدي﴾ أي لا يُغيّر عن جهته، ولا يحرف، ولا يزداد فيه ولا ينقص لأنني أعلم كيف ضلوا وكيف أضللتموهم ^(٥). وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ قال أي ما أنا بمعذب من لم يجرم.

نفى الظلم عن نفسه عز وجل قليلة وكثيرة، وإذا انتفت المبالغة انتفى غيرها، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ ^(٦) وروى العدول الثقات والأئمة الأثبات عن الزاهد العدل عن أمين الأرض عن أمين السماء عن الرب جلّ جلاله: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ^(٧).

(١) انظر الطبري: ٢٢ / ٣٥٨.

(٢) سورة ق الآية: ٢٩

(٣) سورة النازعات الآية: ٣٧ - ٣٩.

(٤) ابن عطية ١٥ / ١٨١.

(٥) (تأويل مشكل القرآن) ص ٣٢٧.

(٦) سورة يونس الآية: ٤٤.

(٧) القرطبي: ١٧ / ٢٠ والحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم ٤ / ١٩٩٤

وأحمد في المسند ٥ / ١٦٠.

ولما كان الظلم من الله عز وجل لا يصح أصلاً، ولا يتصور أن ينسب إليه سبحانه ظلم،
عبر للدلالة على ذلك بنكرة في سياق النفي دالة على النسبة مقرونة بالجار فقال ﴿بظلام﴾ أي
بذي ظلم.

وعبر بـ (عبيد) دون (عباد) لأنه موضع إشفاق، وإعلام بضعف، وعدم قدره على انتصار
وعناد، يدل على طاعة وعدم حقارة بل إكرام وهذا أغلب الاستعمال^(١).

(١) (نظم الدرر) للبقاعي ٥٨٣/٦ - ٥٨٤ مع التصرف اليسير بالاختصار.

* وقفات مع آية الحوار:

الوقفة الأولى: في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتَهُ...﴾ الآية نفي من القرين أن يكون له سلطان من قوة أو حجة وبرهان على ذلك الإنسي الغاوي، حملة بذلك السلطان على الطغيان كما قال تعالى حاكياً عنه مقررأ له ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) فإن قيل: كيف نفي السلطان في هذه الآية وقد أثبتته الله تعالى في قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (٣)؟
قيل: السلطان الذي أثبت له عليهم غير الذي نفاه من وجهين:

أحدهما: أن السلطان الميثب له هو سلطان إضلاله لهم بتزيينه وتلاعبه بهم وسوقه إياهم كيف أراد بتمكينهم إياه من ذلك بطاعته وموالاته، والسلطان الذي نفاه سلطان الحجة فلم يكن لإبليس عليهم من حجة يتسلط بها غير أن دعاهم فأجابوه بلا حجة ولا برهان. وإطلاق السلطان على البرهان كثير في القرآن.

والثاني: أن الله لم يجعل له عليهم سلطاناً ابتداءً البتة، ولكنهم هم الذين سلطوه على أنفسهم بطاعته، ودخولهم في حزبه، فلم يتسلط عليهم بقوة، لأن الله يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (٤) وإنما تسلط عليهم بإرادتهم واختيارهم (٥). لسبيين:

(١) سورة إبراهيم الآية: ٢٢.

(٢) سورة سبأ الآية: ٢٠.

(٣) سورة النحل الآية: ٩٨ - ١٠٠.

(٤) سورة النساء الآية: ٧٦.

(٥) تفسير ابن القيم جمع الصالحى ٣/٥٩٢ مع التصرف اليسير، وانظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ١٧٦/١٠ من أضواء البيان. وتأويل مشكل القرآن ص ٣٨٥.

الأول: أنه أتاهم الهدى من ربهم واضحاً بيناً لا لبس فيه ولا غموض كما قال تعالى:
﴿بلسان عربي مبين﴾ فأعرضوا عنه تكبراً وعتواً...

السبب الثاني: أن جعلوا ما هم فيه من ضلال بين كما قال تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل
لفي ضلال مبين﴾ جعلوا ضلالهم هدىً ورشاداً ظلّمت بعضها فوق بعض.

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: وأما قوله جل ثناؤه لإبليس ﴿إن عبادي ليس لك عليهم
سلطان﴾ وقال موسى حين قتل النفس ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾^(١) فشكّوا في القرآن
وزعموا أنه متناقض.

أما قوله ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾^(٢) يقول: عبادي الذين استخلصهم لدينه،
وأما قول موسى ﴿هذا من عمل الشيطان﴾ يعني تزيين الشيطان كما زين ليوسف ولآدم
وحواء وهم من عباد الله المخلصون، فهذا تفسير ما شكّت فيه الزنادقة^(٣).

الوقف الثانية: في قوله تعالى ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ إشكال من جهة المعنى لما هو
معروف أن نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي الفعل، فإذا قلت: فلان ليس أكّالاً لا تكون قد
نفيت عنه صفة الأكل، ولكنك نفيت كثرته. وقد خرّج المفسرون ظاهر هذه الآية وما شاكلها
عدّة تخریجات: أشهرها أن صيغة فعّال في هذه الآية ليست للمبالغة والكثرة، وإنما هي للنسبة
فمعنى ﴿بظلام﴾ بذي ظلم إذ من المقرر عند علماء البلاغة والنحو أنه (يستغنى غالباً في
النسب عن يائه بيناء الاسم على (فاعل). بمعنى صاحب كذا نحو: تامر ولابن أي صاحب تمر
ولبن، وبينائه على (فعّال) في الحرف غالباً كـ(بقّال وبرزاز) وقد يكون (فعّال). بمعنى صاحب
كذا وجعل منه قوله تعالى: ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾^(٤).

وقيل: إن المبالغة والتكثير ليست في ذات الفعل وإنما في متعلقة كقولك: هو ظالم لعبيده
وظلام لعبيده، وكما في قوله تعالى: ﴿عالم الغيب﴾ و ﴿علام الغيوب﴾.

(١) سورة القصص الآية: ١٥ .

(٢) سورة الإسراء الآية: ٦٥ .

(٣) (الرد على الزنادقة والجهمية) للإمام أحمد رحمه الله تعالى. ص ٢٤ - ٢٥ .

(٤) (شرح ألفية ابن مالك) لابن عقيل: ٥٠٠/٣ .

وقيل (إذا نفى الظلم الكثير أتبع القليل ضرورة أن الذي يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم، فإذا ترك الكثير مع زيادة نفعه في حق من يجوز عليه النفع والضرر كان للظلم القليل أترك^(١)).

(١) البحر المحيط: ١٣١/٣ مع التصرف اليسير. وانظر النسفي: ١٧٩/٤ والكشاف: ٣٧٨/٤ والانتصاف حاشية على الكشاف ٣٧٨/٤ والقاسمي ٥٥٠٨/١٥.

المبحث الرابع: حوار الكافرين مع الله لطلب تضييف العذاب على

المتبوعين.

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرُكُوا فِيهَا جَمِيعًا...﴾^(١).

هذا مصير ونهاية كل محبة ومودة لغير الله، اللعن والشتم والتبرؤ والقطيعة، قال الله تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾^(٢) عداوة ما بعدها ألفة وتقاطع ما بعده وصل، اجتمعوا في الدنيا على الشرك بالله وتكذيب آياته ورسوله، فجمعهم الله تعالى في الآخرة، في النيران واللعنات والحسرات، فكبكبهم الله تعالى في نار جهنم على بعضهم جماعات جماعات تساق إلى الجحيم سوق الشيا، بل أشد وأعنف.

أخرج الإمام الطبري بسنده عن السدي: ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾ يقول: كلما دخل أهل ملة لعنوا أصحابهم على ذلك الدين، يلعن المشركون المشركين، واليهود اليهود، والنصارى النصارى، والصابئون الصابئين، والمجوس المجوس، تلعن الآخرة الأولى^(٣).

و(سبب اللعن أن كل أمة إنما تدخل النار بعد مناقشة الحساب والأمر بإدخالهم النار، وبذلك تقع في نفوسهم كراهية ما كانوا عليه، لأن النفوس تكره الضلال والباطل بعد تبينه، ولأنهم رأوا أن عقاب ذلك كانت مجلبة العقاب لهم فيزدادون بذلك كراهية لدينهم، فإذا دخلوا النار فرأوا الأمم التي أدخلت النار بذلك السبب، فلعنوهم لكراهية دينهم ومن اتبعوه)^(٤).

﴿حتى إذا آذركوا فيها جميعاً﴾ (غاية لما قبله أي يدخلون فوجاً فوجاً لا عناً بعضهم بعضاً إلى انتهاء تلاحقهم باجتماعهم في النار)^(٥).

فيا فظاعة حالهم، وسوء - كل سوء - منقلبهم، اشتروا الفاني بالباقي، والزائل بالدائم، فيا لشدة غبنهم، وجسيم خسارتهم، وعظيم حسرتهم وندامتهم.. ولك أن تتصور تلك

(١) سورة الأعراف الآية: ٣٨.

(٢) سورة الزخرف الآية: ٣٨.

(٣) جامع البيان: ٤١٦/١٢.

(٤) تفسير ابن عاشور: ١١٤/٨.

(٥) (روح المعاني): ١١٦/٨.

الأجسام الضخمة، والأفواج المتهاوية وهي تتساقط في لفح النيران ودخان جهنم، فما يرون إلا ما يخلع قلوبهم، ويشوي وجوههم.. وهم مكتفي الأيدي يتلقون الفطائح والأهوال بوجوههم ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾^(١) - نعوذ بالله من سوء المعتقد وسوء المصير - فلا تسمع إلا أناتهم وزفرات الغيظ على من كان سبباً في ضلالتهم، فيتعالى صراخهم باللعن لبعضهم بعضاً لعناً كأشد ما يكون لشدة ما يلاقون ويعانون.. ولا يتوقف ذلك التلاعن إلا بعد تكامل اجتماعهم في جهنم - فبئس المجتمع وبئس الاجتماع - في عذاب مقيم ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾^(٢) - نعوذ بوجه الله العظيم من سوء المنقلب - فيبدأ مشهد آخر من التلاعن والتخاصم فيما بينهم، وهم على أفطع صورة وأسوأ حال قد ركب بعضهم بعضاً من شدة الزحام - وهو ما يشير إليه الإدغام في ﴿أَذَارِكُوا﴾^(٣) - ويضيق الله تعالى النار عليهم زيادة في عذابهم ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾^(٤) حينئذ يخاطب الأتباع والضعفاء الله تعالى شاكين^(٥) إليه تعالى الكبراء والسادة، لأنهم هم الذين أضلوهم، كما قال الله تعالى عنهم ﴿قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأَوْلَاهُمْ﴾ أخراهم دخولاً وهم الأتباع لأولاهم - (لأجل أولاهم، لأن خطابهم مع الله لا معهم) -^(٦) وهم المتبوعون لأن جرم أولئك أكبر، فضلوا وأضلوا ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾^(٧) تشفياً منهم وزيادة في تعذيبهم فهم سبب شقوتهم ونكبتهم في نار جهنم، فتوجهوا إلى الله قائلين: (ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيلك، ودعونا إلى عبادة غيرك، وزينوا لنا طاعة الشيطان، فآتهم اليوم من عذابك الضعف على عذابنا)^(٨).

(١) سورة الزمر الآية: ٢٤.

(٢) سورة الزمر الآية: ١٦.

(٣) انظر: ((نظم الدر في تناسق الآيات والسور)) للبقاعي: ٣٢/٣.

(٤) سورة الفرقان الآية: ١٣.

(٥) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير: ٢٠١/٢.

(٦) الكشف: ٩٩/٢.

(٧) سورة الأعراف الآية: ٣٨.

(٨) جامع البيان: ٤١٧/١٢.

فيا للعجب من حالهم فإنهم لم يطلبوا من الله لأنفسهم خروجاً ولا تخفيفاً مما هم فيه، بل طلبوا الله أن يشفي صدورهم على من كان سبباً في دخولهم النار بمضاعفة العذاب عليه^(١)، وفي ذلك ما فيه من إشارة إلى مبلغ العداوة بين أهل النار وبين كل داعٍ إلى بدعة^(٢) ومن اتبعه.

ثم ليتوصلوا إلى إلقاء تبعات جرائمهم في الدنيا على رؤسائهم، يريدون أن يتصلوا من شيء اتبعوه عن حب وهوى في أنفسهم، ورغبة وميل قلب إليه، فكانوا أداة ماضية في أيدي المستكبرين يهزون لهم رؤوسهم، ويلبون رغباتهم، ويتبعونهم في ضلالهم، ويطيعونهم في محاربة الدعوة ومناصبها العدا، ألغوا عقولهم، وأعموا أبصارهم وبصائرهم عن رؤية الحق، فصاروا لا يفكرون ولا يبصرون ولا يسمعون بل ولا ينطقون إلا بما يوافق أهواء السادة والكبراء، فألجموا ألسنتهم عن قول الحق، وأسماعهم عن سماع الصدق، وأعموا أبصارهم عن مشاهدة الهدى وحجبوا عقولهم عن التفكير في إتباع الحق. ويريدون الآن أن يلقوا بتبعة ما عملوا وحت أيديهم على سادتهم وكبرائهم وقد تقرر على ألسنة رسل الله تعالى إليهم في الدنيا أن الإنسان مسؤول مسؤولية كاملة عن كل ما يصدر منه مهما كانت المؤثرات قال الله تعالى ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١)﴾^(٣). وقال ﴿وَلَا كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٤١)﴾^(٤).

لذلك ردَّ الله تعالى عليهم فقال جل ثناؤه: ﴿لِكُلِّ ضَعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، مضاعفة للمتبعين ومضاعفة للأتباع، للمتبعين لأنهم ضلوا وأضلوا، وللأتباع لأنهم ضلوا ولتقليدهم الأعمى وإيثارهم إتباع هؤلاء المستكبرين على إتباع المرسلين. فـ (لكلكم، أولكم وأخركم، وتابعوكم ومتبعوكم) ﴿ضعف﴾ يقول مكرر عليه العذاب.

﴿ولكن لا تعلمون﴾ يا أهل النار من ضعفاء ومستكبرين، لا تعلمون قدر ما أعد الله

(١) انظر تفسير الماوردي: ٢٢٢/٢.

(٢) ذكرت البدعة لقوله ﴿ضعف﴾: (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار).

(٣) سورة النجم الآيات: ٣٦ - ٤١.

(٤) سورة الأنعام الآية: ١٦٤.

لكم من العذاب، فلذلك تسأل الضعف..^(١).

(وفيما قص الله من محاورة قادة الأمم وأتباعهم ما فيه من موعظة وتحذير لقادة المسلمين من الإيقاع بأتباعهم فيما يزج بهم في الضلالة، ويحسن لهم هواهم، ولا يبلغهم النصيحة..)^(٢).

(١) انظر جامع البيان: ٤١٨/١٢-٤١٩. و(التفسير الكبير) للفخر الرازي: ٦٢/١٤.

(٢) تفسير ابن عاشور: ١١٥/٨.

الفصل الثاني: حوار الكافرين مع الملائكة

الذين كفروا في اليوم الآخر - وقد صاروا في كرب عظيم، وعذاب شديد لا يتركون باباً للخلاص - فيما يحسبون - إلا طرقوه، ولا مسلكاً للنجاة - فيما يظنون - إلا سلكوه، سواء عند معاينتهم للعذاب الأليم، أو عند مقاساتهم لنار السعير، وتقلبهم في الجحيم، فتارة يعترفون ويندمون ولات ساعة مندم، وتارة ينكرون ويجادلون فلا يجديهم شيئاً.. يتوجهون إلى الله تعالى فلا يحفل بهم ولا يجيبهم إلى ما يطلبون، فجوابهم الحاسم ﴿احسبوا فيها ولا تكلمون﴾.. ويتوجهون إلى الملائكة لعل وعسى فيطمعون في شيء لا يخطر على البال - وقد يتسوا من الخروج من النار ومن العودة إلى الدنيا لتدارك ما فات - فطمعوا فيما لا مطمع.. وفي هذا الفصل نستعرض ذلك بالبيان في مباحث فيلأى أولى تلك المباحث.

المبحث الأول: حوار الكافرين عند طلب تخفيف العذاب

الذين كفروا عندما أيقنوا وعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب منهم ولا يسمع لدعائهم، بل قد قال ﴿قَالَ اخْسُئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾^(١) يتوجهون إلى الملائكة يستجدونهم ويتذللون لهم ليدعون لهم الله تعالى.. فيدور الحوار التالي:

﴿وقال الذين في النار لخرزة جهنم﴾^(٢) ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾. قالوا ذلك استغاثة بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء، ورجاء أن يجدوا من عندهم فرجاً^(٣)، واقتصروا على ذكر تخفيف قدر يسير من العذاب، في مقدار قصير من الزمان، لشدة بأسهم وعلمهم بعدم كونه في حيز الإمكان فهو عندهم شبيه بالمستحيل ولا يدخل تحت أمانيتهم.

فقال لهم الخزنة توبيخاً وتقريعاً ﴿ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات﴾ فإن الله تعالى قد أرسل رسلاً مبشرين لمن أطاعهم، ومنذرين من خالف أمرهم وعصاهم، فأقام بهم الحججة على خلقه أجمعين، فقد بعث إلى كل أمة رسولاً، لإقامة التوحيد، واجتناب الشرك قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٤) وقال: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٥) وقال ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(٦).

فقد أقام بهم الحججة، وأبان المحجة، فلا أحد يتحجج بعدم بعثه رسولاً إليهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾^(٧) فلم يبق لأحد عذر ولا حجة، قال ابن عادل الحنبلي:

(١) سورة المؤمنون الآية: ١٠٨.

(٢) والتصريح بذكر جهنم بوضع الاسم الظاهر موضع الضمير للتنهويل والتفطيع. انظر الكشاف ١٦٧/٧.

(٣) جامع البيان للطبري: ٣٩٩/ ٢١

(٤) سورة النحل الآية: ٣٦ .

(٥) سورة فاطر الآية: ٢٤ .

(٦) سورة النساء الآية: ١٦٥ .

(٧) سورة طه الآية: ١٣٤ .

وهذه الآية تدل على أن الوجوب لا يتحقق إلا بعد مجيء الشرع. اهـ^(١).

وفي قوله ﴿تَأْتِيَكُمْ رَسُولُكُمْ﴾ إشارة إلى عراقة الرسل عليهم الصلاة والسلام في النصح المنجي من المخاوف، بالمعجزات والرفق والتلطف وطول الأناة والحلم والصبر، والإتيان بذلك على سبيل التجدد شيئاً في أثر شيء - وهذه فائدة التعبير بالمضارع - وفي التعبير برسلكم دون قولهم رسل الله إشارة إلى أن الجنس إلى الجنس أميل والإنسان من مثله أقبل، فكان الأجدر بهم أن يصغون إليهم، ويقبلون عليهم^(٢).

لذلك يجيب أهل النار خزنة جهنم بالإقرار الكامل ﴿قالوا بلى﴾ قد جاءتنا رسلنا بالبينات الواضحة والأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على توحيد الله فقامت علينا حجة الله البالغة، فظلمنا وعاندنا الحق^(٣)، بعدما تبين كما قال الله عنهم: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ (٢٣) قَالَ أَوْلَوْ جِئْتَكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ^(٤). حيث ترد عليهم الخزنة: ﴿قالوا فادعوا﴾ فنحن برآء منكم^(٥).

قال الرازي: وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة، ولكن للدلالة على الخيبة، فإن الملك المقرب إذا لم يسمع دعاؤه - فيهم - فكيف يُسمع دعاء الكفار^(٦).

ثم يصرحون لهم بأنه لا أثر لدعائهم فيقولون ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(٧). لا يقبل ولا يستجاب، لأن الكفر يبطل لجميع الأعمال، مانع لإجابة الدعاء. فلا مطمع لهم في تخفيف العذاب ولا ليوم واحد كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا

(١) (اللباب ..) ٦٩/١٧.

(٢) انظر (نظم الدرر) ٥٢٢/٦ - ٥٢٣.

(٣) انظر للاستزادة فتح القدير: ٤٩٥/٤.

(٤) سورة الزخرف الآية: ٢٣ - ٢٤.

(٥) انظر الكشاف ١٦٧/٤.

(٦) التفسير الكبير للفخر: ٢٧ وهو بنصه في الكشاف ١٦٧/٤ ولم يعزه الرازي وكذلك هو عند ابن عادل في تفسيره: ٦٩/١٧.

(٧) سورة غافر الآية: ٤٩ - ٥٠.

يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿١﴾

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾^(٣) وقال: ﴿خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعثون﴾^(٤) وعن أبي الدرداء قال: «يلقى على أهل النار الجوع، حتى يعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون منه، فيغاثون بالضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فيأكلونه فلا يغني عنهم شيئاً، فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة، فيغصون به، فيذكرون أنهم كانوا في الدنيا يجيزون الغصص بالماء فيستغيثون بالشراب، فيرفع لهم الحميم بالكلايب، فإذا دنا من وجوههم شواها، فإذا وقع في بطونهم قطع أمعاءهم وما في بطونهم، فيستغيثون بالملائكة يقولون: ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾ فيحييهم: ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات، قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ أي خسار وتبار^(٥).

فإذا ما يسوا من تخفيف يوم واحد من شدة العذاب لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلاً إلا أن يطلبوا ما كانوا يكرهونه أشد الكراهية، ويود أحدهم لو يعمر ألف سنة، ولا يحصل له، وهو ما سنبيته في المبحث الثاني:

(١) سورة فاطر الآية: ٣٦.

(٢) سورة النبأ الآية: ٣٠.

(٣) سورة الزخرف الآية: ٧٥.

(٤) سورة البقرة الآية: ١٦٢.

(٥) أخرجه الترمذي أبواب صفة جهنم باب ما جاء في صفة طعام أهل النار ٣٣٧/٤ حديث رقم ٢٥٨٦ والبيهقي في البعث حديث رقم ٦٠١ وابن أبي الدنيا في صفة النار حديث رقم ٨٤ والطبري في التفسير ٧٨/١٩.

المبحث الثاني: حوار الكافرين مع الملائكة لطلب الموت:

يَبين الحق تبارك وتعالى في محكم التنزيل أن أهل النار مخلدون فيها^(١)، لا يخفف عنهم من عذابها ولا لحضه واحدة، وهم في تلك الحال السيئة الرديئة، قد يئسوا من كل خير، وقد بلغ منهم اليأس كل مبلغ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) (والمبلس في هذا الموضع: هو الآيس من النجاة والذي قد قنط فاستسلم للعذاب والبلاء)^(٣) قد بهت وأيس من الخير، لا يحير جواباً لشدة ما نزل به من سوء الحال، ومن ذلك أشق اسم إبليس، وأبلس الرجل سكت وأبلس الناقة وهي مبالس إذا لم ترغ من شدة الضبعة^(٤).

حينئذ يتوجهون إلى كبير خزنة جهنم مالك ويدور هذا الحوار معه: قال الله تعالى مخبراً عن حوار أهل النار مع مالك خازن النار: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ^(٥) لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾^(٦) من شدة ما يعانون في غمرات الجحيم من عذاب أليم، صار الموت عندهم مطلوباً مرغوباً فيه، بل صار منتهى آمالهم وغاية أمانهم (فالقضاء في هذه الآية بمعنى الموت)^(٧).

(١) سبق بيان هذه المسألة في الفصل الثاني من الباب الثاني.

(٢) سورة الزخرف الآية: ٧٤ - ٧٥.

(٣) جامع البيان: ٦٤٣ / ٢١ وانظر للاستزادة التفسير الكبير للرازي: ١٩٤ / ٢٧ وابن عطية: ٢٧٦ / ١٤.

(٤) القرطبي: ١١٣ / ١٦ مع التصرف اليسير، والضبعة وصف للناقة يقال: ضبعت الناقة تضبع ضبعةً وضبعاً إذا أرادت الفحل.

(٥) وقد رويت (يا مال) بكسر اللام وهي قراءة علي بن أبي طالب وابن مسعود وأبي الدرداء ويحيى والأعمش. قال ابن جني في المحتسب: هذا المألوف في الترخيم إلا أن فيه في هذا الموضع سراً جديداً، وذلك أنهم لعظم ما هم عليه ضعفت قواهم، وذلت أنفسهم، وصغر كلامهم فكان هذا من مواضع الإختصار ضرورة عليه، ووقوفاً دون تجاوزه إلى ما يستعمله المالك = قوله، القادر على التصرف في منطقته. اهـ منه: ٣٠٤ / ٢. وقال الإمام الزجاج: رويت بكسر اللام وهذا يسميه النحويون الترخيم وهو كثير في الشعر ولكنني أكرهه لمخالفته المصحف اهـ من معاني القرآن: ٤ / ٤١٩.

(٦) قال الزمخشري: فإن قلت كيف قال ﴿نادوا يا مالك﴾ بعدما وصفهم بالإبلاس؟ قلت: تلك أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة، فتختلف بهم الأحوال فيسكنون أوقاتاً لغلبة اليأس عليهم، وعلمهم أنه لا فرج لهم ويغوثون - غوث الرجل: قال واغوثاه - أوقاتاً لشدة ما بهم) اهـ ٢٥٧ / ٤.

(٧) ابن عطية: ٢٧٦ / ١٤.

تمنوا تعطل الحواس وعدم الإحساس لشدة التألم بالعذاب الجسماني^(١)

ويأتي الرد بعد آماذ متطاولة^(٢)، استخفافاً بهم، وزيادة في همهم وغمهم (لأن بُعد ما بين النداء والجواب أخزى لهم وأذل)^(٣): ﴿قال إنكم ما كثون﴾ فلا خلاص لكم من العذاب، يموت ولا بغيره (والمراد بحالدون)^(٤)، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾^(٧)، وقال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾^(٨) فلا موت ولا فناء بل ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾^(٩). ويستمر الجواب بتوبيخهم بما فعلوا فقال: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلسَّعْيِ كَارِهُونَ﴾^(١٠).

هذا هو سبب شقوتهم، وهو مخالفتهم للحق وهو التوحيد^(١٢) فقد كانوا يكرهون الحق إتباعاً لأهوائهم وشهواتهم، فشقوا شقاءً لا سعادة بعده، فهم لا يجابون حتى ولو بطلب الموت.

(١) القاسمي في محاسن التأويل ج ١٤.

(٢) قيل بعد ألف سنة، وقيل يتركهم مئة سنة، وقيل غير ذلك انظر جامع البيان للطبري: ٦٤٥/٢١، والكشاف: ٢٥٧/٤.

(٣) ابن الجوزي: ٣٢٩/٧.

(٤) الكشاف: ٢٥٧/٤.

(٥) سورة طه الآية: ٧٤.

(٦) سورة الأعلى الآية: ١١ - ١٣.

(٧) سورة فاطر الآية: ٣٦.

(٨) سورة إبراهيم الآية: ١٧.

(٩) سورة الإسراء الآية: ٩٧.

(١٠) قال في فتح القدير: أكثركم قيل: أراد الرؤساء والقادة، ومن عداهم أتباع لهم اهد منه ٥٦٦/٤.

(١١) سورة الزخرف الآية: ٧٧ - ٧٨.

(١٢) قاله ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٣٠/٧.

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى: ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم للحق ومعاندتهم له فقال: ﴿لقد جئناكم بالحق﴾ أي بيناه لكم ووضحناه وفسرناه ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تُقبلُ عليه، وإنما تنقاد للباطل وتعظمه، وتصد عن الحق وتأباه، وتبغض أهله، فعودوا على أنفسكم بالملامه، واندموا حيث لا تنفعكم الندامه اهـ^(١).

(١) تفسير ابن كثير: ٢٤١/٧ مع التصريف اليسير.

الفصل الثالث: حوار الكافرين مع المؤمنين

الكافرون بجميع طبقاتهم أو شتى مستوياتهم، غرهم طول الأمل، وشغلتههم أموالهم وأولادهم - التي استدرجهم الله تعالى بها وزادهم منها - ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ فزدادوا طغياناً وتبهاً، وإجراماً وتكبراً، يأتون يوم القيامة، وقد انقشعت الغشاوة وظهرت الحقيقة ناصعة، وحق الحق، وبطل ما كانوا يزعمون، فإذا أهل المسكنة، بادي الرأي وهم أغلب أتباع الرسل، هم أهل الزلفى والقرب، وأما أهل الشراء الواسع، والجاه العريض - من الكفرة - فلا ثراء ولا جاه، فلا ينفع مال مدود، ولا بنين في الدنيا كانوا شهوداً، الكل يفر من الآخر، كلهم يقول: نفسي نفسي، فيطلبون الخلاص ولا خلاص، ويسألون الرجعى ولا رجعى.. في حوارات هذا الفصل حقائق ناصعة، وعبر ساطعة، فلا عزيز إلا من أطاع الله، ولا كريم إلا من آمن بالله، ولا ناج مسلم إلا من اتبع المرسلين.

نستعرض في مباحث هذا الفصل ذلك وغيره فإلى أولى تلك المباحث:

المبحث الأول: حوار الكافرين مع المؤمنين لطلب الاقتباس من

نورهم:

نريد بالحوار هنا ما كان بين صنف من الكافرين وهم المنافقون^(١)، وبين المؤمنين، المنافقون الذين ما تركوا باباً للصد عن سبيل الله والتشكيك في الإسلام إلا وجوه، ولا طريقاً يزعزع وحدة المسلمين ويفت في قوتهم إلا طرقوه، فهم مرضى القلوب، منتكسوا الموازين، السفه عندهم عقل، والإفساد إصلاح كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(٢)، ﴿اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(٣) فهم سدوا على أنفسهم أبواب الهدى الثلاث، فإن الهدى يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب، مما يسمعه بأذنه، ويراه بعينه، ويعقله بقلبه، وهؤلاء قد سدت عليهم أبواب الهدى، فلا تسمع قلوبهم شيئاً، ولا تبصره، ولا تعقل ما ينفعها^(٤).

فهم ﴿صُمُّ بِكُمْ عُمِّي﴾^(٥) كانت حواسهم سليمة، لكن لما سدوا مسامعهم عن سماع

(١) قال في عمدة الحفاظ: ٢٣٩/٤: في مادة نطق: ومنه النفاق الشرعي، لأنه خروج من الإسلام بضرب من الخيل، وهو إبطان غير الظاهر، وهذا شأن المنافق يظهر الإسلام ويبطن الكفر. إلى أن قال: ولتسمية المنافق منافقاً ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه يُسر كفره ويخفيه، فشيء بالذي يدخل النطق وهو السرب يستتر فيه.

والثاني: أنه نافع كاليربوع، وذلك أن اليربوع له جُحران: أحدهما يقال له: النافق، والآخر: القاصع، فإذا طلب من النافق خراج من القاصع.

والثالث: أنه شبه به لمخادعته، وذلك أن اليربوع يحتفر الأرض من تحتها حتى يرقها جداً، فإذا طلب من باب جحره عمد إلى ذلك الموضع الذي رقق ترابه بجفهره ودفعه برأسه خارجاً، فظاهر جحره أرض، وباطنه حفر، فكذلك المنافق ظاهره مؤمن وباطنه كافر اهـ

وقد ذكر المنافقون في القرآن الكريم في سبع عشرة سورة واستغرق الحديث عنهم ما يقرب من ((٣٤٠)) آية من آيات الكتاب العزيز وورد لفظ النفاق ومشتقاته في القرآن الكريم ((٣٨)) مرة، للاستزادة انظر (المنافقون) لـ د/ محمد جميل غازي و (المنافقون) لـ د/ عبد العزيز الحميدي.

(٢) سورة البقرة الآية: ١١.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٦.

(٤) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص ١٢.

(٥) سورة البقرة الآية: ١٨.

الحق بتدبر وأبوا أن تنطق به ألسنتهم، وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم، جُعِلُوا كأنما أصابت هذه الحواس منهم الآفات.

فإذا جاء يوم القيامة عاقبهم الله تعالى من جنس عملهم، قال تعالى: ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ^(١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾^(٢).

(والمراد من مخادعتهم الله أنهم صنعوا معه صنع المخادعين، وإن كان العالم الذي لا يخفى عليه شيء لا يخدع، وصيغة فاعل تفيد الاشتراك في أصل الفعل، فكونهم يخادعون الله والذين آمنوا يفيد أن الله سبحانه والذين آمنوا يخادعونهم، والمراد بالمخادعة من الله أنه لما أجرى عليهم أحكام الإسلام مع أنهم ليسوا منه في شيء، فكأنه خادعهم بذلك كما خادعوه بإظهار الإسلام وإبطان الكفر مشاكلة^(٣) لما وقع منهم بما وقع منه.

والمراد بمخادعة المؤمنين لهم: هو أنهم أجروا عليهم ما أمرهم الله به من أحكام الإسلام ظاهراً وإن كانوا يعلمون فساد بواطنهم، كما أن المنافقين خادعوهم بإظهار الإسلام وإبطان الكفر، والمراد بقوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ الإشعار بأنهم لما خادعوا من لا يخدع كانوا مخادعين لأنفسهم، لأن الخداع إنما يكون مع من لا يعرف البواطن، وأما من يعرف البواطن فمن دخل معه في الخداع فإنما يخدع نفسه وما يشعر بذلك، ومن هذا قول من قال: من خادعته فأنخدع لك فقد خدعك^(٤).

(١) سورة البقرة الآية: ٩

(٢) سورة النساء الآية: ١٤٢.

(٣) الحمل على المشاكلة والمقابلة فيه نظر لأن معنى ذلك نفي صفة خداع الله بالمنافقين والصواب إثبات صفة خداع الله بالمنافقين على ما يليق به وليس كخداع المخلوقين ومن صور هذا الخداع أنه تعالى بمد الظالم في ظلمه وفي طغيانه ويعطيه ما يشتهي حتى يرد بعد ذلك ما لم يكن يحتسب من الله. ومن خداع الله بهم أن زين لهم ما كانوا فيه من الشقاء والأحوال الخبيثة حتى ظنوا أنهم مع المؤمنين لما لم يسلط الله المؤمنين عليهم، ومن خداع الله بهم يوم القيامة أن يعطيهم مع المؤمنين نوراً ظاهراً فإذا مشى المؤمنون بنورهم طفئ نور المنافقين وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين.

انظر الطبري ٣٠٣/١ - ٣٠٦، و ٣٢٩/٩ والفتاوى لشيخ الإسلام ١١١/٧، وأعلام الموقعين ٢٩٩/٣، ومختصر الصواعق المرسله ٢٤٨ - ٢٥١.

(٤) فتح القدير للشوكاني: ٤١/١. وانظر جامع البيان للطبري: ٢٧٦/١.

هذا في الدنيا، أما في الآخرة: فإن الله تعالى يؤتيهم نوراً مع المؤمنين مخدعةً لهم^(١)،
جزاء لخداعهم لله والذين آمنوا في الدنيا، ثم يسلبهم ذلك النور فيذرهم في ظلمات يتخبطون،
حتى يسقطوا على وجوههم في نار جهنم، ففي الحديث عن جابر رضي الله عنه في حديث الورود يوم
القيامة وفيه: (ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم
كلاليب^(٢) وحسك^(٣) تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين^(٤))، بينما نور الهداية
والطاعة والإيمان يضيء للمؤمنين بقدر أعمالهم.

أخرج ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: (يؤتون نورهم على قدر
أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نوراً
على إبهامه يطفأ مرة ويقدُّ مرة)^(٥).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى رحمةً واسعة: (اعلم أن أشعة (لا إله إلا الله) تبدد
من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه فلها نور، وتفاوت أهلها في ذلك
النور - قوةً وضعفاً - لا يحصيه إلا الله تعالى.

فمن الناس: من نور هذه الكلمة في قلبه كالشمس.

ومنهم: من نورها في قلبه كالكوكب الدري.

ومنهم: من نورها في قلبه كالمشعل العظيم.

(١) الخداع صفة من صفات الله عز وجل الفعلية الثابتة بالكتاب والسنة، ولكنه لا يوصف بها على سبيل
الإطلاق إنما يوصف بها حين تكون مدحاً. انظر جامع البيان: ٢٧١/١ - ٢٧٧، وإعلام الموقعين:
٢٢٩/٣، والفتاوى لشيخ الإسلام: ١١١/٧، والحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصهباني: ١٦٨/١
وفتاوى العقيدة لابن عثيمين ص ٥٢.

(٢) الكلاب والكلوب خشبة في رأسها عِقَافَةٌ منها أو من حديد. ومنه قيل كلاليب البازي لمخالبه. اهـ
من الفائق: ١٥١/١.

(٣) الحسك جمع حسكة، من قولهم للرجل الخشن الصعب مرامه، الممتنع على طالبه مأتاه، إنه لحسكة،
تشبيهاً له بالحسكة من الشوك. المرجع السابق: ٢٤/٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه انظر مسلم مع النووي، كتاب الإيمان، باب آخر أهل الجنة دخولاً: ٤٨/٣
- ٤٩.

(٥) رواه الطبري في جامع البيان: ٢٣ / ١٧٩ والحاكم في المستدرک: ٤٧٨/٢ وقال الحاكم: صحيح على
شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط البخاري.

وآخر: كالسراج المضيء. وآخر كالسراج الضعيف.

ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم، وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور هذه الكلمة علماً وعملاً، ومعرفة وحالاً.

وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد: أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته.

حتى أنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معها شبهة ولا شهوة ولا ذنباً، إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده، الذي لم يشرك بالله شيئاً^(١).

قال الإمام ابن عطية الأندلسي رحمه الله تعالى: وكونهم غير حاملين للأنوار أكرم ألا ترى أن فضيلة عباد بن بشر وأسيد بن حضير إنما كانت بنور لا يحملانه^(٢).

فيضيء للمؤمنين نورهم ويهديهم الطريق المستقيم إلى دار الرضوان، وتقول لهم الملائكة: البشرى التي نبشركم بها اليوم، هي جنات تجري من تحتها الأنهار، أعدت لكم، لا تتحولون عنها، ولا تنقلون منها، ولكم فيها نعيم مقيم وفوز عظيم.

قال الله تعالى واصفاً حال المؤمنين وما ييشرهم به الملائكة: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٣).

أما المنافقون فيتخبطون في الظلمات، لا يدرون أين يتجهون، حائرين، يطلبون من المؤمنين قيساً من نور، ليرشدوا الطريق، ويسلكوا الجادة، فيدور بين الفريقين الحوار التالي:

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾^(٤). يطلبون الإنظار وهو الإمهال^(٥) والانتظار من المؤمنين، لينالوا من نورهم ليمشوا به

(١) (مدارج السالكين): ٣٢٩/١ - ٣٣٠ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٢) (المحجر الوجيز): ٤٠٨/١٥.

(٣) سورة الحديد الآية: ١٢.

(٤) سورة الحديد الآية: ١٣.

(٥) الكشاف: ٤٦٣/٤.

فينجوا من العذاب^(١).

أخرج البخاري في صحيحه تعليقا: قال مجاهد: (انظرونا) انتظرونا^(٢)

فيرد عليهم المؤمنون ساخرين بهم مستهزئين: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾^(٣) ارجعوا وراءكم حيث أحرزنا هذا النور، حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور^(٤).

وفي الحديث عن سليم بن عامر^(٥) قال: خرجنا على جنازة في باب دمشق ومعنا أبو أمامة الباهلي فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها قال أبو أمامة رضي الله عنه يا أيها الناس إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات وتوشكون أن تظعنوا منه إلى المنزل الآخر هذا - يشير إلى القبر - بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وبيت الضيق إلا ما وسَّع الله، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة فإنكم لفي بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من أمر الله فتبيض وجوه وتسود وجوه، ثم تنتقلون إلى منزل آخر فيغشى الناس ظلمة شديدة ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نوراً ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً.. ولا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير، يقول المنافق للذين آمنوا: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال: ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾^(٦) فيرجعون إلى المكان

(١) انظر تفسير تيسير الكريم المنان للسعدي: ١٧٨/٥. وانظر جامع البيان: ١٨٠/٢٣ - ١٨١.

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٦٢٦/٨. وانظر الموضح: ١٢٤٦/٣.

(٣) سورة الحديد الآية: ١٣

(٤) انظر الخازن: ٢٤٨/٤.

(٥) الكلاعي الخبائري الحمصي حدث عن أبي الدرداء، وقيم الداري، والمقداد بن الأسود، وعوف بن مالك، وأبي هريرة، وعمرو بن عبسة، وطائفة. شهد فتح القادسية، وقيل إنه أدرك النبي ﷺ. قال الذهبي: وكان يقول: استقبلت الإسلام من أوله، وهذا يدل على أنه ولد في حياة النبي ﷺ، توفي سنة ١٠٢ هـ. ترجمته في: تهذيب الكمال رقم (٥٣٢) وتاريخ الإسلام ٢٥٥/٤ والسير للذهبي ١٨٥/٥.

(٦) سورة النساء الآية: ١٤٢.

الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئاً...^(١).

وحيل بينهم وبين ما يطلبون، فأقيم بينهم وبين المؤمنين حاجز له باب، من جهة جانبه الظاهر للمنافقين جهنم، يلاقون فيها العذاب المهين، وباطنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة والجنة التي ينعم بها المؤمنون^(٢)، قال تعالى: ﴿فَضْرِبْ^(٣) بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾^(٤)

أخرج ابن جرير من طريق ابن أبي عروبه^(٥) عن قتادة أنه قال: السور حائط بين الجنة والنار^(٦).

حينئذ ينادي المنافقون المؤمنون من وراء السور، مستعطفين منهم، راجين أن يوالوهم، ويفرحوا عنهم مما هم فيه من كرب وغم، يملأ قلوبهم حسرةً وندماً من ذلك المصير الذي صاروا إليه، فيقولون: ﴿ألم نكن معكم﴾ في الدنيا نصلي ونصوم، ونؤدي شعائر الإسلام كما تؤدونها وتعاملوننا معاملة المؤمنين، فيجيبهم المؤمنون: حقاً لقد كنتم معنا، لكنكم كنتم غير صادقين في عبادتكم، غير مخلصين في إيمانكم ففتنتم أنفسكم، وأوقعتموها في النفاق، وانتظرتم أن تدور الدوائر علينا^(٧)، فيهزمننا المشركون، وكنتم في شك وريب من صدق ما يدعوكم الإسلام إلى الإيمان به من أمور الآخرة وغيرها، وخذعكم طول الأمل، والأباطيل التي تمنون أنفسكم بها، من زوال الإسلام وانتكاس أمر المسلمين، لقد ظللتكم على هذه الحال حتى جاء

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤٣٤/٢-٤٣٥ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: صحيح.

(٢) انظر الخازن: ٢٤٨/٤.

(٣) قرأ زيد بن علي ((فَضْرِبْ)) مبنياً للفاعل، وهو الله أو الملك. انظر البحر المحیط ٢٢١/٨ والدر المصون ٢٧٦/٦.

(٤) سورة الحديد الآية: ١٣.

(٥) هو سعيد بن أبي عروبة الإمام الحافظ، عالم أهل البصرة، وأول من صنف السنن النبوية قاله الذهبي حدث عن الحسن، ومحمد بن سيرين، والنضر بن أنس وقتادة وغيرهم وكان من محور العلم إلا أنه تغير لما شاخ، ورمي بالقدر، توفي سنة ١٥٦هـ ترجمته في تهذيب الكمال رقم (٧٨٨) وميزان الاعتدال ١٥١/٢، والسير للذهبي ٤١١/٦.

(٦) جامع البيان للطبري: ١٨٢/٢٣.

(٧) انظر: الكشف: ٤٦٣/٤.

أمر الله، ونزل بكم الموت، وهلكتم وفارقتم الدنيا، وعجزتم عن اكتساب الصالحات، وخذعكم الشيطان كثيراً كما قال الله تعالى عنه: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١)، فزين لكم النفاق، واليوم لا سبيل إلى النجاة، ولا يقبل منكم ولا من الكافرين أي فداء للتخلص من النار، فلا خروج من النار، فقد ذهب الوقت، وضاعت الفرصة، والنار أولى بكم وأحق.

أخرج البخاري في صحيحه: قال مجاهد: ﴿مأواكم النار هي مولاكم﴾ قال: أولى بكم^(٢). فهي (أملك بكم وأولى بأخذكم، وهذا بمعنى المولى من طريق الرق لا المولى من جهة العتق، فكأن النار - نعوذ بالله منها - تملكهم رقاً ولا تحررهم عتقاً)^(٣). وهي بئس المصير الذي انتهيتم إليه كما قال الله تعالى مخبراً عن رد المؤمنين على المنافقين:

﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٤) * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ^(٥) مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا^(٦) مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ^(٧).

وفي عطف الأفعال بعضها وراء بعض حتى بلغت أربعة أفعال - فتنتم أنفسكم،

(١) سورة النساء الآية: ١٢٠.

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة الحديد: ٦٢٧/٨.

(٣) (تلخيص البيان) للشريف الرضي ص ٣٢٧.

(٤) قرأ سماك بن حرب ((الغُرور)) بضم الغين: قال أبو الفتح: هو كقوله وغركم بالله الاغترار وتقديره: على حذف المضاف، أي وغركم بالله سلامة الاغترار، ومعناه سلامتكم منه مع اغتراركم. اهـ من المحتسب ٣٦٣/٢.

(٥) قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب ((لا تؤخذ)) بقاء التأنيث. وقرأ الباقون ((لا يؤخذ)) بياء التذكير. وجاز تأنيث الفعل وتذكيره، لكون الفاعل مؤنثاً مجازياً وهو ((فدية)) اهـ من (المغني في القراءات العشر): ٢٨٦/٣.

(٦) قال الخازن: عطف الكفار على المنافقين وإن كان المنافق كافراً في الحقيقة لأن المنافق أبطن الكفر والكافر أظهره فصار غير منافق فحسن عطفه على المنافق. الخازن: ٢٤٩/٤.

(٧) سورة الحديد الآية: ١٤ - ١٥.

وتربصتم، وارتبتم، وغرتكم الأمانى - تبين مدى تلاحقها وسرعتها في أخذ المنافقين بها، والعمل بمقتضاها.

وجمع (الأمانى) إشارة إلى أنهم لم تكن لهم أمنية واحدة، بل عدة أمانٍ، وهي كثيرة لا تعد، وكلها يغضب الله، ويعوق الرسالة.

وقدم الخير ﴿مأواكم النار﴾ لإفادة التخصيص، أي لا ترجعون إلى غيرها أبداً.
وبنى الفعل للمجهول ﴿لا يؤخذ منكم فدية﴾ إشارة إلا أنه لا يقبلها منكم أحد ملك أو إنس أو جن، ونكر ﴿فدية﴾ لتعظيمها أي مهما كانت هذه الفدية عظيمة من الأموال أو الأنفس^(١).

(١) انظر أضواء بلاغية على جزء الذاريات ص ١٤٤.

المبحث الثاني: حوار الكافرين مع المؤمنين لطلب الإفاضة عليهم:

جهنم مثوى الكافرين، أعد الله لهم فيها أنواع العذاب، وأصناف الجحيم، نَفَسُهُمْ فِيهَا كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَّهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾^(١) وثيابهم منها، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾^(٢) وفرشهم وحفهم منها، قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾^(٣) وقد أحاطت بهم النار من جميع الجهات، كإحاطة السوار بالمعصم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾^(٤) طعامهم فيها الضريع والزقوم.

كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ لِأَكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ﴾ طعام لا يغني ولا يسمن من جوع ﴿فَمَا لَتَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾^(٥) لغلبة الجوع عليهم، والزقوم شجرة في غاية الحرارة والمرارة، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ (٤٣) طَعَامُ الْإِثْمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ﴾^(٦) فيستغيثون بالماء ليطفئوا تلك الحرارة، ويزيلوا ما أصابهم من غصص، وظماً شديداً، فيغاثون بماء قد بلغ منتهى الحرارة قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَعْثِبُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾^(٧)

وإذا أرادوا الخروج فلهم ﴿مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾^(٨) وكلما أحرقتهم النار بدل الله جلودهم جلوداً غيرها كما قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^(٩).

(١) سورة هود الآية: ١٠٦.

(٢) سورة الحج الآية: ١٩.

(٣) سورة الأعراف الآية: ٤١.

(٤) سورة الكهف الآية: ٢٩.

(٥) سورة الواقعة الآية: ٥٠ - ٥٣.

(٦) سورة الدخان الآية: ٤٣ - ٤٥.

(٧) سورة الكهف الآية: ٢٩.

(٨) سورة الحج الآية: ٢٠.

(٩) سورة النساء الآية: ٥٦. قال صاحب كتاب (الإسلام والطب الحديث) هذه الآية الكريمة تقول إن النار كلما أكلت جلودهم بد لهم الله جلوداً غيرها، والسبب في ذلك أن أعصاب الألم هي في الطبقة

فهم في عذاب سرمدي أبدي خالدين مخلدين في النار، فبينما هم في ذلك العذاب المهين وقد بلغ منهم كل مبلغ، وقد سلط عليهم الجوع المفرط، والظمأ الموجه، يتوجه أهل النار إلى أهل الجنة، طلباً للماء أو مما رزقهم الله تعالى، فيدور الحوار التالي بين الفريقين:

فيقول أصحاب النار لأصحاب الجنة مستغيثين بهم، متذللين لهم يستجدونهم ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾^(١) من الطعام^(٢). (وفي هذه الآية دليل على أن سقي الماء من أفضل الأعمال)^(٣).

وفي الحديث عن ابن عباس أنه سئل أي الصدقة أفضل؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة الماء، ألم تسمع إلى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا: ﴿أفبيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾»^(٤).

قال الإمام الزجاج رحمه الله تعالى: (فأعلم الله عز وجل أن ابن آدم غير مستغنٍ عن الطعام والشراب وإن كان معذباً)^(٥).

فرد عليهم أصحاب الجنة بالتيئيس والحرمان ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٦).

عن ابن عباس: ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما

الجلدية، و أما الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية فالإحساس فيها ضعيف، ولذلك يعلم الطبيب أن الحرق البسيط الذي لا يتجاوز الجلد إلى الأنسجة يحدث ألماً شديداً بخلاف الحرق الشديد الذي يتجاوز الجلد إلى الأنسجة لأنه مع شدته وخطره لا يحدث ألماً كثيراً. فالله يقول لنا: إن النار كلما أكلت الجلد الذي فيه الأعصاب تجرده كي يستمر الألم بلا إنقطاع، ويذوقوا العذاب الأليم.

وهنا تظهر حكمة الله قبل أن يعرفها الإنسان، وكان الله عزيزاً حكيماً اه منه ص ٤٧ - ٤٨

(١) سورة الأعراف الآية: ٥٠.

(٢) انظر الكشاف: ١٠٤/٢

(٣) القرطبي: ٢٠٩/٧.

(٤) ذكره السيوطي في الدر ١٦٦/٣ وقال أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في شعب

الإيمان. والحديث عند البيهقي في شعب الإيمان برقم ٣٣٨٠. وأخرج الطبراني في الأوسط بنحوه من

حديث أنس أن سعد بن عبادة سأل النبي ﷺ.. الحديث في الأوسط برقم ٨٠٦١ وقال المنذري في

الترغيب والترهيب: رواه الطبراني في الأوسط ورواه محتج بهم في الصحيح.

(٥) (معاني القرآن) ٣٤٤/٢.

(٦) سورة الأعراف الآية: ٥٠.

رزقكم الله ﴿﴾ قال: ينادي الرجل أخاه وأباه فيقول: «قد احترقت، أفض علي من الماء» فيقال لهم: أحيوهم، فيقولون: ﴿﴾ إن الله حرمهما على الكافرين ﴿﴾.

فمن اتخذ الدين الذي أنزله الله تعالى وأرسل به رسله وأمر بالتزامه هوأ ولعباً وسخرية وهزواً، واغتر بالدنيا، وجعلها غاية أمره، ومنتهى سعيه، وخذعه ما هو فيه من نعيم زائل^(١) فليس له يوم القيامة كرامة ولا رحمة بل ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿﴾^(٢) فقد أعذر من أنذر، قال تعالى مبيناً أسباب وصولهم إلى هذه الدرحة من الحرمان والعذاب المهين ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾^(٣) كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿﴾^(٤). فيتركهم الله تعالى في العذاب مخلدين، عطاشاً جيعاً، كما تركوا العمل في الدنيا لهذا اليوم، ورفضوا الاستعداد له بالعمل الصالح، وضلوا على كفرهم إلى أن خرجوا من الدنيا، أخرج بن جرير بسنده عن ابن عباس في قوله ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ الآية، قال: وذلك أنهم كانوا إذا دعوا إلى الإيمان سخرُوا ممن دعاهم إليه وهزءوا به، اغتراراً بالله^(٥)، فإنهم ركنوا إلى الدنيا وأخلدوا إليها، واغتروا بها، (فشغلتهم بزخارفها العاجلة، ومواعيدها الباطلة، وهذا شأنها مع أهلها قاتلها الله تعالى، تغر وتضر وتمر)^(٦).

(وتعليق الظرف (اليوم) بفعل (نساهم) لإظهار أن حرمانهم من الرحمة كان في أشد أوقات احتياجهم إليها فكان في ذكر (اليوم) أثر في إثارة تحسرهم وندامتهم وهذا عذاب نفساني)^(٧). وفي الحديث أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟

(١) انظر جامع البيان ٤٧٤/١٢.

(٢) سورة الحاقة الآية: ٣٥ - ٣٧.

(٣) ذكرت فيما سبق أن الصفات الواردة في الكتاب والسنة منهج سلف الأمة من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان أهل السنة والجماعة إثباتها على حقيقتها من غير تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل ولا تكييف. انظر تفسير النسيان فيما سبق.

(٤) سورة الأعراف الآية: ٥١.

(٥) جامع البيان: ٤٧٤/١٢.

(٦) روح المعاني: ١٢٧/٨.

(٧) ابن عاشور: ١٤٨/٨.

ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول الله تعالى: فاليوم أنساك كما نسيتني^(١).

أخرج الإمام الطبري بسنده عن ابن عباس: ﴿فاليوم نساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ قال: نتركهم من الرحمة، كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا^(٢). وقد أعذر الله تعالى إليهم، بإرسال الرسل وإنزال الكتب، ومن أعظمها القرآن الكريم الذي فصل الله تعالى وبين فيه الحق والباطل على علم من الله تعالى كما قال ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ﴾^(٣).

وقال سبحانه: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾^(٤)، وقال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾^(٥)، فلو اتبعوه وآمنوا به لهدوا إلى صراطٍ مستقيم، ولرحمهم الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٦)، وقال سبحانه: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٧). فالله تعالى لا يعذب أحداً حتى يرسل الرسل ويقيم الحجة كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(٨)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٩) وقال هنا ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١٠). ﴿ولقد﴾: تأكيد للفعل ﴿جئناهم﴾ بلام القسم وقد.

والمراد بهذه الجملة: وضوح معنى ما عدوه كذباً ومحالاً من البعث والجزاء، ورسالة

- (١) الحديث سبق تخريجه.
- (٢) جامع البيان: ٤٧٦/١٢.
- (٣) سورة الأعراف من الآية: ٥٢.
- (٤) سورة الأنعام الآية: ١١٣.
- (٥) سورة هود الآية: ١.
- (٦) سورة الأعراف الآية: ٢٠٣.
- (٧) سورة الإسراء الآية: ٨٢.
- (٨) سورة النساء الآية: ١٦٥.
- (٩) سورة الإسراء الآية: ١٥.
- (١٠) سورة الأعراف الآية: ٥٢.

رسول من الله تعالى، ووحداية الله تعالى.

وتنكير (كتاب) وهو معروف قصد به تعظيم الكتاب.

وتنكير (علم) للتعظيم أيضاً أي عالمين أعظم العلم.

ووصفه بـ ﴿هدى ورحمة﴾ إشارة إلى قوة هديه الناس وجلب الرحمة لهم. والاختصاص في ﴿لقوم يؤمنون﴾ إشارة إلى أن المؤمنين هم الذين توصلوا للاهتداء به والرحمة، وأن من لم يؤمنوا قد حرموا الاهتداء والرحمة.

وفي قوله ﴿على علم﴾: على للاستعلاء تدل على التمكن من مجرورها ومعنى هذا التمكن أن علم الله ذاتي لا يعزب عنه شيء^(١).

ومع هذا البيان الشافي الكافي والحجة الدامغة والبرهان الساطع لكنهم لم يؤمنوا به، ولا انقادوا لأوامره ونواهيه، فلم يبق فيهم حيلة، إلا استحقاقتهم أن يحل بهم ما أخرج به القرآن^(٢).

(١) ابن عاشور: ١٤٩/٨ مع التصرف اليسير.

(٢) انظر تفسير السعدي: ١١٦/٢ - ١١٧.

الفصل الرابع: حوار الكافرين مع جلودهم

لا أحد أحب إليه الإعذار من الله تعالى، لذلك جعل على الإنسان شهداء يشهدون عليه بما عمل، وكل هذا ليعلم الإنسان أن الحكم الذي سيصدر بحقه ليس فيه حيف أو جور، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾^(٢) والله تعالى هو أعظم الشهداء. قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾^(٣)، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾^(٤)

وأول من يشهد الرسل قال تعالى: ﴿ونزعنا من كل أمة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٦) وتشهد الملائكة قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾^(٧). وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(٨). وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾^(٩)، ومن الأشهاد الأرض والليالي والأيام^(١٠).

(١) سورة غافر الآية: ٥١.

(٢) سورة الزمر الآية: ٦٩.

(٣) سورة يونس الآية: ٦١.

(٤) سورة النساء الآية: ٣٣.

(٥) سورة القصص الآية: ٧٥.

(٦) سورة النساء الآية: ٤١.

(٧) سورة ق الآية: ٢١.

(٨) سورة الانفطار الآية: ١٠ - ١٢.

(٩) سورة هود الآية: ١٨.

(١٠) عقد القرطبي في كتابه (التذكرة) لهذا الموضوع باباً وقال (باب ما جاء في شهادة الأرض والليالي والأيام) وقال في آخره: فتفكر يا أخي وإن كنت شاهداً عدلاً بأنك مشهود عليك في كل أحوالك من فعلك ومقالك وأعظم الشهود لديك المطلع عليك الذي لا تخف عليه خافية عين ولا يغيب عنه زمان ولا أين قال الله تعالى: ﴿ولا تعملون من عملٍ إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾ سورة يونس الآية ٦١ فاعمل عمل من يعلم أنه راجع إليه وقادم عليه يجازى على الصغير والكبير والقليل والكثير سبحانه لا إله إلا هو. اهـ منه ص ٢٨٨.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا، كذا وكذا فهذه أخبارها^(١).

فإذا ما أنكر الكافر شركه، ووجد ما عمله في الدنيا، ولجَّ في الخصومة لشدة وفضاعة ما يرى من عذاب جهنم ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاءوها..﴾ وأنكروا ما عملوه يريدون الخلاص والنجاة، وقع ما لم يكن في حسابهم، ولم يخطر على بالهم، ولم يتوقعوه أبداً؛ مشهد مثير للعجب، وذلك بأن يقيم الله تعالى عليهم شهوداً من أنفسهم، فإن إقرار الجوارح أبلغ في الإقرار من نطق اللسان^(٢)، فيختم الله تعالى على أفواههم - كما أخبر الله تعالى في القرآن الكريم وأخبر رسوله ﷺ - ختماً يمنعها عن الكلام، وتشهد عليهم أعضاؤهم فتكلم وتشهد بما فعلته كلاماً بنطق حقيقي قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٣) بل وتشهد عليهم ألسنتهم وأسماعهم وأبصارهم وجلودهم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥)، فيشهد كل عضو بما اقترف به من معصية، فيقول السمع سمعوا الحجج فأعرضوا عنها وسمعوا الشبه فاتبعوها، وسمعوا الفواحش فاستحسنوها.

ويقول البصر: رأيت آيات الله وما اعتبرت ونظرت فيما لا يجوز^(٦).

(١) رواه أحمد في المسند: ٤٩٥/٢ والترمذي كتاب صفة القيامة وفي كتاب التفسير: ٣٧٣/٥ حديث رقم ٣٣٥٣ والحاكم في المستدرک کتاب الأهوال: ٦٠٥/٤ والإمام البغوي في شرح السنة: ١١٧/١٥ حديث رقم ٤٣٠٨. قال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الإمام البغوي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) انظر الماوردي: ٢٨/٥، وابن الجوزي: ٣٢/٧.

(٣) سورة يس الآية: ٦٥.

(٤) سورة النور الآية: ٢٤.

(٥) سورة فصلت الآية: ٢٠.

(٦) انظر القرطبي: ٣٣٨/١٥، والقاسمي: ٥١٩٤/١٤.

وتشهد جلودهم عليهم بأنهم باشرُوا المعاصي، وتلذذوا بملاستها.

فيجب على العاقل أن يتنبه أنه لا يمر عليه حال إلا بملاحظة أن عليه شهوداً^(١):

بل ويشهد عليه فحذه ولحمه وعظامه، ففي حديث الرؤية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فيلقى العبد فيقول: أي فل^(٢)! ألم أكرمك، وأسودك^(٣)، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك^(٤) ترأس^(٥) وتربع^(٦)? فيقول: بلى. قال: فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقي الثاني فيقول: أي فل! ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى. أي رب! فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك. فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك ووصليت وصمت وتصدقت. ويثني بخير ما استطاع.

فيقول: ههنا إذا^(٧). قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه: من ذا الذي يشهد عليّ؟ فيختم على فيه. ويقال لفحذه ولحمه وعظامه: انطقي فتنطق فحذه ولحمه وعظامه بعمله. وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي سخط الله عليه^(٨).

(١) انظر الألويسي: ١١٧/٢٤.

(٢) (أي فل): منقوص من فلان كأنه قال: يا فلان قال الجوهري: حذفت الألف والنون بغير ترخيم، ولو كان ترخيماً لقال: يا فلا، وقال الأزهري: ليست ترخيم فلان ولكنها كلمة على حده. فبنو أسد يوقعونها على الواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد، وغيرهم يثني ويجمع ويؤنث اهـ. من جامع الأصول لابن الأثير: ٤٤٠/١٠.

(٣) (أسودك) سودت الرجل: إذا جعلته سيئاً في قومه اهـ من المصدر السابق.

(٤) أذرك: أي أتركك اهـ. من المصدر السابق.

(٥) (ترأس): التروؤس: التقدم على القوم وأن يصير رئيسهم اهـ من المصدر السابق ٤٣٨/١٠.

(٦) (تربع) قيل معناه: تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة وهو ربعها وقد روي (ترتع) بتاءين من التنعم والترتع يقال: رتعت الإبل، وأرتعها صاحبها: إذا كانت في موضع خصيب اهـ من المصدر السابق.

(٧) أي قف ها هنا حتى تشهد عليك جوارحك إذ قد صرت منكراً اهـ. من شرح مسلم للنووي ٨٢٤/٥.

(٨) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق حديث رقم ١٦.

وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: «يدعى الكافر والمنافق يوم القيامة للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحده ويقول: أي ربّ وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل، فيقول الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا فيقول: لا وعزتك أي رب ما عملته، فإذا فعل ذلك ختم على فيه وتكلمت أعضاؤه، ثم تلا ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾»^(١).

فإذا أقيمت عليه الحجة وأسقط في يده، وانقطع ولم يعد له أي مجال للإنكار والجحود عاد بالملامة على جوارحه وأركانها، ودار بينه وبينها الحوار التالي:

﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا﴾ يقولون ذلك: توبيخاً وتعجباً من هذا الأمر الغريب، يقولون: لم أقررتم علينا، وشهدتم بما فعلنا، وإنما كنا نجادل وندافع عنكم؟

ردت عليهم جلودهم - فسبحان من جعلها تستمر في النطق بعد أداء شهادتها على صاحبها - ﴿قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ فلا عجب من أمر الله، أليس هو الذي جعل الألسنة هي الناطقة؟ وإنه لقادر على أن يجعل سواها ينطق، وقد أنطق كل شيء، ﴿وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾ سبحان الله ما أنكروه غاية الإنكار من البعث بعد الموت تقرره عليهم جلودهم في غير موارد ولا مجاملة، فمن قدر على البدء لا تعجزه الإعادة.

(فليس نطقنا بعجب من قدرة الله، الذي أنطق كل شيء، فإن من قدر على خلقكم وإنشائكم أولاً، وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه ثانياً، لا يتعجب من إنطاقه لحوار حكم)^(٢).

وفي الحديث عن أنس بن مالك ؓ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: هل تدرون مم أضحك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب! ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى. قال: فيقول: فإني لا أجزى على نفسي إلا شاهداً مني. قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتين شهوداً. قال: فيختم

(١) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان: ١٧/٢٣ وابن أبي حاتم في تفسيره: ٣١٩٩/١٠ أثر رقم ١٨٠٩٨.

(٢) تفسير أبي السعود: ٢٢/٥.

على فيه. فيقال لأركاناه: انطقي. قال: فتنطق بأعماله. قال: ثم يُخلى بينه وبين الكلام. قال: فيقول: بعداً لكنَّ وسحقاً. فعنكن كنت أناضل»^(١). وفي الحديث عن بهز بن حكيم^(٢) عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «مالي أمسك بـحُجَزِكُمْ^(٣) من النار^(٤)؟ ألا إن ربي داعي وإنه سائلي هل بلغت عباده؟. وإني قائل رب قد بلغتهم، فيبلغ شاهدكم غائبكم، ثم إنكم مُدَّعون مقدمه أفواهكم بالفدام^(٥)»، ثم إن أول ما يبين عن أحدكم لفخذه وكفُّه^(٦).

فأول ما يشهد على الإنسان من أعضائه فخذه من الرجل الشمال، وفي الحديث عن عقبة^(٧) أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن أول عظم تكلم من الإنسان يوم يُختَم على الأفواه فخذه من الرجل الشمال»^(٨).

قال الماوردي: تقدم الفخذ بالكلام على سائر الأعضاء لأن لذة معاصيه يدرکها بجواسه التي في الشطر الأعلى من جسده وأقرب أعضاء الشطر الأسفل منها الفخذ فجاز لقربه منها أن يتقدم في الشهادة عليها، وتقدمت اليسرى لأن الشهوة في ميامن الأعضاء أقوى منها في مياسرها فلذلك تقدمت اليسرى على اليمنى لقلّة شهوتها^(٩).

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق. الحديث رقم ١٧.

(٣) بحجزكم: أصل الحُجزة: موضع شد الإزار، ثم قيل للإزار حجة للمجاورة، واحتجز الرجل بالإزار إذا شده على وسطه، فاستعاره للاعتصام والاتجاء والتمسك بالشيء والتعلق به اهـ. النهاية لابن الأثير ٣٤٤/١.

(٤) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: وضع المسبب موضع السبب لأن المراد أنه يمنعهم من الوقوع في المعاصي التي تكون سبباً لولوج النار. قال: وفيه استعارة مثل حالة منعه الأمة عن الهلاك بحالة رجل أخذ بحجة صاحبه الذي يكاد يهوي في مهواه مهلكه. اهـ من الفتوح: ٣١٨/١١ - ٣١٩.

(٥) الفدام: ما يشد على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب. أي أنهم يمنعون من الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم، فشبّه ذلك بالفدام. اهـ من ابن الأثير ٤٢١/٣.

(٦) رواه ابن جرير الطبري: انظر جامع البيان: ٤٥٣/٢١.

(٧) عقبة بن عامر الجهني الإمام المقرئ صاحب النبي ﷺ وكان عالماً مقرئاً فصيحاً فقيهاً، كان البريد إلى عمر بفتح دمشق ولي إمرة مصر وتوفي سنة ٥٨ هـ ترجمته في الاستيعاب ١٠٧٣/٣ سير الأعلام: ٤٦٧/٢.

(٨) أخرجه أحمد في المسند: ١٥١/٤ والطبراني في الكبير: ٤٥٣/٢١ وعبدالرزاق في التفسير: ١٨٥/٢ والنسائي في التفسير: ٢٦٠/٢ والحاكم: ٤٤٠/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٥٤/١: وإسناد أحمد والطبراني جيد.

(٩) الماوردي ٢٨/٥ - ٢٩ مع التصرف اليسير بالاختصار.

ورود في شهادة الألسن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فيجحد وخاصم فقيل له: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك، فيقول: كذبوا، فيقول: أهلك وعشيرتك، فيقول: كذبوا، فيقول: احلفوا فيحلفون، ثم يصمتهم الله وتشهد ألسنتهم، ثم يدخلهم النار^(١).

ورود أيضاً في شهادة الأيدي والأرجل ما يروى عن أبي أيوب أن رسول الله ﷺ قال: «أول ما يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تعيب لزوجها، وتشهد يده ورجلاه بما كان يوليها، ثم يدعي الرجل وخدمه، فمثل ذلك، ثم يدعى أهل الأسواق، وما يوجد ثم دوانيق ولا قراريط ولكن حسنات هذا تدفع إلى هذا الذي ظلم، وسيئات هذا الذي ظلمه توضع عليه، ثم يؤتى بالجبارين في مقام من حديد، فيقال: أوردوهم إلى النار، فوالله ما أدري يدخلونها أو كما قال الله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً^(٢).

ويختتم هذا الحوار بقول الله تعالى للكافرين توبيخاً، وتقريعاً لهم، وتقريراً لشهادة الجلود: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنْنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣).

فقد كان هؤلاء المجرمون يستترون عند الإقدام على الفواحش بالحيطان، والحجب، وظلمة الليل.. إلا أن استتارهم ما كان لأجل خوفهم أن يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم، وذلك لأنهم كانوا منكرين للبعث والحساب والجزاء، ولكن ذلك الاستتار لأجل

(١) رواه الحاكم في المستدرک: ٦٤٨/٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي

بقوله: صحيح على شرط مسلم، وذكره كذلك ابن كثير في النهاية: ١٢٣/٢.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٥٢/١٠، وعزاه إلى الطبراني، وفيه عبد الله بن عبد العزيز الليثي وهو ضعيف، وقد وثقه سعيد بن منصور، وقال: كان مالك يرضاه، وبقية رجاله رجال الصحيح اه كلامه.

(٣) سورة فصلت الآية: ٢٢ - ٢٣.

أنهم كانوا يظنون أن الله لا يعلم الأعمال التي يقدمون عليها على سبيل الاستتار^(١).

وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي - أو ثقفيان وقرشي - كثيرة شحم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا^(٢). فأنزل الله عز وجل ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾^(٣).

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: معنى ذلك: وما كنتم تستخفون، فتركوا ركوب محارم الله في الدنيا حذراً أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم اليوم^(٤).

ولكن حسبتم حين ركبتم في الدنيا ما ركبتم من معاصي الله، أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون من أعمالكم الخبيثة، فلذلك لم تستروا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم، فتركوا ركوب ما حرم الله عليكم^(٥).

قال قتادة رحمه الله تعالى: والله يا ابن آدم إن عليك لشهوداً غير متهمه من بدنك، فراقبهم واتق الله في سر أمرك وعلانيتك، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن ليفعل ولا قوة إلا بالله^(٦). لذلك فإنه (لا يستقر للعبد قدم في المعرفة ولا في الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله، ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه، فالإيمان بالصفات وتعرفها: هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمره شجرة الإحسان... وقد جعل الله سبحانه

(١) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي: ١٠١/٧.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: لأن نسبة جميع المسموعات إليه واحدة فالتخصيص تحكم، وهذا يشعر بأن قائل ذلك كان أظن أصحابه، وأخلق به ان يكون الأحنس بن شريق لأنه أسلم بعد ذلك، وكذا صفوان بن أمية. اهـ من الفتح: ٥٦٢/٨ - ٥٦٣.

(٣) صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة فصلت باب ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم﴾. حديث رقم ٤٨١٧.

(٤) جامع البيان: ٤٥٥/٢١. وقال: فإن قيل وكيف يستخفي عن نفسه مما يأتي؟ قيل: قد بينا أن معنى ذلك إنما هو الأمانى وفي تركه إتيانه - أي الأمانى - إخفاؤه عن نفسه.

(٥) جامع البيان: ٤٥٣/٢١ - ٤٥٤.

(٦) رواه الطبري: ٤٥٣/٢١.

منكر صفاته مسيء الظن به، وتوعده بما لم يتوعد به غيره من أهل الشرك والكفر والكبائر فقال تعالى ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم﴾ فأخبر سبحانه أن إنكارهم هذه الصفة من صفاته من سوء ظنهم به، وأنه هو الذي أهلكتهم، وقد قال في الظانين به ظن السوء ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١) ولم يجيء مثل هذا الوعيد في غير من ظن السوء به سبحانه^(٢).

فمن ظن بالله تعالى ظن سوء هلك، قال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾^(٣).

(وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله، وعرف أسماءه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمه، ولو فتشت من فتشته، لرأيت عنده تعبتاً على القدر وملازمة له، واقتراحاً عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك:

فإن تنج منها تنج من ذي عظمة وإلا فإني لا أخالك ناجياً

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله، وليستغفره كل وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظن السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء، ومنبع كل شر^(٤).

(وعن معمر قال: تلا الحسن: ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم﴾ فقال: إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم: فأما المؤمن فأحسن بالله الظن، فأحسن العمل، وأما

(١) سورة الفتح الآية: ٦.

(٢) مدارج السالكين: ٣/٣٤٧.

(٣) آل عمران الآية: ١٥٤.

عقد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى باباً في كتابه (كتاب التوحيد) بعنوان قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الآية.

وقال ابن قاسم رحمه الله تعالى في حاشيته على كتاب التوحيد ص ٣٥٨: أراد رحمه الله بهذه الترجمة التنبيه على وجوب حسن الظن بالله، وأنه من واجبات التوحيد.

(٤) زاد المعاد ٣/٢٢٩، و ٣/٢٣٥.

الكافر والمنافق، فأساء الظن، فأساء العمل، قال ربكم: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم...﴾ حتى بلغ ﴿الخاسرين﴾^(١).

﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾^(٢)

فإن جهنم هي مسكنهم الدائم، ومنزلهم الأبدي لا محيد لهم عنها، سواء صبروا أول لم يصبروا، وإن أبدوا أعذاراً فغير مقبولة، وإن طلبوا العتبي فما هم من المعتبين المرضي عنهم بل قد أغلق الباب في وجه العتاب وغضب الله تعالى عليهم، وهذا تئيس لهم من النجاة والخلص.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: سواء عليهم صبروا أم لم يصبروا هم في النار لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها، وإن طلبوا أن يستعتبوا ويبدوا أعذاراً فما لهم أعذار ولا تقال لهم عثرات^(٣).

فقد أقام الله عليهم شهوداً لا طعن في شهادتهم ولا مظنة في تحاملهم، وإذا كان الأمر كذلك فليحذر العاقل أن يستعمل هذه الأعضاء في معصية ربه فإنهم سيكونون ضده في يوم القيامة، يحذر يده أن يبطش بها إلا ما يسوغ له في الشرع، ويحذر رجله فلا يمشي بها إلا فيما ينبغي، ويحذر سمعه فلا يسمع به إلا ما يحل سماعه، ويحذر بصره فلا يبصر به إلا ما أبيح له، ويحذر جلده أن يمسه ما لا يحل له مسه ليأتي يوم القيامة طاهراً نقياً آمناً.

(١) جامع البيان: ٤٥٣/٢١ - ٤٥٤.

(٢) سورة فصلت الآية: ٢٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٩٨/٤.

وقفات مع آية الحوار:

الوقفة الأولى:

قال شكري محمد عياد^(١): ويعد من التجريد^(٢) وصف شهادة الجلود والأسماع والأبصار على الكافرين ومقاولتها إياهم^(٣). اهـ.

والمعنى أن هذه المحاوره وما شابهها ليست من الحقيقة في شيء بل هي من باب المجاز والتخييل.

والرد على هذا القول ملخصه في الآتي:

أولاً: لو فتح هذا الباب وقُبل، فقد فتحنا على الشريعة باباً مشعوماً، دخل منه أعداء الحق من المنافقين والزنادقة الملحدين، والأغمار الجاهلين، فأوقعوا بالإسلام وأهله شر إيقاع وأفسدوا عليهم دينهم الصحيح، وعقيدتهم الحق وإيمانهم الخالص المتين بكتاب ربهم المبين، ولبسوا عليهم الحق بالباطل والهدى بالضلال، والخير بالشر^(٤).

إذ لو حملنا كل وصف للأخرة وكل اسم لشيء فيها على المجاز، لم تبق لنا حقيقة نؤمن بها مما أخبر الله تعالى به في كتابه العظيم أو في سنة نبيه الأمين ﷺ^(٥).

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: فكل كلام كان عاماً ظاهراً في سنة رسول الله ﷺ فهو على ظهوره وعمومه، حتى يعلم حديث ثابت عن رسول الله ﷺ - بأبي هو وأمي - يدل على أنه إنما أريد بالجملة العامة في الظاهر بعض الجملة دون بعض^(٦).

وقال الإمام ابن عبد البر^(٧) رحمه الله تعالى: ... ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته

(١) شكري محمد عياد: باحث مصري معاصر من أنصار مدرسة (التفسير الأدبي).

(٢) التجريد هو: أن يجرد المتكلم من نفسه شخصاً آخر يخاطبه؛ أو هو تنزيل الجماد منزلة الحي اهـ. من (وصف القرآن ليوم الدين) لشكري عياد ص ٩٥ وانظر (من بلاغة القرآن) لأحمد بدوي ص ٢٢١.

(٣) من كتاب (من وصف القرآن يوم الدين والحساب) ص ٩٦.

(٤) (دعوة الرسل) للعدوي مع التصرف بالاختصار.

(٥) انظر: (الاتجاهات السنية والمعتزلية في تأويل القرآن) للتهامي نقره ص ٢٣١-٢٣٢.

(٦) (الرسالة) للإمام الشافعي ص ٣٤١ مع التصرف بالاختصار.

(٧) ابن عبد البر المالكي: حافظ المغرب شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري الأندلسي القرطبي ولد سنة ٣٦٨ هـ طلب العلم، وأدرك الكبار، وطال عمره وعلا سنده، عالم بالقراءات

حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى إتباع ما أنزل علينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله تعالى إلى الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات، وجلّ الله عز وجل أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين^(١).

وقال ابن المنير الإسكندري رحمه الله تعالى: ولو فتح باب التأويل والمجاز في أحوال المعاد، لتطوح الذي يسلك ذلك إلى وادي الضلالة والتحيز إلى فرق الفلاسفة، والحق أنا متعبدون بالظاهر..^(٢) اهـ.

بل إن القول بالمجاز في مثل هذه المحاورة وأشباهاها يلزم منه محاذير عدة ذكر شيخ الإسلام جملة منها فقال رحمه الله تعالى: إن كان الحق فيما يقوله هؤلاء النفاة الذين لا يوجد ما يقولونه في الكتاب والسنة وكلام القرون الثلاثة المعظمة على سائر القرون، ولا في كلام أحد من أئمة الإسلام المقتدى بهم، بل ما في الكتاب والسنة، وكلام السلف الصالح، والأئمة يوجد دالاً على خلاف الحق عندهم، إما نصاً، وإما ظاهراً؛ بل دالاً عندهم على الكفر والضلال لزم من ذلك لوازم باطلة منها:

- أن يكون الله سبحانه قد أنزل في كتابه وسنة نبيه ﷺ من هذه الألفاظ ما يضلهم ظاهره ويوقعهم في التشبيه والتمثيل.

- ومنها أن يكون قد أنزل بيان الحق والصواب ولم يفصح به، بل رمز إليه رمزاً وألغزه إلغازاً، لا يفهم إلا بعد الجهد الجهد.

- ومنها يكون قد كلف عباده: أن لا يفهموا من تلك الألفاظ حقائقها وظواهرها، وكلفهم أن يفهموا منها ما لا تدل عليه ولم يجعل معها قرينة تفهم ذلك.

= وبالخلافاً، وبعلم الحديث والرجال، وعلم الفقه، والنسب والأخبار، قال الذهبي: ممن بلغ رتبة الأئمة المجتهدين. توفي سنة ٤٦٣ هـ من آثاره: (الاستذكار لمذهب علماء الأمصار..). (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) (الإستيعاب في أسماء الصحابة) ترجمته في: تذكرة الحفاظ: ١١٢٨/٣. سير الأعلام: ١٥٣/١٨.

(١) التمهيد: ١٣١/٧.

(٢) الانتصاف حاشية على الكشاف لابن المنير ٢٦٧/٣.

- ومنها أن يكون أفضل الأمة وخير القرون قد أمسكوا من أولهم إلى آخرهم، عن قول الحق في هذا الشأن العظيم الذي هو من أهم أصول الإيمان، وذلك إما جهل ينافي العلم، وإما كتمان ينافي البيان، ولقد أساء الظن بخيار الأمة من نسبهم إلى ذلك، ومعلوم أنه إذا ازدوج التكلم بالباطل والسكوت عن بيان الحق، تولد من بينهما جهل الحق وإضلال الخلق، ولهذا لما اعتقد النفاة التعطيل، صاروا يأتون من العبارات، بما يدل على التعطيل والنفي نصاً وظاهراً، ولا يتكلمون بما يدل على حقيقة الإثبات لا نصاً ولا ظاهراً، وإذا ورد عليهم من النصوص ما هو صريح أو ظاهر في الإثبات حرفوه أنواع التحريفات وطلبوا له مستكره التأويلات.

- ومنها التزموا لذلك تجهيل السلف، وأنهم كانوا أميين مقبلين على الزهد والعبادة والورع والتسبيح وقيام الليل ولم تكن الحقائق من شأنهم.

- ومنها أن ترك الناس هذه النصوص كان أنفع لهم وأقرب إلى الصواب، فإنهم ما استفادوا بنزولها غير التعرض للضلال ولم يستفيدوا منها يقيناً ولا علماً بما يجب لله، ويمتنع عليه إذ ذاك، وإنما استفاد من عقول الرجال وآرائها^(١).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: الواجب حمل كلام الله تعالى وكلام رسوله وحمل كلام المكلف على ظاهره الذي هو ظاهره، وهو الذي يقصد من اللفظ عند التخاطب، ولا يتم التفهيم والفهم إلا بذلك، ومدعي غير ذلك على المتكلم القاصد للبيان والتفهيم كاذب عليه^(٢).

وهذا هو التحقيق الذي يمثل الحق الذي يجب إتباعه، قال العلامة الشنقيطي^(٣) رحمه الله تعالى: التحقيق الذي لا شك فيه، وهو الذي عليه أصحاب رسول الله ﷺ وعامة المسلمين: أنه

(١) الصواعق المرسله ١ / ٣١٤ - ٣١٦. مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٢) (إعلام الموقعين): ١٠٨/٣ - ١٠٩.

(٣) العلامة المحقق الأصولي المتبحر شيخ المفسرين في عصره، له اليد الطولى في الفقه والحديث واللغة والأدب والبلاغة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني يرجع نسبهم إلى حمير ولد سنة ١٣٢٥هـ بشنقيط حفظ القرآن وعمره عشر سنين ثم درس علوم القرآن والعربية بفروعها فالفقه المالكي حتى برع في كل ذلك وغيره على أيدي كبار علماء شنقيط ولم يخرج من بلاده حتى علا قدره وعظم تقديره، وكان علماً من أعلامها خرج لأداء فريضة الحج فطاب له المقام بالحرمين فأقام علماً ينتفع منه الخاصة والعامة حتى وافاه الأجل المحتوم في ضحى يوم الخميس ١٧/١٢/١٣٩٣هـ

لا يجوز العدول عن ظاهر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في حال من الأحوال بوجه من الوجوه حتى يقوم دليل صحيح شرعي صارف عن الظاهر إلى المحتمل المرجوح^(١).

وقال أيضاً رحمه الله تعالى: فقد أجمع جميع المسلمين على أن العمل بالظاهر واجب حتى يرد دليل شرعي صارف عنه، إلى المحتمل المرجوح، وعلى هذا كل من تكلم في الأصول^(٢).

ثانياً: إن منهج أهل الحق من سلف الأمة وأئمتها في نصوص الوحي أعدل منهج وأعلمه وأسلمه وأحكمه، فإنهم يؤمنون بالله وبكل ما جاء عن الله على مراد الله، ويؤمنون برسوله ﷺ وبما جاء عنه على مراده ﷺ وطريقتهم في ذلك إمرار النصوص على ظاهرها، والإيمان بأن المعنى الذي دلّ عليه ظاهرها هو الذي أراد الله من فهمه، ولو أراد منها خلاف ذلك لبينه لنا أو لبينه رسوله ﷺ^(٣).

وعليه فإن شهادة الجلود والألسنة والأيدي والأرجل شهادة بنطق مسموع وكذلك تحاورها مع أصحابها، إذ هو الذي نطقت به الآية وصرحت به، وهو ما تؤيده النصوص الكثيرة من كتاب وسنة وليس في هذا الحوار ما يستغرب أو يستنكر، إلا عند من لم يقدر ربه حق قدره في عظيم قدرته وإرادته فإنه الفعال لما يريد الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون. وهو القادر سبحانه على إنطاق من شاء من مخلوقاته بما يشاء، وكيفما يشاء فقد أنطق الجبال والطير بالتسبيح مع داود عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارَ لَهَا الْحَمْدُ﴾^(٤). وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ

= وكانت وفاته بمكة المكرمة. من آثاره: (أدب البحث والمناظرة)، (دفع إيهام الإضطراب عن أي الكتاب)، (مذكرة الأصول على روضة الناظر) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٤٦/٣ الإعلام للزركلي: ٤٥/٦ وله ترجمة شيقة حافلة ملحقة بآخر الجزء العاشر من أضواء البيان. وقد كتبت عنه وعن منهجه في التفسير والأصول عدة رسائل منها رسالة الماجستير للشيخ / عبدالرحمن السديس.

(١) (أضواء البيان): ٤٣٨/٧.

(٢) المصدر السابق: ٤٤٣/٧.

(٣) انظر: مختصر الصواعق المرسله ٢/٢٨٦، وشرح الطحاوية ص ١٥٧، ومنع جواز المحاز ص ٥٣ والقواعد المثلى لابن عثيمين ص ٣٣.

(٤) سورة سبأ الآية: ١٠.

يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَشْرَاقِ ﴿١﴾. وغيرها كثير من النصوص في الكتاب والسنة كحديث: «احتجت النار والجنة..» (٢).

هذا في الآخرة وهو غيظ من فيض، وأما في الدنيا ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، وتخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده» (٣).

وكحديث تسييح الطعام وهو يؤكل (٤)، وحين الجذع الذي كان يخطب عليه النبي ﷺ (٥). وتكلم البقرة والذئب (٦) وغيرها.

والمراد (أن كلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ حملة على الحقيقة أولى بذوي الفضل والدين؛ لأنه يقص الحق كما أخبر الله تعالى في كتابه.. ولو خاطبنا الله تعالى بالمجاز لزم وصفه بأنه متجاوز فإن العدول عن الحقيقة إلى المجاز يقتضي العجز عن الحقيقة وهو على الله تعالى محال.

وما كان من هذه النصوص ومثلها فهو حقيقة، وأن خالقها الذي أنطق كل شيء أنطقها) (٧).

(فالإنطاق فعل الله الذي لا يجوز تعطيله، والنطق فعل الجوارح الذي لا يمكن إنكاره كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ (٨).

فعلم أن كونهم ينطقون هو أمر حقيقي حتى شبه به في تحقيق كون ما أخبر به، وأن هذه حقيقة لا مجاز، ومن جعل إضافة نطق العبد إليه مجازاً، لم يكن ناطقاً عنده حقيقة فلا

(١) سورة ص الآية: ١٨.

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة المائدة ١٧٣/٦ ومسلم في كتاب الجنة ٢١٨٦/٤.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الفتن وأحمد في المسند ٨٤/٣، وقال الترمذي وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حديث حسن غريب.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ١٧١/٤.

(٥) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ١٧٣/٤.

(٦) الحديثان أخرجهما الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء باب ١٤٩/٤٥٤.

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١/١١ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٨) سورة الذاريات الآية: ٢٣.

يكون التشبيه بنطقه محققاً لما أخبر به فتأمله^(١).

الوقف الثانية:

من بدع التفاسير: أن شهادة الجوارح كناية عن ظهور أثر المعاصي عليها، بأن يظهر الله تعالى عليها علامات دالة على ما كانت تعمله في الدنيا، ككتانة فروج الزناة مثلاً^(٢).

قال الغماري^(٣) - بعد أن عدّ ذلك من بدع التفاسير -

وهذا التأويل باطل لوجوه:

أحدها: أنه مجاز، وهو خلاف الأصل.

ثانيها: أن الآية تتحدث عن الآخرة، وما كان من هذا القبيل يمتنع حمله على المجاز^(٤).

(١) شفاء العليل للعلامة ابن القيم ص ١٣٤ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٢) انظر (محاسن التأويل) للقاسمي: ٥١٩٤/١٤.

(٣) الغماري: هو عبداً لله بن محمد بن الصديق الغماري معاصر، فقيه، صوفي ولد سنة ١٣٢٨هـ بطنجة ودرس في فاس ثم دخل القرويين وتخرج بالأزهر توفي سنة ١٤١٥هـ من مصنفاته: (الإعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام) و (حسن التلطف في بيان وجوب التصوف) و (المعارف الذوقية في أذكار الطريقة الصديقية) ترجمته في: تكملة معجم المؤلفين ص ٣٤٩ وترجم لنفسه في بدع التفاسير.

(٤) لماذا خص ما تحدث عن أمور الآخرة بامتناع حمله على المجاز ؟ .

من المعلوم أن مسلك الأشاعرة في التعامل مع النصوص الثقلية والاستدلال بها تقديم الجانب العقلي على الجانب النقلية (السمعي) واعتبار العقل هو الأساس لإثبات مسائل العقيدة. وأما النقل فإن وافق العقل قبل وإن خالفه رد أو أول بما يوافق العقل، وقد أسسوا نظريتهم هذه على أساس أن الأدلة الثقلية لا تنفيذ اليقين، وأما العقل فدلالته قطعية.

انظر البيهقي وموقفه من الإلهيات ص ٨٥. ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ٣٦٧/١٠. والارشاد ص ٣٠١ - ٣٠٢. والمستصفي: ١٣٧/٢ - ١٣٨. وأساس التقديس ص ٢٢٠. ولهم تقسيم لأصول العقيدة بحسب مصدر التلقي على النحو التالي:

١- قسم مصدره العقل وحده. ومنه باب الصفات.

٢- قسم مصدره النقل وحده. وهو باب المغيبات - وعليه نفهم قول الغماري: وما كان من هذا القبيل يمتنع حمله على المجاز.

٣- قسم مصدره العقل والنقل كالرؤية - مع ملاحظة أن النقل هنا مؤيد ومعاضد للعقل -

انظر: مختصر الصواعق للرازي: ٢٥٢/١ - ٢٥٦، ومنهج الأشاعرة في العقيدة ص ٥٤-٥٥

وقد رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه العظيم (درء تعارض العقل والنقل) من أربعة وأربعين وجهاً اشتمل عليها كتابه هذا المطبوع في عشرة أجزاء. انظر: ٧٨/١، ٨٧ منه اهـ بواسطة المسائل الاعتزالية: ٩٠٤/٢.

ثالثها: أن بقية الآية تدل على أن النطق حقيقي ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾، أبعد هذه المراجعة الصريحة بين الكفار وأعضائهم، يقال للشهادة: كناية.

رابعها: أن قوله تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ يفيد أن كلام أعضائهم يكون بعد ختم أفواههم ومنعها من النطق، كما سيأتي بعده.

خامسها: أن الحديث الصحيح صرح بأن نطق الجوارح حقيقة، ففي صحيح مسلم^(١) عن أنس ؓ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه. قال: «أتدرون مم أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه، فيقول: يا رب ألم تجرنى من الظلم؟ قال: بلى، فيقول: فإني لا أجزى اليوم^(٢) على نفسي شاهداً إلا مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، والكرام الكاتين شهوداً، قال: فيختم على فيه، ويقال لأركانه: انطقي، فتنتطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لكن وسحقاً، فعنكن كنت أناضل^(٣)» اهـ منه^(٤).

الوقفة الثالثة:

وردت شهادة الجوارح في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواطن وهي على حسب ترتيب المصحف:

الأول: آية سورة النور قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥).

الثاني: آية سورة يس قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ

(١) صحيح مسلم كتاب الزهد، حديث رقم ٢٩٦٩.

(٢) (لا أجزى اليوم): أي لا أمضي ولا أقبل علي شاهداً. اهـ من جامع الأصول لابن الأثير: ٤٥٨/١.

(٣) (المناضلة) النضال في السهام: أي ترمي أنت ورامٍ آخر، يطلب كل منكما غلبة صاحبه، والمراد به هنا: المجادلة والمخاصمة. اهـ من المصدر السابق.

(٤) من (بدع التفاسير) للغماري ص ١٢١ - ١٢٢.

(٥) سورة النور الآية: ٢٤.

أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾

الثالث: آية سورة فصلت قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ
وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢).

ويحمل ذلك - أي تكرر ورود شهادة الجوارح - على تعدد المواطن واختلاف
المواقف يوم القيامة، وأيضاً اختلاف الأشخاص، فأية سورة النور في موقف السؤال والحساب
الذي يترتب عليه الجزاء هذا ما يدل عليه لحاق الآية وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِيهِمُ اللَّهُ
دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي جزاهم الحق (٣).

وأما آية يس وفصلت فهما عند مجيئهم إلى النار، وهذا ما يدل عليه سباق الآيتين (٤)،
وهو قوله في آية يس ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * أَصْلُوهَا الْيَوْمَ * بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * الْيَوْمَ
نُخْتَمُ...﴾، وقوله في آية فصلت ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا...﴾ أي نار جهنم ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ...﴾
الآية.

الوقفة الرابعة:

في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتَمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ...﴾ نسب
الله تعالى الكلام إلى اليد والشهادة إلى الرجل، لأنه والله تعالى أعلم لما كانت اليد مباشرة
والرجل حاضرة، وقول الحاضر على غيره شهادة، وقول الفاعل على نفسه ليس بشهادة، بل
إقرار بما فعل. فاليد اختصت بمباشرة الأعمال حتى نسب العمل إليها كما في كثير من الآيات
كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ...﴾ (٥)، وقوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ

(١) سورة يس الآية: ٦٥.

(٢) سورة فصلت الآية: ٢٠.

(٣) قال النحاس: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ الحق نعتاً لدينهم والمعنى حسن لأن الله جل وعز قد
ذكر المسيئين فأعلم أنه يجازيهم بالحق كما قال جل وعز ﴿وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكَافِرِينَ﴾ لأن مجازاة الله
جل وعز للكافر والمسيء بالحق والعدل ومجازاته للمحسنين بالفضل والإحسان والزيادة اهـ من
معاني القرآن: ٢٣٧/٢ انظر: الزجاج ٣٧/٤.

(٤) انظر: الألوسي ٤٢/٢٣.

(٥) سورة النبأ الآية: ٤٠.

وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ^(١)، وقوله ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾^(٢)، وقوله ﴿وَمَا عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾^(٣)، وقوله ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٤).

فغالب الأفعال بالأيدي ولا كذلك الرجل فإنه ليس من عملها إلا المشي فكانت الشهادة أنسب بها لما أنها لم تضاف إليها الأعمال فكانت كالأجنبية، وكان التكليم أنسب باليد لكثرة مباشرتها الأعمال وإضافتها إليها فكانت هي العاملة^(٥).

الوقفه الخامسة: لا معارضة بين قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ...﴾^(٦)، وبين قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٧) إذ الجمع بينهما ممكن من وجهين^(٨):

الوجه الأول: اختلاف المواقف والأشخاص - كما قدمنا في الوقفة الثالثة - فيوم القيامة يوم طويل، مقداره خمسون ألف سنة، فالأحوال فيه متغيرة، والمواطن متعددة^(٩)...
الوجه الثاني: أن المراد بالختم على الأفواه - والله أعلم - منعهم من الكلام باختيارهم^(١٠).

ولا مانع بعد ذلك لقدرة الله تعالى أن ينطق الألسنة بغير اختيار أصحابها فتشهد على أصحابها، كما أنطق الأيدي والأرجل والجلود بغير اختيار أصحابها^(١١).

(١) سورة الروم الآية: ٤١.

(٢) سورة الشورى الآية: ٣٠.

(٣) سورة يس الآية: ٣٥.

(٤) سورة البقرة الآية: ١٩٥.

(٥) انظر تفسير الماوردي: ٢٩/٥ ؛ انموذج جليل ص ٤٢٥ ؛ الروض الريان ٣٥٤/٢.

(٦) سورة يس الآية: ٦٥.

(٧) سورة النور الآية: ٢٤.

(٨) انظر: الألوسي ٤٢/٢٣.

(٩) ابن الجوزي ٢٦/٦.

(١٠) انظر: ملاك التأويل ٣٢٤/١.

(١١) انظر تفسير ابن عادل الحنبلي المسمى اللباب في علوم الكتاب ج ٣ ص ٤٤٧ مخطوط ميكروفيلم رقم

وقال الشريف الرضي: فأما شهادة الألسن فقد قيل إن المراد بها إقرارهم على نفوسهم بما واقعوه من المعاصي، إذ علموا أن الكذب لا ينفعهم، والجحود لا يغني عنهم. وذلك ليس بمناقض لقوله سبحانه ﴿اليوم نختم على أفواههم...﴾ لأنه قد قيل في ذلك أنه جائز أن تخرج ألسنتهم من أفواههم، فتتطرق بمجردهما، من غير اتصال بجوزاتها ولهواتها، فيكون ذلك أعجب لها، وأبلغ في شهادتها، ويختتم في تلك الحال على أفواههم^(١).

قال الخفاجي: ويجوز أن تكون الشهادة في حق الرامين والختم في حق الكفرة، وكأنه لما كانت هذه الآية في حق القاذف بلسانه وهو مطالب معه بأربعة شهداء ذكر فيها خمسة أيضاً وهي اليدان والرجلان واللسان وصرح باللسان الذي به عمله ليفضحه جزاء له من جنس عمله^(٢).

الوقفه السادسة:

استدل بقول الله تعالى: ﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم...﴾ على مسائل:

الأولى: الرد على زعم الجهمية إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان. قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى في الرد عليهم: (وأما قولهم إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان فنقول: أليس قال الله للسموات والأرض ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٣). أتراها قالت: بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات؟ وقال ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن﴾^(٤). أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين.

والجوارح إذا شهدت على الكفار فقالوا: ﴿لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٥). أتراها نطقت بجوف وفم ولسان؟! ولكن الله أنطقها كيف

(١) (تلخيص البيان) للشريف ص ٢٤٤.

(٢) قال الألوسي: قاله الخفاجي، وقال إنها نكتة سرية والله أعلم بأسرار كتابه !!! اهـ من روح المعاني: ٤٢/٢٣.

(٣) سورة فصلت الآية: ١١ .

(٤) سورة الأنبياء الآية: ٧٩.

(٥) سورة فصلت الآية: ٢١

شاء وكذلك الله تكلم كيف شاء، من غير أن نقول بجوف ولا فم ولا لسان ولا شفيتين»^(١).

الثانية: استدلال بالآية على تكليف الكفار بالفروع^(٢).

قال الألوسي: والآية كالظاهرة في تكليف الكفار بالفروع إذ لو لم يكونوا مكلفين بها لما كان هناك فائدة في شهادة الأعضاء مما لا يكاد يلتفت إليه، بل ربما يدعى تخصيصه بما سوى الكفر بناءً على أنه من أفعال القلب دون الأعضاء التي تشهد، لكن الذي يترجح في نظري العموم^(٣).

الثالثة: استدلال بالآية أيضاً على أن الحشر يكون بأجزاء البدن الأصلية لا ببدن آخر ليس فيه الأجزاء الأصلية للبدن الذي كان في الدنيا إذ أركان ذلك البدن لم تكن الأعمال السيئة معمولة بها فلا يحسن الشهادة بها منها. اهـ^(٤).

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: قالت الزنادقة فما بال جلودهم التي عصت قد أحرقت وأبدلهم جلوداً غيرها فلا نرى إلا أن الله يعذب جلوداً لم تذنّب حين يقول ﴿بَدَلْنَاَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾^(٥) فشكوا في القرآن وزعموا أنه متناقض. فقلت: إن قول الله ﴿بَدَلْنَاَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ تبديلها بتجديدها لأن جلودهم إذا نضجت جردها الله، وذلك لأن القرآن فيه خاص وعمام ووجوه كثيرة وخواطر يعلمها العلماء^(٦) اهـ.

وقال الإمام الأخصش: فإن قال قائل: أليس إنما تعذب الجلود التي عصت فكيف يقول غيرها؟ قلت: إن العرب قد تقول: أصوغ خاتماً غير ذا، فيكسره ثم يصوغه صياغة أخرى، فهو الأول، إلا أن الصياغة تغيرت^(٧).

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص ٤٧.

(٢) هذه مسألة خلافية سبق القول فيها في فصل (حوار المؤمنين مع الكافرين) من الباب الثاني.

(٣) الألوسي ٤٤/٢١.

(٤) المصدر السابق: ٢٣/٢٤.

(٥) سورة النساء الآية: ٥٦.

(٦) (الرد على الجهمية والزنادقة) ص ١٤.

(٧) (معاني القرآن): ١/٢٤١.

وقال أيضاً: ﴿بدلناهم جلوداً غيرها﴾ يعني غيرها في النضج، لأن الله عز وجل يجدها فيكون أشد للعذاب عليهم، وهي تلك الجلود بعينها التي عصت الله تعالى، ولكن أذهب عنها النضج، كما يقول الرجل للرجل: أنت اليوم غيرك أمس، وهو ذلك بعينه إلا أنه نقص منه شيء أو زاد فيه^(١).

الرابعة: واستدل بالآية على تفوق السمع على البصر وموضع الشاهد في الآية قوله تعالى: ﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم...﴾ الآية فقدم السمع على البصر وهذا يكاد أن يكون أمراً مضطرباً في كتاب الله تعالى سواء عندما يذكرهما في معرض الإمتنان بهما على خلقه في مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣).

أو في معرض التهديد والتخويف ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير﴾^(٤).

أو معرض ذكرهما على أنهما من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٥) وغير ذلك من المواطن الكثيرة في كتاب الله تعالى التي يطول ذكرها^(٦).

ف (هذا إعجاز في القرآن.. لقد فضل الله سبحانه وتعالى السمع على البصر لأنه أول عضو يؤدي وظيفته في الدنيا فالطفل ساعة الولادة يسمع ولكن العين لا تؤدي مهمتها لحظة مجيء الطفل إلى الدنيا.. وإذا نام الإنسان فإن كل شيء يسكن فيه إلا سمعه... فإذا أحدثت ضحيجاً بجانب أذنه فإنه يقوم من نومه فرعاً... هذه الثانية... أما الثالثة فهي أن الأذن هي

(١) المصدر السابق: ٣٠٣/٢.

(٢) سورة السجدة الآية: ٨.

(٣) سورة النحل الآية: ٧٨.

(٤) سورة البقرة الآية: ١٩.

(٥) سورة الشورى الآية: ١١.

(٦) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٣٥٨ - ٣٦٠.

الصلة بين الإنسان والدينا... الله سبحانه وتعالى حين أراد أن يجعل أهل الكهف ينامون مئات السنين قال: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾^(١) ومن هنا عندما تعطل السمع استطاعوا النوم مئات السنين دون أي ازعاج.. ذلك أن ضجيج الحركة في النهار يمنع الإنسان من النوم العميق.. وهي أداة الاستدعاء في الآخرة.. والآذان مفضلة على العين لأنها لا تنام.. والشيء الذي لا ينام أرقى في الخلق من الشيء الذي ينام.. فهي تعمل منذ الدقيقة الأولى للحياة.. بينما باقي أعضاء الجسم بعضها ينتظر أياماً.. وبعضها ينتظر سنوات.. والعين تحتاج إلى نور حتى ترى.. لكن الآذان تؤدي مهمتها في الضوء والظلام...^(٢).

بالإضافة إلى أن السمع لا يحجبه شيء لا جدار ولا مسافة - الأمر نسبي - سواء مستقبلاً أو مستديراً فهو يتلقى الأصوات في آن واحد من أي جهة تحيط به، أما الرؤية فإنه لا يرى إلا إذا كان متجهاً اتجاهها واحداً (كما أن فقدان البصر مصاب جلل عند الإنسان، ولكن على الرغم من ذلك فإن الأعمى يبقى على اتصال بالجماعة التي يعيش بينها بفضل حاسة السمع. أما فاقد السمع فإن صلته بالجماعة تكاد تنعدم لأنه لا يملك وسيلة للتفاهم بها معها وتلقي عواطفها ومشاعرها، والوقوف على آرائها وخواطرها)^(٣).

وأما السر في إفراد السمع وجمع الأبصار فلأن السمع واحد بمعنى أنك لا بد أن تسمع شئت أم أبيت، أما البصر فأنت بالخيار فهو متعدد بتعدد الأحوال إذا أردت أن تبصر يميناً أو شمالاً.. وإلا فلا^(٤).

ولكل ما سبق فإن قول علماء النحو من أن واو العطف تأتي لمطلق الجمع بمعنى أنه يجوز في الآيات أن نقدم السمع على البصر ونؤخره دون أن يختل المعنى، لا يلتفت إليه، لأنه أصبح من الواضح أن الترتيب هنا فيه التزام نظراً لأهمية المتقدم عما جاء بعده^(٥).

(١) سورة الكهف الآية: ١١.

(٢) من فيض الرحمن في معجزة القرآن لمحمد متولي الشعراوي ص ١١٦ - ١١٨ مع التصرف باليسير بالاختصار.

(٣) الإسلام ومشكلات الفكر لفتححي رضوان ص ٤١.

(٤) انظر فيض الرحمن للشعراوي ص ١١٧.

(٥) مع القرآن في إعجازه وبلاغته لعبد القادر حسين ص ١١ مع التصرف باليسير بالاختصار، وانظر زيادة بيان في تفضيل السمع على البصر:

١ - (إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها) لعبد الكريم الخطيب: ٢٣٥/١.

الوقفه السابعة:

قال ابن الأثير: الجلود هاهنا تفسر حقيقة ومجاز، أما الحقيقة فيراد بها الجلود مطلقاً، وأما لمجاز فيراد بها الفروج خاصة، هذا هو المانع البلاغي الذي يرجح جانب المجاز على الحقيقة، لما فيه من لطف الكناية عن المكنى عنه.

وقد يسأل هنا في الترجيح بين الحقيقة والمجاز عن غير الجانب البلاغي، ويقال: ما بيان هذا الترجيح؟

فيقال: طريقة لفظ الجلود عام فلا يخلو إما أن يراد به الجلود مطلقاً، أو يراد به الجلود التي هي أدوات الأعمال خاصة، ولا يجوز أن يراد به الجلود على الإطلاق، لأن شهادة غير الجوارح التي هي الفاعلة، شهادة باطلة، إذ هي شهادة غير شاهد، والشهادة هنا يراد بها الإقرار.

فتقول اليد: أنا فعلت كذا وكذا، وتقول الرجل: أنا مشيت إلى كذا وكذا، وكذلك الجوارح الباقية تنطق مقررة بأعمالها.

فتزجج بهذا أن يكون المراد به شهادة الجوارح، وإذا أريد به الجوارح، فلا يخلو إما أن يراد به الكل أو البعض، وإن أريد به الكل دخل تحته السمع والبصر، ولم يكن لتخصيصهما بالذكر فائدة.

وإن أريد به البعض، فهو بالفرج أخص منه بغيره من الجوارح لأمرين: أحدهما: أن الجوارح كلها قد ذكرت في القرآن الكريم شاهدة على صاحبها بالمعصية ما عدا الفرج، فكان حمل الجلد عليه أولى ليستكمل ذكر الجميع. الآخر: أنه ليس في الجوارح ما يكره التصريح بذكره إلا الفرج فكفى عنه بالجلد، لأنه موضع يكره التصريح فيه بالمسمى على حقيقته.

٢- (من وجوه الإعجاز القرآني) لمصطفى الدباغ ص ٣٣.

٣- (الله والعلم الحديث) لعبد الرزاق نوفل ص ٤٩ - ٥٠.

٤- (فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم) لفتح أحمد عامر ص ١٦٦.

فإن قيل: إن تخصيص السمع والبصر بالذكر، من باب التفضيل كقوله تعالى: ﴿فَاكْهَةٌ
وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾^(١)، والنخل والرمان من الفاكهة.

قلت في الجواب: هذا القول عليك لا لك؛ لأن النخل والرمان إنما ذكرا لتفضيل لهما في الشكل أو في الطعم، والفضيلة هنا في ذكر الشهادة إنما هي تعظيم لأمر المعصية، وغير السمع والبصر أعظم في المعصية؛ لأن معصية السمع إنما تكون في سماع غيبة، أو في سماع صوت مزمار أو وتر، أو ما جرى هذا الجرى، ومعصية البصر إنما تكون في النظر إلى محرم، وكلتا المعصيتين لا حدّ فيها. وأما المعاصي التي توجد من غير السمع والبصر، فأعظم؛ لأن معصية اليد توجب القطع، ومعصية الفرج توجب جلد مئة أو الرجم، وهذا أعظم، فكان ينبغي أن تخص بالذكر دون السمع والبصر. وإذا ثبت فساد ما ذهبت إليه، فلم يكن المراد بالجلود إلا الفروج خاصة. اهـ^(٢).

قلت: والذي يترجح عندي أن المراد الجلود مطلقاً بدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله. وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي سخط الله عليه»^(٣).

وبدليل آخر أيضاً يؤخذ من نفس الآية: ﴿وقالوا لجلودهم..﴾ فلم يقل: وقالوا لأسماعهم.. الخ! بل قال لجلودهم مطلقاً فيشمل ما ذكر وما لم يذكر. وقد ردّ على ابن الأثير ابن أبي الحديد^(٤) في (الفلك الدائر على المثل السائر^(٥)) فقال: أما الوجه الأول فليس بشيء،

(١) سورة الرحمن الآية: ٦٨.

(٢) (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) ص ٨٧-٨٨، وانظر القاسمي: ٥١٩٨/١٤. والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣١٨/٢.

(٣) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ٨٢٤/٥ حديث رقم ١٦.

(٤) هو: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المعروف بابن أبي الحديد المدائني المعتزلي الشيعي الفقيه الشاعر، ولد بالمداين سنة ٥٨٦هـ كان بارعاً في علم الكلام على مذهب المعتزلة يعد من الأدباء، توفي سنة ٦٥٦هـ. من مصنفاته: شرح نهج البلاغة، العقبري الحسان شرح المحصل للرازي وهو ردود ونقض لكتاب المحصل انظر: فوات الوفيات لابن شاکر: ٢٤٨/١-٢٥٠ البداية والنهاية لابن كثير: ١٣/١٩٩-٢٠٠.

(٥) ألف هذا الكتاب ليرد به على المثل السائر، وكتبه في خمسة عشر يوماً ولم يعاود النظر فيه مرة ثانية كما ذكر ذلك في مقدمته وقال: وقد سميت هذا الكتاب (الفلك الدائر على المثل السائر) - يريد

لأنه ما زاد على أن قال هذا مانع بلاغي يمنع من حمل الجلود على حقيقتها، وأن تحمل على الفروج، وهذا ضعيف لأنه بمنزلة قول من يقول إن الجلود في قوله تعالى: ﴿كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾^(١). بمعنى الفروج، وإن هذه الآية نزلت في الزناة، وكفى عن الفروج بالجلود لأنها كناية لطيفة، وأيضاً كان سبحانه قد ذكر ثلاثة أجزاء من أجزاء بدن الإنسان، وهي السمع والبصر والجلد، وقال إنها تشهد عليهم، فلم حمل الجلد على الفرج؟ لأجل أن الفرج يليق ألا يذكر تصريحاً، ويحسن أن يكتفى عنه بغيره أولى من أن يحمل السمع والبصر على الفرج لهذه العلة، وإنما يتعين حمل الجلد على الفرج إذا كان بين لفظي الجلد والفرج أو معناهما مناسبة لا تحصل بين السمع والفرج ولا بين البصر والفرج، ونحن لا نجد فرقاً بين هذه الأجزاء الثلاثة، وكل واحد منها بعيد عن الفرج لا مناسبة بينه وبينه، اللهم إلا أن يكون لأجل أن الجلد جزء من أجزاء ماهية الفرج، فعبير عن الكل بالبعض، وهذا بعيد جداً. فأما استدلاله له ثانياً، وإبطاله أن يراد بالجلود هذه الجلود الحقيقية، لأنها ليست هي الفاعلة، بخلاف الأعضاء كاليد والرجل، فينبغي أن يجاب

عنه بالضحك من عاقل يتوهم أن اليد هي التي فعلت الشيء، وأن اللسان هو الذي فعل النطق، وهذا وهم عامي لا يعتقده محصل، وإنما إبطاله أن تكون الجلود هي جملة الأعضاء والجوارح بقوله إنه قد ذكر السمع والبصر فلا يكون لإفرادهما بالذكر فائدة، فجوابه ما سأل عنه نفسه، وهو أن المراد بذلك ما أراد من قوله تعالى: ﴿فَإِنِ اللَّهُ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبريلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

وقوله هذا لا يجوز، لأن العصيان بالسمع والبصر أخف، فيقال له بل هو هذا الترتيب، والصحيح في نظم الكلام، لا كما توهمته، مثال ذلك يقال دخلت قرية كذا فوثب على الولدان والنساء وكل من فيها. يود الولدان والنساء ويخصهم بالذكر، لأنه ليس من شأنهم أن يثبوا بالرجال ويقبلوا عليهم، وأنت إنما تريد أنه وثب عليك الضعيف والقوي، فكذلك الآية

= بذلك نقض كتاب المثل وإبطاله ومحوه - قال: لأنهم يقولون لما باد وثر قد دار عليه الفلك كأنهم يريدون أنه قد طحنه ومحا صورته. اهـ من مقدمة الفلك الدائر ملحق بكتاب المثل السائر. ٣٥-٣١/٤ مع التصرف بالاختصار.

(١) سورة النساء الآية: ٥٦.

تقديرها شهد عليهم من الجوارح ما المعصية به صغيرة، والمعصية به كبيرة.

ثم يقال له سلمنا أنه ليس المراد كل الجوارح بل بعضها فلم قلت إن ذلك البعض هو

الفرج؟

وقوله «لأن سائر الأعضاء قد ذكر في القرآن أنها تشهد إلا الفرج فوجب أن يكون هو المراد بالجلود لتكامل شهادة كل الأجزاء» باطل لأنه لم يذكر في القرآن شهادة الأعضاء، وإنما ذكر شهادة الأيدي والأرجل والسمع والبصر والألسنة والجلود في آيات متفرقة، فأما القلوب فلم يذكر لها صريح شهادة، بل قال: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١) ولا ذكر شهادة الذوق وهي اللهاة فيما ذاقته من الحرام والحلال، ولا شهادة حاسة اللمس بملمسته من المحرمات، فقد بطل قوله إنه إنما وقع الإحلال من جميع الأعضاء من الشهادة بالفرج وحده.

وأما قوله إنه يجب حمله على الفرج لأنه مما يكره التصريح بذكره، فوجب أن يجعل هذا اللفظ كناية عنه، فباطل؛ لأنه تعالى قد ذكره في غير موضع، فقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾^(٢) وقال: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾^(٤). وما رأيناه كنى في هذه المواضع بكناية أصلاً^(٥).

الوقف الثامنة:

قال بعض المعاصرين عند تفسير آية الحوار ﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم﴾ الآية قال: من المعلوم علمياً أن انتقال الصور عبر الفضاء لا حدود له والعبارة بالأجهزة التي تلتقط المشاهد المختلفة وتسجلها وها هي (الأقمار الصناعية) تدور حول الأرض في الفضاء تلتقط الأصوات والصور ثم تعيد إرسالها إلى الأرض فتلتقطها أجهزة الاستقبال في

(١) سورة الإسراء الآية: ٣٦.

(٢) سورة المؤمنون الآية: ٥.

(٣) سورة النور الآية: ٣١.

(٤) سورة لقمان الآية: ٣٤.

(٥) (الفلك الدائر على المثل السائر) ملحق بكتاب (المثل السائر) لابن الأثير: ٧٤/٤-٧٦.

نفس اللحظة... وعليه فإن كل حركة للإنسان على الأرض وكل صوت له ينتقل في الفضاء كما هو ويبقى ولا يتلاشى!! وفي يوم القيامة لو أتى بهذه الموجات الصوتية والضوئية أمام الخلائق لرأوا أنفسهم حقيقة وهم يتحركون ويتكلمون ويفعلون ولأعيدت جميع مشاهد الدنيا من حروب ومعارك، وبلاغ الرسل لأقوامهم، وما فعله الناس مع رسلهم من استجابة لدعوتهم أو رفض لها.. ولرأينا آدم عليه السلام وهو يهبط إلى الأرض، ولرأينا سفينة نوح عليه السلام وهي تجري بهم في موج كالجبال.. وهكذا كل ذلك رؤية حقيقة للأحداث وليس تسجيلاً لها...

وهو نطق للأجسام والجوارح والجلود.. لا يمكن للإنسان أن ينكره..

فهو كتاب الكون الذي يوضع أمام الخلائق فيجدونه لا يغادر صغيره ولا كبيرة إلا أحصاها^(١).

قلت: تفسير الآية واضح بين أوضح من الشمس في رابعة النهار، ونطق الجوارح على ظاهرة وحقيقته - كما سبق بيانه في الوقفة الأولى والثانية - ولا يحتاج معه هذا التمثل والتكلف الذي ما أنزل الله به من سلطان.

وقد رد عليه العلامة محمود شلتوت رحمه الله تعالى فقال: هذا شأن غيبي من شؤون الله الخاصة، ولم ينزل بتفصيله ببعض الظواهر الحاضرة التي اكتشفها العلم، واهتدى إليها بنو الإنسان، وبما أظهر العلم الحديث من مخترعات بشرية واستخدمها الإنسان فيما يختص بالأصوات والصور، وحي، فهذا هجوم على الغيب بما لم يأذن به الله..

وهذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك، لأن الله تعالى لم ينزل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف.

وهي خاطئة من غير شك لأنها تحمل أصحابها والمفسرين بها على تأويل القرآن تأويلاً متكلفاً يتنافى مع الإعجاز ولا يسيغه الذوق السليم. وهي خاطئة لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير،

(١) (تأملات في آيات من القرآن الكريم) لياسين رشدي ص ١٤٤-١٤٥ مع التصرف اليسير بالاختصار.

فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غداً من الخرافات، فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة لعرضناه للتقلب معها، وتحمل تبعات الخطأ فيها، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفاً حرجاً في الدفاع عنه.. فلندع للقرآن عظمته وجلاله ونحفظ عليه قدسيته ومهابته^(١).

الوقفة التاسعة:

في نطق الأيدي وشهادتها على أصحابها حث لنا على إعمالها في طاعة الله تعالى وقد ثبت من هدي النبي ﷺ قولاً، وفعلاً، وتقريراً، عدُّ الذكر بالأنامل («أصابع اليد») لا غير. ودرج على ذلك الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان إلى يومنا هذا فهو من السنن المستقرة والعمل المتوارث لدى الأمة تأسياً بنبيها ﷺ^(٢).

ومن الأحاديث الدالة على ذلك وعلى بدعية التسييح بالسبحة^(٣) ونحوها، حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسييح بيده)^(٤) وحديث سيرة^(٥) رضي الله عنها وكانت إحدى المهاجرات قالت: قال رسول الله ﷺ: عليكن بالتسييح والتهليل والتقديس ولا تغفلن فتتسنين التوحيد واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات ومستنطقات^(٦)، وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال له أبو موسى الأشعري: إنني

(١) (تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى) المقدمة من ص ١١-١٤ مع التصرف اليسير بالاختصار. وانظر مجلة الرسالة العدد ٤٠٧ و ٤٠٨ لسنة ١٩٤١م.

(٢) (السبحة تاريخها وحكمها) لبكر عبد الله أبو زيد ص ٩.

(٣) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: ٥٠٦/٢٢ ومدارج السالكين لابن القيم: ١٢٠/٣، والسلسلة الضعيفة للألباني مقدمة المجلد الثالث ص ٣٧، والضعيفة أيضاً حديث رقم ٨٣، والرد على التعقب الحثيث للعلامة الألباني وفتاوى اللجنة الدائمة بالملكة العربية السعودية رقم ٢٢٢٩ ورقم ٦٤٦٠ ورقم ٤٣٠٠ ومجلة التوحيد. عصر العدد ٩ لعام ١٤٠٧هـ وأفردها بالتأليف الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد فجمع شتاتها واستوعب في مؤلفه (السبحة تاريخها وحكمها).

(٤) رواه أبو داود: ٢٣٥/١ والترمذي ٤٧٠/٥ حديث رقم ٣٤٨٦ باب ما جاء في عقد التسييح باليد واللفظ له والحاكم: ٧٣٢/١ وابن حبان - موارد - ٢٣٣٤. قال الترمذي: حسن غريب وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٥) يسيرة أم ياسر، ويقال بنت ياسر الأنصارية وتكنى أم حميدة، أسلمت وبايعت وروت حديثاً، كانت من المهاجرات المبايعات. اهـ من الإصابة: ٢١٠/٨.

(٦) رواه الإمام أحمد ٣٧٠/٦ وعبد بن حميد ٢٦٢/٣ حديث رقم ١٥٦٨ والترمذي باب في فضل التسييح والتهليل والتقديس ٥٤٠/٥ حديث رقم ٣٥٨٣ والحاكم في المستدرک ٧٣٢/١، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حلقتاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصي، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللو مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة. قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم؟ ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصي نعدّ به التكبير والتهليل والتسييح، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم أمة محمد، ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدي من ملة محمد، أو مفتتحوا باب ضلالة! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مرید للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا: إن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج^(١).

(١) رواه ابن وضاح القرطبي في (البدع والنهي عنها) ص ٨-١٠ والإمام الدارمي في سننه: ٤٨/١ حديث رقم ٢٠٤.

قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله تعالى عقب تصحيحه لهذه القصة في السلسلة الصحيحة: فإن فيها - يعني القصة المذكورة - عبرة لأصحاب الطرق وحلقات الذكر على خلاف السنة، فإن هؤلاء إذا أنكروا عليهم منكر ما هم فيه اتهموه بإنكار الذكر من أصله! وهذا كفر لا يقع فيه مسلم في الدنيا، وإنما المنكر ما ألصق به من الهيئات والتجمعات التي لم تكن مشروعة على عهد النبي ﷺ وإلا فما الذي أنكروه ابن مسعود - رضي الله عنه - على أصحاب تلك الحلقات؟ ليس هو إلا هذا التجمع في يوم معين، والذكر بعدد لم يرد، وإنما يحصره الشيخ صاحب الحلقة، ويأمرهم به من عند نفسه، وكأنه مشرّع عن الله تعالى ﷻ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﷻ الشورى ٢١ - فرد على ذلك أن السنة الثابتة عنه ﷺ فعلاً وقولاً إنما هي التسيح بالأنامل، ومن الفوائد التي تؤخذ من الحديث والقصة، أن العبرة ليست بكثرة العبادة، وإنما كونها على السنة بعيدة عن البدعة، وقد أشار إلى هذا ابن مسعود رضي الله عنه بقوله أيضاً: ((اقتصاد في سنة، خير من اجتهاد في بدعة)).

ومنها: أن البدعة الصغيرة يريد إلى البدعة الكبيرة، ألا ترى أن أصحاب تلك الحلقات صاروا بعدد من الخوارج الذين قتلهم الخليفة الراشد علي بن أبي طالب؟ فهل من معتبر؟!.. اهـ منها حديث رقم ٢٠٠٥.

قلت: سبقه إلى تقرير ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقال في الفتاوى: فالبدع تكون في أولها شبراً، ثم تكثر في الأتباع، حتى تصير ذراعاً وأميالاً وفراسخ. انظر الفتاوى ٤٢٥/٨.

الفصل الخامس : حوار الكفار مع بعضهم بعضاً :

المبحث الأول : حوار الكفار المستضعفين والمستكبرين

في أرض المحشر .

المطلب الأول : عند بروزهم من قبورهم لأمر الله .

المطلب الثاني : عند إيقافهم بيد يدي الله تعالى .

المطلب الثالث : عند إيقافهم للمساءلة .

المبحث الثاني : حوار الكفار المستضعفين والمستكبرين

في نار جهنم .

المطلب الأول : عند إدخال فوج من الأتباع على

المبتوعين في نار جهنم .

المطلب الثاني : فور تداركهم واجتماعهم في نار

جهنم .

المطلب الثالث : عند طلب الضعفاء من المستكبرين

تحمل نصيباً من النار عنهم .

الفصل الخامس: حوار الكفار مع بعضهم بعضاً المستضعفين

والمستكبرين.

تمهيد:

مجتمع الكفار ينقسم إلى قسمين كبراء، وهم السادة والوجهاء، الذي لهم الصولة والجلوة والكلمة النافذة، وهم أهل الحل والعقد، رؤوس الشر والضلال، بلغ بهم العجب بأنفسهم إلى حيث رأوا أنفسهم فوق الناس جميعاً، وأكبر من الناس قاطبة، ويمتد بهم الكبر حتى يتكبروا على الله سبحانه، فيرفضوا آياته، ويستعجلوا عذابه، حسبوا أن لا عزة إلا لهم، كفروا بالله وباليوم الآخر، وآثروا الدنيا وفُتِنُوا بها، فطمس الله بصائرهم، وختم على قلوبهم فهم لا يفقهون ولا يعقلون، قال الله تعالى عنهم: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾^(١).

وقال عنهم ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(٢). تنكبوا طريق الرشاد والهداية وملكوا طريق الضلال والغواية فصرف الله قلوبهم كما قال الله عنهم ﴿سَاصِرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^(٣). أبشع مظاهر استكبارهم وأشنعها استكبارهم عن التوحيد كما قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٤).

إمامهم إبليس عليه لعنة الله، فالمتكبر هو التلميذ المخلص لإبليس قال الله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٥) حكم

(١) سورة النحل الآية: ٢٢ - ٢٣.

(٢) سورة غافر الآية: ٣٥.

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٤٦.

(٤) سورة الصافات الآية: ٣٥.

(٥) سورة ص الآية: ٧٣ - ٧٤.

الله تعالى عليهم بالحرمان من الجنة ولا تفتح لهم أبواب السماء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾^(١).

ومأواهم وقرارهم جهنم خالدين فيها أبداً. قال الله تعالى: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(٢)، وقال سبحانه وتعالى ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣).

وأما الضعفاء فهم المستضعفون من الضَّعْفِ بالفتح بمعنى الضعف المعنوي في الرأي والعقل، وليس البدني^(٤). وشاهده قول الشاعر:

ولا أشارك في رأي أخا ضَعَفٍ ولا ألين لمن لا يتغي ليبي^(٥)

والله تعالى لا يعاقب على الضعف البدني قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾^(٦) وإنما يعاقب على الضعف المعنوي. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾^(٧).

الضعفاء هم الأتباع، والكبراء هم المتبعون، فالكبراء يخططون ويقولون ويشيرون

(١) سورة الأعراف الآية: ٤٠.

(٢) سورة الزمر الآية: ٧٢؛ وسورة غافر الآية: ٧٦.

(٣) سورة الأعراف الآية: ٣٦.

(٤) قال أبو هلال العسكري في كتاب (الفروق): الفرق بين الضَّعْفِ والضَّعْفِ أن الضَّعْفَ بالضم يكون في الجسد خاصة وهو من قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ والضعف بالفتح يكون في الجسد والرأي والعقل، يقال في رأيه ضعف ولا يقال فيه ضَعْفُ أهـ. ص ١٠٩.

(٥) انظر: لسان العرب حرف الفاء، فصل الضاد، وأورد فيه البيت ونسبه لابن الأعرابي. اللسان: ١٠٦/١١.

(٦) سورة التوبة الآية: ٩١.

(٧) سورة النساء الآيات: ٩٧ - ٩٨.

ويزينون، والضعفاء ينفذون ويستمعون ويؤيدون ويتبعون، فالكلمة الأولى والأخيرة للكبراء، والضعفاء منقادون لهم..

وفي هذا الفصل نتبين عاقبة مآلهم، وسوء منقلبهم، ونهاية إتباعهم لهؤلاء الكبراء، وكيف انقلبت المحبة والتواد والتعاون على الباطل إلى عداوة وتخاصم وتلاعن.. وحسرة، بل وحسرات، ولكن هيهات هيهات أن ينفع ندم، أو توبة أو تبرؤ، فقد فات الأوان، وذهب وقت الإيمان ﴿.. لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾^(١) يوم ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾^(٢).

الحوار في هذا الفصل: (فيه عبرة لكل معتمر، فهو حوار بين طائفتين متفتحتين في الاعتقاد والسلوك، وبينهما إلفة ومحبة، ولكنها في موقف من المواقف يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض، إنه حوار الأتباع مع المتبوعين، حوار طعام الناس وجهلتهم مع الطغاة والمتكبرين، فبينما هم يسرون في موكب واحد، وفي طريق واحد يصفق بعضهم لبعض، ويستنفذ بعضهم بعضاً، ويعاون بعضهم بعضاً في الباطل، بينما هم كذلك إذ انكشفت الحقائق، واتضح للعيان فإذا هم خادع ومخدوع، ومستكبر متغطرس وتابع سفيه، ولأهمية هذا الأمر ولتكرره في حياة البشرية، أشار إليه الله عز وجل في كتابه الكريم في أكثر من موضع)^(٣).

وفي هذا الفصل نستعرض هذه المواقف في مباحث فيألي أولى تلك المباحث.

(١) سورة الأنعام الآية: ١٥٨

(٢) سورة السجدة الآية: ٢٩.

(٣) مذكرات برنامج إذاعي بعنوان (الحوار في القرآن الكريم) إعداد وتقديم د/علي بن نفيح العلياني، الحلقة السابعة والخمسون.

المبحث الأول: حوار الكفار المستضعفين والمستكبرين في أرض

المحشر:

تمهيد:

المرء يحاسب ويجازى عن كل فعل فعله غيره إذا كان هو الأمر لذلك الفعل، ويحاسب أيضاً عن عمل أولئك الذين لم يأمرهم إلزاماً ولم يحملهم على الفعل كرهاً، إذا أرشدهم إلى ذلك العلم وزينه في أعينهم، ويحاسب أيضاً عمن لم يأمرهم ولم يجرضهم، ولم يرغبهم، ولكنهم رأوا أو سمعوا به يعمل ذلك العمل فاستحسنوا سيرته في ذلك العمل ونسجوا فيه على منواله، ولو من حيث لا يشعر بهم. ذلك أن المرء متى ما فعل الفعل على مرأى ومسمع من غيره فقد وضع نفسه موضع القدوة لمن يقتدي، ورسم الطريق لمن يقتفي، وهكذا من حيث يقصد أولاً يقصد، ومن حيث يشعر أولاً يشعر قد تسبب في صدور هذا الفعل الآخر عن فاعله فهو إذاً من آثارنا التي تكتب علينا - فهو قد وضع النواة التي جاء غيره فسقاها - فمن العدل إذا أن يجني معه ثمارها، وأن يذوق معه حلوها ومرها، وأبعد من ذلك - من ناحية التسبب في صدور الفعل بطريق مباشر أو غير مباشر مقصود أو غير مقصود - أن المرء يسئل عن فعل فعله غيره من تلقاء نفسه غير مستن بسنته ولا مؤتمر بأمره إذا رآه لم ينكر عليه ولم يتمر وجهه، ذلك أن أهل الشر والغواية لو تركوا وشأنهم يفعلون ما يشتهون على حسابهم وتحت مسئوليتهم، إذا لاستلنوا مركب الضلالة واستمرعوا مرعى الغواية، وإذا لكانوا فتنه لغيرهم وإغراء لضعفاء الإرادة ياتباع سبيلهم، وإذا لانتشرت الآثام في الجماعة، وشاعت المنكرات في الأمة، ونحن مسئولون عن طهارة المجتمع وسلامته، وصلاحه واستقامته، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨) كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون^(٢).

(١) سورة البقرة الآية: ٢٥١.

(٢) سورة المائدة الآية: ٧٨ - ٧٩.

وفي الحديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»^(١).

إن السكوت عنه تسبب في بقاءه واستمراره أو في تجدده وتكراره أو في شيوعه وانتشاره ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾^(٢).

وقد قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ﴾^(٣).

فجعل الساكت على الكفر مثل الكافر وجعل الساكت على الاستهزاء مثل المستهزئ، سواء .

إذا كان المرء يحاسب في الحالات السابقة عن فعل غيره، من غير أن يأمر به أو يزينه، فكيف إذا كان هو الأمر لذلك الفعل الحاض عليه المزين له الدال عليه، بل كيف إذا كان ذا سلطة ومكانة وسخر كل ذلك في حمل الناس على ذلك الفعل وإلزامهم به فإن المسؤولية تتضاعف^(٤). لكن السؤال الوارد هنا هو من أطاع من الأتباع الضعفاء أمر هؤلاء السادة الرؤساء واتبع أهواء الكبراء فيما أمروا به وزينوا ما هو مقدار جرمهم وما هي حدود مسئوليتهم وهل يعذرون في كونهم ضعفاء..

هذا ما نفصل القول فيه - إن شاء الله تعالى - في هذا المبحث تحت المطالب التالية..

(١) البخاري، كتاب العلم: ٣/١٨٢.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٣٨.

(٣) سورة النساء الآية: ١٤٠.

(٤) (من خلق القرآن) للدكتور / محمد عبد الله دراز ص ١٧٣-٢١٣ مع التصرف بالاختصار.

المطلب الأول: عند بروزهم من قبورهم لأمر الله

قال الله تعالى: ﴿وبرزوا﴾^(١) لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا...﴿^(٢).

وبرزوا لله جميعاً بلا استثناء وقد تحطمت الحواجز والفروق الاجتماعية فلا مال ولا سلطان بل حتى الروابط الأسرية الحميمة^(٣) ففي موقف الحشر لا أحد يغني عن أحد شيئاً. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله (حين أنزل الله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٤)) قال: يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً - يا بني عبدمناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً. ياصفية عمه رسول الله (لا أغني عنك من الله شيئاً. ويافاطمة بنت محمد (سليبي ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً...^(٥).

من حين بروزهم من قبورهم لله تعالى على أرض بارزة (ليس عليها بناء ولا جبل ولا ساتر بل هي فضاء مكشوفة^(٦)).

قال ابن عطية معناه: صاروا بالبراز وهي الأرض المتسعة كالبراح والقواء والخبار فاستعير ذلك لجمع يوم القيامة^(٧).

(١) تكرر مراراً علة مجيء اللفظ بصيغة الماضي وهي أن ما أخبر الله تعالى به لصدقه وتحقق وقوعه كأنه قد كان ووجد. انظر الكشاف: ٥٢٧/٢. قال محمد أحمد البدوي: وفي الإتيان بالماضي هنا من إيقاع الرهبة في النفوس ما فيه، لأن الفعل كأنه قد تمّ، والقرآن يتحدث عنه اهـ. من كتاب (من بلاغة القرآن) ص ١١١.

(٢) قال ابن عطية: وظاهر الآية إنما يقولونها في موقف العرض وقت البروز بين يدي الله تعالى اهـ ٨٦/١٠. وإلى كون هذه المحاورة في موضع العرض وقت البروز بين يدي الله تعالى مما استظهره أبو حيان.

(٣) قال الله تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه...﴾ سورة عبس الآية: ٣٤-٣٦.

(٤) سورة الشعراء الآية: ٢١٤.

(٥) رواه الإمام البخاري في صحيحه: ٧/٤ و١٤٠/٦.

(٦) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي: ٢٠٤/١، مادة (برز) وقريباً منه المفردات ص ٤٠.

(٧) البراح: الخلاء الذي لا سترة فيه من شجر وغيره.

القواء: القفر الخالي من الأرض.

والخبار: الأرض اللينة اهـ. من تفسير ابن عطية: ٧٦/١٠، وانظر روح المعاني: ١٨٤/١٣.

ومعنى بروزهم لله، والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له، أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله، فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية^(١).

كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا هُمْ فَلَمْ نَعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٣).

وظهرت الحقائق واتضح لهم أن ما كانوا ينكرونه ويستبعدون وقوعه من البعث والجزاء صار واقعاً ملموساً فما كان منهم وقد أيقنوا بعذاب الله تعالى، ورأوه عياناً، إلا أن يبحثوا عن أي شيء يكون سبباً للنجاة أو التخفيف، فمن أهم ما يرد على أذهانهم للخلاص والنجاة إلقاء تبعه ما وقعوا فيه من كفر بالله ورسوله واليوم الآخر، على من كان سبباً رئيسياً مباشراً في إضلالهم وصددهم عن طريق الحق والهداية في الدنيا فما هو إلا التعلق برؤوس الضلال فيتعلقون بالسادة والكبراء الذين أمرهم بشدة وبقوة للكفر بآيات الله تعالى فأطاعوهم، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾^(٤).

فيدور بينهم الحوار التالي:

فيقول الضعفاء - ضعيفي الرأي^(٥) - للذين استكبروا: ﴿إنا كنا لكم تبعاً﴾ ففي الدنيا نأتمر بأمركم وننقاد لكم ونرضخ لرأيكم في عبادة الأوثان والكفر بالله وتكذيب رسله إتباعاً وطاعة لكم.

قال الألويسي: وزيادة في إيضاح ما كانوا عليه من الاتباع لهؤلاء الطغاة المستكبرين، قالوا: ﴿إنا كنا لكم تبعاً﴾ للحصر أي تبعاً لكم لا غيركم^(٦). أرادوا بهذا الكلام، التقدمة بين يدي مطلوبهم وهو ﴿فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء﴾ وذلك أنهم رأوا الجحيم

(١) الكشاف: ٥٢٧/٢.

(٢) سورة غافر الآية: ١٦.

(٣) سورة الكهف الآية: ٤٧.

(٤) سورة الأحزاب الآية: ٦٧.

(٥) روح المعاني ١٨٤/١٣.

(٦) روح المعاني: ١٨٤/١٣.

قد برزت كما قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾^(١) فاستيقظوا من سكرة التقليد والطاعة العمياء للكبراء ويريدون تدارك ما فات ولكن بعد فوات الأوان، فقد أيقنوا أن ما أنذرتهم به الرسل وحذرتهم منه، وهو العذاب الأليم لمن خالف أمرهم وعصاهم واقع بهم لا محالة، فطلبوا ممن تسبب لهم وزين لهم الكفر بالله وتكذيب رسله أن يدفع عنهم بعضاً من عذاب الله كما كانوا يعدونهم ويمنونهم^(٢).

كما ذكر الله تعالى ذلك عن الطغاة مع المؤمنين ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ﴾^(٣).

قال الألوسي: وفيه - أي قولهم ﴿فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء﴾ - أنه يفيد المبالغة في عدم الغناه كقولهم: أقل من القليل^(٤). ونستشف من سؤالهم: الذل واليأس وخيبة الرجاء والأمل.

فقال المستكبرون جواباً للأتباع:

﴿لو هدانا الله لهديناكم﴾ لا سبيل الآن للنجاة، فلو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم ولأغنيا عنكم وسلكتنا بكم طريق النجاة^(٥) ولكن حق علينا قول ربنا، وسبق فينا قدر الله وفيكم وحققت كلمة العذاب على الكافرين^(٦).

ثم أعلنوا يأسهم من النجاة فقالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرْنَا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾^(٧) فلا مهرب لنا اليوم ولا منجى من العذاب، إذ الحيص هو العدول على جهة الفرار، يقال حاص الحمار: إذا عدل بالفرار^(٨).

(١) سورة النازعات الآية: ٣٦.

(٢) انظر تفسير جامع البيان: ٥٥٨/١٦، وتفسير ابن كثير: ٥٣٧/٢.

(٣) سورة العنكبوت الآية: ١٢.

(٤) روح المعاني: ١٨٤/١٣.

(٥) رجح هذا المعنى الرازي في تفسيره الكبير وقال: والدليل على أن المراد من الهدى هذا الذي ذكرناه: أن هذا هو الذي التمسوه وطلبوه، فوجب أن يكون المراد من الهداية هذا المعنى اه منه: ٨٦/١٩. انظر لزماً الكشف: ٥٢٨/٢، وجامع البيان ٥٥٨/١٦.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٣٧/٢.

(٧) سورة إبراهيم الآية: ٢١.

(٨) انظر عمدة الحفاظ للسمن الحلي: ٥٤٧/١ مادة حيص. وابن عطية: ٧٧/١٠.

فإن جزعهم مما هم فيه، وقلقهم من ألم العذاب لا فائدة فيه كما لا فائدة في الصبر.
فما لهم من مراغ يروغون إليه^(١).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: أي ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا أو جزعنا^(٢).
الصبر الذي رتب عليه الأجر والثواب الجزيل كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا يوفى الصابرون
أجرهم بغير حساب﴾ فقد فات أوانه، وانقضى زمانه، وانتهى كل شيء، فالآن الصبر والجزع
سيان، كما قال تعالى: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

فما هو إلا الاستسلام للمصير البائس. وفي ذلك ما فيه من إقنات الضعفاء. وفي إسناد
كل من الجزع والصبر واستوائهما إلى ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين أيضاً مبالغة في النهي
عن التوبيخ بإعلامهم أنهم شركاء لهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم^(٤).

ومن العجيب أنه في خاتمة هذا الحوار يقوم الشيطان خطيباً في أتباعه وجنده - من
تابعين ومتبوعين - قائلاً ما قصه الله تعالى علينا ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله
وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم
فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما
أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾^(٥).

وفي هذا ما فيه من تقرير الحقيقة الكبرى والأمر الهام وهي أن الإنسان مسئول المسئولية
الكاملة محاسب مجزي عن كل ما يصدر منه مهما كان الداعي ومهما كانت المؤثرات الخارجية
﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(٦) فلا حجة لأحد أن فلاناً أمره أو أنه اتبع فلاناً فهذا
الشيطان وهو أكبر داع للشر يتبرى من أتباعه من رؤوس الشر وأذنا به.

(١) جامع البيان: ٥٥٨/١٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٥٣٧/٢.

(٣) سورة الطور الآية: ١٦.

(٤) انظر روح المعاني ٨٥/١٣.

(٥) سورة الحج الآية: ٢٢.

(٦) سورة المدثر الآية: ٣٨.

وددت أن كل مسلم يحفظ هذه الآيات بل وددت أن تنشر هذه الآية في العالمين ليستمعوا إلى هذه الشهادة الصادقة والإقرار البين من زعيمهم وقائدهم إلى كل شر وفجور الشيطان اللعين ليستفيقوا من سكرة الشهوات والمخازي التي يتخبطون فيها ويقودهم إليها، ويزينها لهم: ﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾ وعداً لا مرية فيه ولا شك بالبعث بعد الموت، ثم الحساب والجزاء، فإما إلى جنة كتبها الله لمن آمن به واتبع المرسلين، وإما إلى نار لمن كفر بالله وكذب المرسلين.

﴿ووعدتكم فأخلفتكم﴾ وعدتكم بالأباطيل والأكاذيب، وجمتكم بكل ترهة وشبهة بلا برهان، ولا دليل على ما وعدتكم، ولم يكن لي عليكم من سلطان فاتبعتموني وتكبتتم هدى الله ذا البراهين السواطع والأدلة القواطع.

فلا لوم لكم عليّ، بل لوموا أنفسكم التي انقادت لهواها، وخالفت أمر باربيها، فالיום لا أحد يغني عن أحد شيئاً ﴿ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إنني كفرت بما أشركتموني...﴾.

وفي الحديث عن عقبة بن عامر الجهني (قال: سمعت رسول الله (يقول: ((إذا جمع الله الأولين والآخرين ففضى بينهم وفرغ من القضاء قال المؤمنون: قد قضى بيننا ربنا فمن يشفع لنا إلى ربنا؟ فيقولون: انطلقوا إلى آدم، فإن الله خلقه بيده، وكلمه، فيأتونه، فيقولون: قم فاشفع لنا إلى ربنا. فيقول آدم: عليكم بنوح، فيأتون نوح فيدلهم على إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيدلهم على موسى، فيأتون موسى فيدلهم على عيسى، فيأتون عيسى فيقول: أدلكم على النبي الأمي. قال: فيأتوني، فيأذن تعالى لي أن أقوم إليه، فيثور مجلسي أطيب ريح شمها أحد قط، حتى آتي ربي فيشفعني، ويجعل لي نوراً من شعر رأسي إلى ظفر قدمي فيقول الكافر عند ذلك لإبليس: قد وجد المؤمنون من يشفع لهم، فقم أنت فاشفع لنا إلى ربك، فإنك أنت أضللتنا؟ قال: فيقوم فيثور مجلسه أتن ريح شمها أحد قط، ثم يؤمهم لجنهم فيقول عند ذلك: ﴿وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم...﴾^(١) إلى آخر الآية.

(١) الحديث رواه الدارمي في سننه ٢/٢٥٨، والبخاري في (خلق أفعال العباد) ص ١١٨، وابن جرير الطبري في تفسيره ٣/٢٠١. واللفظ للإمام الدارمي وابن أبي حاتم كما ذكره عنه ابن كثير ٤/٤٢،

المطلب الثاني: حوار الكفار - المستضعفين والمستكبرين - في

أرض المحشر عند إيقافهم بين يدي الله تعالى:

في يوم القيامة يوقف أهل الضلالة والكفر من تابعين ومتبوعين موقف الذل والهوان، فيحتدم الخصام، ويستعر الحوار، بين المستضعفين والمستكبرين، بين أئمة الكفر والمقلدين لهم، حين يوقفون عند ربهم، وقد أحاط بهم العذاب جميعاً، فيتصل بعضهم من بعض، ويلقي باللائمة بعضهم على بعض، فيدور الحوار التالي:

فيقول التابعون - وبدأ بهم لأن المضل أولى بالتوبيخ - للكبراء المتبوعين: ﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ فأنتم أضللتمونا، وصددتمونا عن الهدى بعد إذ جاءنا، وزينتم لنا الباطل.

قال العلامة ابن عطية الأندلسي رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾ أي يتحاورون ويتجادلون، ثم فسّر ذلك الجدل بأن الأتباع والضعفاء من الكفرة يقولون للكبراء والرؤوس على جهة التذنب والتوبيخ ورد اللائمة عليهم لولا أنتم لآمنّا نحن واهتدينا أي أنتم أغويتمونا وأمرتمونا بالكفر⁽¹⁾، فيرد السادة والكبراء عليهم، منكبين ذلك الادعاء أشد الإنكار:

﴿أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾ يقولون ذلك على جهة

= وعزاه السيوطي في الدر إلى ابن المبارك في الزهد وابن مردويه وابن عساكر والطبراني في المعجم الكبير ٣٢٠/١٧.

ومدا الحديث على عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وهو مختلف فيه بين أهل الحديث ما بين مضعف وموثق، ومن ضعفه فإنما ضعفه من قبل حفظه.

قال الإمام الترمذي: والإفريقي - يعني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم - هو ضعيف عند أهل الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد القطان وغيره.. قال: ورأيت محمد بن إسماعيل يقوي أمره، ويقول: هو مقارب الحديث).

قال الحافظ في التقریب: عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي قاضيها ضعيف في حفظه، وكان رجلاً صالحاً. اهـ

وقال الهيثمي: ٢٥٠/١٠: وقد وثق - يعني الإفريقي - والجمهور على توثيقه.

وخلاصة القول فيه ما قاله الألباني في الصحيحة ١٣٥/٥: ضعفه إنما هو من قبل حفظه وليس لتهمة في ذاته، فمثله يستشهد بحديثه. اهـ المراد مع التصرف بالسير بالاختصار.

(١) (المحرر الوجيز) ١٤١/١٣.

التقريب والتكذيب، فأنتم أوقعتم أنفسكم في الكفر وآثرتموه على الإيمان لزيغ في قلوبكم إلى الإجمام والشرك، والصحيح أن من اتبع هدى الله ووقر الإيمان في قلبه لا يستطيع أحد من الناس أن ينتزعه منه، ويرده عنه مهما فعل به، ومهما بذل لأجل ذلك^(١).

فهؤلاء الأتباع لم يؤمنوا قط، ولم يرغبوا في هدى الله لما انطوت عليه قلوبهم من الإجمام، فأثروا الكفر على الإيمان، وعبادة الأوثان على توحيد الله الواحد الديان^(٢).

فرد المستضعفون على جواب المستكبرين مبينين الواقع الذي كان يسلكه معهم الكبراء في الدنيا ليضلوهم عن هدى الله تعالى: ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً﴾ فليس الأمر كما ادعيتم أنه لا ذنب لكم في إضلالنا، فأنتم رأس البلاء، وما وقعنا فيما وقعنا فيه من الكفر بالله وعبادة الأوثان، إلا بسبب مكرهم المستمر بنا ليلاً ونهاراً^(٣)، - وتدلل الإضافة على الدؤوب والدوام^(٤) - إذ تأمروننا وتطلبون منا بإصرار أن نكفر ولا نؤمن، ونكذب بما جاءت به الرسل ولا نصدق، ونعبد من دون الله الأوثان التي لا تملك لأنفسها من الأمر شيئاً، فضلاً أن تملك لغيرها شيئاً.

قال الشريف الرضي: المراد بمكر الليل والنهار: ما يتوقع من مكرهم في الليل والنهار، فأضاف تعالى المكر إليهما لوقوعه فيهما. وفيه أيضاً زيادة فائدة وهي: دلالة الكلام على أن مكرهم كان متصلاً، غير منقطع في الليل والنهار، كما يقول القائل: ما زال بنا سير الليل والنهار حتى وردنا أرض بني فلان، وهذا دليل على اتصال سيرهم في الليل والنهار من غير إغباب ولا إراحة ركاب. اهـ^(٥).

(١) وأقرب مثال على ذلك المستضعفين من المؤمنين وما لاقوا من كفار قريش من صنوف الأذى والبلاء، ومع ذلك لم تزعزعهم بل ازدادوا رسوخاً وثباتاً.

(٢) انظر: جامع البيان: ٤٠٦/٢٠ - ٤٠٨.

(٣) قال الأخفش في معاني القرآن: أي هذا مكر الليل والنهار، والليل والنهار لا يمكن بأحد ولكن يُمكر فيهما، كقوله ﴿من قرنتك التي أخرجتك﴾ سورة محمد الآية ١٣ وهذا من سعة العربية. اهـ منه ٤٤٥/٢.

(٤) ابن عطية: ١٤١/١٣.

(٥) تلخيص البيان (ص ٢٦٧).

يدل لذلك قراءة: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(١) والتقدير: (بل مكر كائن في الليل والنهار)^(٢).

وفي قراءة أخرى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(٣). وفي ثالثة ﴿بَلْ مَكْرُ﴾^(٤). المكرُّ والكروور: أي اختلاف الأوقات، فمعنى الرفع (مكرُّ) أي: صدنا مكرُّ الليل والنهار أي كروورهما^(٥)، قال سعيد بن جبير: مرَّ الليل والنهار عليهما فغفلوا^(٦).

كقوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾^(٧) ومعنى النصب (مكرُّ) الظرفية أي صددمونا في هذه الأوقات على هذه الأحوال، كقولك: زرتك خفوق النجم وصياح الديك^(٨).

ف (بينت بقراءة الجمهور أن خديعة وحيلة الكفار هي التي حملت المستضعفين على الكفر، وبينت القراءات الأخرى سبيل ذلك وهو تكرار المكر في الليل والنهار والله أعلم)^(٩).

(١) بتونين (مكر) ونصب (الليل والنهار) وهي قراءة قتادة ويحيى بن يعمر انظر المحتسب ٢٣٨/٢ والقرطبي ٢٩١/١٤ والبحر المحيط ٢٨٣/٧ وابن عطية ١٤١/١٣ ومختصر شواذ القراءات ص ١٢٢ والنحاس في معاني القرآن ٤١٩/٥.

(٢) القرطبي ٢٩١/١٤.

(٣) بفتح الكاف وشدّ الراء مع رفعها وهي قراءة أبي رزين وسعيد بن جبير وابن يعمر ومسعود بن مالك وجعفر بن محمد. انظر المحتسب ٢٣٧/٢ ومختصر شواذ القراءات ص ١٢٢ والبحر المحيط ٢٨٣/٧ وابن عطية ١٤١/١٣ والقرطبي ٢٩١/١٤ والنحاس في معاني القرآن ٤١٩/٥.

(٤) بالنصب قراءة ابن جبير، وطلحة، وراشد. انظر المحتسب ٢٣٨/٢ والبحر المحيط ٢٨٣/٧ والنحاس في معاني القرآن ٤١٩/٥ وابن عطية ١٤١/١٣.

(٥) قال أبو الفتح عثمان بن جني في (المحتسب): فإن قيل: أفهذا تراجع عن قولهم لهم ﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾؟ قيل: لا، ليس بانصراف عن التظلم منهم، وذلك أنه وصله بقوله ﴿إذ تأمروننا أن نكفر بالله﴾ أي فكروور الليل والنهار علينا - على إغوائكم إيانا - هو الذي أصارنا إلى النار. وهذا كقول الرجل لصاحبه أهلكني النهار والله! فيقول: وكيف ذلك؟ فيقول في جوابه: مضى أكثر النهار وأنت تضربني، فيفسره بمقتضى الزمان على إساءته إليه. اهـ منه ٢٣٨/٢ مع التصرف اليسير.

(٦) القرطبي ٢٩١/١٤.

(٧) سورة الحديد الآية: ١٦.

(٨) المحتسب ٢٣٩/٢.

(٩) (القراءات وأثرها ..) ٦٢٥/٢.

والحق أن هؤلاء الرؤساء والكبراء قد مكروا مكرًا كبيراً، وقد مكروا مكرًا كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ فقد كان قادة الكفر عقبه صلبه أمام الإسلام، وحاجزاً بين نور الإسلام وعمامة الناس، وكانوا يمثلون خطراً يهدد الإسلام، فمن أوجه كيدهم ومكرهم لصرف عامة الناس عن دين الإسلام:

أولاً: الاستهزاء بالرسول عليهم الصلاة والسلام وبأتباعهم وبما جاءوا به^(١).

ثانياً: الاحتقار لرسول الله تعالى وأتباعهم^(٢).

ثالثاً: تعجيز الرسل باقتراح الآيات وطلب إنزال العذاب^(٣).

رابعاً: الطعن في غايات الرسل ومقاصدهم^(٤).

خامساً: الطعن في القرآن الكريم^(٥).

سادساً: الحرب المادية من الحبس والنفي والتصفية الجسدية^(٦).

كل ذلك مكرًا، وكيداً للقضاء على هذا الدين وأهله، حتى لا تمتد جذوره وتنمو أغصانه، ويكثر المعتنقون له والمتمسكون به^(٧).

(١) انظر سورة الحجر الآية: ٦، وسورة الأنبياء: ٤١، وسورة المطففين الآية: ٢٩، وسورة سبأ الآية: ٧، وسورة الكهف الآية ٥٦.

(٢) انظر سورة الزخرف الآية: ٣١، وسورة الأنبياء الآية: ٣٦، وسورة الأنعام الآية: ٥٣، وسورة الأحقاف الآية: ١١.

(٣) انظر سورة الأنعام الآية: ٨، وسورة الفرقان الآية: ٧، وسورة الإسراء الآية ٩٠ - ٩٣، وسورة الأنفال الآية: ٣٢.

(٤) انظر سورة المؤمنون الآية: ٢٤، وسورة يونس الآية: ٧٨، وسورة الشعراء الآية: ٣٥.

(٥) انظر سورة فصلت الآية: ٢٦، وسورة الفرقان الآيات: ٤ - ٥، وسورة النحل الآية: ١٠٣، وسورة الحاقة الآيات: ٤١ - ٤٢، وسورة القلم الآيات: ١٠ - ١٥.

(٦) انظر سورة الأنفال الآية: ٣٠، وسورة إبراهيم الآية: ١٣، وسورة غافر الآية: ٥.

(٧) وفي هذه الأزمان يتكرر ذلك المكر في صور جديدة، وقوالب متعددة، وتسخر له كثيراً من الإمكانيات والوسائل، وهي في مجموعها لا تخرج عن الحرب المادية أو المعنوية التي مارسها أكابر الجرمين منذ فجر التاريخ مع رسل الله تعالى وأتباعهم من سخرية = واستهزاء، وإشاعة للأباطيل والافتراءات نحوهم، فإذا لم توت تلك الوسائل ثمارها السيئة، ولم يُجد ذلك اتبعوا الحرب المادية من الحبس، أو النفي، أو التصفية الجسدية، كل ذلك صداماً لعامة الناس عن سبيل الله ومكرًا بهذا الدين

ومهما يكن من أمر الكبراء فإن الله تعالى قد أنزل كتبه، وأرسل رسله، وأبان الهدى غاية البيان، وبلغ رسله أتم البلاغ، حتى لم يبق حجة لمحتج، ولا عذر لمعتذر.

وما كان هذا الخصام بنافعهم من شيء، إذ الكل مشتركون في العذاب، ولن يشفع للمستضعفين ضعفهم، فلن يكونوا أقل خزيًا وعارًا ومهانة وإهانة، من المستكبرين، فالله لن يعذب المستكبرين وحدهم، وإنما سيعذب معهم المستضعفين أيضاً، والله لن يضاعف العذاب للذين استكبروا فحسب، ولكنه سيضاعفه كذلك للذين استضعفوا، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اذَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنَّ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

وقال الله تعالى في ختام هذا الحوار بين المستضعفين والمستكبرين ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ الكحل في ذلك الموقف نادم متحسر على تفريطه في الحياة الدنيا، ولكن تشتد هذه الندامة ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ وهي من الأتباع أشد ألمًا، وأكبر حسرة، لأنهم تنكبوا طريق الحق والهدى والرشاد إلى طريق الغي والعمى والضلال، لا لشيء إلا تقليدًا للرؤساء وطاعة عمياء للسلطة والكبراء، وإرضاء لهم، باختيار من الضعفاء أنفسهم، وإلا فمن يستطيع من الخلق أن يحول بين المرء وقلبه، لذلك تكون حسرتهم يوم القيامة أكبر، وندامتهم أفدح، ولكن هيهات هيهات أن ينفع الندم، بل ﴿وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا﴾ بدون تفريق بين ضعفاء وكبراء، كلاهما ظالم، هذا ظالم بتجبره وطمعانه وضلاله وإضلاله للآخرين، وهذا ظالم لتقليده الظلمة والطاغين، وانقياده لهم، وتنكبه لطريق الهداية والرشاد، وإيثاره للشرك على التوحيد، والفسوق والعصيان، على الهدى والإيمان.

وما هذا العذاب الذي يروونه الآن بأمر أعينهم إلا جزاء وفاقاً لأعمالهم في الدنيا ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

وقد ذكر الله تعالى هؤلاء الكفار من أتباع ومتبعين في محكم التنزيل أحوالاً متعددة،

= وأتباعه، ومن يمثله حتى لا يجد دعاة الحق من يسمع لهم أو يفكر في اتباع طريقهم ﴿ويعمرون ويمكروا﴾

الله والله خير الماكرين ﴿سورة الأنفال الآية: ٣٠.

(١) سورة الأعراف الآية: ٣٨.

(٢) سورة سبأ الآية: ٣٣.

ومواقف مذهلة عند رؤيتهم للعذاب منها:

١- ندمهم على ما سلف كما في آية الحوار هذه:

قال الله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾^(١) فقد دهشوا وبهتوا عندما رأوا العذاب، فلم يقدرُوا أن ينطقوا، فما كان منهم إلا أن أسروا الندامة^(٢).

٢- تبرؤ المتبوعين من التابعين:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾^(٣).

٣- تحققهم أنهم موقوعوا عذاب جهنم:

قال الله تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾^(٤).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: أي أنهم لما عاينوا جهنم حين جيء بها تقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك^(٥)، تحقق الجرمون أنهم لا محالة موقعوها؛ ليكون ذلك من باب التعجيل، تعجيل الهم والحزن لهم، فإن توقع العذاب، والخوف منه قبل

(١) سورة يونس الآية: ٥٤، وسورة سبأ الآية: ٣٣.

(٢) قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير: واعلم أن قوله ﴿وأسروا﴾ جاء على لفظ الماضي والقيامة من الأمور المستقبلية إلا أنها لما كانت واجبة الوقوع، جعل الله مستقبلها كالماضي. اهـ منه ٩٠/١٧. وقال العلامة ابن عطية رحمه الله تعالى معقباً على قول من قال ﴿أسروا﴾ معناها أظهروا وهي من الأضداد، قال: هذا كلام من لم يعتبر المعنى أما نفس الندامة فلا تكون إلا مستترة ضرورة، وأما الظاهر عنها فغيرها، ولم يثبت قط في لغة أن أسر من الأضداد. اهـ من (الحرر الوجيز): ١٤٢/١٣.

(٣) سورة البقرة الآيات: ١٦٥ - ١٦٧.

(٤) سورة الكهف الآية: ٥٣.

(٥) كما جاء في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يؤتى يجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)) أخرج الإمام مسلم في صحيحه

١٤٩/٨.

وقوعه، عذاب ناجز، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ أي ليس لهم طريق يعدل بهم عنها ولا بد لهم منها.

روى الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وإن الكافر ليرى جهنم فيظن أنها مواعته من مسيرة أربعين سنة» (١).

٤- يسوء الله وجوه الكافرين عند معاينتهم العذاب:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً^(٢) سَيَّئَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ^(٣)﴾.

و (من عادة من يلاقي ما يكرهه، ويرى ما لا يحبه، أن يحدث ذلك تهيجاً في وجهه، يدل على نفور جأشه، وشدة إستيحاشه، فكذلك هؤلاء إذا شاهدوا أمارات العذاب، ونوازل العقاب، ظهر في وجوههم ما يستدل به على فضاة الحال عندهم، وبلوغ مكروهاها من قلوبهم، فكانوا كلائك المضغة المرة، وذائق الكأس الصيرة، في فرط التقطيب، وشدة التهيج، وشاهد ذلك قوله سبحانه ﴿تَلَفَّحُ وَجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ^(٤)﴾ بل الساعة أدهى وأمر^(٥) (٦).

فلما شاهدوا عذاب الله تعالى قريباً، ووقع ما كذبوا به، ساء الله بذلك وجوه الكافرين، ولهذا يقال لهم على وجه التقرير والتوبيخ ﴿هذا الذي كنتم به تدعون﴾ أي تستعجلون^(٧).

(١) تفسير القرآن العظيم: ٨١/٣، والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٧٥/٣ واللفظ له، والطبري:

٤٨/١٨.

(٢) الزلقة: القرب، فالمعنى: فلما رأوا العذاب ذا قرب. انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة بمصر

مادة ز ل ف: ٩١/٣.

(٣) سورة الملك الآية: ٢٧.

(٤) سورة المؤمنون الآية: ١٠٤.

(٥) سورة النجم الآية: ٤٦.

(٦) (تلخيص البيان) للشريف الرضي ص ٣١٨.

(٧) انظر: جامع البيان: ٥١٨/٢٣؛ وتفسير القرآن العظيم: ١٨٢/٨.

٥- يودون لو أنهم كانوا مهتدين:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿... وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾^(١).

فعند رؤيتهم لعذاب الله تعالى يودون لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق حتى يكونوا في الآخرة في مأمن ومنجى من العذاب الذي تشيب لرؤيته الولدان.

٦- طلبهم وتمنيهم أن يردوا إلى الدنيا لتدارك ما فات:

قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ...﴾^(٢).

يخبر الحق تبارك وتعالى عن الظالمين وهم المشركون بالله ﴿لما رأوا العذاب﴾ أي يوم القيامة تمنوا الرجعة إلى الدنيا ﴿يقولون هل إلى مرد من سبيل﴾ كما قال عز وجل ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣). وكما قال الله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤).

٧- يركبهم الذل والهوان من عظيم الخيفة وتوقع العقوبة:

قال الله تعالى: ﴿بِعَرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾^(٥) فإذا رأوا العذاب فإنهم لا يملئون عيونهم منها بل يسترقون النظر إليها من طرف خفي لشدة خوفهم وعظيم ذلمهم (والمراد بالآية أن نظرهم نظر الخائف الذليل، المرتاب، الظنين، فهو لا ينظر إلا مسترقاً، ولا يغضي إلا مشفقاً. وهذا معنى قولهم: فلان لا يملأ عينه من فلان. إذا وصفوه بعظم الهيبة له، وشدة المخافة منه، فكأنهم لا ينظرون بمتسع عيونهم وإنما ينظرون بشفافاتها^(٦) من ذلمهم ومخافتهم،

(١) سورة القصص الآية: ٦٤.

(٢) سورة الشورى الآية: ٤٤.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٢٧.

(٤) سورة الزمر الآية: ٥٨.

(٥) سورة الشورى الآية: ٤٥.

(٦) جمع شفافه وهي بقية الشيء.

ومن عظيم الخيفة وتوقع العقوبة (١).

٨- لا يؤخر عنهم العذاب بل يأخذهم سريعاً:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (٢).
فإنه إذ جيء بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك، فيشرف عنق
منها على الخلائق، وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه، فتقول: إني وكلت...
وتذكر أصنافاً من الناس، ثم تنطوي عليهم وتلقطهم كما يلتقط الطائر الحب (٣).

(١) تلخيص البيان) للشريف الرضي ص ٢٩٨.

(٢) سورة النحل الآية: ٨٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٥٩٨/٢. والحديث سبق تخرجه.

المطلب الثالث: حوار المستضعفين والمستكبرين عند إيقافهم

للمساءلة:

قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (١)﴾.. (٢).

فحين يحشر المشركون وأشباههم في الشرك، ومتابعوهم في الكفر، ومشايعوهم في تكذيب الرسل، وقرناؤهم من الشياطين، يوقفون موقف ذلة ومسكنة، مستسلمين، خاضعين، خائفين، وجلين، (منقادين لأمر الله لا يخالفونه ولا يجيدون عنه) (٣). فلا تمرد اليوم ولا استكبار، بل ذل وانقياد واستسلام. قال الله تعالى: ﴿مالكم لا تناصرون * بل هم مستسلمون﴾.

قال الزمخشري: هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين، متناصرين ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ فقد أسلم بعضهم

(١) لا تعارض بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ وقوله تعالى ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره: أن السؤال المنفي في الآيات المذكورة أخص من السؤال المثبت فيها، لأن السؤال المنفي فيها مقيد بكونه سؤالاً عن ذنوب خاصة فإنه قال ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ فخصه بكونه عن الذنوب، وقال ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ فخصه بذلك أيضاً. فيتضح من ذلك أن سؤال الرسل والموؤدة مثلاً ليس عن ذنب فعله فلا مانع من وقوعه، لأن المنفي خصوص السؤال عن ذنب، ويزيد ذلك إيضاحاً قوله تعالى ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ الآية، وقوله بعد سؤاله لعيسى المذكور في قوله ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ الآية ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ الآية.

- والسؤال عن الذنوب المنفي في الآيات: المراد به سؤال الاستخبار والإستعلام، لأنه جل وعلا محيط علمه بكل شيء، ولا ينافي نفي هذا النوع من السؤال ثبوت نوع آخر منه هو سؤال التوبيخ والتقريع لأنه نوع من أنواع العذاب، ويدل لهذا أن سؤال الله للكفار في القرآن كله توبيخ وتقريع كقوله ﴿وقفوههم إنهم مسؤولون ما لكم لا تناصرون﴾ وقوله ﴿أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون﴾ إلى غير ذلك من الآيات. اهد من (أضواء البيان): ٢٩٠/٢ - ٢٩١.

(٢) سورة الصافات الآية: ٢٢ - ٢٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٩/٧.

بعضاً وحذله عن عجز، فكلهم مستسلم غير منتصر^(١)، فيقبل بعضهم على بعض باللوم والتوبيخ والتأنيب ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾^(٢) حينئذ تدور بين رؤساء الضلال وأتباعهم محاورة حادة، ومخاصمة عنيفة: فيقول الأتباع للكبراء، والرؤساء إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، أغويتمونا بقوة إضلالكم، وغلظ أيمانكم بأنكم على حق ورشاد وسداد، فلا مجال لمراجعة ولا وقت لمناقشة ولا سماح لاستيضاح.

قال العلامة ابن عطية رحمه الله تعالى: يريد باليمين القوة والشدة فكأنهم قالوا إنكم كنتم تغفوننا بقوة منكم، وتحملوننا على طريق الضلالة بمتابعة منكم في شدة، فعبر عن هذا المعنى باليمين^(٣). فحلتم بيننا وبين الهدى والنور والخير، والصرط المستقيم، وكنتم تأتوننا من جهة الحق فتلبسوه علينا، وتأتوننا من قبل الدين فتضلوننا عنه وتروننا أن الدين ما تضلوننا به^(٤).

(١) الكشاف ٣٨/٤.

(٢) سبق مراراً أنه لا تعارض بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ إلى غير ذلك من الآيات بأوجه متعددة منها أن السؤال المنفي سؤال خاص، وهو سؤال بعضهم العفو من بعض فيما بينهم من الحقوق، لقنوطهم من الإعطاء، ولو كان المسؤول أباً أو ابناً أو أماً أو زوجة، والسؤال المثبت سؤال التوبيخ والتقريع والتلاوم... انظر ما تقدم.

(٣) وقال أيضاً: ومنه بيت الشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عراية باليمين

معناه بقوة وعزمه وإلا فكل أحد كان يتلقاها. اهـ من (المحرر الوجيز): ٢٢٧/١٣. والبيت لشماخ بن ضرار قاله يمدح عراية الأوسي انظر (اللسان) يمن، واستشهد به على هذا القول: الطبري في تفسيره: ٣٢/٢٣ والنحاس في معانيه: ٢٣/٦، والفراء في معانيه: ٣٨٥/٢، والماوردي في تفسيره: ٤٥/٥.

(٤) معالم التنزيل: ٣٨ / ٧. قلت: تنوعت وتغايرت ولم تتناقض وتتضاد أقوال المفسرين في المراد باليمين في الآية، فالآية تحتمل جميع هذه الأقوال، فما هناك من مانع يمنع، لأن كبراء الضلالة وزعماء الجهالة طبقوا جميع ذلك، ولم يتركوا وسيلة لصد الناس عن دين الله إلا واتبعوها حتى قالوا: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ الأنفال تليساً وتمويهاً على الأتباع أنه دين لا خير فيه ولا رشاد ولا فلاح ولا صلاح، وإلا فهم في قرارة أنفسهم مستيقنين أنه الحق الحقيقي وما بعده إلا الضلال المبين، لكن الحسد الذي أعمى أبصارهم، والتكبر والغطرسة التي انتفخت منها صدورهم، فحتم الله على أسماعهم وقلوبهم وجعل على أبصارهم غشاوة ﴿أفأرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ويحتم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمسن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾ سورة الجاثية الآية: ٢٣. انظر ابن عطية: ٢٢٧/١٣ وزاد المسير: ٥٤/٧.

كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿١﴾.

فيرد عليهم أئمة الكفر والضلال، رداً عنيفاً من ثلاث نقاط: ما كنتم أساساً مؤمنين فكفرتناكم، ولا صالحين فأفسدناكم، ولا موحدين فحملناكم على الشرك، (فلم تكونوا على الحق فضلكم عنه، إنما الكفر من قبلكم)^(٢) هذا أولاً، وثانياً: ما كان لنا عليكم من حجج قوية أقنعناكم بها، ولا سلطان قاهر، فلم يكن لنا قوة تحول بينكم وبين الإيمان، فأى قوة تستطيع أن تحول بين المرء وقلبه، قال العلامة ابن قتيبة رحمه الله تعالى: لم تكونوا على الحق فتشبهه عليكم ونزيلكم عنه إلى باطل^(٣) فلو أردتم الإيمان لم نستطع أن نردكم، ولو اطمأنتم للإيمان وأحببتموه من قلوبكم لما كان في أيدينا أي قوة، أو قدرة تمنع عنكم ذلك أو تنزعه من قلوبكم، لكن أعرضتم عن الإيمان، وكذبتم بالرسول إختياراً^(٤) (فأبيتم أنتم الإيمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر، غير ملجئين إليه)^(٥) ؛ لأنكم ﴿كنتم قوماً طاغين﴾ متجاوزين الحد، في الجهالة والكفر والاستعداد

الكامل للشر (مختارين الطغيان)^(٦) . (فلهذا استجبتم لنا، وتركتم الحق الذي جاءكم به الأنبياء، وأقاموا الحجج على صحة ما جاؤوكم به فخالفتموهم)^(٧).

(١) سورة الصافات الآية: ٢٧ - ٢٨. قال صاحب (الأساس في التفسير): في عصرنا طرح موضوع اليمين واليسار، وأصبح اليسار يعتبر عند بعض الناس علامة على الرغبة في التقدم والتخلص من عراقيل الماضي، وأصبحت من أكبر الشوائم أن تقول لإنسان أنت يميني، واتفق اليسار على أن يعتبر المتدينين جميعاً يمينيين، وأصبح كثير من الناس يفرون من التدين خوفاً من أن يتهموا بأنهم يمينيون رجعيون، فهل تحتل الآية - من جملة ما تحتل - الإشارة إلى هؤلاء الناس، الذين يصرفون الناس عن الإسلام، بدعوى أن الإسلام يميني، فيكون معنى الآية: إنكم كنتم تأتوننا عن طريق مهاجمة اليمين لتصرفونا عن الإسلام، لا نزع أن الآية تعني هذا قطعاً، ولكن التعبير يحتمله، وذلك من مظاهر الإعجاز القرآني، إذ يعطي التعبير فيه في كل عصر تعبيراً خاصاً، والله أعلم. اهـ منه: ٥/٢٧٩٨.

(٢) معالم التنزيل: ٣٨/٧.

(٣) (تأويل مشكل القرآن) ص ٢٧١.

(٤) انظر تفسير المراغي: ٥٢/٢٣.

(٥) الكشاف ٣٩/٤.

(٦) الكشاف ٣٩ / ٤.

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١١/٧.

فلبيتم دعوتنا بدون تفكير، وأجبتكم نداءنا لكم إلى الغواية من غير بصيرة، ودخلتم في حزب الضلالة، وقد وجب علينا جميعاً قول ربنا ووعيدة الشديد ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(١) (وحقت علينا كلمة العذاب)^(٢). إنا لذائقوا العذاب الأليم، فلا تلوّمونا ولموما أنفسكم. قال الله تعالى مبيناً رد السادة والكبراء على الأتباع: ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾^(٣). فدعوناكم إلى الغي دعوة محصلة للبغيّة، لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد. (فكانوا غاوين، أغووا أتباعهم؛ لأن متبع الغاوي في غيّه، لا بد أن يكون غاوياً مثله، ذكره تعالى في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾^(٤) ثم يأتي التعقيب من قبل الجبار تبارك وتعالى، يقطع هذا الخصام والجدال وهو الحكم النهائي يعلن على رؤوس الأشهاد ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾^(٥) فشرّكهم الله تعالى في العذاب جميعاً تابعين ومتبوعين كل بحسبه، كما اشتركوا في الضلال والكفر.

وإذا كان الاشتراك في المصيبة في الدنيا مما يخفف وطئتها على صاحبها لأنه يعزي نفسه بأن غيره قد أصيب مثل مصيبته على حد قول الخنساء في رثائها لأخيها صخر وتعزيتها لنفسها:

ولولا كثرت الباكين حولي على قتلاهم لقتلت نفسي
وما سيكون مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي^(٦)

(١) سورة السجدة الآية: ١٣ انظر (زاد المسير): ٥٤/٧ قال القرطبي: وهذا موافق للحديث: ((إن الله كتب للنار أهلاً وللجنة أهلاً لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم)) رواه الترمذي اهـ من (الجامع لأحكام القرآن) ٧٨/١٥.

(٢) (معاني القرآن) للزجاج: ٣٠٢/٤ وانظر (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة ص ٢٧١.

(٣) سورة الصافات الآية: ٢٨ - ٣٢.

(٤) سورة القصص: ٦٣ ؛ أضواء البيان: ٦٨٣/٦.

(٥) سورة الصافات الآية: ٣٣.

(٦) ديوان الخنساء.

وأما في الآخرة فلا فإن الاشتراك في العذاب هناك ليس بنافعهم شيئاً، قال تعالى:
﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾^(١) وهذه عاقبة كل مجرم في
الآخرة ﴿ناراً تَلْظَى لَا يَصِلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾.

﴿إنا كذلك نفعل بالمجرمين﴾ (فهكذا نفعل بالذين اختاروا معاصي الله في الدنيا على
طاعته، والكفر به على الإيمان، فنذيقهم العذاب الأليم، ونجمع بينهم وبين قرنائهم في النار)^(٢).
وهذا الذي حلّ بهم من العذاب الأليم، والصَّغار في الجحيم، أبد الأبد، إنما هو جزاء موافق
لأعمالهم الخبيثة، وأفعالهم الشنيعة، وأقوالهم الفاحشة، فقد استكبروا استكباراً ما بعده، حتى
استكبروا عن قيل لا إله إلا الله كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ^(٣).

وأصروا على عبادة الحجر من دون الله تعالى وصبر بعضهم بعضاً في السير على سبيل
الشرك والوثنية، والكفر بالتوحيد والحنيفية، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ
مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (٤) أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
عَجَابٌ (٥) وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأَ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا
سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧) أُوْنَزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي
شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٌ^(٤) وقال الحق جل وعلا هنا: ﴿بل جاء بالحق وصدق
المرسلين﴾ فهم لم يتركوا سبيلاً للإعراض إلا ولجوه، فتارة يقولون ساحر، وتارة شاعر، وتارة
مجنون، وتارة كاذب، فكذبوا بالحق لما جاءهم، وكذبوا على رسل الله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا
فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾^(٥) لذلك جعل الله تعالى مصيرهم ومآلهم في الآخرة
العذاب الأليم ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦).

(١) سورة الزخرف الآية: ٣٩.

(٢) جامع البيان: ٢١ / ٣٣.

(٣) سورة الصافات الآية: ٣٦.

(٤) سورة ص الايات: ٨ ٤.

(٥) سورة ص الآية: ٧.

(٦) سورة الزمر الآية: ٧٥.

المبحث الثاني: حوار الكفار المستضعفين والمستكبرين في نار جهنم:

تمهيد:

لا ينقطع الخصام والجدال بين المستضعفين والمستكبرين بانفضاضهم من أرض المحشر، وكبكتهم في نار جهنم، بل يستمر من حين اقتحامهم في النار وذلك - والله أعلم - لشدة ما هم فيه من غبن، وإحساس بالحسرة والندم على ما صاروا إليه من عاقبة السوء، ومأوى الجحيم ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانَ﴾^(١) نفسهم السموم، وشرابهم الحميم، وطعامهم الزقوم والضريع، وثيابهم القطران، وفراشهم نار جهنم، وقد أحاطت بهم من فوقهم ومن تحتهم، وعن أيمنهم، وعن شمائلهم ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾^(٢) أطبقت عليهم النيران ﴿كُلَّمَا حَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾^(٣) أحرقت الجلود وأطلعت على الأفئدة ﴿نَارُ اللَّهِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْافْتِدَةِ﴾^(٤) ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾^(٥) ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾^(٦).

ويستعر الحوار فيما بينهم، ويشند التخاصم لعظم حنقهم، وشدة غيظهم ومقتهم على من تسبب في ترددهم وضلالهم، قال الله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ...﴾^(٧) وقال سبحانه وتعالى عنهم: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ...﴾^(٨) وفي ذلك ما فيه، من الدروس والعبر ففي ذلك الوقت لا تنفع المنايذة والتبرؤ من رؤوس الكفر، وقادة الضلال والعصيان، فالיום اليوم قبل الفوات، كما قال الله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾^(٩).

وفي هذا المبحث نبين - إن شاء الله تعالى - المواقف التي يدور فيها الحوار ويستعر فيها الخصام بين المستضعفين والمستكبرين في نار جهنم تحت المطالب التالية:

- (١) سورة الرحمن الآية: ٤٤.
- (٢) سورة المؤمنون الآية: ١٠٤.
- (٣) سورة الإسراء الآية: ٩٧.
- (٤) سورة الهمزة الآية: ٦ - ٩.
- (٥) سورة الزخرف الآية: ٦٧.
- (٦) سورة الأعراف الآية: ٣٨.
- (٧) سورة الشورى الآية: ٤٧.

المطلب الأول: عند إدخال فوج من الأتباع على المتبوعين في نار

جهنم:

قال الله تعالى: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ..﴾ فالسادة والكبراء يتقدم دخولهم في نار جهنم على الأتباع الضعفاء، ثم يلحق بهم أتباعهم، فيساقون إلى النار سوقاً عنيفاً ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعْوًا﴾^(١) كما تساق البهائم الشاردة الجامحة النافرة ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ﴾^(٢).

فيلقى آخرهم على أولهم، وتقول الخزنة حيثئذ للمتبوعين: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ﴾^(٣) معكم، فيرد المتبوعون: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾^(٤) أتباع كل ناعق، وأشياع كل نابح وناهق.. ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ ومقاسوا حرّها، وأليم عذابها، دار الهوان والخذلان. فيتضايقون منهم، ويضجرون من إلقائهم عليهم وإقحامهم معهم في نار السعير، وسبب ذلك والله أعلم أن نار جهنم وقودها الناس والحجارة، فكلما ألقى فيها إزداد سعيرها، واشتد حرّها، وارتفع لهيها، كما قال تعالى ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾^(٥) مع ما يزداد فيها من القيح والصديد وغير ذلك من أنواع النكد.

قال العلامة البقاعي رحمه الله تعالى: ولما كان أهل النار يؤذي بعضهم بعضاً بالشهيق والزفير والزحام والدفاع والبكاء والعيويل وما يسيل من بعضهم على بعض من القيح والصديد وغير ذلك من أنواع النكد، لا سيما إن كانوا أتباعاً لهم في الدنيا، فصاروا مثلهم في ذلك الدخول في الرتبة، لا يتحاشون عن دفاعهم وخصامهم ونزاعهم، قالوا استئناً: ﴿لَا مَرْحَبًا﴾

(١) سورة الطور الآية: ١٣.

(٢) سورة الحج الآية: ١٨.

(٣) الاقتحام: ركوب الشدة والدخول فيها، والقحمة الشدة، وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض، والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب. الزمخشري ٩٨/٤.

(٤) قال الطبري في (جامع البيان): وهذا خبر من الله تعالى عن قيل الطاغين الذي كانوا قد دخلوا النار قبل هذا الفوج المقتحم للفوج المقتحم فيها عليهم، لا مرحباً بهم، ولكن الكلام اتصل فصار كأنه قول واحد. اهـ منه ٢١ / ٢٣٠.

(٥) سورة الأنبياء الآية: ٩٨.

ثم بينوا المدعو عليه فقالوا: ﴿بِهِمْ﴾ وهي كلمة واقعة في أتم مواقعها لأنها دالة على التضجر والبغضة مع الصدق في أهل مدلولها الذي هو مصادفة الضيق، مفعول من الرحب مصدر ميمى وهو السعة، أي لا كان بهم سعة أصلاً، ولا اتسعت بهم هذه الأماكن، ولا هذه الأزمان، ولا حصلت لهم ولا بهم راحة، ولذلك عللوا استحقاتهم لهذا الدعاء بقولهم مؤكدين لما كان استقر في نفوسهم وتناول عليه الزمان من إنكارهم له ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ أي ومن صليها صادف من الضيق ما لم يصادفه أحد وأذى كل من جاوره^(١).

وهنا يرد الأتباع - وكانوا في الدنيا لا يستطيعون أن يردوا عليهم، لمكانهم من الرياسة والسلطان، فلما تساووا في نار جهنم لم يجدوا تخرجاً في الرد عليهم، واتهامهم بأنهم هم الذين أضلّوهم وأغروهم - فيردون عليهم بالكلمات الحانقة ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾^(٢).

ولا أكرمكم، ولا أذاقكم إلا الحميم، وشراب الصديد، والغسلين، ولا أطعمكم إلا الزقوم والضريع، ولا ألبسكم إلا ثياب القطران والذل والهوان، فأنتم به أحرى، وأولى ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾^(٣) لَنَا فَيَسِّرَ الْقَرَارُ^(٤) فأنتم سبب شقوتنا ونكبتنا فأقحمتونا في العذاب بسبب حملتكم علينا في الدنيا لإتباع سبيلكم وزينتم لنا الضلالة حتى ضللنا عن السبيل فلم تحملوا عنا من خطايانا من شيء ولم تتحملوا عنا نصيباً من النار ولم تدفعوا زبانية العذاب على حد زعمكم في الدنيا، ويستمر الأتباع في كلامهم، ويقولون داعين الله أن يزيد أولئك الرؤساء تعذيباً، ويضاعف لهم ما هم فيه، لأنهم هم الذين أضلّوهم ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾^(٥). يا ربنا ضاعف عذابهم، وأكثر نكالهم ووبالهم، وشدد آلامهم وأوجاعهم، ثقل أغلالهم وسلاسلهم، فهم الذين أوقعونا في دركات الجحيم، وأدخلونا دار

(١) (نظم الدرر) ٢٠٢/٦ وما بعدها مع التصرف باليسير بالاختصار.

(٢) سورة ص الآية: ٦٠.

(٣) قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى تقديمهم العذاب لهم؟ قلت: المقدم هو عمل السوء، قال الله تعالى:

﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾. آل عمران ١٨٢؛ والأنفال: ٥١، ولكن الرؤساء

هم المُقَدَّمين، وجعل الجزاء هو المقدم، فجمع بين مجازين: لأن العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا

رؤسائهم، والعمل هو المقدم لا جزاؤه. اهـ منه ٩٨/٤.

(٤) سورة ص الآية: ٦٠.

(٥) سورة ص الآية: ٦١.

البوار، وأنزلونا منازل الأشرار، ودركات الكفار والفجار فآتهم عذاباً مضاعفاً في النار، عذاباً للضلال، وعذاباً للإضلال، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ﴾ وقوله ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا﴾^(١).

(١) سورة الأحزاب الآية: ٦٧ - ٦٨ .

المطلب الثاني: حوار المستضعفين والمستكبرين فور نذاركمهم

واجتماهم في نار جهنم:

قال الله تعالى: ﴿كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتٌ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾^(١).
يساق الكفار إلى نار جهنم سوقاً، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾^(٢).

وأول من يساق جماعات الزعماء، ورؤوس الكفر والضلال، ثم يليهم أتباعهم على حسب دركاتهم في الكفر والفجور، قال تعالى عن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾^(٣) وفي النار يستقبل بعضهم بعضاً باللعن والشتم ﴿كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾^(٤) فكل مودة ومحبة في الدنيا تنقلب إلى عداوة إلا ما كان لله كما قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٥)، فيلعن المتقدم المتأخر، ويلعن الأتباع السادة والكبراء ﴿حتى إذا آداركوا فيها جميعاً﴾ دار الحوار التالي: ﴿قالت أحرأهم﴾ (يعني أحرأهم دخولاً النار وهم الأتباع)^(٦) ﴿لأولاهم﴾ (وهم القادة، لأن القادة يدخلون النار أولاً)^(٧) فيقول الأتباع للسادة والكبراء قولاً يتضمن شكواهم إلى الله تعالى؛ لأنهم هم الذين أضلوه عن سواء السبيل: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾^(٨).

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى: وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن محاوراة الأحزاب من أهل الملل الكافرة في النار يوم القيامة^(٩).

(١) سورة الأعراف الآية: ٣٨.

(٢) سورة الزمر الآية: ٧١.

(٣) سورة هود الآية: ٩٨.

(٤) سورة العنكبوت الآية: ٢٥.

(٥) سورة الزخرف الآية: ٦٧.

(٦) معالم التنزيل: ٢٢٨/٣.

(٧) نفس المرجع السابق.

(٨) سورة الأعراف الآية: ٣٨.

(٩) جامع البيان: ٤١٧/١٢.

فالكبراء هم الذين أغوونا وأضلونا وغمسونا في حمأة الكفر والضلال، فعذبهم ضعف ما تعذبنا فهم الذين سنوا لنا الضلال، فمن ضل وسن لغيره الضلال فقد تحمل وزرين كما أن من اهتدى واهتدى غيره بسببه فله أجرين أجر نفسه وأجر من تبعه، وفي الحديث عنه ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(١).

قال الحق سبحانه ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) فمضاعفة العذاب للسادة

(١) الحديث أخرجه الدارمي في سننه ٨٨/١ حديث رقم ٥١٤ وبنحوه مسلم في صحيحه في كتاب العلم: ٢٠٥٩/٤ حديث رقم ١٠١٧ وليس في الحديث أي دلالة على تقسيم البدع إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة وذلك لأمر:

الأول: أن معنى (من سن) أي من سن العمل تنفيذاً، وليس سن العمل تشريعاً، فالمراد بالحديث العمل بما ثبت من السنة النبوية، ويدل لذلك السبب الذي لأجله جاء الحديث، وهو الصدقة المشروعة انظر صحيح مسلم حديث ١٠١٧.

الثاني: أن القائل: (من سن في الإسلام سنة حسنة) هو القائل: (كل بدعة ضلالة) ولا يمكن أن يصدر عن الصادق المصدوق ﷺ قول يكذب له قولاً آخر، ولا يمكن أن يتناقض كلام رسول الله ﷺ أبداً، وعليه: فلا يجوز أن نأخذ بحديث، ونعرض عن الحديث الآخر...

الثالث: أن النبي ﷺ قال: ((من سن)) ولم يقل ((من ابتدع)). وقال (في الإسلام). والبدع ليست من الإسلام، وقال: (حسنة) والبدعة ليست بحسنة. ولا يخفى الفرق بين السنة والبدعة، فإن السنة هي الطريق المتبع، والبدعة هي الإحداث في الدين.

رابعاً: لم ينقل عن أحد من السلف أنه فسر السنة الحسنة بالبدعة التي يحدثها الناس من عند أنفسهم. خامساً: أن معنى (من سن) أي من أحيا سنة كانت موجودة، فحياها.

سادساً: أن قوله ((من سن سنة حسنة)) ((ومن سن سنة سيئة)) لا يمكن حمله على الإختراع من أصل، لأن كونها حسنة أو سيئة، لا يعرف إلا من جهة الشرع. فلزم أن تكون السنة في الحديث إما حسنة في الشرع وإما قبيحة بالشرع. فلا يصدق إلا على مثل الصدقة المذكورة، وما أشبهها من السنن المشروعة، وتبقى السنة السيئة منزلة على المعاصي وعلى البدع لكونهما ثبت النهي عنها ودمها بالشرع. اهـ من (اللمع في الرد على محسني البدع) ص ١٥١٩ مع التصرف اليسير، وانظر الفتاوى لشيخ الإسلام: ٣٧٠/١٠ و ٢٣٣/٢٢ و ١٣٢/٢٣ و ١٥٢/٢٧. وانظر الاعتصام للشاطبي: ٢٣٦/١ والإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع ص ١٩، وحوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته ص ٥٦.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٣٨.

والكبراء لضلالهم وإضلالهم، ومضاعفته للأتباع لضلالهم واقتدائهم وتقليدهم الأعمى، ولتقويتهم أمر القادة، فاتبعوا الضلال وتركوا الهدى، (الذي جاءت به رسل الله ساطعاً قاطعاً، لم تترك - يعني الرسل - في الحق لبساً ولا شبهة، ولكن هؤلاء الضالين من أتباع ومتبوعين لشدة تعصبهم للكفر، لا يفكرون في الأدلة التي هي كالشمس في رابعة النهار لجاحاً في الباطل، وعناداً، فلذلك كان الكل غير معذور) ^(١)، ويضاعف لهم العذاب يوم القيامة.

فيرد المتبوعون حينئذ على الأتباع: إذا كنا قد أضللناكم فليس لكم فضل علينا، فقد ضللتكم كما ضللنا ^(٢).

قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ^(٣) (فانقضت حجة القوم - يعني الأتباع - وخصموا ولم يطبقوا جواباً بأن يقولوا: (فضلنا عليكم إذا اعتبرنا بكم وآمنا بالله وصدقنا رسله) وختم هذا الحوار بقوله سبحانه لجميعهم: فذوقوا جميعاً أيها الكفرة، عذاب جهنم، بما كنتم تكسبون من الآثام والمعاصي وتجتزحون... ^(٤)).

(١) جامع البيان: ١٢ / ٤١٧.

(٢) انظر الكشاف: ٩٩/٢.

(٣) سورة الأعراف الآية: ٣٩.

(٤) جامع البيان: ١٢ / ٤١٩.

وقفه مع آية الحوار:

ربما قيل في قوله تعالى ﴿فآتتهم عذاباً ضعفاً من النار﴾.

كيف يصح الضعف في العقاب وليس العقاب مما يصح فيه الزيادة فإن الزيادة عليه

ظلم.

وجوابنا: أنهم أرادوا الدعاء عليهم بمزيد العقاب، فليس من يُضل ولا يضل ولا يقتدى

به بمنزلة من يضل ويضل.

ومعنى قوله تعالى: ﴿قال لكل ضعف﴾ أنه لا أحد منهم إلا ويستحق من العقاب

زيادات على قدر معاصيه إما في الوقت أو في الأوقات^(١).

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن (ص ١٩٧ مع التصرف اليسير بالاختصار).

المطلب الثالث: الحوار عند طلب الضعفاء من المستكبرين تحمل

نصيب من النار عنهم :

قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا...﴾^(١).

يشند الجدال والخصام يوم القيامة في نار جهنم بين الأتباع والمتبوعين بعد اجتماعهم فيها جميعاً، فيقول الأتباع: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾^(٢) (فيحتاج التابعون بإغواء المتبوعين)^(٣)، ليتحملوا ويدفعوا عنهم شيئاً من العذاب ولو قليلاً.

(فأكدوا قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أي دون غيركم ﴿تَبَعًا﴾ أي أتباعاً، فتكبرتم على الناس بنا، وعبر به إشارة إلى أنهم كانوا في عظيم الطواعية لهم على قلب رجل واحد، ولما كان الكبير يحمي تابعه، سبوا عن ذلك سؤالهم فقالوا: ﴿فهل أنتم﴾ أيها الكبراء ﴿مغنون﴾ أي كافون ومجزون وحاملون ﴿عنا نصيباً من النار﴾^(٤).

فيتبرأ المتبوعون من التابعين، ويظهرون عجزهم، وتفوذ الحكم، الإلهي في الجميع، يقولون في ردهم على طلب الضعفاء: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ فلا نملك لكم شيئاً، ولا نغني عنكم من الله من شيء، ولو استطعنا أن ندفع عنكم شيئاً من العذاب، لدفعناه عن أنفسنا، ففاقد الشيء لا يعيطه، فقد قضى الله قضاءً، وحكم حكماً، فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، بالخلود في نار الجحيم.

﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾^(٥) فلا يزداد ولا ينقص منه، فلكل نصيبه من العذاب، ولكل ما يستحقه، فأدخل أهل الجنة الجنة فضلاً منه تعالى^(٦)، وأدخل أهل النار النار عدلاً منه تعالى، فلا مجال لمراجعة الحكم، ولا مجال لتغييره أو تعديله، وقد قضى الأمر.

(١) سورة غافر الآية: ٤٧.

(٢) سورة غافر الآية: ٤٧.

(٣) تفسير السعدي: ٣٦٨/٤.

(٤) (نظم الدرر) ٥٢١/٦ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٥) سورة غافر الآية: ٤٨.

(٦) انظر: الكشاف ١٦٦/٤.

الفصل السادس : حوار الملائكة (خزنة جهنم) مع الكافرين

المبحث الأول : حوار خزنة جهنم مع الكافرين على شفير

جهنم عند فتح أبوابها .

المبحث الثاني : حوار خزنة جهنم مع الكافرين عند

إقائهم في نار جهنم .

المبحث الثالث : حوار خزنة جهنم مع الكافرين بعد

سجرهم في نار جهنم .

المبحث الرابع : حوار خزنة جهنم مع الكافرين عند

مقتهم لأنفسهم في نار جهنم .

الفصل السادس: حوار الملائكة^(١) (خزنة جهنم)^(٢) مع الكافرين

تمهيد:

موقف الملائكة من الكافرين، بعكس موقفهم من المؤمنين تماماً، فإذا كانت الملائكة تحب المؤمنين وتؤيدهم، وتصلي عليهم، وتستغفر لهم، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّا اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ...﴾^(٥) وقوله تعالى في بيان تأييد المؤمنين بالملائكة وقتالهم الكفار ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾^(٦) والآيات في بيان ذلك كثيرة، أما موقفهم مع الكفرة فمحاربتهم ومقتهم، وزلزلة قلوبهم، وإنزال العذاب والهلاك بهم، كما حدث في إهلاك قوم لوط، ولعنهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ

(١) نظراً لأن حوار الملائكة الوارد في القرآن قليل فلم أفردّه في باب مستقل، وما ذكر منه فهو لبيان جانب مما يلاقيه أهل النار في الآخرة من تقرير وتوبيخ وإهانة لذلك ألحقته في فصل مستقل تحت هذا الباب لأن الكفار هم المعنيون بهذا الحوار، وهو متعلق بهم.

(٢) أما حوار خزنة الجنة مع المؤمنين فإنه ورد في السنة كثيراً. انظر جامع الأصول: ٤٢٥/١٠ - ٥٥٦. ولأن موضوعنا قرآني ومن أسس التفسير الموضوعي - على ما قيل - ترتب مباحثه على آيات القرآن الكريم فالمفسر يأتي بالحديث النبوي، شارحاً ومبيناً للنص القرآني، ولا يصح أن يأتي به ليكون منشئاً لعنصر من عناصر الموضوع القرآني، لذلك لا نصنف عناصر الموضوع من حديث نبوي ما دمتنا في إطار الموضوع القرآني وفي مجال التفسير الموضوعي، انظر (المدخل للتفسير الموضوعي) ص ٨٦.

(٣) سورة الأحزاب الآية: ٤٣.

(٤) سورة الشورى الآية: ٥.

(٥) سورة غافر الآية: ٩٠.

(٦) سورة الأنفال الآية: ٩.

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾ هذا في الدنيا، أما في الآخرة فلهم اللعنة ولهم سوء الدار، فتسحبهم الملائكة في أرض المحشر، على وجوههم ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ ﴿٢﴾ وتدخلهم إلى دركات النيران ليدوقوا عذاب الجحيم، ويزيدون آلامهم بتوبيخهم وتقريعهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ ﴿٣﴾ وقد نزع الله من قلوبهم الرحمة والشفقة على الكافرين، كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٤﴾

يستغيثون وترتفع أصواتهم في النار فلا يجيب ولا مغيث ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ...﴾ ﴿٥﴾ يطلبون الرجعة إلى الدنيا لتدارك ما فات، فيقول لهم الله تعالى: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ﴿٦﴾ ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ﴿٧﴾.

تضربهم الملائكة بمقامع من حديد، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ (٢١) كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٨﴾. فيكون بكاءً شديداً، حتى يبكون مكان الدمع دماً ففي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله (قال: «إن أهل النار ليبكون الدموع في النار حتى لو جرت السفن في دموعهم لجرت، ثم إنهم ليبكون بالدم بعد الدموع ولمثل ما هي فيه فلتبك﴾ ﴿٩﴾.

وفي هذا الفصل نستعرض حوار الملائكة مع الكافرين: فقد ذكر الله تعالى حوار الملائكة مع الكافرين في مواطن رتبها على المباحث التالية:

(١) سورة البقرة الآية: ١٦١.

(٢) سورة الرحمن الآية: ٤١.

(٣) سورة غافر الآية: ١٠.

(٤) سورة التحريم الآية: ٦.

(٥) سورة فاطر الآية: ٣٧.

(٦) سورة المؤمنون الآية: ١٠٨.

(٧) سورة الكهف الآية: ٢٩.

(٨) سورة الحج الآية: ٢١.

(٩) أخرجه ابن ماجه حديث رقم ٤٣٢٤ وابن أبي الدنيا في صفة النار حديث رقم ٢١٠ وفي كتابه الرقة والبكاء أيضاً برقم ٤٦ والحاكم في المستدرک: ٦٤٨/٤. وقال الحاكم حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

المبحث الأول: حوار خزنة جهنم مع الكافرين على شفير جهنم، عند فتح أبوابها:

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا...﴾^(١) يساق أهل النار إلى النار، جماعات جماعات^(٢)، سوق الشياة، مهانين ذليلين، مقيدين بالأغلال ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ^(٣) يسحبون في أرض المحشر أمام الخلائق، فتارة يؤخذون بنواصيهم، وتارة بأقدامهم، كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾^(٤) ولك أن تتصور تناقلهم، وما يركبهم من هم وغم وحزن وهم مساقون إليها زمراً زمراً، يلعن بعضهم بعضاً ويتأذى بعضهم من بعض، وذلك أبلغ في الخزي والفضيحة والهتكة من أن يساقوا واحداً واحداً، فيساقون إليها بعنف، وبدفع شديد كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ﴾^(٥).

قال الإمام ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار، وإنما يساقون سوقاً عنيفاً بزجر وتهديد ووعيد^(٦). السوق يقتضي الحث على المسير بعنف وإزعاج، وهو الغالب، ويشعر بالإهانة وهو المراد هنا أي سيقوا إليها بالعنف والإهانة أفواجاً متفرقة بعضها في إثر بعض، مترتبة حسب ترتيب طبقاتهم في الضلالة والشر^(٧).

وشتان بين سوقهم وسوق أهل الجنة زمراً، فأهل الجنة فرحين، بإخوانهم وسيرهم معهم، كل زمرة على حدة، كل مشتركين في عمل متصاحبين فيه على زمرةهم وجماعاتهم، مستبشرين، أقوياء القلوب كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير، كذلك يؤنس

(١) سورة الزمر الآية: ٧١.

(٢) انظر جامع البيان: ٣٤/ ٢٤ و مجاز القرآن: ١٩١/٢ وأبو حيان: ٤٢٦/٧.

(٣) سورة غافر الآية: ٧١ - ٧٢.

(٤) سورة الرحمن الآية: ٤١.

(٥) سورة الطور الآية: ١٣ - ١٤.

(٦) ابن كثير ١١٢/٦ ؛ وانظر تفسير البغوي: ١٣٢/٧.

(٧) روح المعاني ٣١/٢٤ - ٣٢ مع التصرف اليسير بالاختصار.

بعضهم بعضاً، ويفرح بعضهم ببعض^(١).

وأما أهل النار فهم في أنكد حال، وأبشع صورة، يساقون إليها وهم عطاش ظماء (وقد تقطعت أعناقهم من العطش قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾^(٢) والورد جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الماء إلا بعد عطش)^(٣).

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: يقول تعالى ذكره:

ونسوق الكافرين بالله الذين أجمعوا إلى جهنم عطاشاً اهـ^(٤).

ومن أحوالهم المؤلمة المخيفة أنهم يحشرون إلى جهنم على وجوههم عمياً وبكماً وصماً كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمَّآ مَا وَأَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾^(٥).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: عمياً لا يبصرون، وبكماً لا ينطقون، وصماً لا يسمعون، وهذا يكون في حال دون حال، جزاء لهم كما كانوا في الدنيا بكماً وعمياً وصماً عن الحق فجوزوا في محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه اهـ^(٦).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ

سَبِيلًا﴾^(٧).

(١) حادي الأرواح ص ٨٣ - ٨٤ مع التصرف اليسير بالاختصار. وقال الخازن: فإن قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما؟ قلت: المراد بسوق أهل النار طردهم إلى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالأسير إذا سيق إلى الحبس أو القتل، والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم؛ لأنهم يذهبون إليها راكبين، أو المراد بذلك السوق إسراعهم إلى دار الكرامة والرضوان. فشتان ما بين السوقين. اهـ من اللباب: ٦٥/٤. وانظر الكشف: ٤١٠/٣، والرازي: ٢٧/٢٠ وابن عادل: ٥٥٣/١٦.

(٢) سورة مريم الآية: ٨٦.

(٣) تفسير البغوي: ٢٥٥/٥.

(٤) جامع البيان: ١٢٧/٢٦.

(٥) سورة الإسراء الآية: ٩٧.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٢٣/٥. وانظر الشنقيطي: ٥٩٨/٤ - ٥٩٩.

(٧) الفرقان: ٣٤.

وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً قال يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة. قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة).

قال قتادة: بلى وعزة ربنا^(١).

وفي الحديث أيضاً عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاه، وصنفاً ركبانياً، وصنفاً على وجوههم^(٢)). قيل يا رسول الله: كيف يمشون على وجوههم؟ قال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل جذب^(٣) وشوكة» وفي لفظ «أما إنهم يتقون بوجوههم كل حذب^(٤) وشوك»^(٥).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: والحكمة في حشر الكافر على وجهه أنه عوقب على عدم السجود لله في الدنيا بأن يسحب على وجهه في القيامة إظهاراً لهوانه بحيث صار وجهه مكان رجله في التوقي من المؤذيات اهـ^(٦).

حتى إذا جاءوا إلى جهنم: ﴿فتحت^(٧) أبوابها﴾ فهي تكون مغلقة قبل ذلك، وإنما تفتح في وجوههم عند وصولهم إليها، ففاجأهم وبغتهم عذابها، واستقبلهم حرها وجحيمها

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق - باب الحشر حديث رقم ٤٧٦٠. ومسلم: ٢١٦١/٤ رقم ٢٨٠٦.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: ويؤخذ من مجموع الأحاديث أن المقربين يحشرون ركبانياً، ومن دونهم من المسلمين على أقدامهم، وأما الكفار فيحشرون على وجوههم اهـ. من الفتح: ٤٩٢/٨.

(٣) الجذب: الصلب من الأرض.

قال ابن الأثير: الأجاذب صلاب الأرض. وقيل: هي الأرض التي لا نبات بها، مأخوذ من الجذب وهو القحط اهـ. من النهاية في غريب الحديث: ٢٤٢/١ - ٢٤٣.

(٤) الحذب: ما ارتفع وغلظ من الأرض ومنه حديث يأجوج ومأجوج: ﴿وهم من كل حذب ينسلون﴾ يريد يظهرون من غليظ الأرض ومرتفعها. وجمعه حذاب اهـ. من النهاية لابن الأثير: ٣٤٩/١.

(٥) رواه الترمذي: ٢٠٩/٥، وأحمد في المسند: ٣٥٤/٢، واللفظ الآخر له. وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٦) فتح الباري: ٣٨٢/١١ - ٣٨٣.

(٧) قرأ عاصم وحزمة والكسائي وخلف العاشر ﴿فتحت﴾ بتخفيف التاء، على أنه فعل ماض مبني للمجهول من ((فتح الثلاثي))، و﴿أبوابها﴾ نائب فاعل.

وأهوالها^(١)، (فهم بمنزلة من وقف على باب لا يدري بما يفتح له من أنواع الشر إلا أنه متوقع منه شراً عظيماً، ففتح في وجهه وفاجأه ما كان يتوقعه، وهذا كما تجدد في الدنيا من يساق إلى السجن فإنه يساق إليه وبابه مغلق، حتى إذا جاءه فتح الباب في وجهه ففاجأته روعته وألمه بخلاف ما لو فتح له قبل مجيئه^(٢)).

قال ابن الزمكاني^(٣) عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾^(٤) فليس ثم عدد لتجيء الواو في الثامن وإنما هي واو الحال وردت لتؤذن بأن المجيء كان وقت تفتيح الأبواب، لأن الجنة دار كرامة وإنعام وضيافة، فلا يليق بها أن تغلق أبوابها دون الوارد ولا عليه، ومن ثم جاء في موضع آخر ﴿مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾^(٥) وهذا بخلاف قوله سبحانه في النار ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾^(٦) لأن النار دار سجن فاللائق أن تكون أبوابها مغلقة على من فيها وأنها لا تفتح إلا عند وصول المسجون إليها أجازنا الله من سخطه^(٧) اهـ.

وقال ابن عادل الحنبلي: وإنما جيء هنا بالواو دون التي قبلها لأن أبواب السجن تكون مغلقة إلى أن يجيئها صاحب الجريمة فيفتح له ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها، بخلاف أبواب السرور والفرح فإنها تفتح إنتظاراً لمن يدخلها^(٨).

= وقرأ الباقون ﴿فتحت﴾ بتشديد (التاء) على أنه فعل ماض مبني للمجهول من (فتح) مضعف العين والتشديد فيه للتكثير، والتكرير. انظر المغني: ٢٠٩/٣ و(الكشف عن وجوه القراءات): ٤٣٢/١.

- (١) انظر التفسير الكبير للرازي: ٢٧/ ١٩ وتفسير ابن عادل: ٥٥٢/١٦.
- (٢) انظر الخازن: ٤/ ٦٥، وابن عطية ١٤/ ١٠٤.
- (٣) هو كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزمكاني نسبه إلى زملكان قرية بغوطة دمشق، وقد كان قوي المشاركة في فنون العلم، ولي قضاء صرخد - من أعمال دمشق - توفي سنة ٦٥١هـ، من مصنفاته: التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن. انظر طبقات الشافعية: ١٣٣/٥ وبغية الوعاه ص ٣١٦.

- (٤) سورة الزمر الآية: ٧٣ وهي بخصوص أهل الجنة إذا جاؤوها.
- (٥) سورة ص الآية: ٥٠.
- (٦) سورة الزمر الآية: ٧١.
- (٧) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن) لكمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزمكاني ص ٢٨٥.
- (٨) (اللباب): ٥٥٥/١٦ وانظر البغوي: ١٣٢/٧ - ١٣٣ وللعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى رأي آخر في شأن أبواب الجنة إذ قال: فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة حتى إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم فيفجروهم العذاب بغتة، فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهله، فإن هذا شأن

الجزء المرتب على الشرط أن يكون عقيبه، فإنها دار الإهانة والخزي، فلم يستأذن لهم في دخولها ويطلب إلى خزنتها أن يمكنهم من الدخول، وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة، فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم، ويستشفعون بأولي العزم من رسله، وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم (ص) فيقول: أنا لها، فيأتي إلى تحت العرش ويجر ساجداً لربه فيدعه ما شاء الله أن يدعه، ثم يأذن له في رفع رأسه وأن يسأل حاجته، فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها فيشفعه - الحديث رواه الإمام مسلم رقم ١٩٦ - ويفتحها تعظيماً لخطورها، وإظهاراً لمنزلة رسوله وكرامته عليه، وإن مثل هذه الدار التي هي دار ملك الملوك رب العالمين إنما دخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هذه الدار إلى أن انتهى إليها، وما ركب من الأطباق طبقاً عن طبق، وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أذن الله تعالى لخاتم أنبيائه ورسوله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه في فتحها لهم، وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة = وحصول الفرح والسرور مما يقدر بخلاف ذلك، لئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذي يدخله من شاء، فجنة الله عالية غالية بين الناس، وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به، فما لمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ولهذا الدار، فليعد عنها إلى ما هو أولى به وقد خلق له وهيء له اهـ كلامه رحمه الله تعالى من (حادي الأرواح) ص ٨٣.

قلت: والراجح - والله أعلم - هو ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى لأنه هو الذي تعاضده الأدلة... وأما آية ص ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾ فقد قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيرها: الألف واللام هنا بمعنى الإضافة كأنه يقول: (مفتحة لهم أبوابها) أي إذا جاؤها فتحت لهم أبوابها. اهـ ٧٧/٧.

وقال رحمه الله تعالى في تفسير آية الزمر ﴿حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها﴾: أي وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط، حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقنص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، وقد ورد في حديث الصور أن المؤمنين إذا انتهوا إلى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم بالدخول، فيقصدون آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما فعلوا في العرصات عند استشفاعهم إلى الله عز وجل، أن يأتي لفصل القضاء، ليظهر شرف محمد (على سائر البشر في المواطن كلها).

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أنا أول شفيع في الجنة)) وفي لفظ لمسلم ((وأنا أول من يقرع باب الجنة)). وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. قال: يقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك)) رواه مسلم - حديث رقم ١٩٧ - اهـ منه ١١٩/٧ - ١٢٠.

ولما انتهوا إليها على تلك الحال من الهم والغم والحزن فتحت لهم أبوابها، وقفوا عليها وزيدوا على ما هم عليه، توييخ من خزنتها وتبكيتهم لهم^(١)، بما تضمنه حوار الخزنة التالي مع أهل النار: ﴿وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ فالله تعالى لا يعذب أحداً إلا بعد أن يقيم عليه الحجج والبراهين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾^(٢). وأضيف اليوم في قولهم ﴿يومكم هذا﴾ لأنه أراد به وقت دخولهم النار لا يوم القيامة واستعمال لفظ اليوم والأيام إليهم في أوقات الشدة مستفيض^(٣)، وقالوا ﴿رسل منكم﴾ لأنه أعظم في المحجة أي رسل من جنسكم لا يصعب عليكم مرايمهم ولا فهم أقوالهم^(٤).

فاعترفوا و ﴿قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ حيث قال الله تعالى لإبليس: ﴿لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين﴾ فقد كذبوا رسل الله تعالى واتبعوا إبليس^(٥).

وكلمته إنما حقت عليهم بالعذاب بسبب كفرهم، فحقت عليهم كلمة حجته، وكلمة عدله بعقوبته اهـ^(٦).

فرد عليهم الخزنة بأن بشروهم بدخول نار جهنم، والخلود فيها، وأنها بئس المثوى لهم ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(٧). وإنما حقت عليهم كلمة العذاب بناءً على تكبرهم وعدم انقيادهم لله بالتوحيد والخلوص من الشرك، فإن اعترافكم لن يُغني عنكم شيئاً إذ فات ومضى وقت الإمهال وجاء وقت الحساب والجزاء على الأعمال.

(١) انظر حادي الأرواح ص ٨٤.

(٢) سورة الإسراء الآية: ١٥.

(٣) ابن عادل: ٥٥٢/١٦ مع التصرف اليسير.

(٤) ابن عطية: ١٠٤/١٤.

(٥) انظر تفسير الحافظ ابن كثير: ٦٤/٤، وجامع البيان: ٣٣٧/٢١، وابن عطية ١٠٥/١٤.

(٦) بدائع التفسير: ٤٧٩/٣.

(٧) سورة الزمر الآية: ٧٢.

المبحث الثاني: حوار خزنة جهنم مع الكافرين عند إلقاءهم

وسقوطهم في نار جهنم.

ويتكرر حوار الملائكة مع أهل النار لكنه هذه المرة عند إلقاءهم وتساقطهم في نار جهنم التي قد اشتد غيظها على من كفر بربها، وعلا زفيرها وشهيقها ﴿سمعوا لها شهيقاً وهي تفور﴾ تكاد تميز من الغيظ ﴿فهذا التميز من الغيظ يشعر بشدة ما جناه أولئك الكفرة حتى لقد شعر به، واغتاض منه هذا الذي لا يحس - جهنم - (١).

قال مجاهد: تفور كما يفور الحب القليل في الماء الكثير (٢)، وقال ابن عباس عند قوله تعالى: ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾ تتفرق من شدة الغيظ على أعداء الله تعالى (٣). وأصل ذلك (أن دم القلب يغلي عند الغضب، فيعظم مقداره، فيزداد امتلاء العروق، حتى تكاد تتمزق (٤).

فيرد حوار التالي كلما ألقى في نار جهنم جماعة من الكفار:

﴿سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير﴾ يسألونهم سؤال توبيخ وتقرير ليزدادوا عذاباً فوق العذاب، وحسرة على حسرة.

قال الزجاج: وهذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب (٥).

فأجابوا بأن ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ (٦) ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (٧) فاعترفوا وأقروا بأن الله تعالى ما كان ليدخلهم النار إلا بعد أن أراح

(١) (من بلاغة القرآن) لأحمد بدوي ص ٢٢١.

(٢) رواه الإمام الطبري في (جامع البيان) ١٢/١٦٧.

(٣) رواه الإمام الطبري المصدر السابق ١٢/١٦٧.

(٤) الفخر في تفسيره ٥٦/٣٠ مع التصريف البسيط.

(٥) معاني القرآن ٥/١٩٩.

(٦) قال أبو السعود: جمعوا بين حرف الجواب (بلى) ونفس الجملة المحاب بها ﴿قد جاءنا نذير﴾ مبالغة في الاعتراف بمحجيء النذير، وتحسراً على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم وتمهيداً لبيان ما وقع منهم من التفريط تندماً واغتماماً على ذلك اهـ منه.

(٧) سورة الملك الآية: ٨ - ٩.

عللهم وأقام عليهم الحجة ببعثة الرسل، فكذبوا رسل الله، وأنكروا آياته المنزلة، ورأوا أنهم على الهدى وأن الرسل في ضلال كبير، (فجمعوا بين تكذيبهم الحاضر، والتكذيب العام بكل ما أنزل الله. ولم يكفهم ذلك، حتى أعلنوا بضلال الرسل المنذرين، وهم الهداة المهتدون. ولم يكتفوا بمجرد الضلال، بل جعلوا ضلالهم، ضلالاً كبيراً. فأى: عناد وتكبر وظلم يشبه هذا؟)^(١).

وَأَمَّا جَوَابُهُمْ ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٢) فعادوا بالملامة على أنفسهم، ونفوا عن أنفسهم الانتفاع بالأدلة السمعية، والأدلة العقلية، المعرفة للهدى من الضلال، والحسن من القبيح، والخير من الشر^(٣). ولم يستمعوا إلى آيات الله وما جاء به رسول الله من البينات والهدى ودين الحق، بل أوصى بعضهم بعضاً بعدم السماع، كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾^(٤) وقد كانت لهم أحوال غريبة، غاية في السوء والشر، عند سماع الوحي والذكر ودعوة الرسل لهم من ذلك ما ذكره الله تعالى عنهم مما يعزيهم من شر ونفور وجزع وغضب على من جاءهم بالذكر، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾^(٥) ويقولون في القرآن العظيم أقوال مفتراه كاذبة شنيعة، قال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: كهانه. وقال بعضهم: أساطير الأولين، وقال بعضهم: اختلقه محمد ﷺ، كما ذكره الله تعالى عنهم في محكم التنزيل ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٦) وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾^(٧)، وقوله تعالى عنهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾^(٨)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا

(١) تفسير السعدي: ٢٧٧/٥.

(٢) سورة الملك الآية: ١٠.

(٣) السعدي: ٢٧٨/٥.

(٤) سورة فصلت الآية: ٢٦.

(٥) سورة القلم الآية: ٥١.

(٦) سورة النحل الآية: ٢٤.

(٧) سورة المدثر الآية: ٢٤.

(٨) سورة ص الآية: ٧.

تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ وذكر الحق تبارك وتعالى عنهم أنهم يستمعون إلى القرآن حال كونهم مستهزئين به لا هين عنه، ويتناجون فيما بينهم بالإثم والعدوان والكفر بالقرآن، ويجعلون القرآن أضغاث أحلام أي (بمنزلة كلام النائم الهادي) ^(٢) الذي لا يحس بم يقول.

كما قال الله تعالى عنهم: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤) بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴿٣﴾ (فالإضراب في قوله هنا ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ...﴾ إضراب انتقالي لا إبطالي لأنهم قالوا ذلك كله، فهم لا يثبتون على قول، بل تارة يقولون هو ساحر، وتارة شاعر، وهكذا، لأن المبتل لا يثبت على قول واحد) ^(٤).

ومن أحوالهم في الدنيا عند سماع القرآن الإصرار والاستكبار والتولي والإعراض كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا...﴾ ^(٥) وقوله: ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تَتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا...﴾ ^(٦) ومن أحوالهم أنهم استثقلوا القرآن الكريم لشدة نفورهم وعتوهم كما قال تعالى عنهم: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَنصِتُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ ^(٧) لذلك جعلهم الله تعالى بمنزلة الموتى أو الصم في عدم انتفاعهم بأسماعهم، قال الله تعالى عنهم: ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ^(٨) فوصفهم الله تعالى في عدم الانتفاع بما يسمعون كالأنعام بل أضل سبيلاً، قال الله تعالى: ﴿أَمْ

(١) سورة الحاقة الآية: ٤١ - ٤٢.

(٢) تفسير السعدي: ٢٦٦/٣.

(٣) سورة الأنبياء الآية: ٢ - ٥.

(٤) أضواء البيان للشنقيطي: ٥٥٦/٤ مع التصرف اليسير بالاختصار.

(٥) سورة لقمان الآية: ٧.

(٦) سورة الجاثية الآية: ٨.

(٧) سورة هود الآية: ٢٠.

(٨) سورة الروم الآية: ٥٢.

تَحَسَّبُ أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا^(١) وهو ما اعترفوا به على أنفسهم هنا ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٢) نعم لهم آذان لكنهم لا يسمعون بها سماع هداية قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(٣) (فهم يسمعون، ولكن لا يسمعون ما ينفعهم في الآخرة، ويعقلون ولكن لا يعقلون ما ينفعهم في الآخرة، فالله تعالى جعل لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾^(٤) لكنهم سمعوا وعصوا واستهزؤا واستكبروا وقالوا إفكاً وزوراً ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٥).

وقد بين تعالى سبب عدم استفادتهم بما يسمعون في قوله تعالى ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾^(٦) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ^(٧)، وقوله ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾^(٧) ^(٨).

وقدم السمع على العقل لأن المدعو إلى شيء يسمع كلام الداعية أولاً ثم يفكر فيه^(٩).

وقال ابن المنير الإسكندري: ولو تفتن نبيه لهذه الآية لعدّها دليلاً على تفضيل السمع

على البصر، فإنه قد استدل على ذلك بأخفى منها^(١٠).

(١) سورة الفرقان الآية: ٤٤.

(٢) سورة الملك الآية: ١٠.

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٧٩.

(٤) سورة الملك الآية: ٢٣.

(٥) سورة الأنفال الآية: ٣١.

(٦) سورة الجاثية الآية: ٨.

(٧) سورة لقمان الآية: ٧.

(٨) أضواء البيان للشنقيطي: الجزء الأول من التتمة عمل عطية محمد سالم: ٣٩٧/٨ - ٣٩٨ مع التصرف اليسير.

(٩) انظر الفخر (التفسير الكبير) ٥٧/٣٠.

(١٠) (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) حاشية مع الكشاف: ١٣٧/٤؛ وانظر الفخر: ٥٨/٣٠.

وقال ابن عادل واحتج بهذه الآية من قدّم السمع على البصر، قالوا: لأنه جعل للسمع مدخلاً في الخلاص من النار، والفوز بالجنة، والبصر ليس كذلك، فوجب أن يكون السمع أفضل من البصر^(١).

فلما ندموا وعادوا بالملامة على أنفسهم؛ حيث لا تنفع الندامة ختم الحوار بقول الله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فأبان جريمتهم التي اعترفوا بها من كفر بالله تعالى وتكذيب لرسوله، ثم العقاب الذي استحقوه وهو أن أبعدهم الله من رحمته^(٢) وجعلهم في مكان سحيق في نار جهنم - والعياذ بالله -.

أخرج الإمام أحمد بسنده عن أبي البخترى^(٣) الطائي قال: أخبرني من سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال: «لن يهلك الناس حتى يعذروا^(٤) من أنفسهم»^(٥).

(١) تفسير ابن عادل ٢٤٠/١٩. وقد سبق الكلام في هذه المسألة بشيء من التفصيل. انظر (حوار الكافرين مع جلودهم).

(٢) انظر: عمدة الحفاظ للسمين الحلبي. مادة س ح ق: ٢/٢٠٥؛ ومعاني القرآن للنحاس: ٤٠٧/٤.

(٣) هو سعيد بن فيروز الطائي، الكوفي، ثقة يرسل، أحد العباد حدث عن أبي برزة الأسلمي وابن عباس، وابن عمر، وأبي سعيد الخدري وطائفة. قال الذهبي: وأرسل عن علي، وابن مسعود وثقه يحيى بن معين قتل في فتنة ابن الأشعث في وقعة الجماجم سنة اثنتين وثمانين. ترجمته في سير الأعلام: ٢٧٩/٤ بجر الدم ص ٤٨٧، وطبقات ابن سعد ٢٩٢/٦.

(٤) يعذروا أو يُعذروا قال في النهاية: يقال: أعذر فلان من نفسه إذا أمكن منها يعني: أنهم لا يهلكون حتى تكثر ذنوبهم وعبوبهم فيستوجبون العقوبة، ويكون لمن يعذبهم عذر، كأنهم قاموا بعذره في ذلك. اهـ منه ١٩٧/٣.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الملاحم باب الأمر والنهي ٦٠/٥ برقم ٤٣٤٧، والإمام أحمد في المسند في موضعين ٢٦٠/٤ و٢٩٣/٥ وابن الجعد في مسنده برقم ١٢٨ ص ٣٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٨٢٠/٣.

المبحث الثالث: حوار خزنة جهنم مع الكافرين بعد سجرهم في نار

جهنم:

آية الحوار في هذا المبحث وصف وبيان لحالة فظيعة يكون عليها المكذبون بالكتاب المنزل، وبما أرسل به رسل الله (من إخلاص العبادة لله، والبراءة مما يعبد من دونه من الآلهة والأنداد، والإقرار بالبعث بعد الممات للثواب والعقاب) ^(١). فلم يوحدها الله تعالى بل أشركوا به وانكروا البعث. فهناك يعلمون علم اليقين، صدق ما جاءتهم به الرسل، فما ينفعهم تصديقهم هناك، لفوات وقت الإيمان والتكليف كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ ^(٢) فتوثق أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال، والسلاسل متصلة بالأغلال بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم في الحميم، فتسلخ جلودهم وتتقطع لحومهم، ثم في نار جهنم يسجرون ^(٣)، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ^(٤).

قال ابن عادل الحنبلي: هذه كيفية عقابهم، والمعنى أنه يكون في أعناقهم أغلال

وسلاسل ثم يسحبون بتلك السلاسل في الماء المسخن بنار

جهنم، ثم توقد بهم النار كقوله تعالى ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ ^(٥) ^(٦).

ثم يدور الحوار الساخر بهم من خزنة جهنم توبيخاً وتقريعاً: ﴿أين ما كنتم تشركون من دون الله﴾ ممن كنتم تزعمون أنهم يشفعون لكم، ما لهم لا يغيثونكم وينقذونكم، أو ينصرونكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب، فإن العبود يغيث من عبده ^(٧). فيضطربون في

(١) جامع البيان: ١٩٩/٢١.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٥٨.

(٣) تفسير ابن كثير: ٨٦/٤. ومعنى ﴿يسجرون﴾ قال السمين في عمدته: أي يطرحون فيها فيملؤونها. اه منه ١٩٩/٢.

(٤) سورة غافر الآية: ٧٠ - ٧٢.

(٥) سورة التحريم الآية: ٦.

(٦) (اللباب) ٨٧/١٧ مع التصريف اليسير.

(٧) انظر: الطبري جامع البيان: ٤١٦/٢١، وتفسير ابن كثير: ٨٦/٤.

الجواب، فتارة يُقرون ضمناً، ثم يضربون فيجحدون^(١) ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ (أي فقدناهم وغابوا عن عيوننا فلا نراهم)^(٢) ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾^(٣) كما قال الله عنهم في الآية أخرى ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٤). فرد عليهم خزنة جهنم: ﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾ فمثل ذلك الضلال والاضطراب يضل الله تعالى الكافرين فلا يهتدون إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، في الدنيا تركهم الله تعالى في ظلمات يتخبطون، وفي الآخرة يضلهم الله عن رحمته فلا يرحمهم فينجيهم من النار ولا يفنيهم فيرتاحون مما هم فيه من البلاء^(٥).

ثم ختم خزنة جهنم هذا الحوار مع أهل النار ببيان سبب ما هم فيه من ضلال وسعر فقالوا: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾^(٦) فرحوا في الدنيا بمعاصي الله تعالى ومخالفة رسله وتكذيب كتبه، ويمرحون بطراً وخيلاء.

أخرج الإمام الطبري بسنده عن ابن عباس قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ قال: الفرح المرح: الفخر والخيلاء، والعمل في الأرض بالخطيئة، وكان ذلك في الشرك، وهو مثل قوله لقارون: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(٧) وذلك الشرك^(٨).

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره للآية: أي تقول لهم الملائكة هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم وأشركم و بطركم^(٩).

(١) هذا قول في تفسير الآية وهناك قول آخر في تفسيرها تقدم بيانه في الباب الأول الفصل الأول.

(٢) تفسير ابن عادل ٨٧/١٧.

(٣) سورة غافر الآية: ٧٤.

(٤) سورة الأنعام الآية: ٢٣؛ ولا تعارض بين هذه الآية، وقوله تعالى ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ سورة النساء الآية ٤٢، لأن الآخرة مواطن متعددة ففي بعضها يقرون، وفي بعضها ينكرون. انظر الخازن ٨٠/٤.

(٥) جامع البيان للطبري: ٤١٧/٢١؛ وانظر تفسير أبو السعود: ٢٨/٥.

(٦) سورة غافر الآية: ٧٥.

(٧) سورة القصص الآية: ٧٦.

(٨) جامع البيان: ٤١٧/ ٢١.

(٩) تفسير القرآن العظيم: ٨٦/٤.

فليس لكم اليوم إلا نار جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴿اذْخُلُوا أَبْوَابَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(١) فقد استكبروا حتى على آيات الله واتباع
دلائله وحججه.

وقال ﴿فبئس مثوى﴾ ولم يقل (مدخل) لأن الدخول لا يدوم وإنما يدم الثواء^(٢).

(١) سورة غافر الآية: ٧٦.

(٢) (اللباب) لابن عادل: ٨٧/١٧ مع التصرف اليسير.

المبحث الرابع: حوار خزنة جهنم مع الكافرين عند مقتهم

لأنفسهم في نار جهنم.

عندما يُلقى أهل الشقاوة والغواية في نار جهنم ويقاسون عذابها يكرهون كل من كان سبباً في دخولهم النار، من الأحباب والأصحاب في الدنيا كما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾^(١) بل والأعجب من ذلك أنهم (يمقتون) أنفسهم الأمانة بالسوء التي وقعوا فيها ووقعوا باتباع هواها وأبغضوها أشد البغض، وأنكروها أبلغ الإنكار، واطهروا ذلك على رؤوس الأشهاد^(٢).

وحينئذ تنادي خزنة جهنم الكافرين وهم يعذبون في نار جهنم، ويدور الحوار التالي. تقول لهم الملائكة توبيخاً وتقريعاً: ﴿لَمَقْتُ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾^(٣) فمهما بلغ مقتكم لأنفسكم الآن فإن مقت الله تعالى لكم في الدنيا حال ما تدعون إلى الإيمان بالله تعالى فتكفرون أكبر.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤) ومقت الله إياهم ليس خاصاً بذلك اليوم بل هو موجود في الدنيا أيضاً.

قال العلامة ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: إن الذين كفروا بالله ينادون في النار يوم القيامة إذا دخلوها، فمقتوا بدخولهم لها أنفسهم حين عاينوا ما أعد الله لهم فيها من أنواع العذاب، فيقال لهم: لمقت الله إياكم أيها القوم في الدنيا، إذ تدعون فيها للإيمان بالله، فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم لما حل من سخط الله عليكم^(٥). فلا يجدون جواباً إلا أن يعترفوا بكفرهم ويساءلون الرجعة.

فيقولون بذل وانكسار - بعد ذلك الاستكبار في الدنيا - متوسلين باعترافهم بما كانوا

(١) سورة العنكبوت الآية: ٥٥.

(٢) تفسير أبي السعود: ٤٨٢/٤ مع التصرف اليسير بالاختصار؛ وانظر تفسير ابن كثير: ٧٠/٤، والخازن ٦٩/٤.

(٣) سورة غافر الآية: ١٠.

(٤) سورة الأنفال الآية: ٥٥.

(٥) جامع البيان: ٣٥٨/٢١.

عليه من الكفر والتكذيب، ليخرجوا فيعودوا إلى الدنيا ليعملوا صالحاً، ويتدراكوا ما فات
﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(١)
يقولون ذلك ونستشعر مدى ذلهم وضراعتهم فالآية تصور أبلغ حالات الضراعة والاسترحام
والذل. ومرادهم بالإحياءين والإماتتين ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ
وَكَنتُمْ أَمْواتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾^(٢).

أخرج الإمام الطبري رحمه الله تعالى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله:
﴿ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ قال: هي كالتي في البقرة ﴿وَكَنتُمْ أَمْواتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ
ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾^(٣).

الآن اعترفوا وصدقوا، اعترفوا بذنوبهم وصدقوا بالبعث وكلامهم هذا كالتمهيد
والتوطئة لرجائهم الذي يتقدمون به ويقولون ﴿هل إلى خروج من سبيل﴾.

قال الخازن: وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط من الخروج وإنما قالوا ذلك
تعللاً وتحيراً^(٤). (فقد عبروا عن رجائهم بـ (هل) وهي كما تعلم استفهام عرض ورجاء ثم
عبروا عن الرجوع إلى دار الدنيا بمطلق الخروج من هذا الموقف ونكر الخروج بياناً لتعلقهم
الشديد بأي خروج من هذه الورطة ونكر السبيل وزاد من تنكيرها وتعميمها بتسليط (من)
عليها^(٥) منكرين ﴿سبيل﴾ (لإيهام، أي من أي سبيل ما كيفما كان)^(٦).

ومهما بلغت مشقته، وقد كانوا في الدنيا يدعون إلى أيسر السبل وأسلمها، وأقومها،
وأسمحها، فيرفضونها وينفرون نفور حمر الوحش.

فيأتيهم الجواب باستحالة حصول ما يرجونه مع بيان السبب؛ لذلك فلا نجاة ولا
خلاص ولا خروج مما هم فيه من عذاب مهين، مهما قدموا من أعذار، فقد أعطوا الفرصة

(١) سورة غافر الآية: ١١.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٨.

(٣) جامع البيان: ٢١ / ٣٦٠.

(٤) الخازن: ٧٠/٤.

(٥) (من زوائج القرآن) ص ٢٤٨.

(٦) تفسير أبو السعود: ٤٨٢/٤.

كاملة، وجاءهم من الآيات ما فيه مزدجر، عن شركهم واستكبارهم عن الإيمان بالله العلي الكبير ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾^(١) فهذا حالهم وهذا مسلكهم، كما قال الله تعالى عنهم ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَخِدُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^(٢). (وعبر عن حال الدعوة إلى الله بـ (إذا) الدالة على التحقق والتكرار، وعن حال ظهور الشرك أمامهم بـ(أن) الدالة على المصادفة في الوقوع وعدم التكرار، ونص على الدعوة في الحالة الأولى وأهمل ذكرها في الحالة الثانية ليصور في الذهن مدى ما انتهى إليه حالهم من السوء فهم لا ينصتون إلى شيء من الحق مهما ذكروا به ودعوا إليه، في حين أنهم يسرعون إلى الكفر والجحود مهما لاحت لهم أي صوره منه على البعد. فمن أجل ذلك لا مرد ولا رجوع والحكم لله العلي الكبير)^(٣).

حتى ولو ردوا إلى الدنيا لعادوا لما نهو عنه، كما أخبر الحق تبارك وتعالى عنهم: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٤) وإلى هذا المعنى أشار لفظ الاستقبال في الآية التي معنا وهي قوله: ﴿وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ﴾ ففيه تنبيه على أنهم لو ردوا لعادوا إلى الشرك، وقد حكم الله تعالى بأنه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته، فلا سبيل لكم إلى الرد والخروج أبداً^(٥) ﴿فالحكم لله العلي الكبير﴾ فلا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

(١) سورة غافر الآية: ١٢.

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٤٦.

(٣) (من روائع القرآن) ص ٢٤٩.

(٤) سورة الأنعام الآية: ٢٨.

(٥) انظر تفسير أبو السعود: ٤٨٣/٤.

وقففة مع آفة الءوار:

قال الراءف عند قوله تعالى: ﴿فنادون لمت الله أكبر﴾ المقت أشء البغض وءلك فف ءق الله تعالى مءال، فالمرء منه أبلع الإنكار والزرءر^(١).

قلت: بل (المقت) صفة فعلفة ءبرفة ءابفة لله عز وجل بالءتاب والسنة فالله تعالى فمقت الكفرة الءفن فءعون إلى الإءمان فف الءنفا ففكفرون بمعنى: ففبغضهم أشء البغض^(٢). وقء ءبء هءا الوصف أفضاً لله تعالى على من قال ما لم ففعل فف قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٣). وءبء أفضاً فف السنة من ءءفء عفاض بن ءمار رضف الله عنه مرفوعاً: (... وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقافا من أهل الءتاب..)^(٤).

قال شفء الإسلام ابن ءفمفة رحمه الله تعالى: وءلك وصف نفسه - فعنى الله تعالى - بأنه فمقت الكفار، ووصفهم بالمقت فقال: ﴿إن الءفن كفروا فنادون لمت الله أكبر من مقتكم أنفسكم..﴾ ولفس المقت مثل المقت اهـ^(٥).

فصفات الأفعال الفف اءصف الله تعالى بها من الرضى والغضب.. والمقت والأسف هف عند أهل الءق صفاء ءقفقة لله عز وجل، على ما فلفق به، ولا ءشفه ما فءصف به المءلوق من ءلك، ولا فلفم منها ما فلفم فف المءلوق^(٦).

هءا هو معءقء الصءابة والءابعفن ومن ءبعهم فإءسان إلى فوم الءفن وهو ءال على) ءقة فقهم فف هءا الباب ءاصة فف الأبواب الأءرى عامة فف الأصول وفف الفروع فقء سلموا لله ولرسوله علیه الصلاة والسلام، ففرون بأنه لا ففصف الله أعلم با لله من الله، كما لا ففصفه من ءلقه أعلم به سبءانه من رسوله، فوقفوا مع نصوص الءتاب والسنة ءون مءاولة

(١) (الءفسفر الكبفر) ٣٥/٢٧.

(٢) انظر (معانى القرآن) للزرءاء ٣٢/٢.

(٣) سورة الصف الآفة: ٣.

(٤) رواه الإمام مسلم فف صءفءه ءءفء رقم ٢٨٦٥.

(٥) (الءءمرفة) ص ٢٦.

(٦) (شرح الواسطفة) لمءء ءلفل هراس ص ١٠٨.

لتجاوزها، فلم يخوضوا فيها بالتحريف بدعوى أن ظاهرها غير مراد، بل أمروا النصوص كما جاءت، مكتفين بفهم المعنى العام الذي يدل عليه اللفظ بالوضع دون تعمق أو تفلسف، أثبتوا لله ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام دون أن يصل بهم هذا الإثبات إلى حد التشبيه والتجسيم، بل نزهوا الله تعالى عن مشابهة خلقه دون أن يصل بهم هذا التنزيه إلى حد التعطيل^(١).

(١) (الصفات الإلهية في الكتاب والسنة) ص ٢١٧ - ٢١٨، وقد رد شيخ الإسلام على المؤولة عقلياً في الفتاوى ١٧/٣ - ١٨.

الخاتمة
نسأل الله تعالى حسنها

الخاتمة

بعد أن عشت في رحاب كتاب الله تعالى ودراسة آيات الحوار في اليوم الآخر دراسة موضوعية تحليلية - والله الحمد والمنة - تبين لي من خلال هذه الدراسة نتائج مباركة وثمرات عظيمة.

وفيما يلي أهم هذه النتائج:

١- أن الناظر في حوارات القرآن الكريم في اليوم الآخر يجدها تتسم بالجزالة في اللفظ، والدقة

في التعبير، والوضوح في الفكرة، واليسر في فهم المعنى.

فلا تعقيد في ألفاظها، ولا معميات في معانيها، ولا إبهام فيما ترمي إليه من مقاصد، جرياً

على نسق القرآن الكريم، وما اشتمل عليه من جمال في الألفاظ ومن معاني تهز أوتار

النفس وتستجيش مشاعرها، وما طبع عليه من تيسر فهمه، وسهولة تخلله للقلوب، كما

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^(١).

٢- أن كل حوار أخروي في القرآن الكريم فإنه واقع لا محالة طبقاً كما أخبر الله تعالى

بالوصف الدقيق من ارتاب في ذلك أو تشكك فيه دل على خلل في عقيدته فقد انهدم

عنده ركن من أركان الإيمان.

٣- أن الحوار في اليوم الآخر فيه تسليه للنبي (وللمؤمنين تصبيراً وتبشيراً، لذلك قال تعالى:

﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٢).

٤- ظهر جلياً بأبواب هذا البحث - وما تضمنته من مباحث ومسائل اهتمام القرآن الكريم

إهتماماً كبيراً بمسائل العقيدة كالإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين.

٥- أعظم مضامين الحوار في اليوم الآخر التوحيد الطلبي حظاً عليه وتقريراً له.

٦- جميع الحوارات الموجهة للكافرين ما كان من الله تعالى أو من الملائكة أو من المؤمنين

فهي للتوبيخ والتقريع.

(١) سورة القمر آية: ١٧.

(٢) سورة الحجر الآية: ٨٥.

٧- إن أكثر الحوار الوارد في القرآن الكريم في اليوم الآخر متعلق بالكافرين، وذلك لحكم عظيمة وفوائد جلية منها:

أ- لكثرتهم في الدنيا وللمناسبة الدقيقة التي اقتضتها حال الكفار من شدة تمسكهم بكفرهم وإعراضهم عن الحق وشدة عدواتهم لدين الله وأوليائه من جهة أخرى فكان لا بد من ردع الطغاة عن طغيانهم، وتنبههم من غفلتهم، وإيقاظهم من سكرتهم.

ب- إن الضعفاء لن ينجيهم من عذاب الله تعالى أنهم كانوا في الدنيا أتباعاً للمستكبرين قادة الضلال، ورؤوس الكفر. بل ولن يغني عنهم هؤلاء المتبوعون شيئاً. ولن يتحملوا عنهم من عذاب الله من شيء فلم هذا التقليد الأعمى والانقياد المخزي.

ج- وأنتم يا معشر الكبراء لا تغتروا بهؤلاء الأتباع وطاعتهم العمياء لكم وتنفيذهم لإشارتكم قبل عبارتكم ففي الآخرة ستواجهون خصماً لدوداً، تارة يحملونكم تبعة ضلالهم بالكلية ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا..﴾^(١)، ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾^(٢). وأخرى يطلبون منكم تحمل شيء من العذاب ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ..﴾^(٣) ويواجهونكم باللعن، هؤلاء الذين يرتعدون في الدنيا خوفاً منكم، ولا يجرعون على رفع أبصارهم إليكم، فضلاً عن أن يتفوهوا بكلمة تغضبكم.

٨- يعتبر موضوع الحوار الأخرى من أعظم أبواب الترغيب والترهيب.

(وما فيه من ترهيب وإن كان في حق الكافرين فهو موجه لمن آمن بهذا الكتاب أنه منزل من عند الله تعالى حقاً وصدقاً فيتعظ وينزجر ويخاف أن يزل فيقع فيما وقع فيه من

(١) سورة الأعراف الآية ٣٨.

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٦٧.

(٣) سورة إبراهيم الآية: ٢١.

استوجب ذلك الخزي والعار والشنار^(١) فتشهد عليه جوارحه، ويطلب الرجعة ولا رجعة، فيندم ولات ساعة مندم.

٩- صيغ كثير من آيات الحوار بأسلوب الاستفهام، لما في أسلوب الاستفهام من شد الانتباه والإثارة المؤثرة (وهل هناك في الأساليب ما هو كالأستفهام احتواء على أنواع الشعور وألوان الانفعال من تعجب وتقييح وتوبيخ ووعيد؟ وإذا كانت الجملة الطلبية أقرب إلى روح الشعر التي يراد به التأثير من الجملة الخبرية، كما يقول نقاد الأدب، فإن الاستفهام أقدر تلك الأساليب الطلبية على بلوغ هذا التأثير والوفاء بحقه.

فتوالت أساليب الاستفهام لتقرير الكافرين، وتوجيه الإنكار إليهم وحثهم على أن يتقوا، وللتعريض بمعبوداتهم، والسخرية بها، وبيان حالها وحالهم، ومآلهم ومآلها، وبيان حقيقتها.. ولا يخفى ما لأساليب الاستفهام في هذا الحوار من أثر في أداء تلك المعاني، وإضفاء الحركة على العبارة، وتصوير المواقف فكانت آسرة، أخاذة، ومالها في أداء تلك المعاني من نصيب) اهـ^(٢).

١٠- الحذر من شياطين الجن وشياطين الإنس:

فقد تكشف لنا ضمن هذه الحوارات شدة إغواء الكبراء لإضلال الناس، فلهم طرق للضلالة، ومسالك للغواية، وجليبوا بخيلهم ورجلهم على الدهماء لحملهم على سلوك تلك المسالك العمية، واستفزوا من استطاعوا بأصواتهم لإتباع تلك الطرق الرديئة، وتنكب طريق الحق والرشاد.

(١) تفسير المنار: ٤١٦/٨.

(٢) أساليب الاستفهام في القرآن، لعبد الحلیم السيد ص ٤٨٨ - ٤٩٠، مع التصرف بالاختصار.

المقترحات والتوصيات:

وبعد أن خضت في هذا الفن العظيم المتعلق بالقرآن الكريم (التفسير الموضوعي) تبين

لي أن الساحة بحاجة إلى الآتي:

١- إصدار دورية نصف حولية، أو حولية تُعنى بتتبع ما صدر من بحوث في التفسير الموضوعي في الجامعات وغيرها في أنحاء العالم الإسلامي مع بيان الأماكن وما طبع، وما لم يطبع، وإعطاء نبذة عن البحث ومضامينه للإفادة علمياً، وتجنباً للإزدواجية في الطرح والتكرار.

٢- أقتراح توفيراً للجهد والوقت، واستثماراً لطاقت طلبة العلم الشرعي: أن تشكل لجنة من

المتخصصين في كل جامعة من الجامعات الإسلامية لإنجاز مشروع علمي في التفسير الموضوعي يتمثل بجمع الموضوعات القرآنية التي تمس إليها الحاجة في هذا العصر وذلك ل:

أ - لأنه - كما هو معلوم - أن في القرآن الكريم كل ما تحتاج إليه حياة البشر وسياساتهم واقتصادهم.. الخ، لا تحتاج إلا إلى حسن الفهم، وحسن التفصيل والتطبيق، وذلك بجمعها ودراستها دراسة موضوعية، فالقرآن الكريم كتاب عقيدة تتمثل في عبادة الله وحده لا شريك له والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر، وتشريع لما يصلح معاش الناس ومعادهم كل ذلك في أسلوب بلغ قمة الإعجاز. وصدق الله العظيم ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١).

ب- للاهتمام أكثر بهذا الفن الناشئ - التفسير الموضوعي - وإعطائه ما يستحق من الدراسة والبحث لأهميته في الوقت الراهن أكثر من ذي قبل.

فتوجه إليه جهود الباحثين - المتخصصين - فالموضوعات القرآنية، يتطلع إليها، ويتشوق إلى قراءتها والوقوف على مضامينها جميع المسلمين على اختلاف مستوياتهم، لما يتميز به القرآن الكريم من منزلة عظيمة في قلوبهم.

وأخيراً: أقر وأعترف بأنني - مهما أعطيت من فهم، ومهما بلغت من بُغية، فلن

يكون جهدي في هذا القرآن إلا كنبغة طائر أو بلة إصبع من فيضه الزاخر، وبجره الخضم،

(١) سورة الإسراء الآية: ٩ .

وسينظر القرآن الكريم أبداً مجال بحث ومطلب درس لا ينضب معينه، ولا ينقطع سببه مهما طالت القرون وتعاقبت الأجيال.

وهذا جهد المقل، وأستغفر الله مما قد يكون من تقصير، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت ربنا من شيء بعد أهل الثناء والمجد، وخير ما قال العبد وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معط لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. وصلى الله على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

الفهارس :

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث القدسية.
- ٣- فهرس الأحاديث النبوية.
- ٤- فهرس الآثار.
- ٥- فهرس الأعلام.
- ٦- فهرس الأديان والفرق والمذاهب.
- ٧- فهرس المفردات.
- ٨- فهرس البلدان.
- ٩- فهرس الأشعار.
- ١٠- فهرس المصادر والمراجع.
- ١١- فهرس الموضوعات.

- فهرس الآيات

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الفاتحة		
١٠٩	٤	مالك يوم الدين..
سورة البقرة		
٨	٣-١	ألم ذلك الكتاب..
١٠٨	٤	والذين يؤمنون بما..
٢٦٠	٩	يخادعون الله..
٢٥٨	١١	وإذا قيل لهم..
٣٠١	١٦	اشترؤا الضلالة..
١٥٥	٢٠	ولو شاء الله لذهب..
١٩٢	٢٨	كيف تكفرون بالله..
١٨٨		ولا تلقوا بأيديكم..
٥٠	٣٠	وإذا قال ربك..
٧٨	٣٣-٣٠	وإذا قال ربك للملائكة..
٧٩	٣٩-٣٥	وقلنا يا آدم..
٣١٢	٣٨	فمن اتبع هداي..
١٧٠	٤٦	الذين يظنون أنهم..
٧٥	٥٦-٥٥	وإذا قلت يا موسى..
٣١٥	٦١	ضربت عليهم الذلة..
١١٨	٦٢	إن الذين..
٧٤	٧٢	وإذا قتلتهم نفساً..
١٠٢	٨٢-٨٠	وقالوا لن تمسنا..
١٠٣	٩٢-٩٠	وإذا قيل لهم آمنوا بما..
٣٥٥	٩٦	ولتجدنهم أحرص الناس على حياة..
١٠٣	١١٢-١١١	وقالوا لن يدخل الجنة..
١٢٥	١١٦	وقالوا اتخذوا..
١٢٥	١١٧-١١٦	وقال اتخذوا..

٨٠	١٢٦-١٢٤	وإذ ابتلى إبراهيم..
١٢٣	١٣٣	أم كنتم شهداء..
٣٦٠	١٤٢	إن المنافقين يخادعون الله..
٢٢٤	١٦١	إن الذين كفروا..
٣٩٠	١٦٢	خالدين فيها..
٨٠	١٦٢	وإذ قال إبراهيم ربي..
٢٨٠	١٦٥	ولو ترى الذين ظلموا..
٢١٠	١٦٦	إذ تبرأ الذين اتبعوا..
٢٢٢	١٦٧-١٦٦	كذلك يريدكم الله..
٢٢٣	١٧٤	ولا يزيكهم وهم..
٤٧	١٨٥	يسألونك عن الأهله..
٢٤٠	١٨٦	وإذا سألك..
٢٥١	١٩٥	ضربت عليهم..
٢٦٦	٢١٠	هل ينظرون إلا أن تأتيهم..
١٧٠	٢٢٣	واتقوا الله..
١٧٢	٢٢٣	نساءكم حرث لكم..
٧٥	٢٤٣	ألم تر إلى الذين..
٩٨	٢٤٨-٢٤٧	وقال لهم نبيهم..
٩٩	٢٥١-٢٤٩	فلما فصل طالوت..
٢٨٦	٢٥١	ولولا دفع الله الناس..
٧٥	٢٥٩	أو كالذي مر على..
٧٥	٢٦٠	وإذ قال إبراهيم..
٢٣٨	٢٧٤	إن الذين يكتُمون ما أنزلنا..
٢١٨	٢٧٥	الذين يأكلون..
٢٥٢	٢٨٥	آمن الرسول..
٣١٨	٢٨٦	ربنا لا تؤاخذنا..
سورة آل عمران		
٥٨	٢٠	فإن تولوا..

١٣٥	٣٠	ويحذركم الله..
٥٨	٣١	قل إن كنتم تحبون..
٨٢	٤٠-٣٨	هنالك دعا زكريا..
٧٦	٤٩	ورسولاً إلى بني..
١٦٦	٥٣	إلا صبيحة واحدة..
٢٥٩	٥٩	إن مثل عيسى..
١٠٣	٦١	فمن حاجك فيه..
٤١	٦٤	قل يا أهل الكتاب..
١١٣	٧٧	إن الذين يشترون..
٢	١٠٢	يا أيها الذين آمنوا..
٢٢٤	١٥٤	يظنون بالله غير الحق..
٣٦٢	١٥٥	إن هي إلا فتنتك..
٣١٢	١٨٢	وذوقوا عذاب الحريق..
سورة النساء		
٢	١	يا أيها الناس..
٩٨	١٢	يوم ترى المؤمنين..
٥٩	١٤	ومن يعص الله ورسوله..
٢٦٠	٢٢	فلما ذاقا الشجرة بدت لهما..
٢١٨	٣٣	إن الله كان على كل شيء قدير..
١٢٢	٤١	فكيف إذا جئنا..
٣٦٠	٤٢	ولا يكتُمون الله حديثاً..
٢٠١	٥٦	كلما فضجت جلودهم..
٣٠٥	٥٦	بدلناهم جلوداً..
٦	٦٦	ولو أنهم فعلوا..
٢٨٠	٧١	إن كيد الشيطان..
٥٩	٨٠	ومن يطع الرسول فقد..
٦	٨٢	أفلا يتدبرون..
٦٥	٨٧	الله لا إله إلا هو..

٣٠٥	٩٧	إن الذين تتوفاهم..
٢٨٦	١٢٠	يعدهم ويمنيهم وما..
٢٥٢	١٢٢	ومن أصدق من الله..
٢٨٦	١٤٠	وقد نزل عليكم..
٩٧	١٤٢	إن المنافقين يخادعون..
٢١١	١٤٢	يخادعون الله وهو..
٥٥	١٥١-١٥٠	إن الذين يكفرون بالله..
٢٣٦	١٦٥	احسبوا فيها ولا تكلمون..
٢١٢	١٦٥	رسلاً مبشرين ومنذرين..
٢٢٣	١٩٦-١٦٨	إن الذين كفروا..
١٦٣	٤٣٠	وقال الذين كفروا..
سورة المائدة		
٢٧	٤	يسألونك ماذا أحل لهم..
٧	١٥	فقد جاءكم من الله نور..
١٢٧	١٨	لقد كفر الذين قالوا..
٨٣	٣٠-٢٧	واتل عليهم نبأ..
٢٢	٥٤	يا أيها الذين من يرتد..
٣١٣	٦٦	ولو أنهم أقاموا..
٣٩	٦٧	يا أيها الرسول بلغ..
١٢٠	٧٢	لقد كفر الذين..
١٢٧	٧٣	ولقد كفر..
١٢٧	٧٦-٧٤	لقد كفر الذين قالوا إن..
٢٦٠	٧٩-٧٨	لعن الذين كفروا..
١١٣	١٠٩	يوم يجمع الله..
١١٧	١٠٩	إنك أنت علام..
١٢٨	١١٦	يا عيسى..
٣٦٣	١١٦	تعلم ما في نفسي ولا..
٨٣	١١٩-١١٤	قال عيسى ابن مريم..

١٣١	١١٦-١١٨	سبحانك ما يكون لي..
١٦٢	١١٧-١١٩	لعن الذين كفروا..
١٣٢	١١٩	هذا يوم..
١٢٧	١٧٣	لمن يستكف..
سورة الأنعام		
٢٨١	٨	وقالوا لولا أنزل عليه..
١٨٨	٩	ولو جعلنا ملكاً..
١٩٩	٢١	ومن أظلم ممن افترى..
٣٢٢، ١٩٧، ٣٠٩	٢٣	والله ربنا ما كنا مشركين..
١٩٧	٢٤	وضل عنهم ما كانوا..
٢٩٩، ٣٢٨، ٣٠٩	٢٧	ولو ترى إذ وقفوا على النار..
٣٢٧	٢٨	بل بدا لهم ما كانوا يخفون..
٢٢٣	٢٨	ولو ردوا لعادوا..
٢٣٣	٢٩	إن هي إلا حياتنا الدنيا..
١٧١	٣١	الذين كذبوا..
٢٩٠	٥٣	أهؤلاء من الله عليهم..
٣٣	٥٤	وإذا جاءك الذي..
١٣٣	٥٤	أمن من عمل منكم..
١١٣	٥٩	وما تسقط من ورقة..
٣١٢	٧٢	الذين آمنوا ولم يلبسوا..
٣٦	٩١	وما قدروا الله حق..
٣٢٢	٩٣	ولو ترى إذ الظالمون..
١٩٣	٩٤	وما نرى معكم..
٣٢٠	١٠٠	ونقلب أفئدتهم..
١٢٣	١٠٢-١٠٠	بديع السموات..
٢١٢	١١٣	أفغير الله أبتغي حكماً..
٣٧	١٢٤	الله يعلم حيث..
٢٢٧	١٢٩	وكذلك نولي بعض..

٢٣٨	١٤٥	قل لا أجد...
٣٨٢	١٤٦	ولا تكسب كل نفساً..
٣٨	١٥٣	وإن هذا صراطي..
١٧٢	١٥٤	ثم أتينا موسى..
٣٢١	١٥٨	يوم يأتي بعض آيات..
٢٦٣، ١٧٣	١٥٨	ولا ينفع نفساً إيمانها..
٣٣	١٦٢	قل إن صلاتي ونسكي ومحياي..
سورة الأعراف		
١٢	٦	فلنسألن الذين..
٢٣٩	١١	ولقد خلقناكم ثم صورناكم..
٧٩	١١-١٨	ولقد خلقناكم ثم..
٢٠٣	١٤	قال انظرنى..
٢٢٧	١٨	لأملأن جهنم..
٢٦١	٢٢	وناداهما ربهما..
٢٦١	٣٦	والذين كفروا وكذبوا بآياتنا..
٣١٠	٣٨	قال لكل ضعف..
٢٩٣	٣٨	حتى إذا اداركوا فيها..
٣٠٩	٣٨	ربنا هؤلاء أضلونا..
٣١٣	٣٨	كلما دخلت أمة لعنت..
٣١٣	٣٨	لكل ضعف ولكن لا تعلمون..
٣١٦	٣٩	وقالت أولاهم لأخراهم..
٢٦١	٤٠	إن الذين كذبوا بآياتنا..
٢٨٠	٤١	لهم من جهنم مهاد..
٢٧٨	٤٣	ونزعنا ما في صدورهم..
٢٩٧	٤٤ - ٤٥	الذين يصدون عن سبيل الله..
٢٠٩	٥٠	أن أفيضوا علينا من الماء..
٢١٠	٥٠	إن الله حرمهما..
٣٢٠	٥١	الذين اتخذوا دينهم..

١٢٣	٥١	يا قوم اعبدوا الله..
٣٢٠	٥١	فاليوم ننسأهم..
٢١٢،٢١١	٥٢	ولقد جئناهم بكتاب..
٣٣٣	٥٢	ولقد جئناهم..
٣٣٢	٥٣	هل ينظرون إلا..
٦١	٥٩	لقد أرسلنا نوحاً..
٦٢	٦٥	وإلى عاد أخاهم..
٩٠	٨٢-٨٠	ولوطاً إذ قال..
٣١٣	٩٦	ولو أن أهل القرى..
٩٢	١٢٨-١٢٦	قال موسى لقومه..
٨٢-٨١	١٤٥-١٤٣	ولما جاء موسى لميقاتنا..
٢٦١	١٤٦	سأصرف عن آياتي..
٣٢٦	١٤٦	وإن يروا سبيل..
٩٧	١٢٢-١٠٤	وقال موسى يا فرعون..
٩٦	١٥١-١٥٠	ولما رجع موسى..
٣٩٧	١٧٩	لهم قلوب لا يفقهون بها..
٣٣٨	١٧٩	ولقد ذرأنا لجهنم..
٣٦٦	١٨٠	والله الأسماء الحسنى..
٢١٣	١٩٧	ولا أنفسهم ينصرون..
٢١٢	٢٠٣	هدى ورحمة لقوم..
سورة الأنفال		
٢٧	١	يسألونك عن الأنفال..
٣٢٢	٩	إذ تستغيثون ربكم..
٢٢٣	٢٣	ولو علم الله فيهم..
٣٣٨	٣١	قد سمعنا لو نشاء..
٢٨١	٣٢	وإذ قالوا اللهم..
٣٢٢	٥٠	ولو ترى إذ يتوفى..
٣٢٢	٥٥	إن شر الدواب..

٢٣٠	٧٤-٧٣	إن الذين آمنوا وهاجروا..
سورة التوبة		
١٨٠	٨	إنما يعمر مساجد الله..
١٣٩	١٨-١٧	لقد تاب الله على النبي..
١٢٢	٣١	وقالت اليهود..
٢٦٢	٩١	إنما النسيء..
٣٣٣	٩٦	فإن الله لا يرضى..
سورة يونس		
١٧١	٨-٧	إن الذين لا يرجون..
١٣٢	١٨	ويعبدون من دون الله..
١٩٢	١٨	هؤلاء شفعاؤنا..
٣٢١،١٩٢	٢٧	كأنما أغشيت وجوههم..
١٩٨،١٩٧	٣٠	هنالك تبلو كل نفس..
١٩٧	٣٠	ربنا أخرجنا منها..
٣٦٦	٣٢	فماذا بعد الحق إلا..
٣٧٦	٤٤	وما الله يريد..
١٧٣	٤٥	ويوم يحشرهم..
٦٣	٥٣	ويستنبئونك أحق هو..
٢٩٦	٥٤	وأسروا الندامة..
٢١٣،٢١٢	٦١	ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم..
٢٠٣	٦٦	وما يتبع الذين يدعون..
١٢٣	٧٠-٦٨	قالوا اتخذ الله..
٩٢	٨١-٧٥	وقال موسى يا قوم..
٢٨٢	٧٨	قالوا أجنثنا..
٢٠٢	٨٦-٨٤	ثم بعثناهم من بعد..
٨١	٨٩-٨٧	وأوحينا إلى موسى..
٢٠٣	١٠٠	وبذلك فليفرحوا..
سورة هود		

٢١٢	١	كتاب أحكمت آياته..
٦٣	٧	ولئن قلت إن..
٢٠	١٧	فلا تك في مرية..
٢١٣	١٨	ويقول الأشهاد هؤلاء..
٣٣٧،٣٢٢	٢٠	ما كانوا يستطيعون..
٣٢	٣٤-٢٥	ولقد أرسلنا نوحاً..
٢٢	٣٢	قالوا يا نوح..
٩١	٤٣-٤٢	وقال اركبوا فيها..
٨٠	٤٨-٤٥	ونادى نوح ابنه..
٩٦	٨٠-٧٨	وجاء قومه يهرعون إليه..
٣١٣	٩٨	يقدم قومه يوم القيامة..
٢٢٢	١٠٨-١٠٥	يوم يأت لا تكلم..
٢٠٦	١٠٧	فأما الذين شقوا..
سورة يوسف		
٨٢	٦-٤	إذ قال يوسف لأبيه..
٨٢	١٠-٨	إذ قال يوسف لأبيه..
٨٢	١٥-١١	قالوا يا أبانا..
٨٣	١٨-١٦	وجاؤا أباهم..
٨٣	٢٨-٢٥	واستبق الباب..
٢٢٠	٢٦	وشهد شاهد من أهلها..
٨٩	٤١-٣٦	ودخل معه السجن..
٨٣	٤٥-٤٣	وقال الملك إني..
٨٦	٤٩-٤٦	يوسف أيها الصديق..
٨٦	٥٣-٥٠	وقال الملك ائتوني به فلما جاء..
٨٧	٥٥-٥٤	وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي..
٨٧	٦٢-٥٨	وجاء أخوة يوسف..
٨٨	٦٧-٦٣	فلما رجعوا إلى أبيهم..
٨٨	٧٦-٦٩	ولما دخلوا على يوسف..

٨٩	٨٣-٨٠	فلما استنصوا منه..
١٨١	٨٢	وسئل القرية..
٨٩	٩٠-٨٩	قال هل علمتم..
٢٦	١٠٠	هذا تأويل رؤياي..
سورة الرعد		
١٧١	٢	يفصل الآيات..
١٧٢	٢	الله الذي رفع..
٢٢١	٢٨	الذين آمنوا وتطمئن..
سورة إبراهيم		
٢٩٠	١٣	وقال الذين كفروا لرسلمهم..
٣٩٢	١٧	ويأتيه الموت..
٣٣٠	١٧	ومن ورائهم عذاب..
٣٣٢	٢١	إنا كنا لكم تبعاً..
٢٧١	٢١	سواء علينا أجزعنا..
٣٧٨،٣٧٣،٢٠٠،١٢٢	٢٢	وقال الشيطان لما قضي الأمر..
٣٣٣	٢٨	بدلوا نعمة الله كفوفاً..
١٢١	٣٦	رب أنهم..
٣٢٢	٤٣	لا يرتد إليهم طرفهم..
١٧٨	٤٣	وأفقدتهم..
٣٢٢	٤٤	ربنا أخرجنا إلى أجل قريب..
٣٣٣	٤٤	أو لم تكونوا..
٣٣٣	٤٥-٤٤	وضربنا لكم..
٣٢٠	٤٨	وعرضوا على ربك..
سورة الحجر		
٢٧٩	٦	وقالوا يا أيها الذي نزل عليه..
٣٣٣	٨٥	إن الساعة لآتية..
	٩٢	فوربك لنسئلنهم..
٣٢٠	٩٩	واعبد ربك حتى..

سورة النحل		
٣٦٣	٩	وعلى الله قصد السبيل..
٢٧١	١٧	أفمن يخلق كمن..
٢٦٠	٢٣-٢٢	أهكم التكاثر..
٣٣٦	٢٤	إن هذا إلا اختلاق
٣٠٩	٢٨	ما كنا نعمل..
١٧٦	٣٣	وما ظلمهم الله..
٣٨٨٤١٨٧٤٣٠	٣٦	ولقد بعثنا..
٢٢٢	٧٨	والله أخرجكم من بطون أمهاتكم..
٣٠٠	٨٥	وإذا رأى الذين ظلموا..
٢٠٨	٨٦	وإذا رأى الذين أشركوا..
٢٠٨	٨٧	وآلقوا إلى الله يومئذ..
١٧١	٨٨	الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله..
١٨٧٤٦٠	٨٩	ويوم نبعث..
٣١٢	٩٧	من عمل صالحاً..
٣٧٨	٩٨-١٠٠	فإذا قرأت القرآن..
٢٨٨	١٠٣	ولقد نعلم أنهم يقولون..
١١٢	١١١	يوم تأتي..
٢٣	١٣٥	ادع إلى سبيل ربك..
سورة الاسراء		
٣٣٢٤٦	٩	إن هذا القرآن يهدي..
١٢٣	١٥	ما مكني..
٣٣٣٤٢١٢٤٣٩٤٧	١٥	وما كنا معذبين..
١١٢	٣١	إن السمع والبصر..
٢٣١	٣٦	إن السمع والبصر والفؤاد..
٢٦٣	٣٨	كل ذلك كان سيئه..
٢٣٦	٤٤	وإن من شيء إلا يسبح..
٦٦	٤٩-٥١	أإذا كنا عظاماً..

٣٧٩	٦٥	إن عبادي ليس..
٣٢٨	٦٧	ونحشرهم يوم القيامة..
٣٢٣	٦٧	المنافقون والمنافقات..
٢١٢،٧	٧٢	ونزل من القرآن..
٣١٦	٧٢	من كان في هذه أعمى..
٢٨١	٩٣-٩٠	وقالوا لن نؤمن لك..
٦١	٩٤	وما منع الناس..
٣١٧	٩٧	ونحشرهم..
٣٠٨،٣٢٩	٩٧	كلما خبت زناهم..
سورة الكهف		
٧٦	١٢-٩	أم حسبت أن أصحاب الكهف..
٢٢٢	١١	فضربنا على آذانهم..
٣٩	٢٢	وإن يستغيثوا يغاثوا..
٣٢٣،٢٠٨	٢٩	أنا أعتدنا..
١٠٠	٤٣-٣٢	واضرب لهم مثلاً..
٣٠	٣٤	فقال لصاحبه..
٣٠	٣٧	قال لصاحبه..
٣٠	٣٧	فلا تمار فيهم..
٢٦٨	٤٧	وترى الأرض بارزة..
٢٠١	٥٣-٥٢	ويوم يقول نادوا شركائي..
٢٩٧	٥٣	ورأى المجرمون..
٢٧٩	٥٦	واتخذوا آياتي ورسلي..
٩٣	٦٤-٦٠	فوجدوا عبداً..
٩٢	٦٤-٦٠	وإذ قال موسى لفتهاه..
١٠٠	٩٥-٩٣	حتى إذا بلغ بين السدين..
٣٢٢	١٠١-١٠٠	وعرضنا جهنم..
٣٣٠	١٠٤	وهم يحسبون أنهم..
٣٨	١٠٤	قل هل ننبئكم بالأخسرين..

١٧١	١١٠	فمن كان يرجو..
١٧٣	١١٠	قل إنما أنا..
سورة مريم		
١٠٩	٣٩	وأندرهم يوم الحسرة..
١٦١	٥٢	وناداهما..
٣٧٣،٣٧٢،٢	٧٥	قل من كان في الضلالة..
٢٠٦،٢٠٠	٨٢-٨١	واتخذوا من دون..
٢١٢،٢٠٣،١٦٠	٨٢	كلا سيكفرون..
٢٢٧	٨٦	ونسوق المجرمين..
١٢٦	٩٣،٨٨	وقالوا اتخذ الرحمن..
١٦٠	٩٣-٨٩	لقد جئتم شيئاً..
١١٠	٩٥	وكلهم آتية يوم القيامة..
سورة طه		
٣١٣	٣	إلا تذكرة لمن..
١١٠	١٥	إن الساعة آتية..
١٣٣	٤٦	ثم جئت على قدر..
٣١٩	٥٢	قال علمها..
٣٢١	٥٢	في كتاب لا يضل..
٢٣٣	٦٦	يخيل إليه من سحرهم..
٣٩٣	٧٤	إنه من يأت ربه مجرمًا..
٨٢	٨٥-٨٣	وما أعجلك عن قومك..
٩٦	٩٧-٩٥	قال فما خطبك يا سامري..
٣١٣	١٠٠	من أعرض..
٢٣٧	١٠٣-١٠٢	يوم ينفخ في الصور..
٢٦٨	١٠٨	وخشعت الأصوات للرحمن..
٣٣٣-٢٧٢	١٠٩	يومئذ لا تنفع..
١٣٢	١١٢	ومن يعمل من الصالحات..
٣١٣	١١٥	فنسي ولم نجد..

٣١٨	١١٥	ولقد عهدنا..
٣١٢	١٢٤	ومن أعرض..
٣٢١	١٢٦-١٢٤	وكذلك نجزي من أسرف..
٣٢٢	١٢٧	ولعذاب الآخرة ..
٣٨٨	١٣٤	ولو أنا أهلكتناهم..
سورة الأنبياء		
٣٣٧	٥-٢	وما يأتيهم من ذكر..
٢٣٦، ١٣٢	١٨-١٦	وما خلقنا السماء..
١٢٣، ٣١	٢٥	وما أرسلنا قبلك..
١٦٠	٢٦	بل عباد مكرمون..
١٢٦	٢٩-٢٦	وقالوا اتخذ الرحمن ولدا..
٣٣٣، ٢٦٧، ٢٧	٢٨	ولا يشفعون..
٢٧٢	٢٨	وهم من خشيته..
٦٩	٣٢	وجعلنا السماء..
٢٨٠	٣٦	وإذا رآك الذين..
٦٣	٣٨	ويقولون متى هذا..
٢٧٩	٤١	ولقد استهزئ..
٩٢	٦٧-٥٢	إذ قال لأبيه..
٢٢١	٧٩	وسخرنا مع داود..
٣١١	٩٧	إنكم وما تعبدون..
٢٦٢	١٠٣-١٠١	إن الذين سبقتم لهم منا..
١١٨	١٠٣	لا يحزنهم..
٣٧	١٠٧	وما أرسلنا قبلك..
٣٦	١١٥	أفحسبتم أننا خلقناكم..
سورة الحج		
٢٣٨	٢-١	يا أيها الناس اتقوا ربكم..
٣١٠	١٨	ومن يهن الله فما له من مكرم..
٢٠٨	١٩	فالذين كفروا..

٢٠٩،٢٢٣	٢١	ولهم مقامع من حديد..
٢٣٢	٤٦	إنها لا تعمى الأبصار..
٣٢٢	٧٢	وإن تتلى عليهم..
سورة المؤمنون		
٢٣١	٥	والذين هم لفروجهم حافظون..
٢٨٢	٢٤	فقال الملأ الذين كفروا..
٦١	٣٤	ولئن أطعتم..
٢٨٢	٦١-٥٧	إن الذين هم من..
٣٣	١٠٠-٩٩	ومن ورائهم..
٣٠٨،٢٩٨	١٠٤	تلفح وجوههم..
١٩٧	١٠٧	ربنا أخرجنا..
٣٣٨،٣١٠،٢٢٣ ٣٨٧	١٠٨	احسنوا فيها..
٢٣٦	١١٦-١١٠	فتعال الله الملك..
	١١٣-١١٢	قال كم لبثتم..
سورة النور		
٢٣٦،٢١٦	٢٤	يوم تشهد عليهم..
٢٧٣	٢٥	يومئذ يوفيهم الله..
٢٣١	٣١	وقل للمؤمنات يغضن..
سورة الفرقان		
٦٩	٢	وخلق كل شيء..
٢٨٧	٤	وقال الذين كفروا..
٢٨٨	٥	وقالوا أساطير الأولين..
٢٨١،٦١	٧	وقالوا مال هذا الرسول..
٢٢٨،٢٢٣	١٢	إذا رأتهم من مكان..
٣٨٣	١٣	وإذا ألقوا فيها..
٢٠٦،١٦١	١٧	ويوم يحشرهم وما يعبدون..
٢٠٧	١٨	ولكن متعتهم وآباءهم..

٢٠٩	١٩	ومن يظلم منكم..
٦١	٢١	لولا أنزل علينا..
٣٣٨،١٢٣	٢٢	أم تحسب أن أكثرهم..
٢	٣٠	وقال الرسول يا رب..
٣٨٨	٣٤	الذين يحشرون على وجوههم..
سورة الشعراء		
٢٨٢	٣٥	قال للملأ حوله..
٣٢٣	١٣٨	وما نحن بمعذبين..
٩٠	١٨٨-١٧٧	كذب أصحاب الأيكة..
٢٨٩	١٩٥-١٩٢	وإنه لتنزيل رب العالمين..
٢٨٩	٢١٢-٢١٠	وما تنزلت به الشياطين..
٢٦٧	٢١٤	وأندر عشيرتك الأقربين..
سورة النمل		
٢٦٠	٨	فلما جاءها نودي..
٣٢٧	١٤	جحدوا بها..
٢٣٧	١٦	وورث سليمان داود..
١٠١	١٨-١٧	وحشر لسليمان جنوده..
٢٣٧	١٩-١٨	حتى إذا أتوا على واد النمل..
١٠٢	٣٥-٢٩	قالت يا أيها الملأ..
١٠٧	٤٠-٣٨	قال يا أيها الملأ..
سورة القصص		
٩٣	٢١-١٥	ودخل المدينة على حين غفلة..
٩٣	٢٨-٢٢	ولما توجه تلقاء..
٢٦٠	٣٠	فلما أتاها نودي من شاطئ..
٢٦٠	٦٢	ويوم يناديهم أين شركائي..
٣٠٣	٦٣	قال الذين حق عليهم..
٢٩٨	٦٤	ورأوا العذاب..
٣٨١	٦٥	إن عبادي ليس..

١٩٢،٦٠	٦٦-٦٥	ويوم يناديهم..
٢٢١	٧٥	فعلموا أن الحق لله..
٢١٢	٧٥	ونزعتنا من كل أمة..
٣٢٣	٧٦	إذ قال له قومه لا تفرح..
٩٨	٨٢-٧٦	إن قارون كان..
سورة العنكبوت		
٢٧٠	١٢	وقال الذين كفروا للذين..
١٨٠	٢٣	والذين كفروا بآيات..
٣٢٢،٢٢٢،٢٠٣،٢٠٠	٢٥	ثم يوم القيامة يكفر..
٣١٣	٢٥	إنما اتخذتم من دون الله..
٢٨٨	٤٨	وما كنت تتلوا من قبله من كتاب..
١٠٨	٦٤	وما هذه الحياة الدنيا..
سورة الروم		
٦٦	١١	الله الذي يبدأ الخلق ثم يعيده..
٢٣٧	١٤	ويوم تقوم الساعة..
٢٠٢	٣٠	ويومئذ يفرح المؤمنون..
٦٦	٥٠	فانظر إلى آثار رحمة الله..
٣٣٨	٥٢	فإنك لا تسمع الموتى..
١٠٩	٥٦	فهذا يوم البعث..
٣٣٦	٥٧	فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا..
سورة لقمان		
٣٣٩،٣٣٧	٧	وإذا تتلى عليهم آياتنا..
٢٠٩	١٣	وإذ قال لقمان لابنه..
٢٣١	٣٤	ويعلم ما في الأرحام..
سورة السجدة		
٢٢٣	٩	ثم سواه ونفخ فيه من روحه..
٣٢٢،٧٧	١١-١٠	وقالوا إذا ضللنا..
٣٠٣،٣٢٢،١٩٩	١٣	لأملأن جهنم من الجنة والناس..

٢١	١٤	فذوقوا بما نسيتم..
٣٢٢	٢٢	ربنا أبصرنا وسمعنا..
٢٦٣	٢٩	لا ينفع الذين كفروا إيمانهم..
سورة الأحزاب		
١١٢	٨	ليسأل الصادقين..
١٨٣	٤٤-٤٣	هو الذي يصلي..
٢٢٣	٦٥-٦٤	إن الله لعن الكافرين..
٣٣٢، ٣١٢	٦٨-٦٧	ربنا إنا أطعنا..
٢	٧١-٧٠	يا أيها الذين آمنوا..
سورة سبأ		
١٨٢	٦	ويرى الذين..
٢٧٩	٧	وقال الذين كفروا هل ندلكم..
٢٧٣، ١٧٣	٨-٧	وقال الذين..
٦٢-٦٣	٧	وقال الذين كفروا..
٦٠٢	١٠	يا جبال أوبي معه..
٢٣٢	١٠	ولقد أتينا داود..
١٦٢	١٥-١٣	يوم يدعون إلى نار..
٢٧٣	٢٣	العلي الكبير..
٢٦٧	٢٣	ولا تنفع الشفاعة..
٢٦٧	٢٨	ولا يشفعون إلا..
٧٧	٣٠-٢٩	ويقولون متى هذا..
٢٩٦	٣٣	هل يجزون إلا ما كانوا..
١٦٠	٤٠	ويوم يحشرهم جميعاً..
سورة فاطر		
٢٣٢	١٤	ويوم القيامة يكفرون..
١٢٣	٢١	وإن من أمة إلا..
١٨٨	٢٢	وإن من أمة..
١٨٨	٢٤	وإن من أمة إلا خلا فيها..

٣٩٠، ٣٩٢	٣٠	والذين كفروا لهم نار..
٣٢٩	٣٠	يزيد من فضله..
٣٢٨	٣٦	والذين كفروا لهم نار..
٣٣٧	٣٧	فذوقوا فما للظالمين من نصير..
٣٢٣	٣٧	وهم يصطرحون فيها..
سورة يس		
١٨٩	١٤	إذ أرسلنا إليهم..
٢٣٨	٣٥	وما عملته أيديهم..
٣٣٠	٥٤	فاليوم لا تظلم..
٢٣٨، ٢٣٦، ٢١٦، ٢٣٦	٦٥	اليوم نختم على أفواههم..
٢٨٩	٦٩	وما علمناه الشعر..
٦٦، ٦٢	٧٩، ٧٨	وضرب لنا مثلاً..
٧٦	٨٠	الذي جعل لكم..
٦٣	٨٢	إنما أمره إذا أراد..
سورة الصافات		
٧٧	١٩-١١	فاستفتهم أهم أشد خلقاً..
٣٠١	٢٤-٢٢	احشروا الذين ظلموا..
٢٠٩	٢٥	ما لكم لا تناصرون..
٢٠٩	٢٦	بل هم اليوم مستسلمون..
٣٠٣	٢٨-٢٧	وأقبل بعضهم..
٣٠٣	٣٢-٢٨	قالوا بل لم تكونوا..
٣٠٦	٣٣	فإنهم يومئذ في العذاب..
٣٠٧، ٢٦١	٣٥	إنهم كانوا إذا قيل..
٢٨٣	٤٢	على سرر متقابلين..
٢٧٨	٤٧-٤٥	يطوف عليهم..
٢٧٨	٤٧-٤٥	يطاف عليهم بكأس..
٢٩٠	٥١-٥٠	إن هذا هو الفوز..
٢٦٩	٦٧	وقالوا ربنا إنا أطعنا..

٢٦١	٧٢	ادخلوا أبواب جهنم..
٨٣	١٠٢-١٠١	فبشرناه بغلام..
سورة ص		
٣٠٧	٨-٤	وآخر من شكله أزواج..
٣٣٦	٧	إن هذا إلا اختلاق..
٣٠٧	٧	وعجبوا أن جاءهم..
٢٣٢	١٨	مفتحة لهم الأبواب..
٢٣٦	١٩	قالوا ربنا من قدم لنا..
١٠٠	٢٤-٢١	وهل أتاك نبؤ.
١٣٢	٢٨	أم نجعل الذين آمنوا..
٣٣٠	٥٠	إنا سخرنا معه الجبال..
٣١٢	٦٠	ما سمعنا بهذا في الملة..
٣١٢	٦١	أنتم قدمتموه لنا..
٢١١	٧٤-٧٣	فسجد الملائكة..
٣١٢	٧٥	إنا سخرنا الجبال..
سورة الزمر		
١٣٢	٣	والذين كفروا..
١٩٢،١٦٠	٣	ما نعبدهم إلا ليقرّبونا..
٣٣٣	٧	ولا يرضى لعباده..
٣٨٣	١٦	حتى إذا جاؤها..
٣٨٢	٢٤	أفمن يتقي بوجهه..
١٣٧	٢٢	الله يتوفى الأنفس..
٣٢٢	٢٦	ولعذاب الآخرة أكبر..
٣٣٨	٥٨-٥٦	أو تقول حين..
٢٩٩	٥٨	أو تقول حين ترى..
٣٣٨	٥٩	بل قد جاءتك..
٢١٢	٦٩	وجيء بالنبيين..
٣٢٦،٣١٣	٧١	وسيق الذين كفروا..

٣٣٠	٧١	حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها..
٣٣٣	٧١	قبل ادخلوا أبواب جهنم..
٣٠٧	٧٥	وقضى بينهم بالحق..
سورة غافر		
٢٩٠	٥	كذبت قبلهم قوم نوح..
٣٢٢	١٠	إن الذين كفروا ينادون..
٣٢٢	١٠	لمقت الله أكبر من..
٣٢٣	١١	قالوا ربنا أمتنا..
٣٢٦	١٢	ذلكم بأنه إذا دعي الله..
١٧٠	١٥	يلقي الروح من أمره..
٢٦٨	١٦	يومهم بارزون..
٢٧٧	١٧	اليوم تجزى كل..
٣٣	٢٨	أتقتلون رجلاً..
٢٩٢	٣٢	ويا قومي إني أخاف عليكم..
٢٦٠	٣٥	الذين كانوا إذا قيل لهم..
٣١٢	٤٦	النار يعرضون..
٣١٨، ٣٢	٤٧	وإذا يتحاجون في النار..
٣٠٨	٤٧	أنا كنا لكم تبعاً..
٣١٩	٤٨	أن الله قد حكم بين..
٣٩٠	٥٠-٤٩	وهم يصطرحون..
٢١٢، ٣٧	٥١	إننا لننصر رسلنا..
٦٩-٦٨	٥٧	لخلق السموات والأرض..
٣٢١	٧٢-٧٠	الذين كذبوا بالكتاب..
٣٢٦، ٢٠١	٧٢-٧١	إذ الأغلال في أعناقهم..
٣٢٢	٧٤	بل لم نكن ندعو من قبل..
٣٢٣	٧٥	ذلكم بما كنتم تفرحون..
٢٠٣	٧٥	إن الله لا يحب الفرحين..
٢٦١، ٣٢٣، ٢٠٢	٧٦	ادخلوا أبواب جهنم..

٣٢٢	٩٠	الذين يحملون العرش ومن حوله..
سورة فصلت		
٢٣٦	١١	ثم استوى إلى السماء..
٢٢٠	١١	ائتيا طوعاً أو كرهاً..
٣٩	١٣	فإن أعرضوا فقل..
٣٢٢	١٦	ولعذاب الآخرة..
٢٣٦، ٢١٦	٢٠	حتى إذا ما جاؤها..
٢٢١	٢١	لم شهدتم علينا..
٢٢٢	٢٣-٢٢	وما كنتم تستترون..
٢٢٣	٢٤	فإن يصبروا فالنار..
٣٣٦	٢٦	وقال الذين كفروا..
٦٦	٣٩	ومن آياته أنك ترى..
٢٣٢	٤٢	لا يأتيه الباطل..
٢٦١	٤٧	ويوم يناديهم..
سورة الشورى		
١٠٩	٧	وتنذر يوم الجمع..
٢٢٢	١١	ليس كمثلته شيء..
٢٣٨	٢١	أم لهم شركاء..
٢٣٨	٣٠	وما أصابكم من مصيبة..
٢٩٩	٤٢	وترى الظالمين لما..
٢٩٩	٤٥	يعرضون عليها..
٣٠٩	٤٧	استحيبوا لربكم..
٢	٧٥	قل من كان في الضلالة..
سورة الزخرف		
٦٦	١١	والذي نزل من السماء..
١٦٠	١٩	وجعلوا الملائكة الذين..
٣٨٩	٢٤-٢٣	وكذلك ما أرسلنا من قبلك..
٢٨١	٣١	وقالوا لولا نزل هذا القرآن..

٣٧٣	٣٦	ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض..
٣٧٣، ٢٢٩	٣٧-٣٦	ومن يعش عن ذكر الرحمن..
٣٨٢	٣٨	كلما دخلت أمة..
٣٠٦	٣٩	ولن ينفعكم اليوم..
٢٢	٥٥	فلما آسفونا..
٣١٣	٦٧	قالت أخراهم..
٣١٣، ٣٠٨	٦٧	الأخلاء يومئذ بعضهم..
٣٧١، ٢١٠، ٢٠١	٦٧	الأخلاء يومئذ بعضهم..
٣٠٣	٦٩-٦٨	الذين آمنوا بآياتنا..
٣٢٨، ٣١٢	٧٥-٧٤	إن المجرمين في عذاب..
٢٩٣	٧٨-٧٧	لقد جئناكم بالحق..
٣٢٩	٧٧	ونادوا يا مالك..
سورة الدخان		
٢٠٨	٤٥-٤٣	إن شجرة الزقوم..
سورة الجاثية		
٣٢٩	٧	ويل لكل..
٣٣٠	١٠	ومن ورائهم..
٣٣٧	١٨	يسمع آيات..
١٧٣	٢٤	وقالوا ما هي..
٧٧	٣٢	وإذا قيل إن وعد الله..
٦٣	٣٧	وأما الذين كفروا..
سورة الأحقاف		
٢٠٣-٢٠٣	٦-٥	ومن أضل ممن يدعو..
٢٨٨	٧	وإذا تتلى عليهم..
٢٨٠	١١	وقال الذين كفروا..
٣٣٣	١٥	حتى إذا بلغ أشده..
٦٣	١٧	والذي قال لوالديه..
٣٩٣	٢٦	وجعلنا لهم سمعاً..

١٨٩	٢٩	ولو إلى قومهم..
٦٧	٣٣	أو لم يروا أن الله..
٣٢٣	٣٤	قالوا بلى وربنا..
سورة محمد		
٢١٣	١١	وأن الكافرين لا مولى لهم..
٢٧٦	١٣	من قربتك التي أخرجتك..
٣	١٧	والذين اهتدوا..
سورة ق		
١١٠	٢٠	ونفخ في الصور..
٢١٢	٢١	وجاءت كل نفس..
٣٣١	٢٢	فكشفنا عنك غطاءك..
٣٧٣	٢٩	ما يبديل القول..
٢٣١	٣٠	يوم نقول لجهنم..
١٠٩	٣٤	ذلك يوم الخلود..
سورة الذاريات		
٢٣٣	٢٣	فورب السماء والأرض..
٣٣٢،٣٧	٥٦	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون..
سورة الطور		
١١،١٠	١٣	يوم يدعون إلى نار جهنم..
١٦٢	١٦	اصلوها فاصبروا..
٢٨٣	٢٨-٢٥	فمن الله علينا..
٢٨٦	٣٥	أم خلقوا من غير شيء..
سورة النجم		
٣٨٢	٤١-٣٦	أم لم نبأ..
سورة القمر		
٢٣١	٤	ولقد جاء..
٣٣٠	١٧	ولقد يسرنا القرآن..
٦١	٢٤	أبشراً منا واحداً..

٢٩٨	٤٦	بل الساعة أدهى وأمر..
سورة الرحمن		
٣٢٦	٢١	يعرف المجرمون بسيماهم..
٣٢٢	٤١	فيؤخذ بالنواصي..
٣٠٨	٤٤	يطوفون بينها..
٢٢٧	٦٨	فاكهة ونخل ورمان..
سورة الواقعة		
٣٧٣	٢-١	إذا وقعت الواقعة..
٢٧٨	١٧	يطوف عليهم..
٦٩	٧٦-٧٥	فلا أقسم بمواقع النجوم..
١٧٣	٢٧	إذا كنا..
٢٨٧	٤٣	يطوف عليهم ولدان..
٢٨٢	٤٧-٤٦	وأصحاب الشمال..
٢٠٨	٥٣-٥٠	فمالئون منها البطون..
سورة الحديد		
٢٠٢	١٢	يوم تر المؤمنين..
٢٠٣	١٣	يوم يقول المنافقون..
٢٠٣	١٣	قيل ارجعوا..
٢٠٣	١٣	فضرب بينهم..
٢٠٧	١٥-١٤	قالوا بلى ولكن..
٣٣٧	٢٥	وأنزلنا الحديد..
سورة الحشر		
٣٧٣	١٦	كمثل الشيطان..
٣٢١	١٩	ولا تكونوا كالذين..
٢٨٢	٢١	لو أنزلنا هذا القرآن..
سورة الصف		
٣٢٨	٣	كبر مقتاً عند الله..
سورة الجمعة		

٣٠٢	٥	كمثل الحمار يحمل أسفاراً..
سورة التغابن		
٦٢	٧	زعم الذين كفروا..
سورة التحريم		
٣٢٢	٦	عليها ملائكة غلاظ شداد..
٣٢٢	٦	وقودها الناس والحجارة..
٣٣٣	٨-٩	قالوا بلى قد جاءنا نذير..
سورة الملك		
٢٢٣	٨-٧	إذا ألقوا فيها سمعوا..
٢٢٨	٨	تكاد تميز من الغيظ..
٣٣٨، ٢٢١	١٠	وقالوا كنا نسمع أو نعقل..
٢٢١	١١	فاعترفوا بذنبهم..
٣٣٨	٢٣	قل هو الذي أنشأكم..
٢٩٧	٢٧	فلما رأوه زلفة سيئت..
سورة القلم		
٢٨٨	١٥-١٠	ولا تطع كل حلاف مهين..
٣٣٦	٥١	وإن يكادوا الذين كفروا ليزلقونك..
١٣٢	٣٦-٣٤	إن للمتقين عند ربهم..
سورة الحاقة		
٣٢١	١٨	يومئذ تعرضون..
١٧٠	٢٠	إني ظننت أني ملاق حساييه..
٣٣٦	٤٢-٤١	وما هو بقول شاعر قليلاً..
سورة المعارج		
٢٨٢	٣٥-٢٧	والذين هم من عذاب ربهم..
سورة الدهر		
١٦٨	٧	يوماً كان شره..
سورة نوح		
٣٢٢	٧	وإني كلما دعوتهم..

سورة الجن		
٢١٧	٦	وأنه كان رجال..
سورة المدثر		
٣٣٦	٢٤	فقال إن هذا إلا سحر يؤثر..
٢٧٢	٢٨	فما تنفعهم شفاعة..
٢٨٢	٣٨	كل نفس بما كسبت..
سورة القيامة		
٢٣٨	٧	فإذا برق البصر..
٢٣٦-٣٧	٣٦	أيحسب الإنسان..
سورة الإنسان		
١٦٧	٧	يوماً كان شره مستطيراً..
١٦٨	١٠	يوماً عبوساً قمطريراً..
سورة عمّ		
٣٢٩	٢٦	جزاءً وفاقاً..
٣٣٠، ٣٢٩	٣٠	فذوقوا فلن نزيدكم..
٢٣٧	٣٨	يوم يقوم الروح..
٢٣٧	٤٠	يوم ينظر المرء ما قدمت..
سورة النازعات		
٣٢٢	٨	قلوب يومئذ واجفة..
١٧٣	١٢	تلك إذا كرة خاسرة..
٦٧	٢٧	أنتم أشد خلقاً..
١١٠	٢٤	فإذا جاءت الطامة..
٢٧	٣٦	وبرزت الجحيم..
٣٧٣	٣٩-٣٧	فأما من طغى..
سورة عبسى		
٣١٧	٢-١	عبسى وتولى..
٢٦٧، ٣٣٧	٣٧-٣٤	يوم يفر المرء من أخيه..
سورة التكوير		

١١٦	٨	وإذا المرودة سئلت..
سورة الإنفطار		
٢١٢	١٢-١٠	وإن عليكم لحافظين..
٣١٦	١٤-١٣	إن الأبرار لفي نعيم..
سورة المطففين		
٢٦٧	٦	يوم يقوم الناس..
٢٦٢	٣٤-٢٩	إن الذين أجرموا..
٢٨٧	٣٦-٣٤	فاليوم الذين آمنوا من الكفار..
سورة الانشقاق		
١٨١	٦	يا أيها الإنسان إنك..
١١٢	٩-٨	فأما من أوتي..
٢٨٢	١٤-١٠	وأما من أوتي..
٢٨٣	١٤-١٠	إنه ظن أن لن يحور..
سورة الأعلى		
٣٢٩	١٣-١١	ويتجنبها الأشقى..
سورة الفجر		
٢٦٣، ٢٦٢	١٩	وجاء ربك..
٢٢٢	٢٣	وجيء يومئذ بجنهم..
سورة البلد		
٣٠٣	١٧	ثم كان من الذين..
سورة الزلزلة		
١٣٢	٨-٧	فمن يعمل مثقال ذرة..
سورة التكاثر		
١١٢	٨	ثم لتسئلن..
سورة الهمزة		
٢٠٢	٧	نار الله الموقدة..

فهرس الأحاديث القدسية

الصفحة	الراوي	الحديث
٣٠٧	أبو سعيد الخدري	أنا عند ظن عبدي...
٣٣٣	أبو هريرة	يا ابن آدم...
٢٦٢	أبو سعيد الخدري	يا آدم اخرج...
٣٠٧	أبو سعيد الخدري	يا أهل الجنة...
١٣٢	أبو ذر	يا عبادي إني حرمت الظلم...

فهرس الأحاديث الشريفة

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
١٨٢	ابن عباس	اللهم لك الحمد أنت رب السموات...
٢٣٩	ابن عباس	أما أهل النار الذين هم أهلها...
٢٣٣	أبو بكر	أي الناس خير...
٢٣٦	أبو هريرة	اعذر الله إلى امرئ...
٢٣	أبو هريرة	إن يخرج وأنا فيكم..
٣٣	أبو هريرة	إذا وقع الذباب..
٣٣٨	عياض بن حمار	إن الله نظر إلى أهل...
٢١٩	ابن مسعود	إنما أنا بشر مثلكم...
١٢١	ابن مسعود	إنكم لتختصمون لدي...
١٢٢	عبدالله بن عمرو	إن نبي الله نوحاً...
١٨٣	أبو هريرة	أحب لقاء الله...
٢٦٣	أبو هريرة	إن رقد غضب...
٢٧٣	نواس سمعان	إذا أراد الله أن يوحى
٣١٧	أبو هريرة	ألم أكرمك...
٣٢٠	عقبة بن عامر	إن أول عظيم تكلم...
٣٢١	أبي سعيد الخدري	إذا كان يوم القيامة...
٣٢٢	أبي سعيد الخدري	احتجت النار والجنة...
٣٢٣	أنس بن مالك	أتدرون مما أضحك...
٣٧٢	عقبة بن نافع	إذا جمع الله الأولين والآخرين...
٢٣٦	أبو هريرة	أول من يدعي يوم...
٢٦٢	أبو هريرة	إن الله تبارك إذا أحب...
حرف الباء		
١٠	عمر بن الخطاب	بينما كنا جلوس...
حرف التاء		
٢١٢	ابن عباس	تضمن الله عز وجل...
١٣١	عبدالله بن عمرو	تلا قول الله عز وجل...

٢٣٩	أبو هريرة	تدرون ما هذا...
٣٢٢	أبو سعيد الخدري	تكلم البقرة...
٣٢٢	أبو سعيد الخدري	تسييح الطعام...
حرف الثاء		
٢٢٩-٢٢٨	أبي ذر الغفاري	ثلاث لا يكلمهم الله...
٢٢٩	أبو هريرة	ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة...
حرف الحاء		
١٨٧	ابن مسعود	حسبك الآن...
٣٢٢		حنين الجذع الذي كان يخطب عليه...
حرف الخاء		
٣٨	ابن مسعود	خط رسول الله...
حرف الضاد		
٨٣	أبو هريرة	ضحك ربنا من رجلين...
٢٣٦	أبو هريرة	ضرس الكافر...
حرف العين		
١٢٢	أبو ذر	عدة الأنبياء والرسل...
٣٣٧	يسيره	عليكم بالتسييح والتهيل...
حرف الفاء		
٢٣		فجح آدم...
٢٦٨	أبو هريرة	فاسجد لله تعالى...
٣٣٨	أبو هريرة	فيختم على فيه...
٣٣٣	عائشة	فأمرني رسول الله..
٢٣٠	أبو هريرة	فأما النار فلا تمتلئ..
١٢٢	أبو هريرة	فلقاه الله..
حرف القاف		
١٢٩		قال موسى يا رب..
١٦٠	أبو ذر	قام حتى يصبح..
٣١٣	أبو هريرة	قال أتدرون..

حرف الكاف		
٢٢٨	أبو هريرة	كل أهل النار..
١٣١	عبد الله بن عمرو	تلا قول الله عز وجل..
٢٢٣	ابن عمر	كن في الدنيا كأنك غريب..
١٩٣	ابن عباس	كان زعم في القرآن..
حرف اللام		
٣٣٠	أبو البحتري	لن يهلك الناس..
٣٣٨	أبو هريرة	لتتبعن السنن..
٢١٣	أنس ابن مالك	لو كان فلا آدم..
٢٢٨	أبو هريرة	لا يدخل أحد الجنة..
١١٢	عائشة	ليس أحد يحاسب..
١٢٣	أبو هريرة	لما خلق من الخلق..
٢٣	أبو هريرة	لا يشكر الله من لم يشكر الناس..
حرف الميم		
٢٨	أبو هريرة	مراء في القرآن..
١١٢	البراء ابن عازب	من ربك...
١٨٢	عدي بن حاتم	ما منكم من أحد..
٢٣	أبو هريرة	من ابتاع ...
تابع حرف الميم		
٣٣	أسماء بنت أبي بكر	ما من شيء..
٢٢٩	عائشة	من نوقش الحساب..
٢١٣	ابن عباس	من قرأ القرآن..
حرف الواو		
٣٠١	جابر	ويعطى كل إنسان..
٢٢		وهو منجدل تحت الشمس..
		وإن العبد الكافر..
٣٢٢	أبي سعيد الخدري	والذي نفسى بيده..
حرف الياء		

٢١٣	عبد الله بن مسعود	يعرض الناس..
٢٣٦		يؤتى بجهنم..
٢١٠	أبو الدرداء	يلقى على أهل النار..
٣٣	أبي سعيد الخدري	يكشف ربنا عن ساقه..
٣٣	أبو هريرة	يلقى في النار..
٢٠٩		يدعى نوح..
٢٢٢	أنس بن مالك	يؤتى بأشد الناس..
١١٧	ابن عباس	يقولون الرب عزو جل..
تابع حرف الياء		
٢٣٠	عبد الله بن عمر	يدنوا المؤمن..
٢٧٨		يخلص المؤمنون..
٢٠٣	ابن عمر	يدي المؤمن..
٢٦٧	أبو هريرة	يا معشر قريش..
٢٣٣	أبو هريرة	يؤتى لها سبعون ألف..
٢٣٣		يخرج يوم القيامة..
٢٣٩	أنس بن مالك	يلقى في النار..
٢٣٩	أبو هريرة	يقال في...
٢٦٢	عبد الله بن أنس	يحشر الله العباد أو الناس..

حرف الألف		
٢١٣	أبو هريرة	أندرون ما أخبارها..
٣٢٠	سعيد بن فيروز الطائي	أخبرني من سمعه من رسول الله..
٢٣٨	عبد الله بن محمد	إذا أصبحت..
٣٣٣	مسروق	إذا بلغ أحدكم..
٢١٣	ابن عباس ومجاهد	أضللت منهم كثيراً..
٢٠٧	ابن عباس	أطلت لهم العمر..
٢١٠	ابن عباس	أفضل الصدقة الماء..
٢٢٩	ابن عباس	إن الله تعالى إذا..
١٩	عبد الله بن محمد	أنت تحمل محاورته..
٢٢٩	قتادة	إنما يولي الله..
٢٣٧	ابن مسعود	إنني رأيت في المسجد..
٢٢٢	ابن مسعود	اجتمع عند البيت..
٣٣٣	قتادة	اعلموا أن طول العمر..
حرف الباء		
٢٧٦	جابر بن عبد الله	بلغني عنك..
٣٣٠	مجاهد	البرزخ هو الحاجز..
٢٩١	ابن مسعود	بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد.

تابع فهرس الآثار

الصفحة	الراوي	الأثر
حرف التاء		
٣٣٠	ابن عباس	تضمن الله عز وجل..
٣٣٣	عمر بن عبد العزيز	تحت حجة الله..
٢٠٢	بجاهد	تمرحون..
حرف الخاء		
٢٠٢	سليم بن عامر	خرجنا مع جنازة..
حرف الراء		
١٨٩	ابن عباس	رسل الجن هم...
حرف السين		
٢٠٣	قتادة	السور حائط بين الجنة..
حرف الفاء		
٢٣٣	عبد الله بن مسعود	فإن قالوا ذلك..
٢٢٨	أبو هريرة	فيختم علي فيه..
٢٢	عبد الله بن مسعود	فإن يكن صواباً...
٢٣٣	عبد الله بن مسعود	فوالله ما نبس...
٢٣٠	أبو هريرة	فأما النار فلا...
٢٠٣	ابن قتيبة	الفرح البطر والأشر..
حرف الكاف		
٣٣٢	النخعي	كان يقال لصاحب الأربعين...
١٩٣	ابن عباس	كل زعم في القرآن..
حرف اللام		
٢٨٢	عائشة	لم أعقل أبواي...
٣٣٠	عبد الرحمن بن زيد	لا بد أن...
٣٢٩	العلاء بن زياد	لينزلن أحداً نفسه...
٢٨٣	عائشة	اللهم من علينا وقتنا عذاب...

حرف الميم		
٢٨	ابن عباس	ما رأيت قوماً...
١٣٢	قتادة	متكلمان لا يخطفان...
٣٣٧	إبراهيم التيمي	من الحسرات يوم القيامة..
١٩٦	ابن عباس وقتادة	معذرتهم..
حرف النون		
٢١١	ابن عباس	نتركهم من الرحمة...
١٢٠	ابن مسعود	نظرات في القراءات..
حرف الواو		
٢٠٧	قتادة	والله ما نيس...
٢٢٣	قتادة	والله يا ابن آدم..
١٧٢	قتادة	والله ما نسي قوم...
٢٢	ابن مسعود	والذي لا إله غيره..
حرف الهاء		
٢٩٢	عائشة	هل أتى عليك يوم كان..
٢٢٣	ابن عباس	هي كالتى في البقرة...
١٩٩	قتادة	هم الشياطين...
١٧٢	ابن عباس	هذا في موقف...
٢٩٦	طاووس	هذا ذل الصفة
حرف الياء		
٢١٠	ابن عباس	ينادي الرجل...
٣١٨	أبي موسى الأشعري	يدعى الكافر والمنافق..
١٢٩	أبو هريرة	يقال لجهنم هل..
تابع حرف الياء		
١٢٢	ابن عباس	يوم ينفع الموحدين توحيدهم...
٣٢١	ابن مسعود	يعرض الناس يوم القيامة..
١٧٣	ابن زيد	ينادي منادي...
٣٩٠	أبي الدرداء	يلقى على أهل النار..

١١٧	ابن عباس	يقولون للرب عز وجل...
١٧٣	بجاهد	يكون يوم القيامة...

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
حرف الألف	
إبراهيم التيمي	١٢١، ٣٣٧
أبي بن خلف	٢٩١
أحمد بدوي	٣٢٢، ٣٦٠، ٣٣٢
أحمد البقري	٢١٠
أحمد بن المسند	١٢٣، ١٢٠، ٢١٣، ٢٢٠
أحمد بن المنير	٢٢٦، ٣٨٧، ٣١٩
أحمد بن حنبل	٣٢، ٣٨، ٣٨، ١٩٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٦٢، ٢٧٧، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٨، ٣٣١، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٦٣، ٣٦٣، ٣٧٦، ٣٨٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٩٧، ٣٢٠
أحمد بن عامر	١٣٧
أحمد رمضان	٢١٩
أحمد شاكر	٢٢
أحمد صقر	٢٣١
أحمد محمد المنصور	١٣٣
الأخفش	٢٨٧، ٣٢٧، ٢٢٣، ٢٧٦
الأزهري	٢٦٨، ٢١٧
أسماء بنت أبي بكر	٢٢
الأصبهاني	٢٠٠
الأعمش	٢٢٧، ٢٨٣، ٣٩٢
الألباني	٣٢٨، ١٢٣، ٣٣٣، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٠
الألوسي	١٣٣، ١٢٨، ٢١٣، ٢١٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٢٢، ٢٦٩، ٢٧٠
أمية بن خلف	٢٩١
أنس بن مالك	٢٢٣، ٢٢٣، ٢٢٩، ٣١٣، ٢١٩، ٢٢٨، ٢٣٣
الأوزاعي	٣٦٣
أيمن بن خزيم	٣٣٢

٣٢٢	إسحاق
٢٣٨	إسماعيل الأنصاري
٢٣٢، ٢٣١	الباقلاني

حرف الباء

١٣٣، ١٣٨، ١٣٢، ١٢٢، ١٢٣، ٣٣، ٢٣، ٢٢، ٣٩، ٢٣٨، ٢٣٣، ١٩٢، ١٨٧، ١٨٣، ١٨٣، ١٨٠، ١٣٩، ١٣٢، ٢٧٣، ٢٧١، ٢٧٠، ٢٦٢، ٢٢٩، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٠، ٢٣٩، ٢٣٦، ٢٢٢، ٢٣٨، ٣١٩، ٣١٣، ٣٠٩، ٣٠٧، ٣٠٦، ٣٠٣، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٧٢، ٢٦٨، ٢٣٦، ٢٣٣، ٢٠٦، ٢٠٣، ٢٠١، ٣٦٣، ٣٢٨، ٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩١، ٢٩٠، ٢٨٣	البخاري
١٩٢	البراء بن عازب
٢٣٨	البزار
٣٣٧، ٣٣٦، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢١٦، ٢١٢، ١٩٩، ١٧٢، ١٢٩، ٣٢٧، ٣٢٦، ٢٨٨، ٢١٣، ٣٦٨	البعوي
٣١١، ٣٧٧، ٢٨٧، ٢٦٨، ١٩٨	البقاعي
٢٣٦، ٣٦٩، ٢٢٩، ٢٠٩	بكر أبو زيد
٢٢١	البوصيري
٢١٠، ٢٠١، ٣٢١، ٣٣٢، ٣٢٧، ١٢٩	البيهقي

حرف التاء

٣٣٧، ٣٢٠، ٣١٩، ٣٠٣، ٢٧٣، ٢٦٢، ٢٣٢، ٢٣١، ١٣٢، ٣٢، ٢٧٢، ٢٣٧، ٢٣٦، ٢٣٢، ٢١٣، ٣٩١، ٣٣٦، ٣٣٣، ٣٢١، ٣٢٩، ٣٠٣	الترمذي
٢٠٢	تميم الداري
٣٩	التهامي

حرف الثاء

٣٦٢	ثمامة بن أشرس
٣٦٣	الثوري

حرف الجيم

٢٠٠، ٢٧٦	جابر بن عبد الله
٣٦، ٣٢	الجرجاني
١٣٦	الجزري
٢٧٧	جعفر بن محمد
٢١٩	جمال عبد الباري
٢١٧، ٢٦١	الجوهري
حرف الخاء	
١٦٢	حارثة بن لام
٣٣٣	الحافظ العراقي
٢٧٧، ٢٣٨، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٢٣، ١٣٢، ١٢٩، ٣٨، ٣٨، ٢٢١، ٢١٩، ٢١٣، ٢٠١، ٣٣٣، ٣٢٧، ٣١٨، ٣١٢، ٣١٣، ٢٣٧، ٢٣٦، ٢٢٢	الحاكم
٢٣٦، ٣٢١، ٢٧٠، ٢٢٧، ١٨٦، ١٣٠، ١٣٠	الحسن
١٣٧	الحسن ابن جريح
٢١٩	حسن سلمان
٣٦	الحكمي
٢٨٢	الخليمي
٢١٢، ١٦١	حمزة
حرف الخاء	
١٩٦، ١٩٠، ١٦٨، ١٦٢، ١٢٨، ١٢٢، ١٣٨، ١٣٠، ١٢٨، ٣٢٦، ٣٢٢، ٣٢٢، ٢٠٧، ٢٠٣، ٢٠٣، ٢٩٣، ٢١٣، ٢٠٣	الخان
٣٢، ٣٣	خالد بن عبد الله القاسم
٢٨٣، ٣٦٢	الخطابي
٢٣٩	الخفاجي
٢٣٢	الخليل
حرف الدال	
٣١٨، ٢٣٨	الدارقطني
٣٢٣، ٢٧٢، ٢٣٨، ٣٦١، ٣٣٦، ٢٣٧، ٢٣١، ٢١٢، ٢٧	الدارمي

داود	٢٣٨ ، ٢٣٧
الداودي	١٣٣ ، ١٣٣ ، ١٢٣ ، ٣٦
الدمشقي	١٣٦
حرف الذال	
الذهبي	٣١٨ ، ٣١٣ ، ٢٨٣ ، ٢٧٧ ، ١٣٦ ، ١٣٢ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ٣٨ ، ٣٨ ، ٢٣٣ ، ٣٦٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧
حرف الراء	
الرازي	٢٠٣ ، ٢٩٦ ، ٢٢١ ، ٢٨٣ ، ١٩١ ، ١٨٨ ، ١٧٦ ، ١٠٨ ، ٦٣ ، ٣٦ ، ٣٠ ، ٢٧ ، ٣٢٨ ، ٢٧١ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٣٧٠ ، ٣٠١ ، ٢٠٧
راشد	٢٧٧
الراغب	٣١٨ ، ٢١٠ ، ١٩٦
ربيع المدخلي	٢١٩
رضا كحالة	٢٣٦
حرف الزاي	
الزجاج	٣٣٣ ، ٣٠٣ ، ٢٧٣ ، ٢١٠ ، ٣٣١ ، ٣١٢ ، ٣٠٢ ، ٢٨٩ ، ٢٨٠ ، ٢٧٩ ، ٣٢٨
الزركشي	٢٢٨
الزركلي	٢٣٣ ، ٢٣١
الزخشري	٢٣٣ ، ٢٢١ ، ٢١٨ ، ٢١١ ، ٢٠٦ ، ١٩٧ ، ١٦٧ ، ١٣٢ ، ١٢٩ ، ٢٣٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٠٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٣٣١ ، ٣٧٢ ، ٣٨٧ ، ٢٢٠ ، ٣٠٢ ، ٣١٠ ، ٣١٢
الزمزمي	٢٦ ، ٣٧
زيد الخراساني	٣٣١
زيد بن ثابت	٢٣٢
حرف السين	
سامي مبارك	٢١٩
السراج بن البلقيني	١٣٦

٢١٢	سعد
٣٢	سعيد بن المسيب
٢٢٢	سعيد بن منصور
٢١٩	سعيد بن جاد
٢٠٢	سليم بن عامر
٢٣٧	سليمان
١٨٦	سليمان بن عبد الملك
٣١، ٣٧، ١٩٦، ٢٠٢، ٣٠٣، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢١	السمين الحلبي
١٦٢	سهل بن مالك
١٢٣	سيد عبد العظيم
٢٧٢، ٢١٠، ٣٢٨، ٢٧٩، ٢٣٠، ٢٧	السيوطي
حرف الشين	
٣١٣	الشاطبي
٢٢٨، ٣٦٣، ١٣٦، ١٣٣، ١٣٢، ١٢٢، ١٠٢	الشافعي
٣٣٩	شرحبيل بن سعدة
١٦٨، ٢٠٨، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٣٢، ٢٦٩، ٢٩٨، ٣٣٨، ٢٣٩	الشريف الرضا
٣٠٠، ٢٧٧	
٣٠٣	شماخ بن حرار
٣٢، ٧٦، ٢٠٦، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٦، ٢٢٦، ٣٠١، ٣١٦، ٣٢٨	الشنقيطي
٣٣١، ٣٠١، ٣٢٨، ٣٣٧	
١٦١، ٢٠٣، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٣٢، ٢٨٠، ٢٠٠، ٣٢٣	الشوكانبي
٢٩١	شبية بن ربيعة
حرف الصاد	
٣٦٦	صالح الفوزان
٢٢٣	صفوان بن أمية
٣٣٧	صفوان بن عيينة
٢٢٠، ٢٢٢، ٣٠٣	صفوان بن محرز
حرف الضاد	

١٨٨	الضحاك
٣٣٩	ضمرة بن سعيد
٢٣١	الضياء المقدسي
حرف الطاء	
٢٩٦	طاووس
٢٢٠، ٢١٠، ٣١٨، ١٢٩	الطبراني
٢١٣، ٢١١، ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٨، ٢٠٦، ١٩٩، ١٩٦، ١٩٣	الطبري
٢٧٧	طلحة
حرف العين	
٢٩١، ٢٣٢، ٢٨٣، ٢٣٩، ٢١٢	عائشة
١٦١، ١٦٠	عاصم
٢٨٩	عبد الباري طه
١٦١، ١٣٠	عبد الجبار
٢١٩	عبد الحميد هنداوي
٢٧٢	عبد الرحمن بن أنعم
٢٣٢	عبد الرحمن بن أبي زرعة
٢١٩	عبد الرحمن زعيتر
٧٢	عبد الرحيم فودة
٢٢٠، ٣٦٠	عبد الرزاق الصنعاني
٣٩٦	عبد العزيز الحميدي
٢٢٦	عبد القادر حسين
١٣٠	عبد الملك
٧٢، ٧١	عبد الوهاب النجار
٣٣٣	عبدالحليم السيد
٢٩	عبدالحليم حفني
٢٣١	عبدالرحمن السديس
٣٢٩	عبدالرحمن بن زيد
٢٣٠	عبدالرحمن عميرة

٢١٩	عبدالرزاق الماص
٢٢٦، ٢١٩، ٢٧	عبدالرزاق نوفل
٢٩، ٢١	عبدالستار فتح الله
٢٨١	عبدالعزيز الرشودي
٢٦	عبدالعزيز السلطان
٢٢٦	عبدالكريم الخطيب
٣٠٢	عبدالكريم النملة
٢١٩	عبدالله الطيار
٣٠٣، ٢٧٧	عبدالله الغنيمان
٢٧٦، ٢٦٢	عبدالله بن أنيس
٢١٣، ٢١١، ٢٠٧، ١٩٦، ١٩٣، ١٨٩، ١٧٢، ١٢٢، ١١٧، ٢٧، ٣١٧، ٣١٣، ٣١٣، ٢٩٦، ٢٨٧، ٢٨٣، ٢٨٠، ٢٧١، ٢٣٨، ٢٢٨، ٣٢٣، ٣٢٣، ٣٣٢، ٢٣٢، ٢١١، ٢١٠، ٣٣١، ٣٢٣	عبدالله بن عباس
٢٢٢	عبدالله بن عبد العزيز
٣٠٣، ٢٢٠، ٢٣٣، ٢١٢، ١٢٣	عبدالله بن عمر
٢٩١، ٢٣٦، ٢٣٣، ٢١٢، ١٢١	عبدالله بن عمرو
٣٣٩	عبدالله بن عيسى
٢٧، ٣٨، ١٨٧، ٢٣٣، ٢٢٧، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٣٢، ٢٢٢، ٢٩٧، ٢٩١، ٢٣٨، ٢٣٧	عبدالله بن مسعود
٢٣٧، ٢٣٣	عبدالله بن حميد
١٣١	عبدة
٢٩١	عتبة بن ربيعة
٢٣٢، ١٣٠	عثمان بن عفان
١٨٣	عدي بن حاتم
١٢٢	العراقي
٢٩١، ٢٣٢	عروة بن الزبير
٢٩٢، ٢٩١	عقبة بن أبي معيط
٢٧٣، ٢٢٠	عقبة بن عامر

٣٣٧	عكرمة
٣٢٩	العلاء بن زياد
٣٢١	علي الرفاعي
٢٣٨ ، ٣٩٢	علي بن أبي طالب
١٢٦	علي بن علي الدمشقي
٢٦٣	علي بن نفيح
٣٢	عمارة بن عبد الله
٢٣٢ ، ٣٦٣	عمر بن الخطاب
٣٣٣	عمر بن عبد العزيز
٢٧	عمر بهاء الدين
٣٢٩	عمران بن حصين
٢٠٢	عمرو بن عبسة
٢٠٢	عوف بن مالك
٣٢٩	عياض بن حمار
٢٧٠	عيسى بن الخضر
٢٨٨ ، ٢٧٠	عيسى بن عمر
١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٣ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٦٢	عيسى بن مريم
٢٣٣ ، ٢٣٢	الغماري
حرف الفاء	
٢٩١ ، ٢٦٨	فاطمة
٢٩	فتح الله سعيد
٢٢٦ ، ٣٢٣ ، ٢٩٨ ، ١٢٣	فتحي أحمد عامر
٢٢٣	فتحي رضوان
٣٦٩ ، ٣٢٨	الفراء
٧٠	فرنك ألن
٢٣٦	فضالة بن مبارك
٢٨٦	فهد الرومي

حرف القاف	
القاسمي	١٣٣، ١٣٦، ١٣٨، ١٦٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٨٢، ٢٩٢، ٣٦٩، ٣٨٠، ٢١٦، ٢٣٢، ٢٢٨
قتادة	١٢٣، ١٩٩، ٢٠٧، ٢٢٩، ٢٧٠، ٣٣٩، ٣٣١، ٢٠٣، ٢٢٣
القرطبي	٢٧، ٣٦، ١٠٩، ١٢٨، ١٢٩، ١٢٣، ١٢٨، ١٦٣، ١٧٣، ١٨٩، ١٩٣، ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٦، ٢٧٢، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩١، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٦٨، ٣٧٢، ٣٩٢، ٢١٣، ٢١٦، ٢٣٨، ٢٧٨، ٣٠٣
حرف الكاف	
الكسائي	٢١٢
كعب بن مالك	١٣٩
حرف الميم	
مالك بن أنس	٣٢٢، ٣٣٢، ٣٣٩، ٣٦٣
الماوردي	١١٨، ١٢٨، ١٢٨، ٣١٢، ٣٣٠، ٢١٦، ٢٢١
مجاهد	٢٠٢، ٢١١، ٢١٣، ٢٧١، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٢
محمد أبو النور	٢٣٧
محمد أبو زهرة	٣٢
محمد أحمد البدوي	٢٦٧
محمد أحمد العدوي	١٢٨، ١٣٢
محمد أحمد خلف الله	١٢٣
محمد الخضر حسين	١٢٧
محمد الراوي	٣٣٣
محمد الغرناطي	٢٣٣
محمد بن إسحاق	١٣٣
محمد بن إسماعيل	٢٧٢
محمد بن سيرين	٢٠٣
محمد بن عبد الوهاب	١٢٩، ٢٢٠، ٢٢٢
محمد توفيق صدقي	٣٢٢

٦٩	محمد جمال الدين
٣٢٩	محمد خليل هراس
٣٢٦، ٢٢١، ١٢٨	محمد رشيد رضا
٢٧٠	محمد شرف
٢٨٧، ٢٦٦	محمد عبدا لله دراز
١٢٢	محمد عبده
٣١٨	محمد بن عثيمين
٣٦٣، ٢٢٨	محمد علي الصابوني
٣٨٧، ١٦٢	محمد عليان
٢٢٦	محمد عياد
٢٢٣	محمد متولي الشعراوي
١٣٦	محمد محمد يوسف
٣٧٢	محمد يسري
٢٣٢، ٣٧٠، ١٢٣	محمود شلتوت
٣٢٨	محمود عبد العظيم
٣٠٢	المراغي
٢٢٦	مرعي
٣٣٣	مروان بن الحكم
٣٣١، ٢٨٣	مسروق
٢٧٧	مسعود بن مالك
٢٢٢، ٣٢٢، ٣٣، ٣٨، ٢٢، ٢٣، ١٨٣، ١٩٢، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢٢٦، ٣١٣، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٣٧، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٦٣، ٣٧٦، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٢٨، ٢٩١، ٣١٢، ٣٢٨، ٣٣٢	مسلم
٢٧١	المسور بن مخزومة
٢٢٦	مصطفى الدباغ
٢١٩	مصطفى سلامة
١٢٣	مصطفى صبري
٢٨٦	مصعب بن عمير

معاوية	٢٣٢
المقداد بن الأسود	٢٠٢
المنابي	٢٩
منصور بن الأسود	٢٣٠
حرف النون	
النخعي	٣٣٢
النسائي	٣٢٧، ٣٢٦، ٣٨
النسفي	٣١٨، ١٧٢
النضر بن أنس	٢٠٣
النعمان بن بشير	٢٦٣
النواس بن سمعان	٢٧٦، ٢٧٣
النوي	٢١٨
حرف الهاء	
هشام بن عبد الملك	٢٩٦
الهيثمي	٢٣٣، ٣٣٨، ٢٣٧
حرف الواو	
وحيد عبد السلام	٢٢٠
وكيع	٣٣٧
حرف الياء	
ياسين رشدي	٢٣٢
يحيى بن سعيد القطان	٢٧٢، ٣٩٢
يحيى بن يعمر	٢٧٧
يسيره	٢٣٦
يعقوب	٢٠٧، ٢٦٩، ١٦٠، ١٣٧
يونس بن حبيب	١٣١
أبو	
أبو أمامة بن سهل	٢٣٢
أبو البخترى الطائي	٣٢٠

٢٧٠	أبو البقاء العكبري
٣٦٣	أبو بكر
٢٩٢ ، ٢٨٧	أبو بكر السجستاني
٢٨٢ ، ٣٦٣ ، ٣١٩ ، ٣٠٧ ، ٢٣٨ ، ٢٢٣ ، ١٣٣ ، ٣٣	أبو بكر بن خزيمة
٢٠٧ ، ١٣٧	أبو جعفر المخزومي
٢٣٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٧ ، ١٦٢ ، ١٣٧	أبو جعفر النحاس
٢٩١	أبو جهل
٢٢٠ ، ٢١٨ ، ٢١٠ ، ٣٢٦ ، ٣٢٢ ، ١٣١	أبو حاتم
١٨٦	أبو حازم
٣٢٦ ، ٢٦٧ ، ١١٣	أبو حيان
٣٢٠ ، ٢٣٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٦ ، ٢٧٣ ، ٢٣١ ، ٣٨	أبو داود
٢٣٨ ، ١٢٠	أبو ذر الغفاري
٢٣٢ ، ١٦١	أبو زرعة
١٣٦ ، ١٣٣	أبو سعيد عثمان
٢١٩	أبو عبد الملك
٣٣٠ ، ٢٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٦٨ ، ١٩٩ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ٣٨	أبو عبيد
٢٨٧	أبو عمار
١٦١	أبو عمر
٢٨٧	أبو عمرو
٢٨٨	أبو عمرو بن العلاء
٣٩٢ ، ١٣٦	أبو مسعود
٢١٩	أبو معاوية
٢٣٧ ، ٢١٨ ، ٣٢١	أبو موسى الأشعري
٢٢٠	أبو موسى المديني
٣٨٧	أبو نواس
٢٣٨ ، ٢١٢ ، ١٨٣ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٣١ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٣٨ ، ٣٣ ، ٢٣٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٧٣ ، ٣٢٩ ، ٣٣٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٨ ، ٢٦٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢١٧ ، ٢١٣ ، ٢٠٢ ، ٣٣٦	أبو هريرة

٢٧٢ ، ٢٦٢ ، ٢٣١	أبو هلال العسكري
٢٣٢ ، ٣٠٧ ، ٣٠٣ ، ٢٧٨ ، ٢٦٢ ، ٢٣١ ، ٢٣١ ، ٢٢٢ ، ٣٢ ، ١	أبي سعيد الخدري
٢٩٧	
ابن	
٢٧٠ ، ١٢٠	ابن أبي الأصبع
٢٣١ ، ٣٢٣	ابن أبي الدنيا
١٢٦	ابن أبي العز
٢٧٣	ابن أبي عاصم
٢٠٣	ابن أبي عروبة
٢٦٣ ، ٢٣٢	ابن أبي مريم
٢٩٣	ابن اسحاق
٣٢٩ ، ٢٨٣ ، ٢٣١ ، ٢٢٨ ، ٢٢٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٣ ، ٣٩	ابن الأثير
٣٦٧	ابن باز
٣٠٣	ابن التين
٣٧٣ ، ٣٦٩ ، ٢٨٠ ، ٢٧٢ ، ٢٢٧ ، ١٨٩ ، ١٦٢ ، ١٢٨ ، ١٣٩	ابن الجوزي
٢٩٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢١٦ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٣٠	
٢٨٢	ابن الدغنة
٣٣١ ، ٣٣٠	ابن الزمكاني
٢١٦ ، ٢١١	ابن السائب
٣٧٢ ، ٣٣٦ ، ٢٩١ ، ٢٦٦ ، ٢٣١ ، ٢١٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ١٩٩ ، ٢١	ابن سعدي
٣٣٧ ، ٣٣٣ ، ٢١٣ ، ٢٠٣	
١٢٣	ابن الصلاح
١٣٢ ، ١٣١ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ٣٧ ، ٣١ ، ٢٩ ، ٢٦ ، ٢٣ ، ٢٢	ابن القيم
٣١٨ ، ٢٨٢ ، ٢٧٣ ، ٢٢٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢١٩ ، ٢١٨	
٢٠١ ، ٢٠٠ ، ٣٩٧ ، ٣٧٩ ، ٣٧٢ ، ٣٦٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٢ ، ٣٢١	
٣٣١ ، ٣٢٣ ، ٢٣٠	
٢١٠	ابن المنذر
٢٢٩	ابن المنكدر

ابن المنير	٢١٨ ، ٢٣٢ ، ٢٩٣ ، ٣١٧ ، ٣٧٠ ، ٣٨٣ ، ٣٨٧ ، ٢٢٨
ابن تيمية	٣٣ ، ٧٦ ، ١٢٢ ، ١٣٦ ، ١٣٦ ، ١٦٧ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٣٩ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٦١ ، ٢٠٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٨ ، ٣٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٨٣ ، ٣١٣ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩
ابن حبير	٢٧٧
ابن جرير الطبري	٢٦ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٢٨ ، ١٣٧ ، ١٦٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٢٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣١٣ ، ٣٢٠ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٨١ ، ٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٧ ، ٣٠٣ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٣٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٣
ابن حبان	١٢٣ ، ١٣٢ ، ٢٣٣ ، ٣٣٣ ، ٢٣٦
ابن حجر	٣٢ ، ١٠٩ ، ١٢٩ ، ٢١٩ ، ٢٧٩ ، ٣٣٨ ، ٣٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٣٢٩
ابن حيان	٣٣٣
ابن خزيمة	١٣٣ ، ٢٢٣ ، ٣١٩
ابن رجب	٣٣٣ ، ٣٣٢
ابن سعد	٢٠٧
ابن شاكر	٢٢٨
ابن شنبوذ	١٣٦
ابن شهاب	٣٣٩
ابن صياد	٣٢
ابن عادل	١٦٣ ، ١٦٢ ، ٢١٢ ، ٢٢٧ ، ٣١٢ ، ٣٢٢ ، ٣٢٨ ، ٣٣٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٨٩ ، ٢٣٩ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣٩ ، ٣٢٣
ابن عاشور	١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٩١

٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٠ ، ٢١٦ ، ٢١٣ ، ٢١٢ ، ١٩٦ ، ١٩٣ ، ١٩٢ ٢٨٨ ، ٢١٣ ، ٢١١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٢ ، ٢٩٧ ، ٢٢٨	
٢٦٩	ابن عامر
٢٢٨ ، ٣٣٢	ابن عبد البر
٢٩١	ابن عبد ياليل
٢٣١ ، ٢٠٠ ، ٣٦٧	ابن عثيمين
٢٠٣ ، ٢٠١ ، ١٩٠ ، ١٧٦ ، ١٧٢ ، ١٦٣ ، ١٣٧ ، ١٢٨ ، ١١٩ ٣٣٢ ، ٣٢٢ ، ٣١٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٢٩٢ ، ٢٨٠ ، ٢٧٩ ، ٢٧١ ، ٢١٣ ٢٧٣ ، ٢٧١ ، ٢٦٨ ، ٢٦٧ ، ٢٠٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٢ ، ٣٧٦ ، ٣٣٣ ٣٧٧ ، ٣٣٣ ، ٣٣٠ ، ٣٠٢ ، ٢٩٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٦	ابن عطية
٣٨٠ ، ٦٣	ابن عقيل
٢٢١	ابن غنيمان
٢٠ ، ٣٨ ، ٣٣ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٢٨	ابن فارس
٢٣٣	ابن فرحون
٢٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٦٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، ٢٢٣ ، ٢٠٣ ، ١٩٦ ، ١٢٩ ٣٠٣ ، ٣٧٦ ، ٣٦٣ ، ٣٢٣	ابن قتيبة
١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣١ ، ١٢٨ ، ١١٧ ، ١١٣ ، ٧١ ، ٣٦ ، ٣٣ ، ٣٢ ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ١٩٩ ، ١٩٦ ، ١٩٢ ، ١٦٦ ، ١٦٠ ، ١٣٦ ، ١٢٢ ٢٢٧ ، ٢٢٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣١ ، ٢٢٨ ، ٢١٣ ، ٢١١ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦ ٣٣٦ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩ ، ٢٩٧ ، ٢٩٠ ، ٢٨٦ ، ٢٨٠ ، ٢٧٩ ، ٢٧٧ ٣٩٢ ، ٣٨٣ ، ٣٦٨ ، ٣٣٩ ، ٣٣١ ، ٣٢٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٠ ، ٣٣٩ ٣٢٦ ، ٣٠٣ ، ٢٩٧ ، ٢٩٢ ، ٢٨٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٠ ، ٢٢٨ ، ٢٢١ ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٢ ، ٣٢٨	ابن كثير
٣١٢	ابن مالك
٢٧٢	ابن المبارك
٢٧٢ ، ٢٣١	ابن مردويه
٢٨٦	ابن مطعم
٣٢ ، ٢٩	ابن منظور

٢٨٣	ابن هشام
٢٧٧	ابن يعمر
٢٢٧	ابن يوسف الكرمي

فهرس الأديان والطوائف والفرق والمذاهب

الصفحة	الفرق
حرف الألف	
١٢٩	الأرثوذكس
٢٦٦، ٢٦١، ٢٣١	الأشعري
٣٠٢، ٢٦٧، ٢٦٦، ٣٦٧، ٣٦٢، ٣٦٣	أهل السنة
٢٣٩، ٢٣٨، ٣٦٣، ٣١٦، ١٨٢	أهل البدع
حرف الباء	
١٢٨	البروتستانت
حرف الجيم	
٣٠٣، ٣٠٦، ٢٦٦، ٢٢٢، ٣٦٢، ١٨٠، ١٩٠، ٢١٣	الجهمية
حرف الحاء	
١٣٢، ١٢٦، ١٧٢	الحنفية
حرف الراء	
٣٦٢	الرافضة
حرف الزاي	
٢٢٢، ٣٦٢	الزنادقة
حرف السين	
٢٦١، ١٢٦	السلفية
حرف الشين	
١٧٢، ١٣٦، ١٣٣، ١٣٢، ١٣٢، ١٢٢، ١١٨	الشافعية
حرف الصاد	
٣٨١	الصائبون
حرف العين	
٣٢٢	العرب
حرف الفاء	
٢٣٢	الفلاسفة

٢٢٨	الفرنسيين
حرف القاف	
١٢٨	القطبية
٣٦٢، ٣٦٣، ٢١٨	القدرية
حرف الكاف	
١٢٩	الكاثوليك
١٢٨	الأرمينية
حرف الميم	
١٣٣	المالكية
٣٨١	المجوس
٣٦٢، ٣٦٣	المرجئة
٢٦٦، ٢٢١، ١٣٠، ١٨٠	المعتزلة
٢٢٨	المستشرقين
٣٨١، ٣٣، ١٦٩	المشركين
حرف النون	
١٢٨، ١٢٧، ١٢٣، ١٢٢، ١٢٨، ٣٨١	النصارى
١٢٢	النقشبندية
حرف الياء	
٣٨١، ١٢٨، ٣٢	يهوديا

فهرس المفردات

الصفحة	المفردات
(أ)	
٢٧٠	افرنقع
٢١٧	أسودك
٣١	أجدك
٢١٧	أذرك
٢٣٣	أجير اليوم
٢٣٦	أناضل
٣٠	الأجدل
(ب)	
٣٠٣	برني
٢٢٠	بجزكم
٢٦٨	بغنة
	براح
(ت)	
٢٩	تجاوز
٢٠	تمارى
٢١٧	ترأس
٢١٧	تربع
(ث)	
٣٣	تناظر
٢٩٧	تباب
٢٢٧	التجريد
٢٣	التعطيل
٢٣	التكليف
٢٣	التأويل
٢٣	التحريف

(ج)	
٣٣،٣١	جدال
٣٢٩	جذب
٢٧١	جزعته
٣١	الجدول
(ح)	
٢٦٨	حتى
٢٧٣	الحق
٣٠	حار
٢٠١	حسك
(ح)	
٢٨	الحوار
٢٨	الخور
٣٠	الحواري
٢٢٢	الحميم
(ز)	
٢١٠	زيلنا
٢٢٢	الزقوم
٢٩٧	الزلفة
(س)	
١٧٧	الساعة
٢٣٢	سخرياً
(ض)	
٢٢٢	الضريع
(ش)	
٢٩٩	شفافاتها
(ع)	
٢٩٧	عوج

(غ)	
٢٢٢	غسلين
(ف)	
٢٦٨	فزع
٢٧٠	فرغ
٢٨٨	فاطلع
٢٢٠	الفدام
١٩٦	الفتنة
(ق)	
٢٨٢	القارة
٢٩٢	قرن
(ك)	
٢٧٣	الكبير
٢٨٩	كاد
٢٠١	كلاليب
٢٨٣	كأس
(ل)	
٢٨٧	الإفك
١٧٠	اللقاء
(م)	
٢٨	المحور
٣٣، ٣٠، ٢٩	المحاورة
٢٩	المحورة
٣١	المجدل
٣١	المجدول
٣٣	المحاجة
٣٧، ٣٦، ٣٣	المنظرة

٢٠،٣٧	المراء
٣٨	مري
٣٨٢	المرو
٣٨	المماراه
٣٩	مارى
٢٠	المحجة
٣٢	المرية
(م)	
٢٠	مقتحم
١٣٢	من دون الله
٢١٣	المعسر
(ن)	
٣٦،٣٣	النظير
٣٧،٣٦	نظرة
٣٧	النظرة
٣٠٣	نجوى
(ي)	
٣٠٣	يخوض
١١٠،١٠٨	اليوم الآخر
	يعذروا

فهرس البلدان

الصفحة	البلد
حرف الألف	
٢٠٢	الأندلس
١٣٣، ٢٢٨	الإسكندرية
١٧٢	إيدج
٢١٠	أصبهان
حرف الباء	
١٢٩	بيروت
٢٣٣، ٢٣٢، ٢٩٣، ١١٨	بغداد
٢٨٩، ٢٧٠، ١١٨، ٢١٩	البصرة
٢٩٢	بدر
حرف التاء	
٢٨٨	تونس
حرف الجيم	
١٢٧	الجزائر
حرف الحاء	
١٢٢	الحجاز
٢٨٢	الحبشة
٢٨٢	حنين
حرف الخاء	
٣٣٩	خراسان
١٧٢	خوزستان
حرف الدال	
٢٨٨، ١٣٦، ١٢٦، ١٢٢، ٢٠٢، ٣٢٨	دمشق
حرف الراء	
١٢٩	الروم
١٣٢	الري

حرف السين	
٣٣٩ ، ٢٣٦	السعودية
٣٢٢	سجستان
حرف الشين	
٢٧٦ ، ١٣٦ ، ١٢١ ، ٣٣٢	الشام
حرف الطاء	
١٢١	طرابلس
٢٩٢	الطائف
حرف العين	
٣٣٣	العراق
حرف العين	
٢٨١	عنيزة
حرف القاف	
٢٦٢	قرن المنازل
٢٩٢	قرن الثعالب
٢٨١	القصيم
٧٢ ، ٢٩ ، ١٢٢	القاهرة
١٢١	القلمون
١٢٨ ، ١١٧	القسطنطينية
حرف الكاف	
٢٨٩ ، ٢٨٣ ، ٣٣٢	الكوفة
حرف الميم	
٢٩٢ ، ٢٩١	مكة المكرمة
٢٨٨	المغرب
٨٧ ، ٨٦ ، ٧٢ ، ٣٠ ، ٢٧٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٦	مصر
٢٩٧ ، ٢٨٨ ، ٢٢٢	

فهرس الأشعار

الصفحة	البحر	القافية
١٢٨	الكامل	جنات عدن في السموات العلى.
٣٧	الطويل	إلى الشر دعاء وللشر جالب.
٢٨	الرجز	وإن تشأ فاكسره كالسلاب
٣٢	الرجز	وقفك الله لما أحبه
٣٢	الرجز	وينصوص الوحي حقاً ثبتت
١٣٠	الوافر	وأندى العالمين بطون راح
٣٣٣	الكامل	متأخر عنها ولا متزحزح
٣٣٣	الكامل	حياً وقال فديت من لا يفلح
٣٣٣	الكامل	خمسون وهو إلى التقى لم ينجح
٣٦٣	الكامل	وأجله عن كل قول مفسد
٣٦٣	الكامل	طلعوا إلى الدنيا طلوع الفرقد
٣٦٣	الكامل	وحموه من كيد الخبيث المعتد
٣٦٣	الكامل	وسواهم بكلامه لم يسعد
٣٦٣	الكامل	وهم لدين الله أفضل مرشد
٣٦٣	الكامل	سيناله كيد الغواة الحسد
٣٦٣	الكامل	من جاهل ومكابر ومقلد
٣٦٣	الكامل	هذا الطريق إلى الهدى والسؤدد
٣١٧	الرجز	وهكذا تترك أي خلودا
١٦٢	الرجز	ماذا ترين في فتى فزارة
١٦٢	الرجز	إياك أعني واسمعي يا جارة
١٦٢	الرجز	لا أبتغي الزوج ولا الدعارة
١٦٢	الرجز	فارحل إلى أهلك باستخارة
٢٧٩	البسيط	صاح الدجاج وحانت وقعة الساري
٣١٢	الرجز	فالتزموا الأفراد والتذكيرا
٣١٧	الطويل	فإن عمى العينين ليس يضير
٣١٧	البسيط	ففي لساني وقلبي منهما نور

٣١٧	البسيط	وفي فمي صارم كالسيف مأثور
٣١٧	الرجز	أن كان في الحياة مظلم الفكر
٣٣٣	الطويل	له دون ما يأتي حياء ولا ستر
٢٨	الرجز	وكمحاورة الحوار
٢٧٩	البسيط	لا بالحصور ولا فيها بسوار
٣٣٣	البسيط	فأخشى الإله وكن للموت حذار
٢٨	الوافر	على إخوانهم لقتلت نفسي
٢٨	الوافر	أسلي النفس عنه بالتأسي
٢٢	الطويل	يقيم ضباه أهدعي كل مائل
٢٢	الطويل	وهذا شفاء العي من كل جاهل
٣٢	الرجز	والانقياد فادر ما أقول
٢٨٠	الوافر	محادثة الكرام على المدام
٢٣	الكامل	فأبوا وقالوا حنطة لهوان
٢٣	الكامل	فأبى وزاد الحرف للنكران
٢٣	الكامل	في وحي رب العرش زائدتان
٢٦	الكامل	إن المشبه عابد الأوثان
٢٦	الكامل	إن المعطل عابد البهتان
٢٦	الكامل	فهو الشبيه لمشرك نصراني
٢٦	الكامل	فهو الكفور وليس ذا إيمان
٣٣٣	الخفيف	شر تقضي سنين بعد سنين
٣٣٢	الخفيف	لاح شبيهه بعارضي وقروني
٣٠٣	الوافر	تلقاها عرابة باليمين
٣٠٣	البسيط	ولا ألين لمن لا يبتغي ليني
٣٦	الرجز	محبة وانقياد والقبول لها
٣٦	الرجز	وبالإلهية يفردوه
٣٢	الرجز	وأترك العاجز بالجداله

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم^(١).

(أ)

- الإبانة عن معاني القراءات / لمكي بن أبي طالب حموش القيسي. ت / د: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة الفيصلية، ط الثالثة ١٤١٥هـ.
- الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع / محمد بن صالح بن عثيمين. دار الطرفين، الطائف.
- ابن تيمية / العالم الجريء. تأليف عبد المنعم الهاشمي - دار ابن كثير، دمشق، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- ابن قيم الجوزية / حياته وآثاره. تأليف بكر أبو زيد، مكتبة الرشد، الرياض، ط الثانية ١٤٠٣هـ.
- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر / د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الثانية ١٤١٤هـ.
- الاتجاهات السنية والمعتزلية في تأويل القرآن / للتهامي نقرة. تونس، دار القلم، ١٩٨٢م.
- اجتماع الجيوش الإسلامية / لابن القيم. تصحيح: عبد الله بن حسن آل الشيخ، إدارة المطبعة المنيرية، القاهرة.
- الأجوبة المرضية / للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي. تحقيق د: محمد إسحاق محمد إبراهيم، دار الراية، الرياض، ط الأولى ١٤١٨هـ.
- الأحاديث الموضوعة في الأحكام المشروعة / أبي حفص عمر بن بدر الموصلي ت: ربيع بن محمد السعودي، مكتبة الطرفين، ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- أحكام القرآن / لابن العربي. تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار المعرفة.
- أحكام القرآن / لأبي عبد الله بن إدريس الشافعي. جمع أحمد بن الحسين البيهقي، علق عليه: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٠هـ.
- أخطاء في أدب المخادثة والمجالسة / محمد بن إبراهيم محمد. دار ابن خزيمة، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- آداب البحث والمناظرة / للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي. مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

(١) برواية حفص عن عاصم، طبع مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة.

- أدب الحوار في الإسلام / د: محمد سيد طنطاوي. نهضة مصر.
- أدب الحوار والمناظرة / المستشار الدكتور علي جريشة. دار الوفاء، ط الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- الأدب المفرد / محمد بن إسماعيل البخاري. القاهرة، المطبعة السلفية ١٣٧٨هـ.
- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره / د: عمر بن إبراهيم رضوان.
- الأربعين في دلائل التوحيد / لأبي إسماعيل الهروي. تحقيق وتعليق: د/ علي بن محمد الفقيهي.
- إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد / عبد العزيز محمد السلطان. ط الأولى ١٤٠٦هـ، مطابع الخالد للأوفست، الرياض.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / محمد بن محمد العمادي. مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول / محمد بن علي الشوكاني. تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، القاهرة، مطبعة المدني، ١٤١٣هـ.
- إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة. دراسة/ ت / أيمن عبد الرزاق الشوا، دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل / محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية / لعبد العزيز محمد السلطان. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط الخامسة ١٣٩٤هـ.
- أسئلة وأجوبة / لابن حجر. اعتني بها: مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف، الرياض، ط الأولى ١٤١٨هـ.
- أساليب الإستفهام في القرآن الكريم / لعبد الحليم السيد.
- أسباب نزول القرآن / لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي. تحقيق: أحمد صقر، دار القبلة، جدة ط الثانية ١٤٠٤هـ.
- أسباب ورود الحديث أو اللمع في أسباب الحديث / للحافظ طلال الدين السيوطي. ت / الدكتور يحيى إسماعيل، ط الأولى ١٤٠٨هـ...
- استدراقات البعث والنشور / للبيهقي. جمعه: عامر أحمد حيدر، المكتبة التجارية - مكة المكرمة.

- استدراقات وملاحظات حول كثير مما وقع فيه الدكتور أكرم العمري من الأخطاء الفاحشة
القيحة في كتابه المزعوم بـ ((السيرة النبوية الصحيحة)) تأليف / عبد القادر حبيب الله
السندي، ط الأولى ١٤١٦هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب / ليوسف بن عبد الله بن عبد البر. تحقيق : علي محمد البجاوي،
القاهرة، مكتبة نهضة مصر.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة / لعلي بن محمد الأثير. القاهرة، مطبعة الوهيبية.
- أسرار التكرار / لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى. ت / عبد القادر أحمد عطا، دار
الاعتصام.
- أسرار التنوع في تشبيهات القرآن / لملك حسن بخش. دار المجتمع، جدة، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- أسلوب التغليب في القرآن الكريم / لمحمود عبد العظيم صفا. القاهرة، مطبعة الأمانة ١٤٠٣هـ.
- أسلوب الدعوة القرآنية / د : عبد الغني محمد سعد بركة. مكتبة وهبة، القاهرة، ط الثالثة
١٤٠٣هـ.
- الأسماء والصفات / للبيهقي أحمد بن الحسين. تعليق : محمد زاهد الكوثري، القاهرة، مطبعة
السعادة.
- أشراط الساعة. تأليف : يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل، دار ابن الجوزي، ط الرابعة
١٤١٤هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة / شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد الكنانى العسقلاني
المعروف بابن حجر. دار الكتب العلمية، بيروت.
- إصلاح غلط المحدثين / للخطابي البستي. ت / د: محمد علي عبد الكريم الرديني، دار المأمون
للتراث، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
- إصلاح المجتمع / لمحمد بن سالم البيجاني. دار القلم، بيروت، ط الثانية ١٤٠٦هـ.
- أصول الأيمان / محمد عبد الوهاب. ت / د: باسم فيصل الجوابرة. ط الأولى ١٤١٤هـ، الأصالة
- الأردن.
- أصول في البدع والسنن. تعلم / محمد أحمد العدوي، تقديم الشيخ عبد الله السبت، دار الفتح -
الشارقة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- أضواء بلاغية على جزء الذاريات / لـ د / عبد القادر حسين. دار المنار، مصر.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. تأليف / محمد الأمين بن محمد المختار الحكنى
الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.

- الاعتصام للشاطبي / أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي. مكتبة الرياض الحديثة، دار الفكر.
- الإعجاز العددي للقرآن الكريم / لعبد الرزاق نوفل. بيروت، دار الفكر، ط الرابعة ١٤٠٣هـ.
- إعجاز القرآن / للباقلاني أبي بكر بن محمد بن الطيب. ت / السيد أحمد صفر، ط الثالثة، دار المعارف بمصر.
- إعجاز القرآني البياني بين النظرية والتطبيق / د: حفني محمد شرف. القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٩٠هـ.
- إعجاز القرآن بين الإمام السيوطي والعلماء / محمد بن حسن بن عقيل. دار الأندلس، جدة، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- إعجاز القرآن في دراسة كاشفة.. لعبد الكريم الخطيب. القاهرة، دار الفكر العربي ١٣٨٣هـ.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / للراقي. تأليف / مصطفى صادق الرافعي - دار الكتاب العربي، بيروت، ط التاسعة ١٣٩٣هـ.
- إعراب القراءات الشواذ / لأبي البقاء العكبري. دراسة وتحقيق : محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- الأعلام / للزركلي خير الدين. القاهرة، المطبعة العربية ١٣٤٥هـ.
- الأعلام بمنثلك الكلام / لابن مالك. مطبعة الحلبي بمصر، ط الأولى ١٣٢٩هـ.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين / محمد بن أبي بكر بن القيم. القاهرة، إدارة الطباعة المنيرية .
- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان / محمد بن أبي بكر بن القيم. تحقيق وتصحيح : محمد حامد الفقي، بيروت، دار المعرفة ١٣٩٥هـ.
- الاقتباس من القرآن الكريم د/ نايف السليفي. مطابع بهادر، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ.
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم / لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. تحقيق : محمد حامد الفقي، القاهرة مطبعة السنة المحمدية، ط الثانية ١٣٦٩هـ.
- الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى / لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني. ت/ د: فتح الله صالح علي المصري، دار الوفاء، ط الثانية ١٤٠٨هـ.
- ألفية ابن مالك في النحو / محمد بن عبد الله بن مالك. القاهرة، المطبعة الأميرية، ط الأولى ١٣١٥هـ.
- الله والعلم الحديث / لعبد الرزاق نوفل. القاهرة، مكتبة مصر، ط الثانية.

- الإمام في مسألة تكليف الكفار / د: عبد الكريم النملة. مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- الأمثال من الكتاب والسنة / لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي. ت: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، ط الأولى ١٤٠٩هـ.
- الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع / لجلال الدين السيوطي. تحقيق د/ ذيب القحطاني، مطابع الرشيد، المدينة، طبعة سنة ١٤٠٩هـ.
- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية / لسليمان بن عبد القوي الطوخي الحنبلي. تحقيق: د/ سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، ط الأولى ١٤١٩هـ.
- الانتصار لأهل الحديث / د/ محمد بن عمر بن سالم بازمول. دار الهجرة، الرياض، ط الأولى.
- الانتصاف حاشية على الكشاف / للزمخشري. لمحمد بن المنير الإسكندري.
- الانحرافات العقيدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثاره في حياة الأمة / علي بن بحيث الزهراني. دار الرسالة.
- الأنساب / لعبد الكريم بن محمد السمعاني. تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، حيدر آباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٨٢هـ.
- أنموذج جليل / محمد أبي بكر الرازي. تحقيق: د/ محمد رضوان، دار الفكر، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.
- الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتنزيل / عبد الرحمن يحيى المعلمي. القاهرة، المطبعة السلفية ١٣٧٨هـ.
- أنوار الهلالين في التعقبات على الحلالين / د: محمد بن عبد الرحمن الخميس. دار الصمعي، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- الأهوال / لابن أبي الدنيا. دراسة وتحقيق: مجدي السيد، مكتبة آل ياسر، الجيزة، ط الأولى ١٤١٣هـ.
- أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. تصنيف / محمد إبراهيم الشيباني، مكتبة ابن تيمية، ط الأولى ١٤٠٩هـ.
- آيات قرآنية: ومضات من القرآن الكريم عرض وتحليل. إعداد وتنفيذ غازي صبحي، دار الفكر - دمشق.
- الإيجاز في سيرة ومؤلفات ابن باز.
- الإيمان / لابن أبي شيبه العبسي. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الأرقم، الكويت.

- الإيمان / لابن تيمية. دار الكتب العلمية، بيروت، ط الرابعة ١٤١٤ هـ.
- الإيمان / محمد نعيم ياسين. مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
- الإيمان هو الأساس. تأليف د/ عبد الله قادري الأهدل، دار القلم، دمشق، ط الأولى ١٤١٨ هـ.
- الباعث على إنكار البدع والحوادث / للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الشافعي. تحقيق وتعليق : مشهور حسن سليمان، دار الراية، الرياض، ط الأولى ١٤١٠ هـ.
- بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم / ليوسف بن عبد الهادي. تحقيق وتعليق : وصي الله بن محمد عباس، دار الراية، الرياض، ط الأولى ١٤٠٩ هـ.
- البحر المحيظ / لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي. القاهرة، مطبعة السعادة ١٣٢٨ هـ.
- بحوث في أصول التفسير ومناهجه / للرومي. تأليف د/ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤١٤ هـ.
- بحوث في قصص القرآن / السيد عبد ربه. بيروت، دار الكتاب اللبناني ١٩٧٢ م.
- بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية. ت/ يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، ط الأولى ١٤١٤ هـ.
- بدائع الفوائد / لابن القيم. خرج أحاديثه وطبعه : أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٤ هـ.
- البداية والنهاية / لابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر. مكتبة المعارف، بيروت، ط الأولى ١٩٦٦ م.
- بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة الإرجاء - الغلو في الدين (التطرف، التصوف). تأليف : محمد حامد الناصر، مكتبة السوادي، ط الأولى ١٤١٦ هـ.
- بدع التفاسير / لأبي الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري الحسيني الإدريسي. مكتبة القاهرة، ط الثانية ١٤١٥ هـ.
- البدع والنهي عنها، لابن وضاح القرطبي. تصحيح : محمد أحمد دهمان، دمشق، مطبعة الاعتدال ١٣٤٩ هـ.
- البدعة أسبابها ومضارها / محمود شلتوت. ت/ علي حسن علي عبد الحميد، مكتبة ابن الجوزي، ط الأولى ١٤٠٨ هـ.
- بدعة التعصب المذهبي وآثاره الخطيرة في جمود الفكر وانحطاط المسلمين / محمد عيد عباس. المكتبة الإسلامية - عمان.
- البدعة وأثرها في الدراية والرواية / لعائض القرني. دار الطرفين، الطائف.

- البدور السافره في أحوال الآخرة / جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. ت/ أبي عبد الله محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٦هـ.
- بديع القرآن / لابن أبي الأصبع عبد العظيم بن عبد الواحد. تحقيق: حفي محمد شرف، القاهرة، دار نهضة مصر، ط الثانية.
- البرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التابع / تأليف: أبو عبد الكريم، وأبو عبد الرحمن محمد سلطان ابن أبي عبد الله محمد أورو المعصومي الخجندي، طبع دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ١٣٦٥هـ.
- البرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التابع / محمد سلطان المعصومي. القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٥هـ.
- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن / لابن الزملكاني عبد الواحد بن عبد الكريم. تحقيق: خديجة الحديشي، أحمد مطلوب، بغداد، رئاسة ديوان الأوقاف، ط الأولى ١٣٩١هـ.
- البرهان في علوم القرآن / بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
- بصائر / تعليقات أحمد شاكر على أحاديث مسند الإمام أحمد. انتقاها: قتيبة بن عدنان الماضي، دار الصحابة، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
- البعث والنشور / للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي. ت/ أبو الهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول الأيباني، مؤسسة الكتب الثقافية، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، ١٣٨٤هـ.
- بلاغة القرآن / محمد الخضر حسين. جمعه وحققه: علي الرضا التونسي، ١٣٩١هـ.
- بهجة قلوب الأبرار قررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار / عبد الرحمن ابن ناصر السعدي. مطبعة الكيلاني، ومنشورات المؤسسة السعيدية بالرياض.
- بهجة المجالس وأنسى المجالس / لابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. تحقيق: محمد الخولي، القاهرة، الدار المصرية للتأليف.
- بيان أحوال الناس يوم القيامة / للعز بن عبد السلام. تحقيق: إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- بيان تلبيس الجهمية / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. تصحيح وتعليق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ١٣٩١هـ.

- البيان في دفع التعارض المتوهم بين آيات القرآن / محمد أبو النور الحديدي. مكتبة النهضة المصرية، مصر.

- البيان لأخطاء بعض الكتاب / د/ صالح بن فوزان الفوزان. دار ابن الجوزي، الدمام، ط الأولى ١٤١١هـ.

- البيان والاشتهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار. تأليف : فوزان بن سابق، ط الثانية ١٤١٣هـ، مطابع الشرق الأوسط.

(ت)

- تاريخ الجدل / محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي، القاهرة، ط الثانية ١٩٨٠م.

- تأملات في آيات من القرآن الكريم / ياسين رشدي. مطبعة نهضة مصر، ط الثانية ١٩٩٧م.

- تأويل مختلف الحديث / لابن قتيبة الدينوري. دار الكتاب العربي، بيروت.

- تأويل مشكل القرآن / لابن قتيبة عبد الله بن مسلم. تحقيق : السيد أحمد صقر، القاهرة، دار التراث، ط الثانية ١٣٩٣هـ.

- تبصير الأذهان ببعض المذاهب والأديان / محمد عبد الملك السبيعي. مطبعة سفير، الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ.

- التبيان في أقسام القرآن / لابن قيم الجوزية. تحقيق وتعليق : طه يوسف شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٢هـ.

- تجريد أسماء الصحابة / محمد بن أحمد الذهبي. تصحيح : صاحبة بنت عبد الحكيم، الهند ١٣٩٠هـ.

- التحديث بما قبل لا يصح فيه حديث / بكر بن عبد الله أبو زيد. دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط الأولى ١٤١٢هـ.

- التحذير من مختصرات محمد الصابوني في التفسير / بكر بن عبد الله أبو زيد. دار الراية - الرياض، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

- تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن / لابن أبي الأصبع. عبد العظيم عبد الواحد، المجلس الأعلى، القاهرة ١٣٨٣هـ.

- تحرير التنبيه معجم لغوي / محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي. تحقيق : د/ فايز الداية، د/ محمد رضوان الداية، (بيروت) دار الفكر المعاصر، دار الفكر (دمشق) ط الأولى ١٤١٠هـ.

- التحرير والتنوير / لابن عاشور محمد طاهر. تونس، دار الكتب الشرقية.

- تحريف النصوص / بكر أبو زيد. دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤١٢هـ.
- تحفة الأقران ما قرئ بالتثليث من حروف القرآن / لأبي جعفر أحمد بن يوسف الرعيني. ت/ د: علي حسن البواب، دار المنارة - جدة - ط الأولى ١٤٠٧هـ.
- تحفة المودود في أحكام المولود / لابن القيم. تحقيق: عبد اللطيف القواعد، دار الفكر، عمان، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
- تخريج الأحاديث الضعاف من سنن الدارقطني / للحافظ الغساني، تحقيق: أشرف عبد المقصود، دار عالم الكتب، الرياض، ط الأولى ١٤١١هـ.
- تخريج أحاديث منعقدة في كتاب التوحيد / لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. تأليف: فريج بن صالح الهلال، بتقديم سماحة الوالد الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز. ط الأولى ١٤١٥هـ، دار الأثر - الرياض.
- تخريج أحاديث وآثار في ظلال القرآن / علوي بن عبد القادر السقاف. دار الهجرة، ط الثانية ١٤١٦هـ.
- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار / للحافظ أبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي. مكتبة دار البيان، دمشق، ط الثانية ١٤٠٣هـ.
- التدمرية، تحقيق لإثبات الأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع / تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية، ت/ محمد بن عودة السعودي. ط الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م مطبعة العبيكان.
- تذكرة الحفاظ / شمس الدين محمد الذهبي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
- التذكرة وأحوال الموتى وأمور الآخرة / للقرطبي / للإمام شمس الدين محمد ابن أحمد القرطبي، دار الفكر،
- تراث المسلمين العلمي في نظر شيخ الإسلام / لـ/ عبد الرحمن الفيرواني، دار الأثر، الرياض، ط الثانية ١٤١٥هـ.
- تراجمات ابن حجر في فتح الباري. جمعها وعلق عليها لأبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سلمان، مكتبة الخراز، ط الأولى ١٤١٨هـ.
- التربية بالآيات / لعبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، ط.
- التربية بالعبارة / لعبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٤م.
- التربية الروحية والاجتماعية / لأكرم ضياء العمري، دار أشبيليا، الرياض، ط الأولى ١٤١٧هـ.

- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان. جمعها : عبدالرحمن السديس. دار الهجرة - الرياض ط الثانية ١٤١٢هـ.
- الترغيب في الدعاء والحث عليه / للإمام تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي. تحقيق : د/فالح بن محمد بن فالح الصغير، دار العاصمة، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- تصحيح الأخطاء والأوهام الواقعة في فهم أحاديث النبي عليه الصلاة / رائد ابن صيري ابن أبي علفة رمادي. للنشر المؤمن للتوزيع. ط الأولى ١٤١٤هـ.
- التصريح بما تواتر في نزول المسيح / للشاه أحمد الكشميري، تحقيق / عبد الفتاح أبو رغده، طبع حلب، سوريا.
- تصويبات في فهم بعض الآيات / لصلاح الخالدي. دار القلم، دمشق، ط الثانية ١٤١٦هـ.
- تعجيل المنفعة / لابن حجر العسقلاني، تحقيق : د/أكرم الله إمداد الحق، دار البشائر، بيروت، ط الأولى ١٤١٦هـ.
- التعريفات، للجرجاني / علي بن محمد بن علي. حققه : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط الثالثة ١٤١٧هـ.
- تعقبات الحافظ ابن حجر على الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال. جمعها وعلق عليها / علي بن محمد العمران. دار عالم الفوائد، مكة، ط الأولى ١٤١٨هـ.
- التعليقات على كشف الشبهات، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تعليق فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين، طبع دار المؤمن، ط الأولى، ١٤١٦هـ.
- تعليق التعليق على صحيح البخاري / الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت / سعيد عبد الرحمن موسى القزفي، المكتب الإسلامي، دار عمار، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
- تفسير ابن الجوزي = زاد المسير.
- تفسير ابن حيان = البحر المحيط.
- تفسير ابن عادل = اللباب في علوم الكتاب.
- تفسير ابن عاشور = التحرير والتنوير.
- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز.
- تفسير ابن القيم = بدائع التفسير.
- تفسير ابن القيم = الضوء المنير.
- تفسير أبو السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم.
- التفسير الأدبي / لشكري محمد عياد. أصدقاء الكتاب، الجزيرة، مصر.

- تفسير الألوسي = روح المعاني.
- تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء / لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الخليفة، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- تفسير البغوي = معالم التنزيل.
- تفسير البقاعي = نظم الدرر.
- التفسير البياني للقرآن الكريم / عائشة عبدالرحمن. دار المعارف، القاهرة، ط الثانية ١٩٦٦م
- تفسير الحسن البصري. جمع وتوثيق ودراسة، د: محمد عبد الرحيم، دار الحديث، القاهرة.
- تفسير الخازن = لباب التأويل.
- تفسير الزمخشري = الكشاف.
- تفسير السمين الحلبي = الدر المصون.
- تفسير سورة النور / ابن تيمية. دار الكتب العلمية، بيروت.
- تفسير سورة النور / لإسماعيل سالم. دار الصحوة، ط الأولى ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- تفسير سورة النور / ل محمد الأمين الشنقيطي. كتبه : عبد الله القادري، دار المجتمع، جدة، ط الأولى ١٤١٠هـ.
- تفسير سورة ق، القيامة، النبأ، الانشقاق، الطارق. تأليف : نجم الدين سليمان الطوفي الحنبلي، ت/ د: علي حسين البواب، ط الأولى ١٤١٢هـ، مكتبة التوبة، رياض.
- تفسير سيد قطب = في ظلال القرآن.
- تفسير السيوطي = الدر المنثور.
- تفسير الشنقيطي = أضواء البيان.
- تفسير الشوكاني = فتح القدير.
- تفسير الطبري = جامع البيان.
- التفسير العلمي للقرآن في الميزان / ل.د/ أحمد عمر أبو حجر. دار قتيبة، دمشق، ط الأولى ١٤١١هـ.
- التفسير الكبير / لابن تيمية تقي الدين. ت / د: عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التفسير الكبير، للرازي أو مفاتيح الغيب / فخر الدين محمد بن علي بن الحسين الرازي الشافعي. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان - ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج / أ.د. : وهبة الزحيلي. دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط الأولى ١٤١١هـ.
- التفسير الموضوعي / ل د / صلاح الخالدي. دار النفائس، الأردن، ط الأولى ١٤١٨هـ.
- التفسير الموضوعي / د / محمد القاسم، ود / أحمد الكرمي. ط الأولى ١٤٠٢هـ، دار البيان بمصر.
- التفسير الموضوعي لآيات التوحيد في القرآن الكريم / د / عبد العزيز بن الدردير مكتبة القرآن، القاهرة.
- التفسير الوسيط تفسير سورة المائدة / لسيد طنطاوي. مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٩٩هـ.
- تفسير القاسمي = محاسن التأويل.
- تفسير القرآن / عبد الرزاق بن همام الصنعاني. تحقيق / د: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشيد، ط الأولى ١٤١٠هـ.
- تفسير القرآن الجليل / للنسفي عبد الله بن أحمد. دار الكتاب العربي، بيروت
- تفسير القرآن الحكيم / محمد رشيد رضا. دار المنار، القاهرة، ط الرابعة ١٣٧٣هـ.
- تفسير القرآن العظيم / لأبي المظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي. ت / أبي تميم ياسر بن إبراهيم وأبي بلال غنيم بن عباس غنيم، دار الوطن، الرياض، ط الأولى ١٤١٨هـ.
- تفسير القرآن العظيم / للحافظ ابن أبي حاتم. تحقيق : أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- تفسير القرآن العظيم / للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. تحقيق : سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط الأولى ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن الكريم / لابن عباس. تحقيق : راشد عبد المنعم الرجال، مؤسسة الكتب الثقافية، دار الفكر، ط الأولى ١٤١١هـ.
- تفسير القرآن الكريم تفسير الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم / لخمود شلتوت. دار القلم، القاهرة، ط الثالثة ١٩٦٥م.

- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن.
- تفسير الماوردي = النكت والعيون.
- تفسير المنار = تفسير القرآن الحكيم.
- تفسير النسائي / للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب. حققه وعلق عليه : صبري الشافعي ورفاقه، دار الفكر، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ.
- تفسير يس = القول المبين.
- تفسيس تلبيس إبليس / ابن غانم، عز الدين المقدسي. مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة ١٣٢٣هـ.
- تقريب التهذيب / للحافظ ابن حجر العسقلاني. حققه وعلق عليه : أبو الأشبال صغير أحمد شاغف، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤١٦هـ.
- تكملة معجم المؤلفين / لمحمد خير رمضان يوسف. دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى ١٤١٨هـ.
- تلبس الجن بالإنس، الأسباب والعلاج / لعبد الرزاق الماسي. مكتبة الفلاح، ط الأولى ١٤١٨هـ.
- تلبيس إبليس / عبد الرحمن بن علي بن الجوزي. تصحيح وتعليق إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن / للشريف الرضي محمد بن الحسين. تحقيق : محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- تلخيص الذهبي على المستدرک / حاشية على المستدرک للحاكم. دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.
- تمييز المخطوطين عن المحرومين (في تجريد الدين وتوحيد المسلمين) / للعلامة محمد سلطان المعصومي الخجندي المكي. تحقيق : علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، ط الأولى ١٤١٢هـ.
- تنبيهات مهمة على قرة العينين وتفسير الجلالين مع بعض تعليقات الشيخ عبد الرزاق عفيفي. تأليف : محمد جميل زينو، مرامر للطباعة.
- تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النظر / أبو إسحاق الحويني. مكتبة التوعية، مصر، ط الأولى ١٤١٨هـ.
- تنزيه القرآن عن المطاعن / للقاضي عبد الجبار الهمداني. المكتبة الأزهرية، القاهرة ١٣٢٩هـ.
- تهذيب التفسير / لعبد القادر شيبه الحمد. مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى ١٤١٤هـ.

- تهذيب التهذيب / لابن حجر العسقلاني. بيروت، دار صادر، ط الأولى ١٣٢٥هـ.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال / للمزي يوسف بن عبد الرحمن. تحقيق وتعليق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٠٢هـ.
- تهذيب اللغة / للأزهري محمد بن أحمد. تحقيق: عبد السلام هارون، الدار المصرية، القاهرة ١٣٨٤هـ.
- تهذيب وترتيب الإتقان / الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. بقلم محمد ابن عمر بن سالم بازمول، دار الهجرة، ط الأولى ١٤١٢هـ.
- التوبخ والتنبيه / للحافظ عبد الله بن حيان المعروف بأبي الشيخ. تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة.
- التوحيد / لإمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة. تحقيق: د/ عبد العزيز الشهبان، مكتبة الرشد، الرياض، ط الخامسة ١٤١٤هـ.
- التوحيد / لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. مؤسسة النور، الرياض.
- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، الموسومة بالكافية الشافية في انتصار للفرقة الناجية. تأليف: أحمد إبراهيم بن عيسى، مكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٦هـ.
- التوقيف على مهمات التعاريف معجم لغوي مصطلحي / للمناوي / محمد عبد الرؤوف. ت/ د: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠.
- توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين، ابن يوسف الكرمي الحنبلي. دار طيبة، الرياض، ط الأولى ١٤١١هـ.
- التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب / د: عبد الله بن عمر الدميحي. دار الوطن، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- التوهم / للحارث المحاسبي. دار ابن حزم، بيروت، ط الثانية ١٤١٤هـ.
- تيسير البيان لأحكام القرآن / محمد بن علي بن عبد الله الموزعي. تحقيق ودراسة رسالة دكتوراه / أحمد محمد يحيى المقرئ، ١٤١٨هـ.
- التيسير العجيب في تفسير الغريب. تأليف / ناصر الدين أبي العباس أحمد بن محمد المالكي الإسكندراني المعروف بابن المنير. تحقيق: سليمان ملا إبراهيم أوغلو، دار الغرب الإسلامي، ط الأولى ١٩٩٤م.

- التيسير في قواعد علم التفسير / للعلامة : محمد بن سليمان الكافجي. تحقيق : ناصر بن محمد المطرودي، دار القلم، دمشق، ط الأولى ١٤١٠هـ.

- تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن / العلامة : عبد الرحمن بن ناصر السعدي. دار المديني بجدة - ١٤٠٨هـ.

(ث)

- الثمرات الزكية في العقائد السلفية / أحمد فريد. مكتبة التوعية الإسلامية، مصر، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن / للرماني والخطابي وعبد القادر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي. حققها وعلق عليها : محمد خلف الله أحمد، دكتور محمد زغلول سلام، ط الرابعة، دار المعارف.

(ج)

- جامع الأصول في أحاديث الرسول / لابن الأثير للإمام المبارك بن محمد بن الأثير الجزري. دار الفكر، بيروت، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

- جامع البيان / لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. تحقيق : محمد ومحمود أحمد شاكر، دار التربية والتراث - مكة المكرمة ..

- الجامع الصحيح (صحيح البخاري) / للإمام محمد بن إسماعيل. دار ابن كثير، دمشق، ط الخامسة ١٤١٤هـ.

- الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين / لمقبل ابن هادي الوداعي. دار الحرمين، القاهرة، ط سنة ١٤١٦هـ.

- الجامع الكبير / للإمام أبو عيسى الترمذي. تحقيق : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الثانية ١٩٩٨م

- الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. ت/ د: محمد إبراهيم الحفاري، د/ محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، ط الثانية ١٤١٦هـ.

- الجامع المفهرس لأطراف الأحاديث النبوية والآثار السلفية التي خرجها محدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في كتبه المطبوعة. صنعة أبي أسامة سليم عيد الهلالي، دار ابن الجوزي، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

- الجدل الحديث في بيان ما ليس بحديث / لأحمد بن عبد الكريم العامري. دار الراية، الرياض، ط الثانية ١٤١٣هـ.

- جهرة الفهارس، للحويني الأثري. دار الصحابة للتراث، ط الأولى ١٤١٠هـ.
- جهود علماء الحنفية / د: شمس الدين الأفغاني. دار الصمعي، الرياض، ط الأولى ١٤١٦هـ.
- جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، د/ شمس الدين الأفغاني، دار الصمعي، الرياض، ط الأولى، ١٤١٦هـ.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / لابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم. القاهرة، مطبعة المدني ١٣٧٩هـ.
- الجواب الكافي / لابن القيم محمد بن أبي بكر. تصحيح وتعليق: محمود فايد، القاهرة، مكتبة علي صبيح ١٣٧٧هـ.

(ح)

- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، أو وصف الجنة. تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، حقق نصوصه وخرجه: يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له / محي الدين مستو، دار ابن كثير - دمشق - ط الثالثة ١٤١٣هـ.
- حاشية على كتاب التوحيد / لابن قاسم. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي. ط الثالثة ١٤١٨هـ.
- الحاوي في تخريج أحاديث مجموع الفتاوي / لشيخ الإسلام: تقي الدين ابن تيمية. خرجها / مجدي بن منصور بن سيد السوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- الحجة في بيان المحجة، لقوام السنة / الأصبهاني أبي القاسم إسماعيل ابن محمد ابن الفضل التيمي الأصبهاني. دار الراية، الرياض، ت/ محمد بن محمود أبو رحيم، ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- حجة في القراءات السبع / للإمام ابن خالويه. تحقيق وشرح: د/ عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت ١٩٧١م.
- حجة القراءات / لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة. ت/ سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الخامسة ١٤١٨هـ.
- حفظ مساكن الإنس من مردة شياطين الجن / لأحمد رمضان.
- الحقيقة الشرعية / لبازمول محمد بن عمر بن سالم. دار الهجرة، الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة / أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن محمد المقدسي موفق الدين ابن قدامة. تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع.
- الحكمة من إرسال الرسل / لعبد الرزاق عفيفي. دار الصمعي، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

- الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى. تأليف / د: محمد ربيع هادي المدخلي، مكتبة لينة، هجر للطباعة، ط الأولى ١٤٠٩هـ.
- الحلية / لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٥١هـ.
- الحوادث والبدع / للطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد. دار ابن الجوزي، الدمام، ط الأولى ١٤١١هـ.
- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة. إعداد / يحيى بن محمد حسن أحمد زمزمي، دار التربية والتراث، مكة، رمادي للنشر، دمام، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- الحوار مع أهل الكتاب / لخالد عبد الله القاسم. دار مسلم، الرياض، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- الحوار في القرآن الكريم / برنامج إذاعي^(١). من إعداد وتقديم د/ علي بن نفيح العلياني.
- حوار هادي مع محمد الغزالي، العودة. سليمان بن فهد العودة. ط الأولى ١٤٠٩هـ.
- الحياة الآخرة / د: غالب العواجي. دار لينة، مصر، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- الحياة في القرآن الكريم، دراسة موضوعية / اخرمي سامعو بن حزوي. دار طويق - الرياض - ط الأولى ١٤١٨هـ.

(خ)

- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية / عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني. مكتبة وهبة، ط الأولى ١٤١٣هـ.
- خصائص القرآن / لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي. ط الخامسة ١٤١٠هـ، مطابع البكيرية.
- خلاصة السيرة الحمديّة / (السيد محمد رشيد رضا). بإشراف محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط الرابعة ١٤٠٥هـ.
- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل / للإمام : محمد بن إسماعيل البخاري. بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(د)

- درء تعارض العقل والنقل / لابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. تحقيق : محمد رشاد سالم - الرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٣٩٩هـ.

(١) استخرجت مسوداته من أرشيف إذاعة القرآن الكريم بجدة بعد تعاون الدكتور علي والمسؤولين في الإذاعة فجزاهم الله خيراً.

- الدر المصون / للسمين الحلبي. دار الكتب العلمية، بيروت..
- الدر المنثور في التفسير المأثور، وهو مختصر تفسير ترجمان القرآن / للسيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.
- الدراري المكنونة في الأماكن المنثورة، فوائد وقواعد حديثة من كتب الإمام الذهبي. جمع وترتيب: محمد بن عبد الله الهبدان، دار العاصمة، ط الأولى ١٤١٦هـ.
- دراسات جديدة في إعجاز القرآن / د/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني. أميرة للطباعة، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- دراسات لأسلوب القرآن / عبد الخالق عزيمة. الرياض، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية.
- دراسات لغوية في القرآن / أحمد ماهر البقري. الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٢م.
- دراسات لغوية في القرآن / لعبد القادر حسين. بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨١م.
- دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن. ت/ د/ عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، ط الثامنة ١٤١٢هـ.
- الدستور القرآني في شؤون الحياة.
- الدعاء / للطبراني، سليمان بن أحمد. تحقيق: محمد سعيد بخاري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
- الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية / للعروسي، أبي عبد الرحمن جيلان ابن خضر العروسي. مكتبة الرشد - الرياض - ط الأولى ١٤١٧هـ.
- دعوة الرسل / للعدوي، محمد أحمد. القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٤هـ.
- دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب / للشنقيطي. ملحق بالمجلد العاشر.
- دلائل التوحيد / للقاسمي، محمد جمال الدين القاسمي. ت/ خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، ط الأولى ١٤١٢هـ.
- دلائل النبوة المحمدية في ضوء المعارف الحديثة مصحوبة بتوجيهات وطرائف هامة. إعداد: محمود مهدي استانبولي، مكتبة المعلا، الكويت، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
- دمة على التوحيد: حقيقة القبور وآثارها في واقع الأمة، للمتدى الإسلامي، ط الأولى، ١٤٢٠هـ، الرياض.
- الديباج المذهب في معرفة علماء المذاهب / لابن فرحون، إبراهيم بن علي. دار الكتب العلمية، بيروت.

(ر)

- الرجال الذين تكلم عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع وإعداد : عبد الحميد ابن عبد الرحمن السحبياني، دار الوطن، الرياض، ط الأولى ١٤١٦هـ.
- رحلة الخلود / حسن أيوب. دار التوزيع والنشر، مصر، ط الخامسة ١٤١٥هـ.
- الرد على أخطاء محمد علي الصابوني / محمد جميل زينو. مكتبة دار البخاري، بريدة، ط الثانية ١٤٠٦هـ.
- الرد على الجهمية / للإمام أحمد بن حنبل. الرياض، دار اللواء، ١٣٩٧هـ.
- الرد على الجهمية / للدارمي عثمان بن سعيد. خرج أحاديثه وعلق عليه : بدر البدر، الكويت، الدار السلفية، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
- الرد على شبهات المستغيثين بغير الله. تأليف: أحمد بن إبراهيم بن عيسى الحنبلي النجدي، دار طيبة، الرياض ١٤٠٩هـ.
- الرد على المخالف من أصول الإسلام / أبو زيد بكر بن عبد الله. دار الهجرة، الدمام.
- الردود والتعقيبات على ما وقع للإمام النووي في شرح صحيح مسلم. تصنيف : مشهور آل سلمان، دار الهجرة، الرياض، ط الثانية ١٤١٥هـ.
- الرسالة / للشافعي. تحقيق : أحمد محمد شاكر، دار الفكر، بيروت.
- رسالة في الرد على الرافضة / للشيخ محمد عبد الوهاب. ت/ د: ناصر بن سعد الرشيد، دار طيبة - الرياض.
- الرقى الشرعية بالقرآن والأدعية النبوية / لأحمد بن محمود الديب. مطابع أخوان، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني / للألوسي. دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ.
- الروض الريان في أسئلة القرآن / الشيخ شرف الدين الحسين بن سليمان ابن ريان. دراسة وتحقيق : عبد الحليم بن محمد نصار السلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء / للإمام ابن حبان البستي. شرح وتحقيق : محمد حامد الفقي ورفاقه، دار الكتب العلمية، بيروت.
- روضة الناظر وجنة المناظر / لموفق الدين ابن قدامة المقدسي. تحقيق وتعليق / د: عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، الرياض، ط الخامسة ١٤١٧هـ.

- رياض اللجنة بتخريج أصول السنة / لابن أبي زمنين. تحقيق وتعليق : عبد الله بخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة، ط الأولى ١٤١٥هـ.

- رياض اللجنة في الرد على أعداء السنة / لمقبل بن هادي الوداعي. مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط الأولى ١٤١٥هـ.

(ز)

- زاد المسير في علم التفسير / لابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. المكتب الإسلامي دمشق، ط الأولى ١٣٨٥هـ.

- زاد المعاد في هدي خير العباد / لابن القيم الجوزية. ت / شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة والعشرون ١٤١٢هـ.

- زوائد عبد الله بن أحمد في المسند. تأليف عامر حسين صري، دار البشائر، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ.

- الزواجر عن اقتراف الكبائر / للهيثمي، أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الهيثمي. خرج أحاديثه : خليل مأمون شيخا، علق عليه / محمد خير طعمه حلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط الأولى ١٤١٩هـ.

- الزهد / لأسد بن موسى. حققه وخرج أحاديثه : أبو إسحاق الحويني، مكتبة التوعية الإسلامية، مصر، ط الأولى ١٤١٣هـ.

- الزهد والرفائق / لابن المبارك المروزي. ت / أحمد فريد، دار المعراج الدولية، ط الأولى ١٤١٥هـ.

(س)

- السبحة / بكر بن عبد الله أبو زيد. دار العاصمة - الرياض - ط الأولى ١٤١٩هـ.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة. تأليف : الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى ١٤١٧هـ.

- سلسلة الأحاديث الضعيفة / بتخريج الألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٣٩٩هـ.

- السلسلة الذهبية. إعداد : مازن عبد الكريم الفريخ، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط ١٤١٥هـ.

- سلسلة على مائدة القرآن الكريم مع المفسرين والكتاب / لأحمد محمد جمال. دار الفكر، بيروت، ط الثانية ١٣٩٤هـ.

- سلم الوصول إلى علم الأصول / للحكيمي. مكتبة بن تيمية، القاهرة، ط الثانية ١٤١٣هـ.

- السنة / لابن أبي عاصم. بقلم : ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة ١٤١٣هـ.

- السنة / للخلال. تحقيق : عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية، الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ.

- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث / الغزالي.
- سنن ابن ماجة / محمد بن يزيد القزويني. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ١٣٩٥هـ.
- سنن أبي داود / لسليمان بن الأشعث السجستاني. تعليق : عزت عبيد الدعاس، دار الحديث، ط الأولى ١٣٨٨هـ.
- سنن الترمذي = الجامع الكبير.
- سنن الدارقطني / لعلي بن عمر الدارقطني. عني بتصحيحه وتحقيقه : عبد الله هاشم المدني، دار المحاسن، القاهرة.
- سنن الدارمي. خرج أحاديثه وآياته الشيخ عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- سنن سعيد بن منصور. تحقيق : د/سعد بن عبد الله آل حميد، دار الصمعي، الرياض، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- سنن الفراء ومناهج الجودين. تأليف : أبي مجاهد القارئ، مكتبة الدار - المدينة المنورة - ط الأولى ١٤١٤هـ.
- سنن النسائي / لأحمد بن شعيب النسائي. دار إحياء التراث العربي .
- سورة الحجرات، دراسة تحليلية وموضوعية / د: ناصر العمر. دار الوطن، الرياض، ط الثانية ١٤١٤هـ.
- سير أعلام النبلاء / للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- السيرة النبوية / لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تحقيق : مصطفى عبد الواحد، القاهرة، مطبعة عيسى البابي ١٣٨٤هـ.
- السيرة النبوية/ لابن هشام، عبد الملك. بوبها وعلق عليها: محمد رواس قلعه جي حلب، مكتبة ربيع.
- السيرة النبوية الصحيحة. تأليف الدكتور : أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- السيف القاطع، للنزاع. تأليف : محمد فلاتي، مكتبة السلف الصالح، مصر ط ١٤٠٩هـ.
- السيف المسلول على عابد الرسول / لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم. الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.
- سيكولوجية القصة في القرآن الكريم / للتهامي نقرة. الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٧٤م.

(ش)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب / ابن العماد عبد الحي بن أحمد الخنبلي. مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٠هـ.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك / لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي دار الفكر، ١٤٠٥هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة / اللالكائي. تأليف : د/ أحمد سعد حمزة، دار طيبة، الرياض.
- شرح السنة / للبرهاري أبو محمد الحسن بن علي بن خلف. ت/ د: محمد ابن سعد بن سالم القحطاني، رمادي للنشر، الدمام، المؤمن للتوزيع، الرياض، ط الثانية ١٤١٤هـ.
- شرح السنة / للبعوي. تحقيق : زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية ١٤٠٣هـ.
- شرح العقيدة الطحاوية^(١). خرج أحاديثها الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثامنة ١٤٠٤هـ.
- شرح قصيدة ابن القيم = توضيح المقاصد وتصحيح القواعد.
- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري / لابن غنيمان عبد الله بن محمد. الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
- شرح كشف الشبهات، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب شرحه الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان، ط دار النجاح، ١٤١٩هـ، الرياض.
- شرح مسلم / للنووي. دار الفكر، بيروت.
- شرح الواسطية / لابن عثيمين، محمد بن صالح. الرياض، دار الصميعي.
- الشريعة / للأجري الدكتور : عبد الله الرميحي. دار الوطن، الرياض، ط الأولى ١٤١٨هـ.
- شعب الإيمان / للبيهقي. تحقيق : أبي هاجر بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ.
- الشفاعة / للوادعي أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوداعي. دار الأرقم بالكويت، ط الثانية ١٤٠٣هـ.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر / لابن القيم، محمد بن أبي بكر. القاهرة، دار التراث ١٩٧٥م.

(١) ورجعت إلى طبعة أخرى من تحقيق الدكتور / عبد الله بن عبد المحسن التركي وضابطها أنها ذات جزئين.

- الشمائل المحمدية / للإمام أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي. تعليق : محمد عفيف الزعبي، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

- شواذ القراءات والإيضاح عنها / لابن جني، عثمان بن جني الموصلي. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.

(ط)

- طبقات الشافعية الكبرى / للسبكي لتاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي السبكي. ت/ عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

- طبقات الصوفية / لمحمد بن الحسين السلمي. القاهرة، جماعة الأزهر ١٣٧٢هـ.

- الطبقات الكبرى / لابن سعد، محمد بن سعد. القاهرة، دار التحرير ١٣٨٨هـ.

- طبقات المفسرين / للدواودي الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي. دار الكتب العلمية، بيروت.

- طبقات المفسرين / للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر. تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة ١٣٩٦هـ.

(ص)

- الصبح السافر في حياة العلامة أحمد شاكر. تأليف / رجب عبد المقصود، مكتبة ابن كثير - الكويت - ط الأولى ١٤١٤هـ.

- الصحاح / للجوهري، إسماعيل بن حماد. تحقيق: أحمد عطار، القاهرة، دار الكتاب العربي، ط الأولى ١٣٧٥هـ.

- صحيح أبي داود / للألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ.

- صحيح ابن ماجة / للألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

- صحيح الأدب المفرد / للبخاري. بقلم: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، الجليل، ط الأولى ١٤١٤هـ.

- صحيح البخاري = الجامع الصحيح.

- صحيح الترمذي / للألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

- صحيح الترغيب والترهيب / للحافظ المنذري. اختيار وتحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الثانية، بيروت، ١٤٠٦هـ.

- صحيح الجامع الصغير وزيادته / للألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة ١٤١٠هـ.
- صحيح الزهد / لو كيع بن الجراح. تحقيق: د/ عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، اعتنى به واختصره: أشرف عبد المقصود، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ.
- صحيح كتاب الزهد / لو كيع بن الجراح. حققه: د/ عبد الرحمن الفريوائي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط الأولى ١٤١٣هـ بيروت.
- صحيح مسلم / الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، مع شرحه إكمال المعلم. دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- الصحيح المسند من أسباب النزول. تأليف/ أبي عبد الرحمن مقل بن هادي الوادعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط الرابعة ١٤٠٨هـ.
- الصحيح المسند من دلائل النبوة. تأليف/ مقل بن هادي الوادعي، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ.
- الصحيح المسند من الشمائل الحمديّة. تأليف/ أم عبد الله الوادعية، راجعه وقدم له: مقل بن هادي الوادعي، ط الأولى ١٤١٦هـ، الناشر: دار الحرمين، القاهرة.
- صحيح النسائي/ للألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.
- صحيفة علي بن أبي طلحة = تفسير القرآن الكريم. تحقيق: راشد عبد المنعم الرجال، دار الفكر، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٤هـ.
- الصدق في القرآن الكريم. تأليف: مذكر محمد عارف، مكتبة الرشيد الرياض، ط الأولى ١٤١٩هـ.
- الصدق منجاة. تعلم / سعيد عبد العظيم، دار ابن القيم، الإسكندرية.
- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة / محمد أمان الجامي. دار الفنون، جدة، ط الثانية ١٤١١هـ.
- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة. تأليف: علوي عبد القادر السقاف، دار الهجرة، الرياض، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- صفة الصفوة / لابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. حيدر آباد الدكن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط الثانية ١٣٨٨هـ.
- صفة النار / ابن أبي الدنيا أبي بكر عبد الله بن محمد. ت/ محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- الصناعتين / لأبي هلال العسكري، الحسن بن عبد الله. تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية ١٤٠٢هـ.

- الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله / محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية تحقيق: علي الدخيل، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

- الصيد الثمين / لابن عثيمين، محمد الصالح العثيمين. دار الثقة، ط الأولى ١٤١٣هـ.

(ض)

- ضعيف ابن ماجه. ضعف أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

- ضعيف أبي داود. ضعف أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ.

- ضعيف الأدب المفرد. ضعف أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٤١٤هـ.

- ضعيف الترمذي. ضعف أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

- ضعيف الجامع الصغير وزيادته. تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة ١٤١٠هـ.

- ضعيف النسائي. ضعف أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

- الضوء المنير على التفسير. تأليف: علي الصالحي، مؤسسة النور، الرياض.

(ع)

- عالم الجن والشياطين / للأشقر عمر سليمان. دار الكتب السلفية.

- عالم الجن والملائكة / عبدالرزاق نوفل. ط دار الشعب بمصر.

- عبودية الكائنات لرب العالمين. تأليف: فريد إسماعيل الثوني، مكتبة بالضياء، ط الأولى ١٤١٣هـ.

- عجائب القرآن / للرازي. فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٤هـ.

- عذاب القبر وسؤال الملكين / الإمام أبو بكر أحمد بن حسين البيهقي. مكتبة التراث الإسلامي.

- عذب الغدير في بيان التأويلات في فتح القدير / د: محمد بن عبد الرحمن الخميس. دار الصمعي - الرياض - ط الأولى ١٤١٤هـ.

- العزلة / للخطابي، الحافظ أبي سليمان حمد بن محمد بن الخطاب. خرج أحاديثه / عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية.

- العزلة والانفراد / الحافظ الإمام أبي بكر عبد الله بن محمد الشهير بابن أبي الدنيا. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار الوطن، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- العظمة / لأبي الشيخ الأصبهاني أبي محمد عبد الله بن محمد. دراسة وتحقيق: رضاء الله بن محمد المبار كفوري، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤١١هـ.
- العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون. كتبه: علي بن حسن الحلبي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط الأولى ١٤١٣هـ.
- عقود الجمال من أضواء البيان. إعداد وتجميع: عبد الله بن محمد بابا الشنقيطي، ط الأولى ١٤١٣هـ، دار روضة الصغير، الرياض.
- عقيدة السلف أصحاب الحديث / شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الرحمن إسماعيل الصابوني. ت: بدر البدر، الدار السلفية، ط الأولى ١٤٠٤هـ.
- العقيدة السلفية / د: سيد السيلي. دار المنار، القاهرة، ط الأولى ١٤١٣هـ.
- العقيدة السلفية في كلام رب البرية / لعبد الله بن يوسف الجديع. دار الصميعي، الرياض، ط الثانية ١٤١٦هـ.
- العقيدة نبع التربية. تأليف الدكتور: أحمد ناصر بن محمد الحمد، مكتبة التراث، ط الأولى ١٤٠٩هـ.
- علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين. تأليف / د: رضا بن نعيان معطي، ط الخامسة.
- علم أصول البدع / علي بن حسن الحلبي. دار الراية، الرياض، ط الأولى ١٤١٣هـ.
- العلم والعلماء في ظل الإسلام / د: عبد الستار فتح الله سعيد. دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- علماء ومفكرون عرفتهم / محمد المجذوب. دار الاعتصام، دار النصر للطباعة الإسلامية.
- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير. ت/ أحمد محمد شاكر، مكتبة التراث الإسلامي.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم / للشيخ: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين. الحلبي. ت/ د: محمد التونجي، عالم الكتب، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- عمل اليوم والليلة / للنسائي، أحمد بن علي بن شعيب. دراسة وتحقيق: فاروق حمادة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، ط الأولى ١٤٠١هـ.
- (غ)
- غرائب وعجائب الجن والشياطين كما يصورها القرآن والسنة / للشيخ: بدر الدين عبد الله الشبلي. تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، دار الرياض.

- غرر الفوائد المجموعة في بيان ما وقع في صحيح مسلم من الأحاديث المقطوعة. تأليف: الحافظ أبي الحسين يحيى بن علي بن عبد الله القرشي العطار، ت/ محمد شافي - دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ.

- غريب الحديث / للخطابي، حمد بن محمد. تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٢هـ.

- غريب القرآن / أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني. تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، ط الأولى ١٤١٦هـ.

(ف)

- الفائق في غريب الحديث / للزمخشري، جار الله محمود بن عمر الزمخشري مكتبة عباس أحمد الباز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ.

- الفتاوى الحديثية / للسخاوي الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاوي. ت: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المأمون للتراث، ط الأولى ١٤١٦هـ.

- الفتاوى المهمات / للشيخ: محمود شلتوت. استخراجها وعلق عليها: علي حسن الحلبي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط الأولى ١٤١٣هـ.

- فتاوى الإمام النووي. ترتيب: علاء الدين بن العطار، تحقيق وتعليق: محمد الحجار، دار البشائر، بيروت، ط السادسة ١٤١٧هـ.

- فتاوى الحافظ ابن حجر العسقلاني في أحوال القبور وأهوال النشور. ت/ أبو عبد الله محمد بن عبد الحكيم القاضي ويليه دفاع الحافظ ابن القيم عن حديث البراء في عذاب القبر، المكتبة التجارية - مكة، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٧هـ.

- فتاوى العقيدة / لابن عثيمين. جمع ونشر: مكتبة السنة، القاهرة، ط الأولى ١٤١٣هـ.

- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الدويش، طبع دار الرشد، الرياض.

- فتاوى وتنبهات ونصائح ابن باز / عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى. مكتبة السنة، ط الأولى ١٤٠٩.

- فتح الباري / لابن حجر العسقلاني. رقم كتبه وبوب أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، حققه: عبد العزيز بن باز، دار الفكر، دمشق، سوريا.

- الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي / لعبد الرؤوف المناوي. تحقيق: أحمد السلفي، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

- فتح المنان تنمة منهاج التأسيس، لمحمد شكري الألويسي
- الفتن / للحافظ نعيم بن حماد المروزي. تحقيق: سمير الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، ط الأولى ١٤١٢هـ.
- فتح الباري / لابن رجب. تحقيق: محمود شعبان عبد المقصود ورفاقه، دار الحرمين، مصر، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / محمد بن علي ابن محمد الشوكاني. تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
- فتح المعبود في بيان المفصوات في كتاب بذل الجهود / د: محمد عبد الرحمن الخميس. دار الصمعي، الرياض، ط الأولى ١٤١٦هـ.
- فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان. بقلم: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، وفي آخره تحقيق (مكتبة التوحيد، ط الأولى ١٤١٥هـ) البرهان في رسالة محمد **E** إلى الجان، تصنيف/ شرف الدين أبي العباس أحمد بن الحسن الشهير بابن قاضي الجبل.
- الفتوى الحموية الكبرى / لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية. دراسة وتحقيق: حمد بن عبد الحسن التويجري، دار الصمعي، ط الأولى ١٤١٩هـ.
- الفردوس بمأثور الخطاب / لأبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي. إعداد: السعيد بن بسيوني زعلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
- الفرقان بين أولياء الرحمان. تأليف: ابن تيمية، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى ١٤٠٢هـ.
- الفروق في اللغة / لأبي هلال العسكري. تحقيق: إحياء التراث العربي، بيروت، ط الرابعة ١٤٠٠هـ.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل / لابن حزم، ط دار الكتب العلمية، بيروت.
- الفصل والوصل في القرآن الكريم. دراسة في الأسلوب، د: منير سلطان، ط الثانية، المعارف بالإسكندرية ١٩٩٧م
- فضائل القرآن / لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. تحقيق: فهد الرومي، مكتبة التوبة - الرياض - ط الأولى ١٤١٧هـ.
- فقه السيرة / للغزالي. خرج أحاديث المحدث العلامة / محمد ناصر الدين رحمه الله تعالى، دار القلم، دمشق، ط الثالثة ١٤٠٧هـ.
- فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن / د: فتحي أحمد عامر. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة...

- الفلك الدائر على المثل السائر / لابن أبي الحديد. دار النهضة مصر، القاهرة..
- الفن القصصي في القرآن / محمد أحمد خلف الله. مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط الأولى ١٩٥٠م.
- فهارس الرجال الذين ترجم لهم الألباني. إشراف: علوي السقاف، دار المحجرة، ط الأولى ١٤١١هـ.
- فهرس الأحاديث التي رواها ابن أبي الدنيا. يشمل فهرسه أطراف أحاديث تسعة وثلاثين كتاباً من كتبه، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- الفهرس الموضوعي لآيات القرآن. تأليف: محمد مصطفى محمد، دار الفتح، باكستان، ط الثالثة ١٤١٣هـ.
- الفوائد / لابن القيم. تأليف: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الرابعة ١٤٠٧هـ.
- فوائد أبي محمد الفاكهي. تحقيق: محمد عبد الله القباني، مكتبة الرشيد، الرياض، ط الأولى ١٤١٩هـ.
- فوائد حديثية لابن القيم. تحقيق وتخرىج / أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان أبي معاذ زياد بن عبد اللطيف القيسي، دار ابن الجوزي، ط الأولى ١٤١٦هـ.
- فوائد الفوائد. تأليف: علي الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط الثانية ١٤١٨هـ.
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة / للشوكاني. دار الكتب العلمية، بيروت، ط بلا طبع.
- الفوائد المشهور بالغلانيات. حققه: حلمي كامل أسعد، دار ابن الجوزي، الدمام، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- الفوائد المنتقاة من فتح الباري. انتقاء: محمد بن عبد الله العوش، دار العاصمة، ط الأولى ١٤١٦هـ.
- فوات الوفيات / للكتبي، محمد بن شاكر. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥١م.
- في أصول الحوار. إعداد / الندوة العالمية للشباب الإسلامي وحدة الدراسات والبحوث، ط الثالثة ١٤٠٨هـ.
- فيض التقدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير / العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- في ظلال القرآن / سيد قطب. دار الشروق، ط الحادية عشرة، ١٤١٥هـ.

(ق)

- القائد إلى تصحيح العقائد / للمعلمي. تعليق: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٤هـ.
- القاموس القويم للقرآن الكريم. تأليف: إبراهيم أحمد عبد الفتاح، الهيئة العامة لشئون المطابع، مصر ١٤١٧هـ.
- قال ابن رجب. جمع وترتيب: عمر بن موسى الحافظ، دار الوطن، الرياض، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- القبس الجامع لقراءات نافع من طريق الشاطبية. تأليف: عطية قابل نصر، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب / لعبد الفتاح قاضي. القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.
- القراءات في نظر المستشرقين والملحدّين / عبد الفتاح قاضي. مكتبة الدار بالمدينة المنورة، دار مصر للطباعة.
- قراءات للنبي ﷺ وظواهرها اللغوية. تأليف د: مصطفى عيد سالم ١٤٢٠هـ، مطابع جامعة أم القرى.
- القراءات وأثرها في التفسير و الأحكام / محمد بن عمر بن سالم بازمول. دار الهجرة، الرياض، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- القراءات وأثرها في علوم اللغة العربية / محمد سالم محيسن. دار الجيل، بيروت، ط الأولى ١٤١٨هـ.
- القرآن والصور البيانية / د: عبد القادر حسين. عالم الكتب، بيروت، ط الثانية ١٤٠٥هـ.
- القرآن والمجتمع / د: محمد البهي. مكتبة وهبة، مصر، ط الثانية ١٤٠٦هـ.
- قرة عيون الموحدين / لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ. حققه وعلق عليه: بشير عيوني، مكتبة المؤيد، الرياض، ط الثانية ١٤١٤هـ.
- قصص الأنبياء / لعبد الوهاب نجار. القاهرة، مؤسسة الحلبي، ط الثانية ١٣٨٦هـ.
- قطوف مختارة من الأحاديث والمواعظ والحكم والأدعية الماثورة. جمع وإعداد: عبد الله بن يحيى الغامدي، مطابع بهادر، مكة.
- القلب ووظائفه في الكتاب والسنة / سلمان بن زيد اليماني. دار ابن القيم، الدمام، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل / عبد الرحمن حسن حبنكة. دار القلم، دمشق، ط الثانية ١٤٠٩هـ.

- قواعد الترجيح عند المفسرين. دراسة نظرية تطبيقية، تأليف: حسين بن علي ابن حسين الحربي، راجعه وقدمه له: الشيخ مناع بن خليل القطان، دار القاسم، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- القواعد الحسان لتفسير القرآن / للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي. دار ابن الجوزي، ط الأولى ١٤١٣هـ.
- القواعد الطيبات في الأسماء والصفات. جمع وترتيب وتعليق: أبو محمد أشرف عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، ط الأولى ١٤١٦هـ.
- القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف / لـ د: إبراهيم البريكان. دار الهجرة، الرياض، ط الثانية ١٤١٥هـ.
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى / لمحمد بن صالح العثيمين. دار الأرقم، الكويت، ط الثانية ١٤٠٦هـ.
- القول المبين في تفسير سورة يس / لـ د: حسن يونس عبيدو. مركز الكتاب للنشر، مصر.
- القول المفيد على كتاب التوحيد. شرح الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- القيامة الصغرى / د: عمر سليمان الأشقر. دار النفائس، الأردن، ط الخامسة ١٤١٤هـ.
- القيامة مشاهدها وعظاتها في السنة النبوية / لـ د: محمد أديب الصالح. المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٤١٥هـ.

(ك)

- الكامل في التاريخ / لابن الأثير، علي بن محمد. عني به: نخبة من العلماء، بيروت، دار الكتاب العربي، ط الثالثة ١٤٠٠هـ.
- كتاب الأوائل / لابن أبي عاصم أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني. ت/ محمد بن ناصر العجمي، دار الخلفاء.
- كتابة البحث العلمي صياغة جديدة / أ د: عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، دار الشروق - جدة - ط الرابعة ١٤١٢هـ.
- الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، مكتبة دار الباز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة / للهيثمي علي بن أبي بكر. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ.

- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. المؤلف: أبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي، ت/ د: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط الخامسة ١٤١٨هـ.
- كشف الغطاء عن أحكام الذهبي في سير أعلام النبلاء (على الأحاديث والقصص والأنبياء). جمع وترتيب: يحيى بن عبد الله بن يحيى البكري الشهري، مكتبة أضواء السلف الرياض، ط الأولى ١٤١٨هـ.
- كلمة الحق / لأحمد محمد شاكر. دار الكتب السلفية، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
- كلمة الحق في القرآن موردها ودلالاتها. تأليف: محمد الراوي، مكتبة العبيكان، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- كيف تحاور دليل عملي للحوار / د: طارق بن علي الحبيب. دار المسلم، ط الثالثة ١٤١٦هـ.
- كيفية إخراج الجان من جسم الإنسان / للشيخ سعيد جاد. ط المكتبة الثقافية ببيروت، ط ١٩٩٣م.

(ل)

- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية / لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي. خرج أحاديثه وعلق عليه: صلاح بن محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- لباب التأويل في معاني التنزيل / لعلي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن. ضبطه وصححه: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- اللباب في علوم الكتاب / لابن عادل، أبي حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٩هـ.
- لسان العرب / لابن منظور محمد بن مكرم. المطبعة الكبرى، القاهرة..
- لسان الميزان / لابن حجر العسقلاني. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، مصورة عن طبعة الهند ١٣٢٩هـ.
- لطائف المعارف / لابن رجب عبد الرحمن بن أحمد. القاهرة، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ١٣٤٢هـ.
- اللمع في الرد على محسني البدع.

(م)

- مباحث العقيدة في سورة الزمر / لناصر بن علي الشيخ. مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- مباحث في التفسير الموضوعي / لمصطفى مسلم. دار القلم، دمشق، ط الأولى ١٤١٠هـ.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / لابن الأثير ضياء الدين. قدم له وحققه وعلق عليه: د/ أحمد الحوفي، ود/ بدوي طبانه، دار نهضة مصر، القاهرة.
- مجاز القرآن / لأبي عبيده معمر بن المثنى التيمي. تعليق: محمد فؤاد سزكين، القاهرة ١٣٧٤هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي. مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٦هـ.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد قاسم، طبع إدارة المساحة العسكرية بالقاهرة سنة ١٤٠٤هـ.
- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز. أشرف على جمعه وطبعه: د/ محمد ابن نور سعد الشويعر، ط الثانية ١٤١٠هـ.
- المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث / للحافظ أبي موسى محمد بن أبي بكر المديني الأصفهاني. تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، مطابع جامعة أم القرى، ط الأولى ١٤١٠هـ.
- مجموع فيه رسائل العلامة المعلمي عبد الرحمن بن يحيى اليماني ثم المكّي. أعدها للنشر وعلق عليها: ماجد بن عبد العزيز الزيايدي، المكتبة المكيّة، مكة المكرمة، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- مجموعة الرسائل المنيرية. جمعها: محمد منير الدمشقي، مصورة إدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٦هـ.
- مجموعة رسائل وفتاوى في مسائل مهمة تمس إليها حاجة العصر / لعلماء نجد الأعلام. وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة، المملكة العربية السعودية.
- محاسن التأويل / محمد جمال الدين القاسمي. صححه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط الثانية ١٣٩٨هـ.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها / لأبي الفتح عثمان ابن جني. دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٩هـ.
- المحرر الوجيز / لابن عطية، عبد الحق بن غالب. تحقيق: المجلس العلمي بفاس الرباط وزارة الأوقاف.
- مختصر الصواعق المرسلّة / لابن القيم. اختصره: محمد بن الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
- مدارج السالكين / لابن القيم. تحقيق: عماد عامر، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤١٦هـ.

- المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة / د: محمد بن علي الصامل. دار أشبيلية، الرياض، ط الأولى ١٤١٨هـ.
- المدخل إلى القرآن الكريم / لدراز محمد بن عبد الله. ترجمة: محمد عبد العظيم، دار القلم، الكويت، ط الثالثة ١٤٠١هـ.
- المدخل للتفسير الموضوعي / لعبد الستار فتح الله سعيد. دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط الثانية ١٤٠٦هـ.
- المدخل لدراسة القرآن الكريم / د: محمد بن محمد أبو شهبه. مكتبة السنة، القاهرة، ط الأولى ١٤١٢هـ.
- مذاهب أهل التفويض في نصوص الصفات / لأحمد بن عبد الرحمن القاضي. دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤١٦هـ.
- مذكرة أصول الفقه / للشنقيطي محمد الأمين بن المختار. المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- مرويات الإمام أحمد في التفسير. جمع وتخريج: محمد بن رزق بن طرهوني وزملاؤه، مكتبة المؤيد، الرياض، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- مرويات أم المؤمنين عائشة في التفسير / د: سعود الفهيسان. مكتبة التوبة، الرياض، ط الأولى ١٤١٣هـ.
- المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف / للزمخشري. عرض ونقد: صالح الغامدي، دار الأندلس، حائل، ط الأولى ١٤١٨هـ.
- المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية / لشيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب. درسها وحققها وشرحها: يوسف بن محمد سعيد، دار المؤيد، الرياض، ط الأولى ١٤١٦هـ.
- المسائل التي خصها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من فتاوى ابن تيمية. تأليف: الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، حققه وعلق عليه: أبو الفداء السيد ابن عبد المقصود الأثري، دار عالم الكتب، الرياض، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
- المستدرك^(١) على الصحيحين / للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

(١) ورجعت إلى طبعة أخرى بتحقيق الشيخ / مقبل بن هادي الوادعي، طبع دار الحرمين، القاهرة، وعند العزو إليها أقول: تحقيق الوادعي.

- المستنير في تخريج القراءات المتواترة / د: محمد سالم محيسن. مكتبة جمهورية مصر...
- مسند ابن الجعد / لأبي الحسن علي بن الجعد. رواية وجمع: أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي، مراجعة وتعليق وفهرسة: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ.
- مسند أبي يعلى الموصلي. تحقيق وتعليق: إرشاد الحق الأثري، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
- مسند الإمام أحمد.
- المسند الجامع. حققه ورتبه وضبط نصه: د/ بشار عواد معروف وزملاؤه، دار الجيل، بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ.
- مسند عبد الله بن المبارك. حققه وعلق عليه: صبحي البدري، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
- مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف / محمد عليان المرزوقي، حاشية على الكشاف / للزمخشري. دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- المشترك اللفظي / د: عبد العال سالم مكرم. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- مشكاة المصابيح / محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٤٠٥هـ.
- مشكل إعراب القرآن / لمكي بن أبي طالب. تحقيق: ياسين محمد السواس، دمشق، مجمع اللغة العربية ١٣٩٤هـ.
- مصابيح السنة / للبغوي الحسين بن مسعود. القاهرة، المطبعة الخيرية ١٣١٨هـ.
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة / للبوصيري أحمد بن أبي بكر. تحقيق: محمد الكشناوي، الدار العربية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٢هـ.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. تأليف: أحمد بن محمد الفيومي.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (النسخة المسندة) لابن حجر وبذيله (المستزاد من إتحاف الخيره) / للبوصيري. ضبطه وأخرجه: أيمن علي أبو يمان وزميله، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط الأولى ١٤١٨هـ.
- معارج الصعود إلى تفسير سورة هود / للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي. كتب هذا التفسير تلميذه: عبد الله بن أحمد قادري، دار المجتمع، جدة، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
- معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة / د: محمد حسين الجيزاني. دار ابن الجوزي، الدمام، ط الأولى ١٤١٦هـ.

- معالم التنزيل للبغوي / الإمام محي السنة الحسين البغوي. حققه: محمد عبد الله النمر ورفاقه، دار طيبة، الرياض، ط الثانية ١٤١٤هـ.
- معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم / للدليمي عبد الوهاب بن لطف. مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط الثانية ١٤١٩هـ.
- معالم السنن للخطابي، حاشية على سنن أبي داود. المطبع الأنصاري الهند...
- المعاني الثانية في الأسلوب القرآني / د: فتحي عامر. منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧٦م.
- معاني القراءات. تصنيف: أبي منصور محمد بن احمد الأزهرى، حققه وعلق عليه: أحمد فريد الزبيدي دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ.
- معاني القرآن / أبو جعفر النحاس. تحقيق: محمد علي الصابوني، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
- معاني القرآن / للأخفش، سعيد بن مسعدة. تحقيق: فائز فارس، الشركة الكويتية، الكويت، ط الثانية ١٤٠١هـ.
- معاني القرآن / للزجاج إبراهيم بن السري. تحقيق: عبد الجليل شليبي، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- معاني القرآن/ للفراء أبي زكريا يحيى بن زياد. تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- معترك الأقران/ للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر. تحقيق: علي البحايوي، دار الفكر العربي.
- معجزة القرآن / للشعراوي، محمد متولي. مكتبة التراث الإسلامي، مصر.
- المعجم الأوسط / للطبراني أبي القاسم سليمان بن أحمد. قسم التحقيق بدار الحرمين، دار الحرمين، القاهرة ١٤١٥هـ.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم / مجمع اللغة العربية بمصر. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ١٤١٦هـ.
- المعجم الكبير/ للطبراني سليمان بن أحمد. حققه: حمدي السلفي، بغداد، وزارة الأوقاف، ط الأولى ١٣٩٨هـ.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / وضعه محمود فؤاد عبد الباقي. المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، ١٩٨٢م.
- المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم / إعداد: محمد بسام رشدي الزين. إشراف محمد عدنان سالم، دار الفكر، دمشق، ط الأولى ١٤١٦هـ.

- المعجم الوسيط / د/ إبراهيم أنيس ورفاقه. دار المعارف، القاهرة، ط الثانية ١٣٩٢هـ.
- معجم الأحاديث القدسية الصحيحة ومعها الأربعون القدسية / للقاري. إعداد وتحقيق: كمال بن بسيوني الأبياني المصري. مكتبة السنة، القاهرة، ط الأولى ١٤١٢هـ.
- معجم الأدباء / ياقوت الحموي. القاهرة، دار المأمون.
- معجم البدع / لرائد بن صبري. دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- معجم البلدان / أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي. دار صادر، بيروت.
- معجم قواعد العربية في النحو والتصريف / عبد الغني الدقر. دار القلم، دمشق، ط الثانية ١٤١٤هـ.
- معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- معجم المقاييس في اللغة / لأبي الحسين أحمد بن فارس. حققه شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- معجم المناهي اللفظية / بكر بن عبد الله أبو زيد. دار ابن الجوزي، الدمام، ط الأولى ١٤١٠هـ.
- معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد / للإمام الذهبي. حققه وعلق عليه أبو عبد الله إبراهيم سعيداي إدريس، دار المعرفة، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.
- مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمه، على النجدي / ناصف. دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار / للحافظ أبي الفضل زين الدين العراقي، إعداد: أشرف بن عبد المقصود. الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- المغني في توجيه القراءات العشر / د/ محمد سالم محيسن. دار الجيل، بيروت، ط الثانية ١٤١٣هـ.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم / لأحمد بن مصطفى الشهر بطاش كبرى زادة. دار الكتب العلمية، بيروت.
- مفتاح كنوز السنة: للدكتور / ا.ى. فنسنك، ونقله إلى العربية: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الحديث، القاهرة.
- مفردات ألفاظ القرآن الكريم / للراغب الأصفهاني. تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط الثانية ١٤١٨هـ.
- مقالات وردود علمية / د/ عبد الله العبادي. دار الثقافة، الدوحة، قطر، ط الأولى ١٤١٣هـ.
- مقدمة في أصول التفسير / ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: جميل الشطي؛ دار الآثار الوطنية، دمشق، ط الأولى ١٣٥٥هـ.

- ملاك التأويل القاطع بدوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من آي التنزيل / الأحمـد بن إبراهيم الغرناطي. تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ.
- المنافقون / د / محمد جميل غازي. مكتبة المدني ومطبعتها، جدة، ١٩٧٢م.
- المنافقون في القرآن الكريم / عبد العزيز الحميدي. دار المجتمع، جدة، ط الأولى ١٤٠٩هـ.
- مناهج الجدل في القرآن الكريم / د / زاهر عواض الألمي. مطابع الفرزدق، الرياض، ط الثالثة ١٤٠٤هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن / محمد عبدالعظيم الزرقاني. دار الفكر، بيروت.
- من بلاغة القرآن / للبدوي أحمد بن أحمد. دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٧م.
- المنتخب / لعبد بن حميد. تحقيق وتعليق أبي عبد الله مصطفى بن العدوي، مطابع البلاغ، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
- من جماليات التصوير في القرآن الكريم / محمد بن عبد المتعال. رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.
- من خلق القرآن / د / محمد دراز. تحقيق: عبد الله الأنصاري، من مطبوعات إدارة الشؤون الدينية، قطر ١٣٩٩هـ.
- من روائع المسائل والفتاوى / أعدده وضبطه وعلق عليه: أبو محمد أشرف ابن عبد المقصود. مكتبة طبرية، الرياض، ط الأولى ١٤١٢هـ.
- من روى عن أبيه عن جده / لأبي العدل قاسم بن قطلوبغا. دراسة وتحقيق: باسم الجوابرة، مكتبة المعلا، الكويت، ط الأولى ١٤٠٩هـ.
- من شوارد الشواهد / لعللي الطنطاوي. دار المنارة، جدة، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
- منظومة ابن المنير في غريب القرآن = التيسير العجيب.
- من فيض الرحمن في بلاغة النحو في القرآن / لخضر عبد السلام أبو طالب. دار غريب، مصر.
- من لطائف التفسير / أحمد فرح عقيلان. دار اليقين، المنصورة، ط الأولى ١٤١٩هـ.
- من معاني القرآن / عبد الرحيم فودة. دار الكتاب العربي، القاهرة..
- منهج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدريّة / لابن تيمية، أحمد ابن عبد الحليم. تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العروبة، القاهرة..
- منهج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات / د / محمد التونجي. عالم الكتب، بيروت، ط الأولى الثانية ١٤١٥هـ.

- المنهاج القرآني في التشريع / د/ عبد الستار فتح الله سعيد. دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ط الأولى ١٤١٣هـ.
- منهج الأشاعرة في العقيدة (تعقيب على مقالات الصابوني) / د/ سفر الحوالي. ط الدار السلفية بالكويت.
- منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم ((دراسة موضوعية لجهود ابن القيم التفسيرية)) / د/ صبري المتولي. دار الثقافة، مصر، ١٩٨٦م.
- منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية / للحربي، علي بن علي بن جابر. المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- منهج السلف في الأسماء والصفات / لشاكر بن توفيق العاروري. رمادي للنشر، الدمام، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير / د/ فهد الرومي. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٧هـ.
- وجوه من الإعجاز القرآني / لمصطفى الدباغ. ط الأولى، مكتبة المنار، الأردن ١٩٨٢م.
- من روائع القرآن / محمد سعيد رمضان البوطي. مكتبة الفارابي، دمشق، ط الرابعة ١٣٩٥هـ.
- من وصف القرآن يوم الدين والحساب / شكري عياد. أصدقاء الكتاب، الجيزة، ط الثالثة ١٩٩٥م.
- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان / للهيثمي، علي بن أبي بكر. تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، القاهرة، المطبعة السلفية..
- موافقة صحيح المنقول لصحيح المعقول / لابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. تحقيق: محمد محي الدين، مطبعة السنة المحمدية، ط الثانية ١٣٩٢هـ.
- المورد الزلال في التنبيه على أخطاء تفسير الظلال / عبد الله بن محمد الدويش. مكتبة دار الغليان، بريدة، ط الأولى ١٤٠٧هـ.
- موسوعة أمثال العرب / د/ أميل بيدع يعقوب. دار الجليل، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- الموضح في وجوه القراءات وعللها / لنصر بن علي المعروف بابن أبي مريم. تحقيق: عمر الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع / د/ إبراهيم بن عامر الرحيلي. مكتبة الغرباء الأثرية، ط الأولى ١٤١٥هـ.

- موقف ابن تيمية من الأشاعرة / د/عبدالرحمن بن صالح المحمود. مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ.

- موقف العقل والعلم من رب العالمين / مصطفى صبري. القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٩هـ.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال / للذهبي، محمد بن أحمد. تحقيق: علي البحاي، بيروت، دار المعرفة..

(ن)

- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن / د/ محمد عبدا لله دراز. دار القلم، الكويت، ط السادسة ١٤٠٥هـ.

- نبذة مختصرة عن حياة الداعية الإسلامي عبد الرحمن بن محمد الدوسري/ بقلم تلميذه: أحمد بن عبد العزيز الحصين. مطابع شركة السلطان والفريخ، بريدة.

- النبوات لابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. القاهرة، المطبعة السلفية ١٣٨٦هـ.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / يوسف ابن تغري بردى الأتابكي. القاهرة، المؤسسة المصرية.

- الندامة الكبرى في حال العصاة وحشرتهم / لمحمد شومان الرملي. دار ابن عفان، الخير، ط الأولى ١٤١٦هـ.

- نزهة الألباب في الألقاب / للدحافظ ابن حجر. تحقيق عبد العزيز السديري، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

- النشر في القراءات العشر / لابن الجزري، محمد بن محمد، تصحيح: علي محمد الضياع. دار الكتب العلمية، بيروت.

- نصره التأثر على المثل السائر / لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. تحقيق: محمد علي سلطاني، القاهرة، دار الكتب الثقافية ١٩٧١م.

- نصيحة الإخوان في معالجة السحر والجان / لعبد الحميد هندراوي. نشر محمد سيد محمود، مصر ١٩٩٢م.

- نظرات في الاستدلال القرآني / د/ عبد الستار فتح الله سعيد، مسألة من المنهاج القرآني في التشريع.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، جمع آياته وأحاديثه / عبدالرزاق المهدي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.

- نظم الفرائد مما في سلسلتي الألباني من فوائد / لعبد اللطيف بن محمد. مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى ١٤٢٠هـ.
- النظم القرآني في آيات الجهاد / د/ ناصر بن عبدالرحمن الحنين. مكتبة التوبة، الرياض، ط الأولى ١٤١٦هـ.
- النفيس في تخريج أحاديث تلبس إبليس / لابن الجوزي. تأليف: يحيى بن خالد بن توفيق. مكتبة التربية الإسلامية، مصر، ط الأولى ١٤١٤هـ.
- النكت والعيون / علي بن محمد الماوردي. تحقيق: خضر محمد خضر، مراجعة: عبد الستار أبو غدة، الكويت، وزارة الأوقاف، ط الأولى ١٤٠٢هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر / لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية، بيروت.
- النهاية في الفتن والملاحم / لابن كثير الدمشقي. تحقيق: محمد الأحمد، دار الحديث، القاهرة.

(هـ)

- الهجرة في القرآن الكريم / أحزمي سامعون جزولي. مكتبة الرشد، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- الهجرة في الكتاب والسنة / مشهور حسن سليمان. دار ابن القيم، الدمام، ط الأولى ١٤٠٩هـ.
- الهداية لأسباب السعادة / لعبد الله بن جار الله الجار الله. مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط الثانية ١٤٠٨هـ.
- هدي القرآن الكريم / عبد الله سراج الدين. مكتبة دار الفلاح، حلب، ط الأولى ١٤١١هـ.
- هذه حقائق أساسية عن الإعجاز في القرآن / سليمان بن شلاش العبد الله. دار الغيث، الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ.
- هذه مفاهيمنا / لصالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ. طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

(و)

- وشي الحلل في مراتب العلم والعمل / الحسين العوايشة. دار الهجرة، الرياض، ط الأولى ١٤١٢هـ.
- وفيات الأعيان وأبناء الزمان / لابن خلكان، أحمد بن محمد، تحقيق: إحسان عباس. بيروت، دار الثقافة.
- وقاية الإنسان من الجن والشيطان / وحيد عبد السلام بلي. دار النشر، القاهرة.

(ي)

- اليوم الآخر القيامة الكبرى / للأشقر عمر بن سليمان. دار النفائس، الأردن، ط السادسة
١٤١٥هـ.

- يوم الفزع الأكبر / للقرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم،
مكتبة القرآن، مصر.

المجلات والدوريات

- مجلة الأصالة، العددان الخامس عشر والسادس عشر، ذي القعدة ١٤١٥هـ.
- مجلة الحكمة العدد السادس، صفر ١٤١٦هـ، والعدد التاسع صفر ١٤١٧هـ، والعدد الثالث عشر،
جماد ثاني ١٤١٨هـ، والعدد الثامن عشر، صفر ١٤٢٠هـ.
- المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد (٣٢)، لعام ١٩٨٨م.
- مجلة كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السنة الأولى، العدد الأول ١٤٠١-١٤٠٢هـ، والسنة
الثانية، العدد الثاني ١٤٠٤هـ - ١٤٠٥هـ.
- مجلة المجتمع العدد ٦٢٩ لسنة ١٤٠٣هـ.
- مجلة الجمع العلمي بدمشق.
- مجلة مركز بحوث السنة والسير، قطر، العدد الثامن، ١٤١٥هـ.
- مجلة المسلم المعاصر، العدد الأول والثاني، ربيع الأول والثاني، لعام ١٣٩٥هـ، والعدد الثالث
رجب ١٣٩٥هـ.

فهرس المحتوى

الصفحة	الموضوع
١٧-٢	المقدمة
٧	أسباب اختيار الموضوع
٨	منهج البحث
١٠	الخطة
١٤	تنبيهات
١٨	التمهيد وفيه: الفصل الأول: مدخل إلى الحوار في القرآن الكريم:
١٩	المبحث الأول: معنى الحوار والألفاظ المقاربة له:
١٩	المطلب الأول: معنى الحوار
٢٢	المطلب الثاني: ألفاظ مقاربة للحوار: أولاً: المجادلة
٢٤	ثانياً: المحاجة
٢٥	ثالثاً: المناظرة.
٢٧	رابعاً: المرء
٣٠	المبحث الثاني: منزلة الحوار في القرآن الكريم
٣٥	المبحث الثالث: موضوعات الحوار في القرآن الكريم
٣٥	المطلب الأول: موضوعات الحوار الدنيوي في القرآن الكريم.
٣٥	أولاً: الدعوة إلى التوحيد
٣٨	ثانياً: إثبات رسالة الرسل
٤٠	ثالثاً: التأكيد على وقوع البعث بعد الموت
٤٢	أدلة وقوع البعث
٤٨	رابعاً: الحوار في موضوعات متنوعة
٥٤	المطلب الثاني: موضوعات الحوار الأخروي في القرآن الكريم
٥٨	الفصل الثاني: اليوم الآخر
٥٨	المراد به ووروده في القرآن الكريم
٦١	الباب الأول: حوار الله تعالى مع خلقه
٦٢	التمهيد
٦٤	الفصل الأول: حوار الله تعالى مع الرسل

٦٥	المبحث الأول: حوار الله تعالى مع الرسل عامة
٦٧	وقفات مع آية الحوار
٦٧	الوقفة الأولى
٦٧	الوقفة الثانية
٦٩	الوقفة الثالثة
٧٠	المبحث الثاني: حوار الله تعالى مع رسل مخصوصين
٨٧	وقفات مع آية الحوار
٨٧	الوقفة الأولى
٨٨	الوقفة الثانية
٨٩	الوقفة الثالثة
٩٢	الوقفة الرابعة
٩٥	الوقفة الخامسة
٩٦	الوقفة السادسة
٩٨	الفصل الثاني: حوار الله تعالى مع الملائكة
١٠٣	الفصل الثالث: حوار الله تعالى مع الكافرين
١٠٤	تمهيد
١٠٧	المبحث الأول: عند لقاء الله وقيامهم بين يديه
١١٤	وقفات مع آية الحوار
١١٥	المبحث الثاني: عند سؤال الأمم عن بعثة الرسل
١٢٠	المبحث الثالث: عند سؤالهم عن شركائهم الذين كانوا يزعمون
١٢٨	المبحث الرابع: عند سؤال المعبودين وتبرئهم ممن عبدتهم
١٣٥	المبحث الخامس: حوار الله تعالى عند استجواب الجن في إضلالهم للإنس
١٤٧	المبحث السادس: حوار الله مع الكافرين وهم في غمرات العذاب
١٥١	وقفات مع آية الحوار
١٥١	الوقفة الأولى
١٥٢	الوقفة الثانية
١٥٥	الفصل الرابع: حوار الله تعالى مع جهنم
١٦٠	وقفات مع آية الحوار

١٦٠	الوقفه الأولى
١٦١	الوقفه الثانية
١٦٢	الوقفه الثالثة
١٦٣	وقفه مع آيات حوار الله تعالى مع خلقه
١٦٧	الباب الثاني: حوار المؤمنين
١٦٨	تمهيد
١٦٩	الفصل الأول: حوار المؤمنين مع بعضهم بعضاً وفيه مبحثان:
١٦٩	المبحث الأول: الحوار في موقف الشفاعة
١٧٥	وقفات مع آية الحوار
١٧٥	الوقفه الأولى
١٧٦	الوقفه الثانية
١٧٧	المبحث الثاني: حوارهم عند تذكرهم أحوالهم في الدنيا
١٨٨	الفصل الثاني: حوار المؤمنين مع الكافرين
١٨٩	المبحث الأول: حوار المؤمنين عند مناداتهم لأصحاب النار
١٩٣	المبحث الثاني: حوار المؤمنين مع الكافرين عند تساؤلهم عن المجرمين
١٩٧	وقفه مع آيات الحوار
٢٠٠	الباب الثالث: حوار الكافرين
٢٠٣	الفصل الأول: حوار الكافرين مع الله تعالى وفيه مباحث
٢٠٤	المبحث الأول: حوار الكافرين مع الله تعالى عند حشرهم يوم القيامة عمياً.
٢١٢	المبحث الثاني: حوار الكافرين مع الله تعالى لطلب الرجوع إلى الدنيا ليعلموا صالحاً
٢١٢	مواطن طلب الكفار الرجعة إلى الدنيا في القرآن الكريم
٢٣٦	وقفات مع آية الحوار
٢٣٦	الوقفه الأولى
٢٣٩	الوقفه الثانية
٢٤٣	المبحث الثالث: عند تخصمهم مع قرنائهم
٢٤٨	وقفات مع آية الحوار

٢٤٨	الوقفه الأولى
٢٤٩	الوقفه الثانية
٢٥١	المبحث الرابع: حوار الكافرين مع الله لطلب تخفيف العذاب على المتبوعين
٢٥٥	الفصل الثاني: حوار الكافرين مع الملائكة
٢٥٦	المبحث الأول: حوار الكافرين عند طلب تخفيف العذاب
٢٥٩	المبحث الثاني: حوار الكافرين مع الملائكة لطلب الموت
٢٦٢	الفصل الثالث: حوار الكافرين مع المؤمنين
٢٦٣	المبحث الأول: حوار الكافرين مع المؤمنين لطلب الاقتباس من نورهم
٢٧١	المبحث الثاني: حوار الكافرين مع المؤمنين لطلب الإفاضة عليهم
٢٧٦	الفصل الرابع: حوار الكافرين مع جلودهم
٢٨٥	وقفات مع آية الحوار
٢٨٥	الوقفه الأولى
٢٩٠	الوقفه الثانية
٢٩١	الوقفه الثالثة
٢٩٢	الوقفه الرابعة
٢٩٣	الوقفه الخامسة
٢٩٤	الوقفه السادسة
٢٩٨	الوقفه السابعة
٣٠١	الوقفه الثامنة
٣٠٣	الوقفه التاسعة
٣٠٥	الفصل الخامس: حوار الكافرين مع بعضهم بعضاً المستضعفين والمستكبرين
٣٠٩	المبحث الأول: حوار الكفار المستضعفين والمستكبرين في أرض المحشر
٣١١	المطلب الأول: عند بروزهم من قبورهم لأمر الله
٣١٦	المطلب الثاني: حوار الكفار-المستضعفين والمستكبرين- في أرض المحشر عند إيقافهم بين يدي الله تعالى.
٣١٩	من أوجه كيد الكفار - المستكبرين - ومكرهم لصرف عامة الناس عن دين الإسلام

٣٢١	أحوال الكفار من أتباع ومتبوعين عند رؤيتهم للعذاب
٣٢٥	المطلب الثالث: حوار المستضعفين والمستكبرين عند إيقافهم للمساءلة
٣٣٠	المبحث الثاني: حوار الكفار المستضعفين والمستكبرين في نار جهنم
٣٣١	المطلب الأول: عند إدخال فوج من الأتباع على المتبوعين في نار جهنم
٣٣٤	المطلب الثاني: حوار المستضعفين والمستكبرين فور تداركهم واجتماعهم في نار جهنم
٣٣٧	وقفه مع آية الحوار
٣٣٨	المطلب الثالث: الحوار عند طلب الضعفاء من المستكبرين تحمل نصيياً من النار عنهم
٣٣٩	الفصل السادس: حوار الملائكة - خزنة جهنم - مع الكافرين
٣٤٠	تمهيد
٣٤٢	المبحث الأول: حوار خزنة جهنم مع الكافرين على شفير جهنم عند فتح أبوابها
٣٤٨	المبحث الثاني: حوار خزنة جهنم مع الكافرين عن إلقاءهم وسقوطهم في نار جهنم
٣٥٣	المبحث الثالث: حوار خزنة جهنم مع الكافرين بعد سجرهم في نار جهنم
٣٥٦	المبحث الرابع: حوار خزنة جهنم مع الكافرين عند مقتهم لأنفسهم في نار جهنم
٣٥٩	وقفه مع آية الحوار
٣٦١	الخاتمة: نسأل الله تعالى حسنها
٣٦٤	المقترحات والتوصيات
٣٦٦	فهرس الفهارس
٣٦٧	فهرس الآيات
٣٩٥	فهرس الأحاديث القدسية
٣٩٦	فهرس الأحاديث النبوية

٤٠١	فهرس الآثار
٤٠٤	فهرس الأعلام
٤٢٠	فهرس الأديان والطوائف والفرق والمذاهب
٤٢٢	فهرس المفردات
٤٢٦	فهرس البلدان
٤٢٨	فهرس الأشعار
٤٣٠	فهرس المصادر والمراجع
٤٧٢	فهرس المحتوى